الوساطة بين المتنبي وخصومه

للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني

تحقيق وشرح
محمد أبو الفضل إبراهيم
علي محمد البجاوي



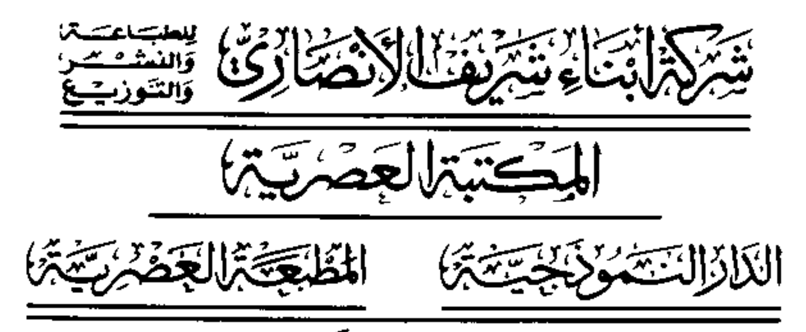
صيدا - بيروت

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - 2006 م

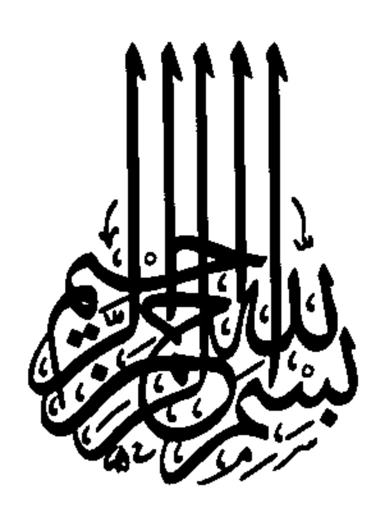
موقعنا على الإنترنت:

www.almaktaba-alassrya.com



بيروت - ص.ب ١١ - ٨٣٥٥ - تلفاكس ٦٥٥٠١٥ ٠٠٩٦١١
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٧٢٠٣١٧ ٠٠٩٦١٧
E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN- 9953-34-496-5





بسم الله الرحمن الرحيم

وصل النقد في القرن الرابع إلى أوْجه، فصار خصباً، متّسع الآفاق، معتمداً على الذوق الأدبي السليم، مؤتنساً بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح؛ إن حلل فبذوق سليم، وإن علل فمبنطق سديد، وإن عرض لفكرة أتى على كل ما فيها[١].

واختفى ـ أو كاد ـ تبعاً لذلك، أو نتيجة له، من حَلْبته اللغويون والنحاةُ، وحمل رايتَه الأدباء؛ يتميّز نقدُهم باستقصاء البحث، وشمُول الفكرة، وتوضيح العلل، والموازنة العامة بين الشعراء، وعُنُوا بدراسة الشعر وتقدير رجاله، وتخاصموا فيهم؛ فهذا ينتصر لأبي تمام، وذاك يتشيّع للبحتري، وهؤلاء يرفعون من مقدار المتنبي وينسبون إليه كل فضيلة في الشعر، وأولئك ينتقصون منه ويَزْمونه بالتعقيد والمعاظلة والالتواء؛ وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب؛ وسارت مقالاتهم وكتبهم في كل صُقْع وواد.

من هؤلاء أبو الفرج الأصفهاني، وابن العَمِيد، والصاحب بن عَبّاد، وأبو علي الحاتمي، وأبو الحسن بن لنكَك البصري، والآمدي، والجُرجانيّ. . . إلا أن أبا الحسن الجرجانيّ كان أصْرَحَهُم نقداً، وأوسعهم أُفقاً، وأشملهم بحثاً.

فقد ظهر المتنبي فملأ الدنيا وشَغل الناس، كما يقول ابن رشيق، واختصم الأدباء في شعره، وقطعوا الأزمان المتواصلة في تحديد أغراضه؛ وتعصّب له فريق، وغضّ من شأنه فريق، وكان من الذين غضّوا من شعره الصاحب بن عباد، وألفّ فيه رسالة سمّاها: «الكشف عن مساوئ المتنبي»، أقامها على التنقص منه، والحطّ من مقداره. وقد ذكر الرواة أن الصاحب كان هيّن المكانة حين وفد المتنبي على ابن العميد، وكان يودّ لو قصده أبو الطيب؛ فلما تجاهله جزع وسخط، وألفّ فيه هذه الرسالة؛ وذكر فيها من شعر المتنبي أمثلة للغموض والتعقيد والركاكة وقبح الألفاظ واستكراهها.

---

(١) تاريخ النقد الأدبي للأستاذ طه أحمد إبراهيم: ١٤٧.

وكان أبو الفتح عثمان بن جني من ناحية أخرى يرفع من مقداره؛ ويشيد من ذكره؛ وأصبح لكل منهما أشياع.

كتاب الوساطة:

في هذه الحلْبة وذلك المعترك ألّف القاضي علي بن عبد العزيز كتاب «الوساطة». قال الثعالبي في اليتيمة:

«ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار «مساوئ المتنبي» عمل القاضي أبو الحسن كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره»؛ فأحسن وأبدع، وأطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمر في فصل الخطاب، وأعرب عن تبحّره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ، وقوة النقد؛ فسار الكتاب مَسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح، وقال فيه بعض العصريين من أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دنتْ كتبه وإن أصبحَتْ دارُه شاحِطهْ

كتابُ الوساطة في حُسْنِه لعِقْدِ معاليك كالوَاسِطَهْ

وقال صاحب كشف الظنون:

«أما القاضي أبو الحسن فإنه ادَّعى التوسط بين خصوم المتنبي ومحبّيه، وذكر أن قوماً مالوا إليه، حتى فضّلوه في الشعر على جميع أهل زمانه، وقوماً لم يعدّوه من الشعراء وازْدَرَوْه غاية الازدراء حتى قالوا: إنه لا ينطق إلا بالهوى؛ ولم يتكلم إلا بالكلمة العوراء، ومعانيه كلها مسروقة. فتوسط بين الخصمين، وذكر الحقّ من القولين».

وليس كتاب الوساطة مختصًا بشعر المتنبي كما يفهم من عنوانه، بل إنه عَرَضَ للأصول الأدبية التي عرفت في عصره، وحلّل أشعار القدماء والمُحْدَثين؛ وأَوْرَدَ كثيراً من محاسنهم وعيوبهم، وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض، وأَخْذٍ وسرقة، واستعارة حسنة أو رديئة، ثم عرض للبيئة وأثرها في الشعر والبداوة وما تحدثه من جَفْوةٍ في الطباع، والحضارة وما ينشأ عنها من رِقّةٍ وسهولة، ثم عرض لخصوم المتنبي وأَنصاره، ومعانيه المأخوذة أو المخترعة... كل ذلك وغيره أوردهُ في أسلوب واضح، وعرض شامل؛ بما ستراه حين تمضي في قراءة الكتاب.

مؤلف الكتاب:

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجانيّ المشهور بالقاضي.

ولد في جُرْجَان سنة ٢٩٠هـ، ونشأ بها. وكانت الدولةُ الإسلامية قد بلغت

نُضجَها العلميّ، وتعددت الحواضِرُ الإسلامية تزخَرُ بالعلم والعلماء، وأصبحت الرِّحلة سبيلَ التعلم والدَّرْس؛ فجاب الأرضَ، وزار العراق والشام والحجاز، ولقِيَ مشايخ وقْتِه وعلماء عَصْرِهِ، واقتبس العلومَ والآداب، وصار فيها عَلَماً وإماماً.

اشتهر بالفقه، وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء، وفسَّر القرآن الكريم، وذكره السيوطي في طبقات المفسّرين، واشتغل بالتاريخ وله فيها آثار، ثم هو شاعر مُتْقِن، وكاتبٌ مترسّل، وناقد لَوْذعيّ بصير. وفيه يقول صاحب اليتيمة:

«حَسَنة جُرجان، وفَرْد الزمان، ونادرة الفُلْك، وإنسان حَدَقة العلم، ودُرّة تاج الأدب، وفارس عسْكر الشعر، يجمع خطّ ابن مُقْلة، إلى نثر الجاحظ، ونظم البحتريّ؛ وينظم عقد الإحسان والإتقان في كل ما يتعاطاه».

وفيه يقول الصاحب بن عبّاد:

إذا نحن سَلَّمنا لك العلمَ كلَّه ... فدعْنا وهذي الكتْبَ نحسنْ صدورَها

فإنهمُ لا يرتضون مجيئَنا ... بِجَزْعٍ إذا نظَّمْتَ أنت شذورَها

عرف له الصاحب فضلَه فولّاه قضاء الرَّي، وكانت حضرةُ الصاحب محطَّ رحال العلماء والشعراء والأدباء. واحتفّ به من نجوم الأرض وأبناء الفضل وفرسان الشعر مَنْ يُربي عددهم على من اجتمع على أبواب الرشيد، مثل: أبي الحسن السلّامي، وأبي بكر الخوارزميّ، وأبي طالب المأموني، وأبي القاسم الزعفرانيّ، وأبي الفضل الهمذاني... وغيرهم.

ولكنّ القاضي علي بن عبد العزيز كان آثَرهم عنده، وأقْربهم إليه؛ لفَضْلِه ومكانته، وعلوّ منزلته، وشرَف نفسه. قال أبو نصر التهذيبي:

سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفْتُ يوماً من دار الصاحب ـ وذلك قبيل العيد، فجاءني رسولُه بعطر الفِطْر، ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان:

يا أيها القاضي الذي نفسي له ... مع قرْب عهد لقائه مشتاقةْ

أهديتُ عِطْراً مثلَ طيب ثنائه ... فكأنما أهدِي له أخلاقَهْ

قال، وسمعتُه يقول: إنّ الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفَيْتُه يوماً من فَرْطِ تَحَفّيه بي، وتواضعه لي، فأنشدني:

أكرِمْ أخاك بأرض مولده ... وأمِدَّه من فعلك الحسَنِ

فالعزّ مطلوبٌ وملتمسٌ ... وأعزُّه ما نيلَ في الوطنِ

وكتب إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب يقول: «قد تقدم من وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش ـ دام علوّه ـ من كتبي ما أعلم أني لم أُؤَدّ فيه بعض الحقّ، وإن كنتُ دلَلْتُ على جملةٍ تنطق بلسان الفضل، وتكشفُ عن أنَّه من أفراد الدَّهر في كل قِسْم من أقسام الأدب والعلم؛ فأما موقِعُه منّي فالموقعُ الذي تخطب فيه هذه المحاسن، وتوجبه هذه المناقب؛ وعادته معي ألَّا يفارقني مقيماً وظاعناً، ومسافراً وقاطناً. وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان، بعد أن شرطتُ عليه تصيير المقام كالإلمام، فطالبني مكانُه بتعريف الأمير مصدره ومورده؛ فإن عنّ له ما يحتاج إلى عَرْضِه وجدّ من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله؛ ليتعجّل انكفاؤُه إليّ بما رسم ـ أدام اللّه أيامه ـ من مظاهرته على ما يقدّم الرحيل، ويفسح السبيل؛ من بَذْرَقَةٍ[١] إن احتاج إلى الاستظهار بها، ومخاطبة لبعض مَنْ في الطريق يتعرف النَّهْج فيها، فإن رأى الأميرُ أن يجعلَ من حظوظي الجسيمة عنده تعهدَ القاضي أبي الحسن بما يعجّل ردَّه؛ فإني ما غاب كالمضلّ الناشد، وإذا عاد كالغانم الواجد؛ إن شاء اللّه».

وقد عرف القاضي أبو الحسن للصاحب كيف يَجْزِيه عن وُدِّه، ويكافئه عن تحفّيه به؛ فسيَّر فيه مدائحَ يقول فيها الثعالبي: «أخلصت على قصْد، وأتت من فَرْد، وما فيها إلا صوْب العقل، وذَوْب الفضل».

ومن قوله فيه يهنئه بالبُرْءِ من المرض:

أفي كلِّ يوم للمكارم رَوْعةٌ	لها في قلوب المكرُمات وَجيبُ
إذا أَلِمَتْ نفسُ الوزير تألَّمتْ	لها أنْفُسٌ تحيا بها وقُلوبُ
واللّه لا لاحظْتُ وَجْهاً أُحِبُّه	حياتي وفي وجهِ الوزير شُحوبُ
وليس شحوباً ما أراه بوجْهِهِ	ولكنه في المكرماتِ نُدُوب
تهلَّلَ وجْهُ المجد وابتسم الندى	وأصبح غُصْن الفَضل وهو رطيبُ
فلا زالتِ الدنيا بِملْكك طلقةً	ولا زال فيها من ظلالِكَ طيبُ

۞ ۞ ۞

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: «ولم يزل أبو الحسن يتقدّم إلى أَنْ ذُكِر في الدنيا، وحُمِل تابوتُه إلى جرجان فدُفن بها، وصلّى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض

(١) البذرقة: الخفارة في الطريق.

راجلَيْن[1]. وكان ذلك ـ كما يقول ابن خلكان ـ سنة ٣٦٦[2]؛ وعمره ٧٦ عاماً».

أدبه وآثاره:

أما آثاره فقد ذكر منها ياقوت في معجم الأدباء «تفسير القرآن الكريم»، وكتاب «تهذيب التاريخ»؛ نقل عنه ابن خلدون في تاريخه الكبير، وذكره الثعالبي فقال: «إنه تاريخٌ في بلاغة الألفاظ، وصحة الروايات، وحسن التصرّف في الانتقادات»، وأورد فصلين منه في يتيمة الدهر؛ ثم كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» ـ وقد سبق الحديث عنه ـ وله ديوان شعر ذكره ابن خلكان؛ يجمع بين العذوبة والجزالة؛ وتترقرق فيه شمائلُه السمحة الرضيّة، ونفسه الكريمة الأبية؛ فمن غزله الرقيق:

أفْـدِي الـذي قـال وفـي كَـفِّـه ... مـثـلُ الـذي أشـربُ مِـنْ فـيـهِ
الـوردُ قـد أيْـنَـعَ فـي وَجْـنَـتِـي ... قـلـتُ: فَـمِـي بـالـلَّـثْـمِ يَـجْـنـيـه

ومن قوله في الحنين إلى بغداد:

أراجعة تلك الليالي كعهدِها ... إلى الوصلِ أم لا يُرْتجى لي رجوعُها
وصحبة أحبابٍ لبست لفقدهمْ ... ثيابَ حدادٍ يُسْتَجَدُّ خليعُها
إذا لاح لي من نحوِ بغداد بارقٌ ... تجافت جُفُوني واسْتُطير هُجوعُها
سقى جانبيْ بغداد كلُّ غمامةٍ ... يحاكي دموعَ المستهام هُمُوعها
مَعَاهِدُ من غِزْلَانِ أُنسٍ تحالفتْ ... لواحظُها ألَّا يُداوَى صريعُها
يحنّ إليها كلُّ قَلْبٍ كأنّما ... يُشَاد بحبّاتِ القلوب ربيعُها
فكلُّ ليالي عيشها زَمَنُ الصِّبَا ... وكلُّ فصولِ الدهرِ فيها ربيعُها

ومن قوله يصف نفسه:

يقولون لي فيكَ انقباض وإنما ... رأَوْا رجُلاً عن موقفِ الذُّلّ أَحْجَما
وما زلتُ منحازاً بعِرضيَ جانباً ... من الذّمّ أعتدُّ الصيانةَ مَغْنَمَا
إذا قيل هذا مشربٌ قلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحرّ تحتمل الظمّا
ولم أقْضِ حقَّ العِلْم إنْ كان كلّما ... بدا مطمَعٌ صيَّرْتُه ليَ سُلّما
ولم أبْتذِلْ في خدمة العِلْم مُهْجَتي ... لأخْدُم مَنْ لاقيتُ لكن لأخْدمَا
أأشقى به غَرْساً وأجنيه ذِلَّةً ... إذاً فابتياعُ الجهل قد كان أَحْزَما

---

(١) راجلين: سائرين على أقدامهما.

(٢) في معجم الأدباء: جزء ١٤ صفحة ١٥: مات بالري يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. وكذلك في تاريخ أدب اللغة لجورجي زيدان ٢ ـ ٣٩٢. وفي ابن خلكان (١ ـ ٥٨٤): وقال غير الحاكم: توفي سنة ٣٩٢، ونقل الحاكم أثبت وأصح.

ولـو أنَّ أهـلَ الـعِـلْـم صـانـوه صـانـهـم ولـو عـظـمـوه في الـنـفـوس تـعـظّـمـا

وقد أورد ياقوت في معجم الأدباء[١]، والثعالبي في يتيمة الدهر[٢]، طائفة من شعره، تدور حول الفخر والمدح، والغزل وغيرها من فنون الشعر.

مخطوطة الكتاب وعَملنا فيه:

وهذا الكتاب كان قد نشره الأديب الأستاذ أحمد عارف الزين بمطبعة العرفان في صَيْدَا سنة ١٣٣١هـ، وذكر أنه اعتمد على مخطوطتين إحداهما عراقية والثانية في المكتبة الأزهرية. ثم طبع مرة أخرى في مطبعة محمد علي صبيح.

وكلتا هاتين المطبوعتين تخلوان تماماً من الضبط، ويشيع فيهما الخطأ. ولما شرعنا في نشر هذا الكتاب رجعنا إلى نسخة مخطوطة بالمكتبة الأزهرية برقم ١٥٢٦ أدب، وهي في نحو ١٣٠ ورقة كتبها بخطه سويفي بن أحمد العدوي سنة ١٣٢٨هـ عن نسخة كتبت في سنة ١٣٢٦هـ، وهذه الأخيرة كتبت عن نسخة مكتوبة سنة ١٣١٦هـ وهي نسخة يشيع فيها الخطأ والتحريف وقد رمزنا إليها بالحرف (ب) كما رمزنا إلى النسخة المطبوعة في صيدا بالحرف أ.

ثم عمدنا إلى مراجعة نصوص الشعر على دواوين الشعراء وكتب الأدب، وضبط الأعلام على المعاجم وكتب التاريخ، وشرحنا بعض ما غمض من الكلمات والعبارات؛ لنذلل الصعاب ونساعد القارئ على متابعة أفكار المؤلف والانطلاق في آفاقه.

ثم وضَّحْنا معالم الكتاب بعُنْوَاناتٍ تقرّب مَرْمَاه، وتوضّح غايته، ومعظَمُها اقتباس من نصّ المؤلف؛ إذ كان الكتاب كله رسالة واحدة، ومقالة يمضي فيها المؤلف من أول الشوط إلى نهايته، وشفعناه بالفهارس المتنوعة.

وفي هذه الطبعة الجديدة عدنا إلى الكتاب فزدْنا في شرحه وضبطه وتحقيقه؛ كفاء لما لاقى الكتاب من إقبال وتشجيع.

ونرجو أن نكون قد جعلناه في صورة أدنى إلى الكمال، وأقرب إلى الإتقان؛ ونسأل اللّه أن يجعله عملاً نافعاً مقبولاً.

شعبان سنة ١٣٨٦ (نوفمبر سنة ١٩٦٦).

المحققان

---

(١) الجزء الرابع عشر صفحة ١٥ وما بعدها.

(٢) الجزء الرابع صفحة ٣ ـ ٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

التفاضل ـ أطال اللَّهُ بقاءك ـ داعيةُ التنافس؛ والتنافسُ سببُ التحاسد[١]؛ وأهل النقص رَجُلان: رجل أتاه التقصيرُ من قِبَله، وقَعَد به عن الكمال اختيارُه، فهو يساهم الفضلاء بطَبْعه، ويحنو على الفضل بقدر سَهْمِه[٢]؛ وآخرُ رأى النقص ممتزجاً بخِلقَته، ومؤثّلا في تركيب فِطْرته، فاستشعَر اليأس من زواله، وقَصُرتْ به الهمةُ عن انتقاله؛ فلجأ إلى حَسَد الأفاضل، واستغاث بانتقاص الأماثل؛ يرى أن أبلغَ الأمور في جبر نقيصته، وسَتْرِ ما كشفه العجْزُ عن عورته اجتذابُهم إلى مُشاركته، ووسْمُهم بمثل سِمَتِه، وقد قيل[٣]:

وإذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

صدق واللّه وأحسن! كم من فضيلة لو لم تَستَثِرْهَا المحاسد[٤] لم تبرحْ في الصدور كامنة، ومَنْقبةٍ لو لم تُزْعِجْها المنافسةُ لبقيت على حالها ساكنة! لكنها برزتْ فتناولتْها ألسنُ الحُسَّد[٥] تجْلُوها، وهي تظن أنها تمحوها، وتَشْهَرُها وهي تحاول أن تَسْتُرَها؛ حتى عَثَر بها مَنْ يعرف حقها، واهتدى إليها مَنْ هو أولى بها، فظهرت على لسانه في أحسنِ معرِض، واكتست من فضله أزينَ ملبس؛ فعادت بعد الخمول نابهة، وبعد الذبول ناضرة، وتمكنت من برّ والدها فنوَّهت بذكره، وقَدَرت على قضاء حقّ صاحبها فرفعت من قَدْره ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ولم تزَل العلومُ ـ أيّدك اللّه ـ لأهلها أنساباً تتناصرُ بها، والآدابُ لأبنائها أرحاماً تَتَواصلُ عليها، وأدنى الشِّرك في نسب جوار، وأول حقوق الجار الامتعاضُ له، والمحاماةُ دونه، وما مَنْ حفظ دمه أن يُسفك، بأولى ممَّن رَعَى حريمه أن يهتك[٦]

(١) في ب «الحسد».
(٢) في ب «سعيه».
(٣) البيت لأبي تمام، ديوانه ص ٧٦.
(٤) في أ «المحاسدة»، وما أثبتناه عن ب.
(٥) في ب «الفضاح».
(٦) في ب: «وما حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك» وفي أ «وما من حفظ دمه أن يسفك بأولى من رعى حريمه أن يهتك».

ولا حرمةَ أولى بالعناية، وأحقُّ بالحماية، وأجدر أن يَبْذُل الكريمُ دونها عِرْضَه، وَيمتهن في إعزازها مالَه ونفسَه مِنْ حُرْمة العلم الذي هو رَوْنَق وجْهِهِ، ووقاية قَدْره، ومَنَار اسمه، ومَطِيّة ذِكْره.

وبِحَسَب عِظَم مزيته وعلوّ مرتبته يعظم حقُّ التشارك فيه، وكما تجب حياطتُه، تجب حياطة المتَّصل به وبسببه، وما عقوق الوالد البَرّ، وقطيعةُ الأخ المشفِق، بأشنعَ ذِكْراً، ولا أقبح وَسْماً من عقوق مَنْ نَاسَبَك إلى أكرمِ آبائك، وشاركَك في أفخر أنسابك، وقاسَمك في أزين أوصافك، ومَتَّ إليك بما هو حظُّك من الشرف، وذريعتُك إلى الفخر.

وكما ليس من شرْط صِلَة رحمك أن تَحِيف لها على الحق، أو تميلَ في نصرها عن القَصْد، فكذلك ليس من حُكْم مراعاة الأدب أن تعدِل لأجله عن الإنصاف، أو تخرج في بابه إلى الإسراف، بل تتصرَّف على حكم العدل كيف صَرَفك، وتقفُ على رَسْمه كيف وَقَفَك، فتنتَصِف تارة وتعتذر أخرى، وتجعل الإقرار بالحق عليك شاهداً لك إذا أنكرت، وتقيم الاستسلام للحجة ـ إذا قامت ـ محتجّاً عنك إذا خالَفْت، فإنه لا حال أشدُّ استعطافاً للقلوب المنحرفة، وأكثر استمالةً للنفوس المشمئزة، من توقُّفك عند الشُّبهة إذا عَرَضتْ، واسترسالِك للحجّة إذا قهرت، والحكم على نفسك إذا تحققت الدعوى عليها، وتنبيهِ خصمك على مكامِن حِيَلك إذا ذهب عنها؛ ومتى عُرِفْتَ بذلك صار قولُك برهاناً مسلَّماً، ورأيُك دليلاً قاطعاً، واتَّهم خصمُك ما علمه وتيقنه، وشكَّ فيما حفظه وأتقنه، وارتاب بشهوده وإنْ عدّلتهم المحبّة[1]، وجَبُن عن إظهار حُججه وإن لم تكن فيها غميزة، وتحامتك الخواطر فلم تقدم عليك إلا بعد الثقة، وهابتك الألسُنُ فلم تعرض لك إلا في الفَرْط والنُّدْرَة.

وما زلتُ أرى أهل الأدب ـ منذ ألحقتْني الرغبةُ بجملتهم، ووصلَتِ العنايةُ بيني وبينهم ـ في أبي الطيب أحمدَ بنِ الحسين المتنبي فئتين: من مُطنب في تقريظه، منقطع إليه بجُملته، منحطّ في هواه بلسانه وقلبِهِ، يلتقي مناقِبَه إذا ذُكِرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكِيت بالتفخيم، ويُعجَب ويعيد ويكرر، ويَميل على من عابه بالزِّرايَة والتقصير، ويتناول من يَنْقُصُه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عَثَر على بيت مختلّ النظام، أو نَبِه على لفظ ناقص عن التمام التزم مِنْ نُصْرَة خطئه، وتحسين زَلَله ما يُزيله عن موقف المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر. وعائبٍ يروم إزالتَه عن رُتبته، فلم يسلِّم له فضله، ويحاول حَطَّه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبُه؛ فهو يجتهدُ في إخفاء فضائله، وإظهار مَعايبه، وتتبع سقطاتِهِ، وإذاعة غَفلاته[2].

وكلا الفريقين إما ظالمٌ له أو للأدب فيه؛ وكما أن الانتصارَ جانبٌ من العَدْل لا

---

(١) في أ، ب: «المحنة» وهو تحريف.
(٢) في ب «وإبداء معايبه».

يسدّه الاعتذار؛ فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار، ومَنْ لم يفرّق بينهما وقفت به المَلَامةُ بين تفريط المقصّر، وإسراف المفرِط؛ وقد جعل اللّه لكل شيء قَدْرا، وأقام بين كل حديث فَصْلا؛ وليس يطالَب البَشر بما ليس في طبع البشر، ولا يُلْتَمس عند الآدميّ إلا ما كان في طبيعة وَلدِ آدم؛ وإذا كانت الخلقة مبنيةً على السهو وممزوجة بالنسيان؛ فاستسقاط من عزَّ حالُه حيْف، والتحاملُ على من وُجّه إليه ظلم.

وللفضل آثارٌ ظاهرة، وللتقدم شواهدُ صادقة، فمتى وُجِدتْ تلك الآثار، وشُوهدت هذه الشواهد فصاحبُها فاضل متقدم؛ فإن عُثِر له من بعدُ على زَلّة، ووجدت له بعَقِب الإحسان هَفْوة انتُحِل له عذرٌ صادق، أو رُخصة سائِغة؛ فإن أعوز قيل: زلّة عالم، وقلَّ من خَلا منها، وأيُّ الرجال المهذب! ولولا هذه الحكومة لبطل التفضيل، ولزال الجَرْح ولم يكن لقولنا فاضل معنى يوجد أبداً، ولم نَسِمْ به إذا أردنا حقيقة أحداً، وأيّ عالم سمعت به ولم يزلّ ويغلط! أو شاعر انتهى إليك ذكره لم يَهْفُ ولم يسقط!

أغاليط الشعراء

ودونك هذه الدواوينَ الجاهلية والإسلامية فانظر هل تجدُ فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القَدْحُ فيه؛ إمَّا في لفظه ونظمه، أو ترتيبه وتقسيمه، أو معناه، أو إعرابه؟ ولولا أن أهلَ الجاهلية جُدُّوا[١] بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القُدوة، والأعلام والحجة، لوجدتَ كثيراً من أشعارهم معيبة مُسترذَلة، ومردودة منفيّة، لكنّ هذا الظنَّ الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفى الظِّنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذَّبِّ عنهم كلَّ مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام، وما أراك ـ أدام اللّه توفيقك ـ إذا سمعتَ قول امرئ القيس[٢]:

أيــا رَاكــبــاً بَــلِّــغَ إخــوانــنــا ... مَــنْ كــان مــن كِــنْــدَة أو وائِــل

فنصب «بلغ»، وقوله[٣]:

فـاليَـوْمَ أَشْـرَبْ غَـيْـرَ مُـسْـتَـحْـقِـبٍ ... إثْــمــاً مِــنَ الــلّــهِ ولَا واغِــلِ[٤]

فسكن «أشرب»، وقوله[٥]:

لَـهَـا مَـتْـنَـتَـانِ خَـظَـاتَـا كـمـا ... أَكَـبَّ عَـلَـى سَـاعِـدَيْـهِ الـنَّـمِـرْ[٦]

فأسقط النونَ من «خَظَاتَا» لغير إضافة ظاهرة[٧].

وقول لَبيد[٨]:

تَــرَّاكُ أمــكــنــة إذَا لــم أرْضَــهــا ... أو يرتَبِطْ بعضَ النُّفوسِ حمامُها

---

(١) يقال: جددت يا فلان (على من لم يسم فاعله)، أي صرت ذا جد والجد: الحظ.

(٢) في الضرائر ص ١٠١، غير معزو لقائل.

(٣) ديوانه ص ١٥٠.

(٤) المستحقب: المكتسب للإثم، والواغل: الداخل على القوم في شرابهم.

(٥) ديوانه ص ١٤. اللسان (١٨: ٢٥٤).

(٦) البيت في وصف الفرس. والمتنتان: جنبتا الظهر، والخظاة: المكتنزة من كل شيء. والمعنى: لها متنتان كساعدي النمر البارك في غلظهما.

(٧) هذا رأي الفراء، وقال: حذفت النون تخفيفاً. وقال الكسائي: أراد خظتا؛ فلما حرك التاء رد الألف التي هي لام الفعل، لأنها إنما كانت حذفت لسكونها وسكون التاء، فلما حرك التاء ردها فقال: «خظاتا».

(٨) شرح المعلقات للتبريزي ص ١٥٥.

فسكن «يرتبطْ» ولا عمل فيها لِلَم. وقول طرفة[١]:

قد رُفِعَ الفَخُّ فماذا تحذَري

فحذف النون. وقول الأسديّ:

كنا نرقِّعها وقد مُزِّقت ... واتسع الخَرْق على الراقع

فسكن «نرقّعها». وقال الآخر[٢]:

تَأبَى قُضَاعَةُ أن تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَباً ... وابْنَا نِزَارٍ وأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ[٣]

فسكن «تعرفْ»، وقول الآخر:

يَا عَجَبا والدهر جمٌّ عجَبُهْ ... من عَنَزيٌّ سَبَّني لَمْ أضرِبُهْ

فرفع «أضربه». وقول الفرزدق[٤]:

وعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ ... مِنَ المَالِ إلَّا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ[٥]

فضم مجلَّفاً. وقولُ ذي الخِرَق الطُّهَوِي[٦]:

يَقُولُ الخَنى وأَبْغَضُ العُجْم ناطِقاً ... إلى ربنا صُوْتُ الحِمَار اليُجَدَّعُ[٧]

فأدخل الألف واللام على الفعل. وقول رُؤبة[٨]:

أَقْفَرَتِ الْوَعْثاء وَالْعُثَاعِثُ ... مِنْ بَعْدهم وَالْبُرَقُ الْبَرَارِثُ[٩]

---

(١) شعراء النصرانية ص ٢٩٨، يصف قبرة؛ وبقية البيت:

ونقري ما شئت أن تنقري

(٢) نسبه صاحب اللسان إلى الراعي يهجو ابن الرقاع العاملي.

(٣) رواية اللسان (٨: ٣٩٤).

تأبى قضاعة لم تعرف لكم نسبا ... وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وعلى هذه الرواية لا يكون الاعتراض. وبيضة البلد: السيد.

(٤) النقائض: ٢ ـ ٢٤٨، الضرائر: ٣٩، اللسان ١٠: ٣٧٥.

(٥) المسحت: المهلك، والمجلف: الذي بقيت منه بقية. ووجه الإنكار عطف مرفوع على منصوب. قال أبو عمرو بن العلاء: لا أعرف لها وجهاً، وكان يونس لا يعرف لها وجهاً. قيل له: لعل الفرزدق قالها على النصب ولم يأبه. فقال: كان ينشدها على الرفع، وأنشدنيها رؤبة على الرفع. وتأوله النحاة على الإضمار، فكأنه قال: «هو مجلف».

(٦) خزانة الأدب للبغدادي: ١ ـ ١٠، اللسان (٩: ٣٩٠).

(٧) أراد: الذي يجدع. وحمار مجدع: مقطوع الأذن.

(٨) اللسان: ٢ ـ ٤٢٠، وروايته:

أقفرت الوعساء فالعثاعث ... من أهلها فالبرق البرارث

(٩) في الأصول «البوارث».

والوعث من الرمل: ما غابت فيه الأرجل والأخفاف، والعثاعث: جمع عثعثة؛ وهي الأرض اللينة البيضاء، والبرق: أماكن في بلاد العرب.

وإنما هي البِرَاث جمع بَرَث؛ وهي الأماكن السهلة من الأرض، وروى البَوَارث وكأنه جمع بارثة.

وقول بعض الرّجّاز[١]؛ أنشده المفضّل:

كانت عجوزاً عُمِّرَتْ زمانا وهي ترى سَيِّئَها إحسانا

تعرفُ منها الأنفَ والْعَينَانَا[٢]

ففتح النون من العينانا. وقول آخر منهم ـ أنشده أبو زيد:

طاروا عليهنّ فَطِرْ عَلَاهَا واشدُدْ بِمَثْنى حَقَبٍ حَقْواها[٣]

ناجيةً وناجياً أباها

فرفع حَقْواها، وحقُّه النصب، كما قد نصب أباها، وحقُّه الرفع. وقول الأقَيْشِر[٤]:

وقد بَدَا هَنْكِ من المِئْزرِ

وقول نَقيع [بن][٥] جُرْموز:

أطوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوِي إلى أمّي ويرْويني النَّقيعُ[٦]

فأدخل الألف في أمّي لغير نداء ولا ضرورة.

وغيرُ هذا مما هو أسهلُ منه قول امرئ القيس[٧]:

كأن ثَبيراً من عَرَانينِ وَبْلهِ كبيرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ[٨]

---

(١) الضرائر ١٦١، شرح المفصل (٣: ١٢٩)، (٤: ١٤٣) ونسبه أبو زيد إلى رؤبة، وقال ابن هشام: إنه شعر مصنوع، وقال المفضل: إنه لرجل من ضبة.

(٢) بعده:

ومنخرين أشبها ظبيانا

(٣) الحقب: حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير، والحقو: الكشح، شرح المفصل: (٣: ١٢٩)، اللسان (٩: ٣٢٢)، ورواية اللسان:

طاروا علاهن فَسُل علاها

(٤) أنشده سيبويه في الكتاب (٢: ٢٩٧)، وصدره:

رحت وفي رجليك ما فيهما

وموضوع المؤاخذة تسكين النون في هنك؛ وحقه التحريك.

(٥) زيادة من معجم الشعراء للمرزباني ص ١٩٥. قال: «أراه سمى النقيع بهذا البيت».

(٦) النقيع والنقيعة: المحض من اللبن يبرد. والبيت في اللسان ١٠: ٢٣٨.

(٧) شرح المعلقات للتبريزي ص ٥٢، واللسان ٣: ٣٣٠.

(٨) ثبير: جبل، والعرانين: الأوائل، والوبل: ما عظم من المطر، والبجاد: كساء مخطط من أكسية الأعراب، ومزمل: ملتف.

فخفض «مُزَمّلا»[١]، وهو وصفُ كبير. وقول الفرزدق[٢]:

بِخَيرِ[٣] يَدَيْ مَنْ كانَ بَعْد مُحَمَّدٍ وجارَيْهِ والمقتولِ للّهِ صائمِ

فخفض صائم. وقول رؤبة:

قد شفَّها النوح بمأزُولٍ[٤] ضَيَقْ

ففتح الياء. ومثال ذلك مما يُخرِج الكتاب عن غَرَضهِ.

بعض ما كان يجري بين الرواة والشعراء

ثم استعرضتَ إنكارَ الأصمعي وأبي زيد وغيرهما هذه الأبيات وأشباهها، وما جرى بين عبد اللّه بن أبي إسْحَاق الحَضْرَمِي والفرزدق في أقواله ولحنه في قوله[٥]:

فَلَوْ كانَ عَبْدُ اللّهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ ولَكِنَّ عَبْدَ اللّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا[٦]

ففتح الياء من موالي في حالِ الجر، وما جرى له مع عَنْبَسَة[٧] الفيل النحوي حتى قال فيه:

لقد كان في مَعْدان[٨] والفيل شاغل لِعَنْبَسَة الرَّاوي عليَّ القصائِدا

وما كان القدماء يتبّعونه في أشعار الأوائل من لحن وغَلَط وإحالة وفساد معنى؛ حتى قال البَرْدَخْت[٩] لبعض النحويين:

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغل وأنف كمثلِ العُودِ مما تَتَبَّعُ

---

(١) تأول النحاة لخفضه فقالوا: إنه على الجوار مثل قولهم: هذا جحر ضب خرب (بكسر خرب).

(٢) النقائض: ٢ ـ ٥٢. (٣) في الأصول «تحير»، وصوابه من النقائض.

(٤) المأزول: المضيق عليه.

(٥) خزانة الأدب: ١: ١١٤.

(٦) المولى: الحليف، وهو: المعاهد؛ والرجل إذا كان ذليلاً يوالي قبيلة ليعتز بأفرادها، وإذا والى مولى كان أذل من الذليل. وأراد بالموالي الحضرميين، وكانوا موالي بني عبد شمس بن عبد مناف.

(٧) هو عنبسة بن معدان الفيل، أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه، وكانت لزياد ابن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم، فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال: ادفعوها إلي وأكفيكم المؤونة، وأعطيكم عشرة دراهم كل يوم فدفعوها إليه فأثرى وابتنى قصراً، ونشأ له ابن يقال له عنبسة، فروى الأشعار وظرف وفصح، وروى شعر جرير والفرزدق، وبلغ الفرزدق أن عنبسة يفضل عليه جريراً فهجاه. (معجم الأدباء) (١٦: ١٣٣).

(٨) في ا، ب «بغداد»، وهو تحريف والبيت وقصته في نزهة الألباء ص ٥.

(٩) البردخت الضبي: هو علي بن خالد؛ وأصل اسمه بالفارسة پرادخت؛ بمعنى الفارغ. هجا جريراً فبلغه الهجاء، وأخبر باسمه فقال: ما البردخت؟ قيل: الذي لا عمل له؛ فقال: ما كنت لأجعل له عملاً ولا شغلاً. ولم يجبه. معجم الشعراء ص ٢٨٠.

تَتَبَّعُ لحناً في كلام مُرَقَّشٍ وخَلْقُكَ مبنيٌّ على اللحن أجمع
فعيناك إقواء وأنفك مُكْفَأ ووجهك إيطاء فأنت المرقَّع[١]

وقول الأَصْمَعِيِّ في الكُمَيْت: جُرْمُقَانيٌّ[٢] من جَرَاميق الشَّامِ لا يُحْتَجُّ بشعره، وما أنكره من شعر الطِّرِمَّاح، ولحّن فيه ذا الرُّمة.

احتجاج النحاة

ثم تصفحتَ مع ذلك ما تكلّفه النحويون لهم من الاحتجاج إذا أمكن: تارة بطلب التخفيف عند تَوَالي الحركات، ومرة بالإتباع والمجاورة؛ وما شاكلَ ذلك من المعاذير المُتَمَحَّلة، وتغيير الرواية إذا ضاقت الحجّة؛ وتبيّنتَ ما رَاموه في ذلك من المَرَامي البعيدة، وارتكبوا لأجله من المراكب الصَّعبة، التي يشهد القلب أن المحرِّك لها، والباعث عليها شدةُ إعظام المتقدم، والكلَفُ بِنُصرة ما سبق إليه الاعتقاد، وألِفتْه النفس.

عود إلى أغاليط الشعراء

ثم عدتَ إلى ما عدّده العلماء من أغاليطهم في المعاني، كقول امرئ القيس[٣]:

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيْفَانةً كَسَا وَجْهَها شعرٌ مُنْتَشِرْ[٤]

وهذا عيبٌ في الخيل. وقول زُهير[٥]:

يَخْرُجْن من شَرَباتٍ ماؤُها طَحِلٌ[٦] على الجذوع يَخَفْنَ الغمّ والغرقَا[٧]

---

(١) الإقواء في الشعر: مخالفة القوافي في الإعراب، والإكفاء: مخالفة هجاء القوافي، والإيطاء: تكرير القافية باللفظ والمعنى.

(٢) قال في القاموس: «الجرامقة» قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل صدر الإسلام، الواحد جرمقاني.

(٣) ديوانه ص ١٢، واللسان: ١٠: ٤٥١.

(٤) رواية الديوان: «سعف». الخيفان من الجراد: المهازيل، وفرس خيفانة: تشبه الجراد في خفتها. قال الأصمعي: وإذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريماً. ورواية اللسان:
لها ذنب خلفها مسبطر

(٥) ديوانه ص ٤٠.

(٦) اللسان (١٣: ٤٢٤)، الموشح ص ٤٧.

(٧) البيت في وصف الضفادع. الشربات: جمع شربة؛ وهي حوض صغير يتخذ حول أصل النخلة فيرويها، والطحل: الكدر، ويريد بالجذوع جذوع النخل، قال المرزباني: «والضفادع لا تخرج من الماء لخوفها من الغمر والغرق، وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ».

والضفادع لا تخاف شيئاً من ذلك. وقول سَلَمة بن الخُرشُب[١]:

إذا كان الحِزامُ لقُصْرَيَيْها أماما حيث يَمْتَسِك البَرِيم[٢]

يقول: إن الحزامَ يقرب في جولانه إذا أكثر من عَدْوِه فيصير أمام القصريين.

قال الأصمعي: أخطأ في الوصف؛ لأنّ خيرَ جرْي الإناث الخضُوع، وإنما يُختار الإشراف[٣] في جَرْي الذكور، فإذا اختضعت تقدّم الحزام، كما قال بِشْر بن أبي خازم[٤]:

نَسُوفٍ[٥] للحِزَام بِمِرْفَقَيها يَسُدُّ خَوَاء طُبْيَيْهَا الغُبَارُ[٦]

وقد ساعد مُتَمِّمُ بن نُوَيْرة على هذا الوصف سَلمة فقال[٧]:

وكأنه فَوْتَ الجَوالِب جَانِئاً رِئْمٌ تَضَايَفَه كلابٌ، أخْضَع[٨]

فوصف الذّكر بالخضوع، وإنما يُخْتار له الاشتِراف. وكقول الجعْديّ:

كأن تواليهما بالضّحى نواعم جَعْل من الأَثْأب[٩]

والجَعْل: صغار النخل، وإنما المراد الكبار، وبه يصحُّ الوصفُ فيما زعموا.

وقول أبي ذؤيب يصف الفرس[١٠]:

قَصَرَ الصَّبُوحَ لها فَشُرّجَ لَحْمُها بالنَّيّ فهْي تَثُوخُ فيها الإصْبَعُ[١١]

---

(١) شرح المفضليات: ١ ـ ٣٨.

(٢) يصف فرسه. القصريان: مثنى القصري، هي الضلع، والبريم: خيط تشده المرأة في وسطها. أراد أنها تتلفت إذا جال حزامها واضطرب لكثرة عدوها، فصار أمام قصرييها في مثل الموضع الذي تشد فيه المرأة على حقوها.

(٣) الخضوع والإشراف: ضربان من سير الخيل.

(٤) المفضليات (٢: ١٤٣)، اللسان (٨: ٢٧٠)، والبيت في وصف فرس.

(٥) في أ، ب «تسوق»، وهو تحريف.

(٦) تنسف الحزام: تدفعه. الخواء: الفرجة. الطبي من الفرس؛ بمنزلة الضرع من الشاة والبقرة؛ يقول: إذا امتلأت عدوا ستر الغبار ما بين طبييها.

(٧) المفضليات (١: ٤٩)، اللسان (١: ٤٣).

(٨) فوت: فائتا الجوالب؛ مصدر وقع حالاً؛ والجوالب: من قولهم: جلب الفارس على الفرس إذا رصد له قوماً في طريقه يصيحون به في الرهان. جانئا: مكبا، يقال: جنأ في عدوه، إذا ألح وأكب. الرئم: الظبي الخالص البياض. تضايفه الكلاب: أخذن بضيفيه ـ بكسر الضاد ـ أي بناصيتيه، جئنه من هاهنا وهاهنا. وهن كلاب الصائد. أخضع: متطامن الرقبة، وهو من الخضوع. وتقدير البيت: كأنه رئم أخضع تضايفه كلاب. شرح المفضليات (١: ٤٩).

(٩) الأثأب: شجر ينبت في بطون الأودية في البادية.

(١٠) المفضليات (٢: ٢٢٧)، اللسان (٣: ١٣٠).

(١١) قصر الصبوح لها: جعل صبوحها اللبن دون الماء، وشرح اللحم: خالطه الشحم. والنيّ: =

قال الأصمعي: حمارُ القصّار خيرٌ من هذا، وإنما يُوصف الفرسُ بصلابة اللحم.

وقول أبي النّجم:

تَسبح أُخْراه وَيطفو أوّله

واضطراب مآخيرِ الفرس قبيح. وقول المسَيَّب بن عَلَس[١]:

وَكأَنَّ غَارِبَها رُباوة مَخْرِمٍ وتَمُدُّ ثِنْي جَدِيلها بِشَراعِ[٢]

أراد تشبيهَ العُنق بالدَّقَل[٣] فغلط، كما غلط طَرَفة في السُّكان فقال:

كسُكّان بُوصِيّ بدَجْلَة مُصْعِد[٤]

وإنما يريد الدَّقَل. وقول امرئ القيس[٥]:

إذَا مَا الثُّرَيَّا في السّماء تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْنَاء الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

والثريا لا تتعرَّض، وإنما تتعرض الجوزاء. وقولُ رُؤْبَة:

كنتمُ كمن أدخلَ في جُحْرٍ يَدَا فأخطأ الأفعى ولاقى الأسودا[٦]

فجعل الأفعى دون الأسود، وهي أشدُّ نكاية منه. وقول زهير[٧]:

كأحمرِ عادٍ ثم تُرْضِعْ فتَفْطِم

= الشحم. وتثوخ فيها الإصبع، أي لو أدخل أحدهم إصبعه في لحمها لدخل لكثرة لحمها وشحمها.

(١) شرح المفضليات (٢: ٦٠).

(٢) الغارب: ما بين السنام والعنق. والرباوة: منقطع الجبل حيث استدق. والمخرم: مقطع أنف الجبل، والجديل: الزمام. وثنيه: ما انثنى منه، أراد تمد جديلها بعنق طويلة، فشبهها بشراع السفينة.

(٣) الدقل: خشبة طويلة في وسط السفينة يمد عليها الشراع.

(٤) صدره:

وأتلع نهاض إذا صعدت به

المعلقات بشرح التبريزي ص ٦٩.

السكان: ذنب السفينة. والبوصي: نوع من السفن، أو هو الملاح.

(٥) ديوانه ص ٢٥.

(٦) الأفعى: حية عريضة رقشاء دقيقة العنق، لا تنفع معها رقية ولا ترياق. والأسود حية خبيثة تسلخ جلدها كل عام، وتسمى أسود سالخ.

(٧) في وصف الحرب. وصدره:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم

المعلقات بشرح التبريزي ص ١١٣.

وإنما هي أَحْمَر ثمود[١]. وقول ليلى. ويروى لحُمَيْد:

لما تخايلت[٢] الحمُول حسبتها دَوْماً بأَيْلَة ناعماً مَكْمُوما[٣]

والدَّوْم لا أكمام له.

هذا ما يعرفونه صباحاً ومساء. ويمارسونه على طول الدهر؛ فَدَعْ ما يخفى عليهم ويَبْعُد عن أبصارهم. كقول أبي ذؤيب في الدُّرَّة[٤]:

فجاءَ بها ما شِئتَ من لَطَمِيَّة يدُور الفراتُ حولَها ويَموجُ

فالفرات هو العَذْب، والدرُّ، لا يوجد إلا في المِلْح. وقول الآخر[٥]:

فيه الرماحُ وفيه كلُّ سابغةٍ جَدْلَاء مُحْكَمةٍ من نَسْجِ سَلّامِ[٦]

وقول الآخر[٧]:

وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ ونَسْجُ سُلَيمٍ كلَّ قَضَّاء ذائِل[٨]

أرادا داود فغلطا إلى سليمان، ثم حرَّفا اسمه فقال أحدهما: سَلّام، وقال الآخر: سُلَيم، كما قال الآخر:

والشيخ عثمان بن عف

أراد ابن عفّان. وقال الآخر:

ومِحْوَرٍ أُخلِص من ماء اليَلَبْ[٩]

---

(١) أحمر ثمود: لقب قدار بن سالف، عاقر ناقة صالح، وإنما قال: كأحمر عاد لإقامة الوزن لم يمكنه أن يقول كأحمر ثمود، أو وهم فيه.

(٢) في المزهر (٢: ٣١٣): «لما تحاملت».

(٣) قال السيوطي: في المزهر: الدوم: شجر المقل، والمكموم لا يكون إلا النخل، فظن أن الدوم هو النخل.

(٤) اللسان ١٦: ١٧، وروايته:

فجاء بها ما شئت من لطمية تدور البحار فوقها وتموج

واللطمية: هي الدرة.

(٥) هو الحطيئة، والبيت ورد في اللسان ـ مادة سلم بهذه الصورة، وورد أيضاً فيه ـ مادة جدل:

فيه الجياد وفيه كل سابغة

(٦) السابغة: الدرع الوسيعة. ودرع جدلاء: محكمة النسيج.

(٧) هو النابغة الذبياني. ديوانه ص ٦٤.

(٨) الصموت من الدروع: اللينة المس. ونثلة: واسعة. وتبعية: منسوبة إلى تبع وهو ملك اليمن. والقضاء: المحكمة. ودرع ذائل: طويلة الذيل.

(٩) في الأصل: ومحرر من ماء اليلب. وما أثبتناه عن اللسان (٢: ٣٠٦).

جعل اليَلَب حديداً وإنما هي سيُور؛ كما قال غيره:

لـم تَـدْرِ مـا نَـسَـجُ الـيَـرَنْـدَجِ قَـبْـلَـهـا[١]

[فإنه ظن أن اليرندج نسج[٢]]، وإنما اليَرَنْدَجُ جلود. وقول الآخر[٣]:

بَـرِّيَّـة لـم تـأكـل الـمـرَقَّـقـا ولـم تَـذُقْ مـن الـبُـقُـول الـفُـسْـتُـقـا

فجعل الفُسْتق بَقْلا.

وأشباه ذلك مما يكثر تعقبّه، ولم يذكر إلا اليسيرَ منه فيما نريده ـ شككتَ في أنّ نَفْعَ هذا الحكم عام، وجَدْوَاه شامل، وأن المتقدم يضْرب فيه بسهم المتأخر، والجاهليَّ يأخذ منه ما يأخذ الإسلامي، وأنه قول لا حظّ له في العصبية، ولا نسبَ بينه وبين التحامل.

وليس يجب إذا رأيتني أمدح مُحْدَثاً أو أذكرُ محاسن حَضَريّ أن تظن بي الانحرافَ عن متقدم، أو تَنْسُبني إلى الغَضّ من بدويّ؛ بل يجب أن تنظر مَغْزاي فيه، وأن تكشف عن مقصدي منه، ثم تحكم عليّ حكم المنصف المتثبّت، وتقضي قضاء المُقْسِط المتوقّف.

---

(١) تمامه:

ودراس أعوص دارس متخدد

(٢) زيادة من اللسان (٣: ١٠٨).

(٣) هو أبو نخيلة. اللسان ٢: ١٨٤.

الشعر

أنا أقول ـ أيدك الله ـ إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبعُ والرِّواية والذكاء، ثم تكون الدُّرْبَة مادةً له، وقوة لكل واحد من أسبابه؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرِّز؛ وبقدر نصيبه منها تكون مَرْتبتُه من الإحسان.

القدماء والمحدثون

ولست أفضّل في هذه القضية بين القديم والمحدث، والجاهلي والمُخَضْرِم[1]، والأعرابي والمولَّد؛ إلا أنني أرى حاجة المحْدَثِ إلى الرواية أمَسّ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر؛ فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلةَ فيها أن المطبوعَ الذكيّ لا يمكنه تناولُ ألفاظ العرب إلا رِواية؛ ولا طريقَ للرواية إلا السمع؛ وملاكُ الرواية الحفظ، وقد كانت العرب تروي وتحفظ، ويُعرف بعضها برواية شعرِ بعض؛ كما قيل: إن زهيراً كان راوية أَوْس، وإن الحُطَيْئَةَ راوية زهير، وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جُؤَيَّة؛ فبلغ هؤلاء في الشعر حيثُ تراهم، وكان عبيد راوية الأعشى ولم تُسْمَعْ له كلمة تامةٌ، كما لم يسمع لحسين راوية جرير، ومحمد بن سهل راوية الكُمَيْت، والسائب راوية كُثَيِّر؛ غير أنها كانت بالطبع أشدَّ ثقة وإليه أكثر استئناساً؛ وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان، وأنها سواء في المنطق والعبارة، وإنما تَفْضُل القبيلةُ أختها بشيء من الفصاحة. ثم تجد الرجل منها شاعراً مُفْلقاً، وابنَ عمه وجارَ جَنابه ولصيقَ طُنُبه بكيئاً مُفْحَماً[2]؛ وتجد فيها الشاعرَ أشعرَ من الشاعر، والخطيبَ أبلغَ من الخطيب؛ فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحِدَّة القريحة والفِطْنة!

وهذه أمور عامة في جنس البشر لا تخصيص لها بالأعصار، ولا يتصف بها دهرٌ دون دهر. فإن قلتَ: فما بالُ المتقدمين خُصُّوا بمتانة الكلام وجزَالة المنطق وفخامة

---

(١) شاعر مخضرم: أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد. قال ابن بري: أكثر أهل اللغة على أنه مخضرم (بكسر الراء) لأن الجاهلية لما دخلوا في الإسلام خضرموا آذان إبلهم، ليكون علامة لإسلامهم إن أغير عليها أو حوربوا، ويقال لمن أدرك الجاهلية والإسلام مخضرم. وأما من قال: مخضرم (بفتح الراء) فتأويله عنده أنه قطع عن الكفر إلى الإسلام.
اللسان (٥: ٧٥).

(٢) البكيء: من قل كلامه خلقة. والمفحم: من لا يقدر أن يقول شعراً.

الشعر، حتى إن أعْلَمَنا باللغة وأكثرَنا رِوايةً للغريب لو حفظ كلَّ ما ضَمَّت الدواوينُ المرويَّة، والكتبُ المصنفة من شعر فَحْل، وخبر فصيح، ولفظ رائع ـ ونحن نعلم أن معظمَ هذه اللغة مضبوط مرويٌّ، وجُلّ الغريب محفوظ منقول ـ ثم أعانه الله بأصحِّ طبع وأثقب ذهن وأنفذ قريحة، ثم حاول أن يقولَ قصيدة، أو يقرضَ بيتاً يُقارب شعر امرئ القيس وزهير، في فخامته وقوة أَسْره، وصلابة مَعْجَمه لوجده أبعد من العَيُّوق[١] مُتَناولاً، وأصعبَ من الكبريت الأحمر مطلباً؟ قلت: أحلتُك على ما قالت العلماء في حمَّاد[٢] وخلَف[٣] وابن دَأْب[٤] وأضرابِهم، ممن نَحلَ القدماء شعرَه فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أَضْعافه، وصَعُب على أهل العناية إفرادُه وتعسّر، مع شدة الصعوبة حتى تكلّف فَلْي الدواوين واستقراءُ القصائد فنُفِي منها ما لعلّه أمتن وأفخم، وأجمع لوجوه الجَوْدة وأسباب الاختيار مما أثبت وقُبِل[٥] وهؤلاء مُحدثون حضريّون، وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة وحُظِر الاحتجاجُ بالشعر، وانقضى مَنْ جعله الرواة ساقة الشعراء.

فإن قلت: فما بالُ هذا النَّمط والطريقة، وهذه المَنْقَبة والفضيلة ينفردُ بها الواحد في العصر وهو مشحون بالشعر، وكان فيما مضى يشمل الدَّهْماء ويعم الكافة؟ قلت لك: كانت العرب ومَنْ تبعها من السلَف تجري على عادةٍ في تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تَألفْ غيرَه، ولا أنِسها سواه، وكان الشعرُ أحدَ أقسام منطقها، ومن حقّه أن يُختص بفضل تهذيب، ويُفرَد بزيادة عناية، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة، وانضاف إليها التعمّل والصنعة خرج كما تراه فخماً جزْلاً قوياً متيناً.

اختلاف الشعر باختلاف الطبائع

وقد كان القومُ يختلفون في ذلك، وتَتَباينُ فيه أحوالهم، فيرقّ شعرُ أحدهم، ويَصْلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويَتَوَعَّرُ منطقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسَبِ اختلاف الطبائع، وتركيب الخَلْق؛ فإن سلامةَ اللفظ تتبعُ سلامة الطبع، ودَمَاثة الكلام

(١) العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها.

(٢) هو خلف بن حيان. أصله من خراسان، من سبي قتيبة بن مسلم؛ وكان من أفرس الناس لبيت شعر؛ وكان شاعراً يحمل الشعر على لسان العرب، وينحله إياهم. توفي سنة ١٨٠. فهرس ابن النديم ص ٧٤.

(٣) هو حماد بن سابور؛ من سبي الديلم. كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها؛ وهو الذي جمع السبع الطوال. توفي سنة ١٥٥. وفيات الأعيان (١ : ١٦٤).

(٤) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب. كان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم؛ وكان يضعف في روايته. وكان في المدينة يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب، فسقط وذهب علمه: وخفيت روايته. توفي سنة ١٧١. المزهر (٢ : ٢٥٩)، معجم الأدباء (١٦ : ١٥٢).

(٥) كذا في ب، وفي أ: «قيل».

بقدر دَماثةِ الْخِلقة وأنت تجدُ ذلك ظاهراً في أهل عصرك وأبناء زمانك، وترى الْجَافِيَ الْجِلْف منهم كَزَّ الألفاظ، معقَّد الكلام، وَعْر الخطاب؛ حتى إنك ربما وجدتَ ألفاظه في صوته ونغمته، وفي جرْسه ولهجته. ومن شأن البداوة أن تُحْدث بعض ذلك؛ ولأجله قال النبيّ ﷺ: «مَنْ بَدَا جَفَا». ولذلك تجدُ شعر عَديٍّ ـ وهو جاهلي ـ أسلسَ من شعر الفرزدق ورجَز رُؤْبة وهما آهلان؛ لملازمة عَدِيٍّ الحاضرة وإيطانه الريف، وبُعْده عن جلافة البَدْو وجفاء الأعراب، وترى رقةَ الشعر أكثرَ ما تأتيك من قِبَل العاشق المتيّم، والغَزِل المتهالك؛ فإن اتفقت لك الدماثةُ والصبّابة، وانضاف الطبعُ إلى الغزل؛ فقد جُمِعت لك الرقةُ من أطرافها.

أثر التحضر في الشعر

فلما ضرب الإسلام بِجِرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثُرت الحواضر، ونزعت البوَادي إلى القرى، وفشا التأدّب والتظرّف اختار الناسُ من الكلام ألينَه وأسْهَله، وعمَدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنَها سمعا، وألطفَها من القلب مَوْقِعاً؛ وإلى ما للعرب فيه لغاتٌ فاقتصروا على أسلسها وأشرفها؛ كما رأيتهم يختصرون [ألفاظ][1] الطويل؛ فإنهم وجدوا للعرب فيه نحوا من ستين لفظة؛ أكثرها بَشِع[2] شنع؛ كالعَشَنَّط والعَنَطْنَط والعَشَنَّق، والجَسْرَب والشَّوْقَب والسَّلْهب والشَّوذْب، والطّاط والطُّوط، والقَاق والقُوق[3]، فنبذوا جميع ذلك وتركوه، واكتفَوْا بالطويل لخفَّته على اللسان، وقلة نُبُوِّ السمع عنه. وتجاوزوا الحدّ في طلب التسهيل حتى تسمَّحوا ببعض اللَّحن، وحتى خالطتهم الركاكة والعُجْمة، وأعانهم على ذلك لِينُ الحَضارة وسهولةُ طباع الأخلاق، فانتقلت العادة، وتغير الرَّسْم، وانتسخت هذه السنة، واحتذَوا بشعرهم هذا المثال، وترقَّقُوا ما أمكن، وكسَوْا معانيَهم ألطفَ ما سنح من الألفاظ، فصارت إذا قِيسَتْ بذلك الكلام الأول يتبيّنُ فيها اللين، فيُظَنّ ضعفا، فإذا أُفرِد عاد ذلك اللّين صفاءً ورونقا، وصار ما تخيلته ضعفا رشاقة ولُطفا؛ فإن رام أحدُهم الإغراب والاقتداءَ بمَنْ مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشدِّ تكلّف، وأتم تَصنع؛ ومع التكلف المقْت، وللنفس عن التصنع نُفْرة، وفي مفارقة الطبع قلةُ الحلاوة وذهابُ الرونق، وإخلاقُ الديباجة.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في ب: «أكثرها فيه شنع».

(٣) وردت هذه الألفاظ في الأصلين محرفة ومصحفة، فأصلحناها من لسان العرب وفقه اللغة للثعالبي. وكل هذه الألفاظ ترادف الطويل.

تكلف أبي تمام وتفاوت شعره

وربما كانَ ذلك سبباً لطَمْس المحاسن؛ كالذي نجده كثيراً في شعر أبي تمام، فإنه حاول من بينِ المحدَثين الاقتداءَ بالأوائل في كثير من ألفاظه، فحصل منه على توعير اللفظ، فقبح[١] في غير موضع من شعره، فقال[٢]:

فكأنَّما هي في السَّماع جنادِلٌ ... وكأنما هي في القلوب كَواكِبُ

فتعسّف ما أمكن، وتغلغل في التصعّب كيف قدَر، ثم لم يرضَ بذلك حتى أضاف إليه طلَب البديع، فتحمّله من كل وَجْه، وتوصَّل إليه بكل سبب، ولم يرض بهاتين الخَلتين حتى اجتلب المعانيَ الغامضة، وقصد الأغراض الخفيّة، فاحتمل فيها كل غَثٍّ ثقيل، وأرْصد لها الأفكار بكل سبيل؛ فصار هذا الجنسُ من شعره إذا قرع السمعَ لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفِكْر، وكدِّ الخاطر، والحَمْل على القريحة؛ فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة، وحين حَسَره[٣] الإعياء، وأوْهن قُوّته الكَلال. وتلك حالٌ لا تَهَشّ فيها النفس للاستماع بحَسَن، أو الالتذاذ بمُستظرف؛ وهذه جريرةُ التكلف!

ولست أقولُ هذا غَضًا من أبي تمام، ولا تَهْجيناً لشعره، ولا عصبيّة عليه لغيره. فكيف وأنا أدينُ بتفضيله وتقديمه، وأنتحلُ موالاتَه وتعظيمه، وأراه قِبْلة أصحاب المعاني، وقُدْوة أهلِ البديع! لكن ما سمعتني أشترطُه في صَدْر هذه الرسالة أنه يُحظر إلا إتباع الحق وتحرّي العدل والحكم به لي أو عليّ. وما عدوْتُ في هذا الفصل قضية أبي تمام، ولا خرجت عن شرطه أن يقول في يوسف السراج شاعر مصر في وقته[٤]:

فلو نُبِش المقابر عن زُهَيْرٍ ... لعوّل[٥] بالبكاء وبالنَّحيب
متى كانت مَعانيه[٦] عِيالا ... على تفسير بُقراط الطبيب
وكيف ولم يزل للشعر ماءٌ ... يَرِفُّ عليه ريحانُ القُلُوبِ

---

(١) في أ «فتبجح».
(٢) ديوانه ص ٢٩.
(٣) حسره: أكله وأضعفه.
(٤) ديوانه ص ٤٨٩.
(٥) عول: رفع صوته بالبكاء: ورواه الديوان «الصرح».
(٦) رواية الديوان «قوافيه».

فخبِّرني هل تعرفُ شعراً أحوج إلى تفسير بقراط وتأويل أرسطوليس من قوله[١]:

جَهْمِيَّةُ الأوصاف إلا أنهم قد لَقَّبُوها جَوْهَرَ الأشياء[٢]

وقوله[٣]:

يومٌ أفاض جوى أغاضَ تَعَزِّيا خاض الهوى بَحْرَيْ حجاه المزْبِد

وأيُّ شعر أقلّ ماء، وأبعد من أنْ يَرِفّ عليه رَيْحان القلوب من قوله[٤]:

خَشُنْتِ عليه أخت بني الخُشَيْنِ وأنجح فيك قول العَاذِلَيْنِ

ألم يُقْنعك فيه الهجرُ حتى بَكَلْتِ[٥] لقَلْبه هجرا بِبَيْنِ[٦]

فهل رأيت أغثّ من «بكلت» في بيت نسيب! ومن قوله[٧]:

أأطلالَ الرسوم لَطالَما قد أطلَّت منك أجيادُ الظباء

بها شُغِلت دبابيج[٨] البهاء فضَحْوَة وجهها نشر الضَّحاء

لنا أيام لم تُذم الليالي بذكر البَيْنِ عِزْنِينَ الصفاء

فأضحى البينُ لا يرضى لطَرْفي نواه بالبكيّ من البكاء

لقد طلع الفراقُ على ابن صَبْري فأثكله جلابيبَ العَزاءِ

فالعجب كلُّ العجب من خاطرٍ قدح بمثل قوله[٩]:

أأيامَنا ما كُنتِ إلّا مَواهبا وكنتِ بإسعاف الحبيبِ حَبائبا

---

(١) ديوانه ص ٣.

(٢) يصف الخمر. والجهمية في الأصل: فرقة دينية تنسب إلى جهم بن صفوان؛ ومذهبهم أنه لا فعل للمخلوقين؛ وإنما الفاعل هو الله سبحانه؛ فكأنهم يصفون المخلوقات بالضعف. فهو يعيب للخمر التي صدق عليها نعت الجهمية بالضعف أن يسميها غيرهم جوهر الأشياء؛ أي أصلها.

(٣) ديوانه ص ١١١.

(٤) ديوانه ص ٣٢١؛ الموشح ص ٣١٠.

(٥) بكل: خالط، ورواية الديوان: «قرنت».

(٦) قال المرزباني في الموشح: «ومن ابتداءات أبي تمام المذمومة:

خشنت عليه أخت بني خشين

وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهن، وإنما أوقعه فيه محبته هنا للتجنيس».

(٧) لم نعثر عليها في نسخ الديوان.

(٨) في الأصل: «ذبابيخ»، ولم نجدها في كتب اللغة، فأصلحناها كما رأينا، لأن الدبج النقش، والديباج يجمع على ديابيج ودبابيج. المعرب ١٤٠، ١٤٣، الجمهرة (١: ٢٧)، اللسان (٣: ٨٦).

(٩) ديوانه ص ١٦.

سَتُغْرِب تجديداً لعَهْدِك في البُكا ... فما كنتِ في الأيام إلا غرائبا
ومعتَرِكٍ للشوق أهدى به الهوى ... إلى ذي الهوى نُجْلَ[١] العيون ربائبا
كواعب زارت في ليالٍ قصيرة ... يخيّلن لي من حُسْنِهنّ كَوَاعبا
سلَبْن غِطاء الحُسْن عن حُرِّ أَوْجُهٍ ... تظل لِلُبِّ السَّالِبيها سوَالبا
وجوهٌ لو أن الأرض فيها كواكب ... توقَّدُ للساري لكانت كواكِبا

وقوله[٢]:

ولقد أراكَ فهل أراكَ بِغبْطة ... والعيشُ غضٌّ والزمانُ غلامُ
أعوام وَصْلٍ كان يُنسِي طولَها ... ذكرُ النوى، فكأنها أيّامُ
ثم انبرت أيّامُ هَجْرٍ أردفَتْ ... بِجَوَى[٣] أسى، وكأنها أعوامُ
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحْلَامُ

كيف يتصور فيه ذلك الكلام الغثّ! وأعجب من ذلك شاعر يرى هذه الغُرَرَ في ديوانه كيف يرضى أن يقرن إليها تلك الغُرَر! وما عليه لو حذف نصف شعره، فقطع ألسنَ العيب عنه، ولم يَشْرَعْ[٤] للعدوّ باباً في ذَمّه!

اختلاف شعر أبي تمام في القصيدة الواحدة

ومن جنايات هذا الاختيار على أبي تمام وأتباعهِ أن أحَدَهُمْ بينا هو مُسْترسِل في طريقته، وجارٍ على عادته يَخْتَلِجه[٥] الطَّبع الحَضري، فيعدل به متسهلاً، ويرمي بالبيت الخَنث، فإذا أُنشد في خِلالِ القصيدة، وُجِد قلقا بينها نافراً عنها؛ وإذا أُضيف إلى ما وراءه وأمامه تضاعفت سُهولته، فصارت رَكاكة. وربما افتتح الكلمة وهو يجري مع طبْعه، فينظم أحسن عِقْد، ويختال في مثل الروضة الأنيقة، حتى تعارضه تلك العادةُ السيئة فيتسنم أَوْعرَ طريق، ويتعسّف أخشن مَرْكب، فيطمس تلك المحاسن، ويمحو طُلَاوة ما قد قدّم؛ كما فعل أبو تمام في كثير من شعره؛ ومنه قوله[٦]:

لو حار[٧] مرتادُ المنية لم يجد ... إلَّا الفراقَ على النفوس دليلا
قالوا الرحيل؛ فما شككت بأنها ... نفسي من الدنيا تريدُ رَحيلا
الصبر أَجْمَلُ غير أنّ تلذذا ... في الحب أحرى أن يكون جَميلا

---

(١) نجل: جمع نجلاء. وهي العين المتسعة.
(٢) ديوانه ص ٢٧٩.
(٣) في الديوان: «تحوي».
(٤) شرعت الباب إلى الطريق؛ أنفذته إليه، وشرع الباب: أفضى إلى الطريق، وأشرعه إليه.
(٥) اختلجه: جذبه، وفي الأصل: حتى يختلجه.
(٦) ديوانه ص ٢٤٢.
(٧) رواية الديوان: «جاء».

أتظنني أجد السَّبيل إلى العَزا ... وَجَد الحِمام إذاً إليّ سبيلا!
ردُّ الجَموح الصَّعْبِ أسهلُ مطلبا ... من ردِّ دَمْع قد أصاب مَسيلا
ذكرتكُم الأنواء ذِكرَى بعضكم[١] ... فبكت عليكم بُكْرةً وأصيلا
إني تأملت النوى فوجدتها ... سيفاً على أهل الهوَى مسلولا

ثم عدل عن النسيب فقال:

لو جاز سلطان القُنوع وحُكْمه ... في الخلق ما كان القليلُ قليلا
من كان مَرْعى عزمهِ وهمومه ... روضَ الأماني لم يَزَل مهزولا

فهو كما تراه يعرض عليك هذا الديباج الخُسْرُوَانيّ، والوشي المنمنم، حتى يقول:

لله دَرُّك أيُّ مِغْبر قَفْرَةٍ ... لا يوحشُ ابنَ البيضة الإجْفيلا[٢]
أو ما تراها لا تراها هزة ... تَشْأَى العيون تَعَجْرُفاً وذَمِيلا[٣]

فنغَّص عليك تلك اللذة، وأحدث في نشاطك فَتْرة؛ وهذه الطريقة أحد ما نُعِي على أبي الطيب، وسنقول فيها وفي غيرها إذا استوفينا هذه المقدمة. ولو لم تكن هذه الأبياتُ متناسقة مقترنة، ولم يكن يجمعها قصيدة، وتسمع في حال واحدة لكان أخفى لعَيْبِها، وأسترَ لشيْنها؛ فإنك تعلم بُعْد ما بين قوله:

كادت لعِرْفان النوى ألفاظها ... من رِقَّةِ الشكوى تكونُ دُمُوعا

وقوله[٤]:

هن الْبَجَارِيُّ يا بُجَيْرُ ... أهدى لها الأبؤس الغُوير

وقوله[٥]:

أهيسُ أليسُ لَجَّاء إلَى هِمَمٍ ... تغرق الأسد في آذيِّها الِلّيسا[٦]

لكنها افترقت فغابت، ولم تقترن فتُغْرَب وتُشْهَر.

---

(١) في ديوانه: «بعضهم».

(٢) خرج إلى صفة الناقة بغير ذريعة إلى الخروج. وابن البيضة: الظليم. والإجفيل: الكثير الإجفال.

(٣) التعجرف: النشاط في السير. والذميل: نوع منه. وتشأى: تسبق.

(٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري ص ١١.

(٥) ديوانه ص ١٥٣.

(٦) الأهيس: الشجاع، والأليس مثله. والليس: جمع أليس؛ وهو الشجاع الذي لا يبالي الحرب ولا يروعه. والآذي: الموج.

الأسلوب عند المؤلف

ومتى سمعتَني أخْتَارُ للمحدَث هذا الاختيار، وأبْعَثُه على الطّبع، وأُحسّن له التسهيل؛ فلا تظنن أني أريدُ بالسَّمْح السَّهلَ الضعيفَ الركيك، ولا باللطيف الرشيق الخَنِثَ المؤنث؛ بل أريد النَّمَط الأوسط؛ ما ارتفع عن الساقط السُّوقِيّ، وانحط عن البدويّ الوحشيّ، وما جاوز سَفْسَفَة نَصْر ونُظَرائه، ولم يبلغ تَعَجْرُف هِمْيان بن قُحَافة[١] وأضرابه؛ نعم، ولا آمرُك بإجراء أنواع الشعر كلِّه مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهبَ بعضهِ؛ بل أرى لك أن تُقَسِّم الألفاظ على رُتَب المعاني، فلا يكون غزَلك كافتخارك، ولا مديحُك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك؛ ولا هزْلك بمنزلة جِدِّك، ولا تعريضُك مثل تصريحك؛ بل ترتِّب كلاً مرتبتَه وتوفّيه حقّه، فتلطَّف إذا تغزّلت، وتُفخِّم[٢] إذا افتخرت، وتتصرّف للمديح تصرُّف مواقعه؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميّز عن المدح باللباقة والظَّرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدَام؛ فلكل واحد من الأمرين نَهْج هو أمْلك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه.

وليس ما رسمتهُ لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة، ولا بمختصّ بالنظم دون النثر؛ بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلافَ كتابك في التشوق والتهنئة واقتضاء المواصلة، وخطابك إذا حذَّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنَّيت.

فأما الهجو فأبلغُه ما جرى مَجْرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قرُبت معانيه وسهُل حفظه؛ وأسرع عُلُوقُه بالقلب ولُصُوقه بالنفس؛ فأما القَذْف والإفحاش فسِبَاب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم.

---

(١) هميان بن قحافة: أحد بني عامر؛ راجز إسلامي محسن؛ عاش في الدولة الأموية.

(٢) يقال: فخم الكلام، إذا عظمه، ومنطق فخم: جزل.

المطبوعون من الشعراء

وإذا أردتَ أن تعرف موقعَ اللفظ الرشيق من القلب، وعِظَم غَنائه في تحسين الشعر، فتصفَّح شعرَ جرير وذي الرُّمة في القدماء، والبحتريّ في المتأخرين، وتتبّع نسيب متيَّمي العرب، ومتغزِّلي أهلِ الحجاز؛ كعُمَر، وكُثَيِّر، وجميل، ونُصَيب، وأضرابهم، وقِسْهم بمَنْ هو أجود منهم شعراً، وأفصح لفظاً وسبكاً؛ ثم انظر واحكم وأَنْصف، ودَعْني من قولك: «هل زاد على كذا»! و«هل قال إلا ما قاله فلان»! فإن رَوْعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم، وإنما تفضي إلى المعنى عند التفتيش والكشف.

ومِلاكُ الأمر في هذا الباب خاصة تركُ التكلّف ورفضُ التعمّل والاسترسالُ للطبع، وتجنُّب الحمْل عليه والعنف به؛ ولستُ أعني بهذا كلَّ طَبْع، بل المهذَّب الذي قد صقله الأدب، وشَحذَتْه الرِّواية، وجَلَتْه الفِطنة، وأُلهِمَ الفصل بين الرديء والجيد، وتصوَّرَ أمثلة الحسن والقبح.

السهل الممتنع من شعر البحتري

ومتى أردت أن تعرف ذلك عِياناً، وتستثبته مُوَاجهة، فتعرفَ فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفَضْل ما بين السمْح المنقاد والعَصيّ المستكرَه فاعمِد إلى شعر البحتريّ، ودَعْ ما يصدر به الاختيار، ويُعَدُّ في أول مراتب الجودة، ويتبَيَّن فيه أثرُ الاحتفال، وعليك بما قاله عن عَفْو خاطره، وأوَّل فكرته، كقوله[1]:

أُلَامُ على هواكِ وليس عدلاً ... إذا أحبَبْتُ مثلكِ أنْ أُلاما[2]

أَعيدي فيَّ نظرةَ مُسْتَثِيبٍ ... توخَّى الأجْرَ أو كَرِه الأثاما

تَرَيْ كَبِداً محرَّقةً وعيناً ... مُؤرَّقةً وقلباً مستهاما

تناءت دارُ عَلْوة بعد قُرْبٍ ... فهل رَكْبٌ يبلِّغُها السَّلاما!

وجدَّد طيفُها عتْباً علينا ... فما يَعْتادُنا إلا لِمَاما

ورُبَّتَ ليلةٍ قد بِتُّ أُسقَى ... بِعَينيْها وكَفَّيْها المُداما

قطعنا الليل لَثْماً واعتناقاً ... وأفنيناه ضَمّاً والتزاما

(١) ديوانه (٢: ٢٢٥).

(٢) الأثام: الإثم.

وقوله[١]:

أُصْفيك أقصى الود غير مقلِّلٍ ... إن كان أقصى الوُد عندك ينفَعُ
وأراك أحْسَنَ مَن أراه وإن بَدَا ... منك الصُّدُودُ وبانَ وصلُك أجمَع
يعتادني طَربي إليك فيَغْتلي ... وَجْدِي ويدعوني هواك فأتبع
كلِفاً بحبّك مولَعاً ويسرُّني ... أني امرؤ كَلِفٌ بحبّك مُولَعُ

وقوله[٢]:

رُدِّي على المُشتاق بعضَ رُقَاده ... أو فاشركيه في اتِّصال سُهادِه
أسْهَرْتِه حتى إذا هَجَر الكرى ... خلَّيتِ[٣] عنه ونمْت عَن إسْعادِه
وقسا فؤادُكِ أن يَلينَ لِلَوْعَةٍ ... باتتْ تقلقل في صميم فؤاده
ولقد عززتِ فهان طوعاً للهوَى ... وجنبْته[٤] فرأيت ذُلَّ قِياده
مَنْ مُنصفِي من ظالم مَلَّكْتُه ... ودّي ولم أمْلِك عسيرَ وِدَاده
ما كنت أعرف غيرَ سالفِ وُدِّه ... فبُلِيتُ بعد صدوده ببِعاده

وقوله[٥]:

أجِدَّك ما ينفكّ يسري لزينبا ... خيال إذا آب الظلام تأوَّبا
سرى من أعالي الشام يجلبُه الكَرَى ... هبوب نسيم الروض تجلبه الصَّبا
وما زارني إلا وَلِهْتُ صَبَابَةً ... إليه وإلا قلت: أهلاً ومَرْحبا
وليلتنا بالجَزْع بات مساعفا ... يريني أناة الخَطْو ناعمة الصِّبا
أضرَّت بضوء البدر، والبدرُ طالع ... وقامت مقام البدر لما تَغَيَّبا
ولو كان حقاً ما أتاه لأطفأت ... غليلاً ولافتَكَّتْ أسيراً مُعَذَّبا
عَلِمْتُك إن مَنَّيْتِ مَنَّيْتِ مَوْعِداً ... جَهَاما[٦] وإن أبْرَقْتِ أبرقت خُلَّبا[٧]
وكنت أرى أن الصُّدُود الذي مضى ... دَلَالاً فما إن كان إلا تجنُّبا
فوا أسفي حتّام أسألُ مانعا ... وآمَنُ خَوَّاناً وأُعْتِبُ[٨] مُذْنبا

---

(١) ديوانه (٢: ٧٥).
(٢) ديوانه (١: ٥٥).
(٣) خلى الأمر وتخلى عنه: تركه.
(٤) يقال جنب فلان فلاناً، إذا دفعه وأقصاه.
(٥) ديوانه (١: ١٢٩).
(٦) الجهام: السحاب لا ماء فيه.
(٧) البرق الخلب: المطمع المخلف.
(٨) أعتبه: طلب منه العتبى؛ والعتبى: الرضا.

سأَثْني فؤادي عنك أو أتبع الهوى ... إليك إن استعفى[1] فؤادي أو أبى

ثم انظر: هل تجدُ معنى مبتذلاً ولفظاً مشتهراً مستعملاً! وهل ترى صنعة وإبداعاً، أو تدقيقاً أو إغراباً! ثم تأمَّل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتَفَقَّدْ ما يتداخلُك من الارتياح، ويستخفّك من الطرب إذا سمعته، وتذكَّر صَبْوَةً إن كانت لك تراها ممثَّلة لضميرك، ومصوَّرة تلقاء ناظرك.

طبع البحتري في المدح

فإن قلت: هذا نسيب والنفس تهَشُّ له، والقلب يعْلَق به، والهوى يُسرع إليه، فأَنْشِد له في المديح قوله[2]:

بلوْنا ضرائب مَنْ قد نَرى ... فما إنْ وجدنا لفَتْح[3] ضَرِيبَا
هو المرء أبدت له الحادثا ... تُ عزْماً وشيكا ورأياً صليبا
تنقَّل في خُلُقَيْ سُؤدَدٍ ... سماحاً مُرَجَّى وبأساً مَهيبا
فكالسَّيف إنْ جئته صارخاً ... وكالبحر إن جئته مستثيبا
فتى كرَّم اللَّه أخْلاَقه ... وألْبَسَهُ الحمد بُرْداً قشيبا
وأعطاهُ مِنْ كل خير يُعَدْ ... دُ حظًّا ومن كل مجد نصيبا
فديناك من أيِّ خطب عرا ... ونائبةٍ أوشكت أن تَنُوبا

ثم خرج إلى الاستعطاف وأخذ في العتاب:

وإن كان رأيُك قد حال فِيَّ ... فألبستَني[4] بعد بِشْرٍ قُطوبا
وخَيَّبت أسبابيَ النازعات ... إليك وما حقها أن تَخيبا
يُريِّبني الشَّيْءُ تأتي بِه ... وأُكْبِرُ قدرك أن أَسْتَرِيبا
وأكره أن أتمادى على ... سبيل اغترار فألْقَى شَعُوبا[5]
أُكَذِّب ظني بأن قد سخِطْتَ ... وما كنتُ أعهد ظني كذوبا
ولو لم تكن ساخطاً لم أكن ... أذُمُّ الزمان وأشكو الخُطُوبا
ولا بد من لَوْمَةٍ أنتحي ... عليك بها مُخْطئاً أو مُصيبا

---

(١) في ديوانه: «استعصى».
(٢) ديوانه (١: ٥١).
(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، كان أديباً شاعراً فصيحاً. اجتمعت له خزانة كتب حافلة، وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧.
(٤) في ديوانه: «فلقيتني».
(٥) شعوب: المنية.

أيــصــبــح وِرْدِيَ فــي راحــتــيْــ ـــكَ رنـقـاً ومَرْعـاي مَحْـلا جَدِيـبـا
أبــيــع الأَحِــبــةَ بــيــع الــسَّــوام وأثـنـي عـلـيـهـمْ حـبـيـباً حـبـيـبـا
فــفــي كــل يــوم لــنــا مــوقــف يُـشـقّـق فـيـه الـوداعُ الـجـيـوبـا
ومــا كــان ســخــطُــك إلا الــفــراق أفـاض الـعـيـون وأشْجَى الـقـلُـوبـا
ولــو كــنــت أعــرف ذنــبــاً لــمــا تـخـالـجـني الـشـكُّ في أن أتُـوبـا
ســأَصْــبِــرُ حــتــى أُلاَقِــي رِضَــا كَ إمــا بــعــيــداً وإمــا قــريــبــا
أراقــبُ رأيــك حــتــى يــصــحَّ وأنـظـرُ عَـطْـفَـك حـتـى يَـؤُوبـا

العذب من شعر جرير

وإنما أَحَلْتُك على البُحْتُرِيّ؛ لأنه أقْرَبُ بِنَا عَهْداً، ونحن به أشدّ أُنساً، وكلامه ألْيَق بِطبَاعِنا، وأَشْبَه بعاداتنا؛ وإنما تألَف النَّفسُ ما جانَسها، وتَقْبَل الأقرب فالأقْرب إليها. فإن شئتَ أن تعرفَ ذلك في شعرِ غيرِه كما عرفتَه في شعرِه، وأن تعتبرَ القديمَ كاعْتِبَارِ المولَّد فأنشد قولَ جرير[١]:

أَلا أيُّـهـا الـوَادي الَّـذي ضَـمَّ سَيْـلُـه إلَـيْـنَـا نَـوَى ظَـمْـيـاءَ حُـيِّـيـتَ وَادِيَـا[٢]
إذَا مـا أرادَ الـحـيُّ أنْ يـتـفـرَّقُـوا[٣] وحنَّتْ جِمَالُ الحيِّ حَنَّتْ جِمَالِيَا
فـيَـا لَـيْـتَ أنَّ الـحـيَّ لـم يَـتَـزَيَّـلُـوا[٤] وأَمْسَى[٥] جـمـيـعـاً جِـيـرَةً مُـتَـدَانِـيَـا
إذِ الـحـيُّ فـي دَارِ الـجـمـيـع كـأنَّـمـا يـكُـونُ عـلَـيْـنـا نِـصْـفُ حَـوْلٍ لَـيَـالِـيَـا
إلـى الـلَّـهِ أَشْـكُـو أنَّ بـالـغَـوْرِ حـاجـةً وأُخـرى إذا أَبْـصَـرْتُ نَـجْـداً بَـدَا لِـيَـا
نظرت بِرَهْبَا[٦] والظَّعَائِنُ باللِّوَى[٧] فـطَـارَتْ بِـرَهْـبَـا شُـعْـبَـةٌ مـن فُـؤَادِيَـا
وَمـا أبـصـر الـنَّـارَ الـتـي وَضَـحَـتْ لـنـا وَرَاءَ جُـفَـافِ[٨] الـطَّـيْـرِ إلَّا تـمَـارِيَـا
إذا ذُكِـرَتْ لَـيْـلَـى أُتِـيـحَ[٩] لِـيَ الْـهَـوى على ما تـرَى من هِجْـرَتي واجْتِنَابِيَا
خَـلِـيـلَـيَّ لَـوْلَا أن تَـظُـنَّـا بِـيَ الْـهَـوَى لَـقُـلْـتُ سَـمِـعْـنَـا مـن عُـقَـيْـلَـةَ دَاعِـيَـا

(١) نقائض جرير والفردزق (١: ١٥٩)، ديوانه ص ٦٠١.
(٢) يقول: أنبت هذا الوادي عشباً، فانتجعته ظمياء وأهلها، فأقاموا فيه، فالتقينا به.
(٣) في النقائض والديوان: «يتزيلوا»، وهي بمعنى يتفرقوا.
(٤) في النقائض والديوان: «يتفرقوا».
(٥) في أ «وأمسوا».
(٦) رهبا: قاع في الصمان في ديار بني تميم: معجم البلدان.
(٧) اللوى: واد من أودية بني سليم.
(٨) جفاف الطير: ماء لبني جعفر بن كلاب.
(٩) في النقائض: أبيح.

قِفَا فاسْمَعَا صَوْتَ المُنَادِي لَعَلَّهُ ... قَرِيبٌ وَمَا دَانَيْتُ بِالوُدِّ دانِيَا
ولَوْ أنَّهَا شَاءَتْ شَفَتْنِي بِهَيِّنٍ ... وإنْ كانَ قَدْ أَعْيَا الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا
فإنكِ إن تُعْطِي قَلِيلاً فَطَالَمَا ... مَنَعْتِ وَحَلأْتِ[1] القُلُوبَ الصَّوَادِيَا
دُنُوَّ عِتَاقِ الطَّيْرِ أَسْمَحْنَ بَعْدَمَا ... شَمَسْنَ[2] وَوَلَّيْنَ الخُدُودَ الْعَوَاصِيَا
إذَا اكْتَحَلَتْ عَيْنِي بِعَيْنِكِ مَسَّنِي[3] ... بِخَيْرٍ وجَلَّى غَمْرَةً عنْ فُؤَادِيَا
ويَأمُرنِي العُذَّالُ أَنْ أَغْلِبَ الْهَوَى ... وأنْ أكْتُمَ الْوَجْدَ الَّذي لَيْسَ خَافِيَا
فيَا حَسَرَاتِ الْقَلْبِ في إثْرِ مَنْ يُرَى ... قَرِيباً وتَلْقَى خَيْرَهُ مِنْكَ نَائِيَا
تُعَيِّرُنِي الإخْلاَفَ لَيْلَى وَأَفْضَلَتْ ... عَلَى وَصْلِ لَيْلَى قُوَّةٌ مِنْ حِبَالِيَا
تَخَطَّى إلينا من بَعِيدٍ خَيَالُهَا ... يَخُوضُ خُدَارِيًّا[4] مِنَ اللَّيْلِ دَاجِيَا
فحُيِّيتَ مِنْ سَارٍ تَكَلَّفَ مَوْهِنَا ... مَزَاراً عَلَى ذِي حاجَةٍ مُتَرَاخِيَا[5]

ثم خرج فقال:

وإنّي لعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى ... سَرِيعٌ إذَا لَمْ أرْضَ دَارِي احْتِمَالِيَا
وإني لأَسْتَحْيِيكَ والخَرْقُ[6] بَيْنَنَا ... مِنَ الأَرْضِ أَنْ تَلْقَى أَخاً لِيَ قَالِيَا
وقَائِلَةٍ، والدَّمْعُ يَغْسِلُ كُحْلَهَا: ... أَبَعْدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ المَوَالِيَا[7]
فَرُدِّي جِمَالَ الْبَيْنِ[8] ثُمَّ تَحَمَّلِي ... فَمَا لَكِ فِيهِمْ من مُقَام ولا لِيَا
تَعَرَّضْتُ فاسْتَمْرَرْتُ مِنْ دُونِ حَاجَتِي ... فَدُونَكَ إنِّي مُسْتَمِرٌّ لِحَالِيَا
وإنِّي لَمَغْرُورٌ أُعَلَّلُ بالمُنَى ... لَيَالِيَ أَرْجُو أنَّ مَالَكَ مَالِيَا
فأنْتَ أخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةٌ ... فإنْ أعرَضْتُ أيْقَنت أنْ لَا أخَا لِيَا[9]
بأيِّ نجادٍ[10] تَحمِلُ السَّيْفَ بَعْدَمَا ... قَطَعْتَ الْقُوى مِنْ مَحْمَلٍ كانَ بَاقِيَا

---

(١) حلأت: منعت؛ والصوادي: العطاش.
(٢) شمسن: امتنعن.
(٣) أي الاكتحال.
(٤) الخداري: الأسود.
(٥) الموهن: الجزء من الليل، والمتراخي: البعيد.
(٦) الخرق: القفر.
(٧) الموالي: بنو العم.
(٨) في النقائض: الحي.
(٩) رواية النقائض:
فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة ... فإن عرضت فإني لا أبا ليا
(١٠) نجاد السيف: حمائله.

بأيِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ القَرْمَ[(١)] بَعْدَ مَا نَزَعْتَ سِنَاناً مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
أَلَمْ أَكُ نَاراً يَصْطَلِيهَا عَدُوُّكم وحِرْزاً لِمَا أَلْجَأْتُمُ مِنْ وَرَائِيَا
وبَاسِطَ خَيْرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِهِ وقَابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمَالِيَا
إِذَا سَرَّكُمْ أَنْ تَمْسَحُوا وَجْهَ سَابِقٍ جَوَادٍ فَمُدُّوا وابْسُطُوا مِنْ عِنَانِيَا
أَنَا ابنُ صَرِيحَيْ خِنْدِفٍ غَيْرَ دِعْوَةٍ يَكُونُ مَكانُ السَّيْفِ مِنْهَا مَكانِيَا[(٢)]
ولَيْسَ لِسَيْفِي في العِظَامِ بَقِيَّةٌ وَللسَّيْفُ أَشْوَى[(٣)] وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا
أَلَا لا تَخَافَا نَبْوَةً فِي مُلِمَّةٍ وَخَافَا المَنَايَا أَنْ تَفُوتَكُمَا بِيَا

وإنما أثبتّ لك القصيدة بكمالها، ونسختُها على هيئتها، لترى تناسبَ أبياتها وازدواجَها، واستواءَ أطرافِها واشتباهها، وملاءمةَ بعضها لبعض، مع كثرة التصرّف على اختلاف المعاني والأغراض.

الحشو في الشعر

وقد علمت أن الشعراء قد تَدَاوَلُوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان؛ حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلّا في النادر الفذّ؛ ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس[(٤)]:

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْش وَجْرَةَ مُطْفِلِ[(٥)]

أو قابلته بقول عَدِيّ بن الرِّقاع:

وَكأَنَّهَا بَيْنَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ[(٦)]

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين، وتبيّنت قربَهما منه؛ والمعنى واحد، وكلاهما خالٍ من الصنعة، بعيدٌ عن البديع؛ إلا ما حَسُن به من الاستعارة اللطيفة، التي كسته هذه البهجة. هذا وقد تخلل كلَّ واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذف لاستغني عنه وما لا فائدة في ذكره؛ لأن امرأ القيس قال: «من وَحْش وَجْرة»، وعديًا قال: «من جآذر جاسم»، ولم يَذْكُرَا هذين الموضعين إلا استعانة بهما في إتمام

(١) القرم: السيد. ورواية النقائض: «القوم».
(٢) الصريح: الخالص؛ ويريد بصريحي خندف: مدركة وطابخة ابني إلياس بن معد. والدعوة: أن يدعى الرجل إلى غير أبيه.
(٣) يقال رمى فأشوى؛ إذا لم يصب.
(٤) الديوان ص ٢٨.
(٥) وجرة: موضع بين مكة والبصرة. والمطفل: ذات الطفل من الإنسان.
(٦) اللسان (١٤: ٣٦٦). وجاسم: موضع بالشام. والجوذر: ولد البقرة.

النظم، وإقامة الوزن، ولا تلتفتنَّ إلى ما يقوله المعنويّون في وَجْرة وجاسم، فإنما يَطْلُب به بعضهم الإغرابَ على بعض؛ وقد رأيتُ ظِبَاءَ جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء. وسألت من لا أُحْصِي من الأعراب عن وحش وَجْرة فلم يَرَوْا لها فضلاً على وحش ضَرِيّة[١] وغزلان بُسَيْطة[٢]، وقد يختلف خَلْق الظِّباء وألوانها باختلاف المَنْشأ والمَرْتع؛ وأما العيون فقلَّ أن تختلف لذلك؛ وأمَّا ما تمّم به عدي الوصف، وأضافه إلى المعنى المبتَذَل بقوله على إثر هذا البيت[٣]:

وَسْنَان أَيْقَظَهُ[٤] النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِم

فقد زاد به على كلِّ مَنْ تقدم، وسبق بفضله جميعَ من تأخر، ولو قلتُ: اقتطعَ هذا المعنى فصار له، وحَظَر على الشعراء ادِّعاء الشرك فيه لم أرني بَعُدْت عن الحق، ولا جَانَبْتُ الصِّدق. وقد تغزل أبو تمام فقال[٥]:

دَعْنِي وشُربَ الهوى يا شَاربَ الكَاسِ فإنني لِلَّذِي حسّيته حَاسِي
لا يُوحِشنَّك ما استعجمتَ من سَقمِي فإنّ منزلَه من[٦] أحسن الناس
من قَطْع أَلْفَاظِه[٧] توصيلُ مَهْلَكَتِي وَوَصْل ألحاظه تقطيعُ أنفاسِي
متى أعيش بِتَأْمِيلِ الرَّجَاء إذَا ما كان قطعُ رجائي في يديْ يَاسِي[٨]

فلم يَخْلُ بيت منها من معنى بديع وصنعة لطيفة؛ طابق وجانس، واستعار فأحسن، وهي معدودة في المختار من غَزَله. وحَقّ لها؛ فقد جمعت على قِصَرِها فنونا من الحُسْن، وأصنافاً من البديع، ثم فيها من الإحكام والمتانة والقوة ما تراه؛ ولكنَّني ما أظنك تجدُ له من سَوْرة الطرب، وارتياحِ النفس ما تجده لقول بعض الأعراب[٩]:

أَقُولُ لِصَاحِبِي والعِيْس تَهْوِي بِنَا بَيْنَ المُنِيفَةِ فالضِّمَارِ[١٠]
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيم عَرارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ[١١]

---

(١) ضرية: موضع بنجد. (٢) بسيطة: موضع ببادية الشام.
(٣) اللسان (١١: ٤١٨).
(٤) رواية اللسان «أقصده»، ورنق النوم في عينيه. خالطها.
(٥) ديوانه ص ٤٤٥.
(٦) في الأصلين في. وهذه رواية الديوان.
(٧) في الأصل: أوصاله.
(٨) اليأس: قطع الأمل.
(٩) ديوان الحماسة (٣: ٢١٤)، واللسان (٦: ٢٣٥)، ونسبها للصمة بن عبد الله القشيري.
(١٠) المنيفة: ماء لبني تميم، والضمار: موضع.
(١١) يقال: تمتع بكذا ومن كذا، والشميم: مصدر شم، والعرار: وردة ناعمة صفراء، طيبة الرائحة.

أَلَا يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ ... ورَيَّا رَوْضِهِ غِبَّ القِطَارِ[١]
وعيشك إذ يَحُلُّ القوم نَجْداً[٢] ... وأنتَ على زمانِك غيرُ زارِ
شُهورٌ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا ... بأنْصَافٍ لَهُنَّ ولا سِرارِ[٣]
فأما لَيْلُهُنَّ فخيرُ ليلٍ ... وأقصر ما يكون من النهار

فهو كما تراه بعيد عن الصنعة، فارغ الألفاظ، سهل المأخذ، قريبُ التناول.

وكانت العرب إنما تُفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحّته، وجزالةِ اللفظ واستقامته، وتُسَلّم السَّبْق فيه لِمَنْ وَصف فأصَاب، وشبَّه فقارب، وبَدَهَ فأغزر، ولِمَنْ كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفِل بالإبداع[٤] والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض.

---

(١) النفح: تضوع الرياح بالطيب، والريا: الرائحة، وغب كل شيء: عاقبته، والقطار: جمع قطر؛ وهو المطر. ورواية الحماسة واللسان:

وريا روضه بعد القطار

(٢) رواية الحماسة:

وأهلك إذ يحل الحي نجدا

(٣) سرار الشهر: آخره.

(٤) يقال: أبدع الرجل؛ إذا أتى بالبديع.

البديع

وقد كان يقع ذلك[١] في خلال قصائدها، ويتّفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقَصْد؛ فلما أفْضى الشعر إلى المحْدَثين، ورأوْا مواقعَ تلك الأبيات من الغرابة والحسْن، وتمَيُّزَها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلفوا الاحتذاء عليها فسَمَّوْه البَديع؛ فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومُفْرط.

مُثل من الاستعارة الحسنة

فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير[٢]:

وَعُـرِّيَ أفْـرَاس الـصِّـبـا ورواحـلـه[٣]

وقول لَبِيد[٤]:

إذْ أَصْبَحَتْ بيد الشَّمال زِمامها[٥]

وقول ابن الطَّثَرِيَّة[٦]:

أخـذنـا بـأطـرافِ الأحـاديـث بـيـنـنـا وسـالـت بأعناق المطيّ الأباطِحُ[٧]

---

(١) ذلك؛ أي استعمال البديع والاستعارة.

(٢) ديوانه ص ٢٤.

(٣) صدره:

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

قال الأعلم: «هذا مثل ضربه؛ أي ترك الصبا وركوب الباطل. وتقدير لفظه: عريت أفراس ورواحل كنت أركبها في الصبا وطلب اللهو».

(٤) شرح المعلقات للتبريزي ص ١٥٨، نهاية الأرب (٧: ٤٩).

(٥) صدره:

وغداة ريح قد وزعت وقرة

والضمير في أصبحت يعود على الغداة؛ أي أصبحت الغداة الغالب عليها الشمال؛ وهي أبرد الرياح.

(٦) أسرار البلاغة ص ١٦. وقبله:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

(٧) الأباطح: جمع أبطح، وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى.

وقول الحارث بن حِلِّزة[١]:

حتى إذا الْتَقَع الظّباءُ بأطْـ ـراف الظّلَال وقِلْنَ في الكُنُسِ[٢]

وقول أبي نُوَاس[٣]:

أعطتك ريحانها العُقار

وقوله:

بصحن خَدٍّ لم يَغِضْ مَاؤه ولم تخضه أعْينُ الناس

وقوله[٤]:

جَرَيْتُ مع الصِّبَا طَلْق الجُموح وهان عليّ مَأْثُور القبيح

وقوله:

مباحة ساحة القلوبِ له يرتع فيها أطايب الثمر

وقوله:

وإذَا بَدَا اقْتَادَتْ محاسنُه قَسْرا إليهِ أعِنّةَ الحَدَقِ

وقوله يصف الكأس[٥]:

بنينا على كِسرى سماءَ مُدامة مُكَلَّلة حافاتُها بنجومِ

وقول مسلم:

ولما تلاقينا قضى الليلُ نَحْبَهُ

وقوله[٦]:

ظلمتُك إنْ لم أجْزِل الشكر إنّما جعلتَ إلى شكري نوالَك سُلَّما

فانظر كم بين استعارته السُّلَّم، واستعارة أبي تمام له في قوله[٧]:

ماضَرَّ أرْوَعَ يَرْتَقِي في همة روعاء[٨] أن لا يرتقي في سُلّم

(١) شعراء النصرانية ص ٤٢٠.

(٢) قلن: نمن وقت القائلة؛ وهي الظهيرة. والكنس: جمع كناس؛ وهو مكان الظباء في الشجر.

(٣) ديوانه ص ٢٧٤، عجزه:

وحان من ليلك السفار

(٤) ديوانه ص ٢٥٧.

(٥) ديوانه ص ٣٢٧.

(٦) مختارات البارودي (١: ١١٥).

(٧) ديوانه ص ٣١٣. ومختارات البارودي (١: ٢١٣).

(٨) في الديوان ومختارات البارودي: «علياء».

وأوَّلُ من علمناه افتتح هذه اللفظة الحُصين بن الحُمام المُرّي في قوله[١]:

فلستُ بمبتاع الحياة بذلة ولا مُرتَقٍ مِنْ خَشْيةِ الموت سُلّما

وهذا قريب من الحقيقة، وإن كان فيه شُعْبة من ضرب المثل.

وقول أبي تمام[٢]:

أدْنَتْ نقاباً على الخَدَّيْنِ وانْتَقَبَتْ[٣] للناظرين بِقَدٍّ[٤] ليس ينتقبُ

وقوله[٥]:

وقد علّم الأفشين وهو الذي به يصانُ رداء الملك عن كل جاذب[٦]

وقوله[٧]:

رَقَّت حَوَاشِي الدهر فهي تَمَرْمَرُ وَغَدا الثَّرَى في حَلْيه يتكَسَّرُ[٨]

على أن لفظة «يتكسر» حَضَرِيّة مولدة.

وقوله[٩]:

وكم سرق[١٠] الدُّجى من حُسْنِ صبر وغطى من جِلَّادِ فتى جليد

وقوله[١١]:

وَيَضْحَكُ الدهر منهم عن غَطَارِفَةٍ[١٢] كأنَّ أيامَهم من حُسْنِها جُمَعُ

وقول البحتري[١٣]:

يُذَكِّرُنَا رَيَّا الأحِبَّةِ كلَّما تَنَفَّس في جنحٍ من الليلِ باردِ

وقوله يصف الخيال[١٤]:

إذَا نَزَعَتْهُ من يديَّ انتباهَةٌ عددت حبيباً راح مني أو غَدَا

---

(١) ديوان الحماسة (١: ٣٦٤).

(٢) ديوانه ص ٤٧.

(٣) في الديوان: «انتسبت».

(٤) في أ «بقد»، وصوابه من ب.

(٥) ديوانه ص ٤٢.

(٦) الأفشين: كان عبداً للمعتصم فاصطنعه ورفع شأنه، ثم قتله. والبيت من قصيدة يمدح فيها أبا دلف العجلي؛ أحد قواد المأمون ثم المعتصم، مطلعها:

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

وهي من عيون القصائد.

(٧) ديوانه ص ١٥٦.

(٨) تمرمر: تتمايل. والثرى: التراب. والحلي: الزينة. وتتكسر: تتثنى.

(٩) ديوانه ص ١٠٦.

(١٠) في الأصلين «شرق»، وما أثبتناه عن الديوان.

(١١) ديوانه ص ٣٧٢.

(١٢) الغطارفة: السادة.

(١٣) ديوانه (١: ١٣٦).

(١٤) ديوانه (١: ١٧٤).

وقوله(١):

وإذَا دَجَتْ أَقْلَامُهُ ثم انْتَحَتْ ... بَرَقت مصابيح الدجى في كُتْبِهِ

وقوله(٢):

وكُنْتُ إذا اسْتَبْطَأْتُ ودّكَ زُرْتُه ... بتفويف شِعْرٍ كالرِّداء المُحَبَّر(٣)

وقول ابن المعتز:

أقول ودمع العين تسرقه يدي ... حذار لدمع الشامت المتودّد

وقوله(٤):

ساروا وقد خضعت شمسُ الأصيلِ لهم ... حتى توقّد في ذيل الدُّجى الشفقُ

وقوله:

لو ترانا إذا انتبهنا قعودا ... نستشف القرى عن الأحلام

وقوله(٥):

ما زال يَلْطِمُ خدَّ الأرض وابلُها ... حتى وقَتْ خدّها الغُدْرَانُ والخضرُ

وشتان ما بين هذا اللطم ولطْم أبي تمام في قوله(٦):

مَلْطُومةً(٧) بالورد أطلق دونها ... في الخَلْق فهو مع المَنُون مُحَكَّمُ

وإنما نازع أبا نُوَاس قولَه(٨):

يبكي فَيَذْري الدرَّ من نَرْجس ... ويَلْطُم الوَرْدَ بعُنَّابِ

فسبق أبو نواس بفَضْل التقدّم والإحسان، وحصل هو على نَقْص السَّرَقِ والتقصير؛ لكنه أحسن في بقيّة البيت فجبر بعضَ ذلك النقص.

وقول كُشَاجم يصف السحاب(٩):

مُقبلةٌ والخِصْبُ في إقبالها ... والرعدُ يحدُو الوُرْقَ(١٠) من جِمالها

---

(١) ديوانه (١: ٦٨). (٢) ديوانه (١: ١٥٠).

(٣) البرد المفوف: الرقيق. والمحبر: الموشى.

(٤) ديوانه (١: ٤١)، وقد رواه «في ثوب الدجى».

(٥) ديوانه (٢: ١٢١). (٦) ديوانه ص ٢٨٤.

(٧) رواية الديوان: «مظلومة للورد أطلق طرفها».

(٨) نهاية الأرب (٧: ٤٦). وفي هامش ب قبله:

يا قمراً أبصرت في مأتم ... يندب شجواً بين أتراب

(٩) ديوانه ص ١٥٩.

(١٠) في الأصلين: والرعد يحدو البرق من أحجالها

وهذه رواية الديوان.

بخطبة[١] أبدع في ارتجالها كأنها من ثقل انتقالها
تجلّها الريحُ عن استعجالها إلّا بما[٢] تجذبُ من أذيالها
فحين ضاق الجوُّ عن مَجَالها وراحت[٣] الرياحُ من كَلَالِها
جَنُوبُها تشكو إلى شَمَالها دَنت من الأرضِ على أذلالها[٤]
كأنما تسألُها[٥] عن حالِها والزَّهرُ قد أصغى إلى مَقَالِها
وكاد أن ينهضَ لاِسْتِقبالها تَسَمَّحت[٦] بالريّ مِن زُلَالها
حتى لقال[٧] التُّربِ من تهطالها إن سجلاً أتى[٨] على سجالها

ثم انْثَنى يُثْنِي على فعَالِها

وقول السري المَوْصِلي[٩]:

أقولُ لحنان العشيّ المغرد[١٠] يهزّ صفيحَ البارقِ المتوقّد
تبسَّمَ عن ري البلاد صَبيبُه[١١] ولم يبتسم إلّا لإنجازِ مَوْعِد
ويا دَيرَها الشرقيّ لا زال رائح يحل عقود المُزْن فيك ومُغْتد[١٢]
عَليلة أنفاس الرياح كأنما يُعَلّ بماء الوَرْد نَرْجسها النَّدي
يشُقّ جيوبَ الوَرْد في جنباته نسيمٌ متى ينظر إلى الماء يبرد

فقد جاءك الحسنُ والإحسان، وقد أصبتَ ما أردت من إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ.

---

(١) في الأصلين:

مخطبة أبدع في أرجالها

وهذه رواية الديوان.

(٢) في الديوان: «كما».

(٣) رواية الديوان:

فحين ضاق الجو عن مجالها والزهر قد أصغى إلى مقالها
كأنما يسألها عن حالها وراحت الرياح من كلالها

(٤) يقال: جاء على أذلاله: أي وجهه، ورواية الديوان: «على دلالها».

(٥) في الديوان: «نسألها».

(٦) في الديوان: «فسمحت».

(٧) رواية الديوان:

حتى أتاك الشرب من هطالها

(٨) في الأصلين: «لي».

(٩) ديوانه ص ٩٧، وقد قال هذه القصيدة يتشوق إلى الموصل ويذكر خرابها.

(١٠) في الأصلين: «مغرد». وهذه رواية الديوان.

(١١) في الديوان: حبيبه.

(١٢) في الديوان: «يغتدى».

مُثل من الاستعارة السيئة

فإذا سمعت بقول أبي تمام:

باشرت أسباب الغِنَى بمدائح ضربت بأبوابِ الملوكِ طُبُولا

وبقوله[١]:

لها بين أبوابِ الملوكِ مَزَامِرٌ من الذكْر لم تنفخ ولا هي تزمرُ

وبقوله[٢]:

إذا ما الدَّهر جَرَّ[٣] جَرَت أيادي يديه[٤] فغشَّتِ الدُّنيا ظلَالا

وبقوله[٥]:

يا دهر قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْك فقد أَضْجَجْتَ هذا الأنَام من خَرَقك[٦]

وبقوله[٧]:

إلى ملك في أيكة المجد لم يَزَلْ على كَبد المعروف من نيله بَرْد[٨]

وبقوله[٩]:

كأنني حِينَ جرَّدْتُ الرَّجاء له عَضب[١٠] صببتَ به ماءً على الزمنِ[١١]

وقول أبي نُوَاس:

يا عمرو أضحتْ مبيضّةً كَبدي فاصبغْ بياضا بعصفُر العنبِ

فاسدد مسامعك، واستغش[١٢] ثيابك، وإياك والإصغاءَ إليه، واحذر الالتفاتَ نحوه؛ فإنه مما يُصدئ القلب ويُعْميه، ويَطمس البصيرة، ويكدّ القريحة.

---

(١) ديوانه ص ١٦٠.
(٢) يمدح أبا سعيد: ديوانه ص ٢٦٦.
(٣) في الديوان: «جار».
(٤) في الديوان: «يديك».
(٥) ديوانه ص ٢١٠.
(٦) الأخدعان: عرقان في العنق، والخرق: الحمق.
(٧) ديوانه ص ١٠٨.
(٨) الأيكة: الشجر الملتف. ورواية الديوان:
لدى ملك من أيكة الجود لم يزل على كبد المعروف من نيله برد
(٩) ديوانه ص ٣٣٤.
(١٠) في الديوان: «غضا».
(١١) كذا رواه، وفي مختارات البارودي (١: ٢١٦).
كأنني يوم حررت الرجاء له عضبا أخذت به سيفاً على الزمن
(١٢) يقال: استغشى ثيابه، وتغشى بها: تغطى بها حتى لا يرى ولا يسمع؛ وفي التنزيل: ﴿واستغشوا ثيابهم﴾.

الفرق بين التشبيه والاستعارة

وربما جاءَ من هذا الباب ما يظنُّه الناس استعارةً وهو تشبيه أو مثَل؛ فقد رأيت بعض أهل الأدبِ ذكَر أنواعاً من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس:

والحُبُّ ظَهْرٌ أنت راكبُه فإذا صرفتَ عِنانه انصرفا

ولست أرى هذا وما أشبهَه استعارة، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظَهْر، أو الحب كظَهْرٍ تُديره كيف شئتَ إذا ملكتَ عِنانه؛ فهو إمَّا ضرب مَثَل أو تشبيه شيء بشيء؛ وإنما الاستعارةُ ما اكتُفِي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكُها تقريب الشَّبَه، ومناسبةُ المستعار له للمستعار منه، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى؛ حتى لا يوجدَ بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر.

التجنيس المطلق

فأما التجنيس؛ فقد يكون منه المطلَق، وهو أشهر أوصافه، كقول النابغة[١]:

وأَقْطَعُ الخَرْق بالخَرْقاء قد جَعلت بعد الكَلالِ تشكّى الأيْنَ والسَّأمَا[٢]

وقول الشَّنْفَرَى[٣]:

فَبِتْنَا كأن البيت حُجِّرَ فوقنا بريْحَانة رِيحَت[٤] عِشاء وطُلَّت

وقول رؤبة:

أحضرْت أهل حضرموت موتا

فجانس في موضعين في بيت رجز.

وقول أبي تمام[٥]:

تطلُّ الطلولُ الدمعَ في كل موقف وتَمْثُل بالصبر الديارُ المَواثِلُ[٦]

---

(١) ديوانه ص ٦٧.

(٢) الخرق: الواسع من الأرض الذي ينخرق فيه الريح. والخرقاء: الناقة التي بها هوج من نشاطها. والأين: الإعياء. والسأم: الفتور والملل؛ يشير إلى بعد السفر وطوله، وأنه استعمل هذه الناقة نشيطة في أول أمرها حتى أعيت من طول السفر؛ فلو كانت مما يشتكي لشكت طوله. شرح ديوان النابغة للبطليوسي ص ٦٧.

(٣) مهذب الأغاني (١: ٩٦).

(٤) ريحت: أصابتها ريح، فجاءت بنسيمها.

(٥) ديوانه ص ٢٥٥.

(٦) تطل: تسكب. الطلول: الآثار. وتمثل: تقتله بتعذيب. المواثل: الدوارس.

فجانس في المصراعين.

وقول البحتري[١]:

صدَق الغُرَاب لقد رأيت حمولَهم[٢] بالأمس تغرب عن جوانب غرّب

فجانس بثلاثة ألفاظ.

التجنيس المستوفى

وقد يكون منه التجنيس المستوفى، كقول أبي تمام[٣]:

ما مات من كرم الزمان فإنه[٤] يحيا لدى يحيى بن عبد اللّه[٥]

فجانس بيحيا ويحيى، وحروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر؛ وإنما عُدَّ في هذا الباب لاختلاف المعنيين؛ لأن أحدَهما فعلٌ والآخر اسم؛ ولو اتفق المعنيان لم يُعَدّ تجنيساً، وإنما كان لفظة مكررة، كقول امرئ القيس[٦]:

فلما دنوت تَسَدَّيتُها[٧] فثوباً نسيتُ وثوباً أَجُرّ

فقد تكرَّر في البيت ذكرُ الثوب، كما تكرر ذكر يحيى في بيت أبي تمام، إلا أن هذين اتَّفق معناهما، واختلف ذانك المعنيان؛ فَعُدّ الأول من البديع.

ومما أضيفُه إلى هذا الباب وخالفني فيه بعضُ أهل الأدب قول الأعشى[٨]:

إنْ تَسُدِ الحُوصَ[٩] فلم تَعْدُهم وعامرٌ سادَ بني عامرِ

فأقول: إنه قد جانس بعامر وعامر؛ لأن الأول اسم رجل[١٠]، والآخر اسم قبيلة. وأراه يخالف قولَ الآخر[١١]:

قتلنا به خيرَ الضُّبَيْعات كلِّها ضُبَيعةَ قيس لا ضُبَيْعةَ أَضْجَمَا

لأن كلتيهما قبيلتان، فكأنما جمع بين رجلين مُتَّفقي الاسم.

---

(١) ديوانه ص ١٩. (٢) رواية الديوان والعمدة: «شموسهم».
(٣) ديوانه ص ٣٤١، نهاية الأرب (٧: ٩٠)، الطراز (٢: ٣٥٧).
(٤) رواية الديوان:

من مات من حدث الزمان فإنه

(٥) من قصيدة يمدح بها يحيى بن عبد اللّه.
(٦) ديوانه ص ٩.
(٧) تسدَّيتها: تناولتها وقصدت إليها.
(٨) قصص العرب (٣: ١٠٥).
(٩) الحوص: هم قوم الأحوص بن جعفر بن كلاب، وعمرو بن الأحوص.
(١٠) هو عامر بن الطفيل، أحد فتاك العرب وشعرائهم.
(١١) العمدة (١: ٢٢٧).

التجنيس الناقص

ومنه التجنيس الناقص، كقول الأخْنَس بن شهاب:

وحامي لواء قد قَتَلْنا وحامِلٍ لواءً منعنا والسيوفُ شَوارعُ

فجانس «بحامي وحامل»، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الآخر.

ومثله قول أبي تمام[1]:

يمدُّون من أيْدٍ عواصٍ عواصِمٍ تطول[2] بأسْيَافٍ قواضٍ قواضبِ

فأما قوله:

خَلَّفْتَ بالأفق الغربّي لي سكَناً قد كان عيشي به حُلْواً بحلوان

فهو من الأول وليس بناقص؛ لأن الألف والنون في حلوان زائدتان.

ومنه التجنيس المضاف، كقول البحتري[3]:

أيا قمر التِّمام أعَنْتَ ظُلْماً عليَّ تطاولَ الليل التِّمام[4]

ومعنى التمام واحد في الأمرين، ولو انفرد لم يُعَدّ تجنيساً؛ ولكنّ أحَدَهما صار موصولاً بالقمر، والآخر بالليل؛ فكانا كالمختلفين. وقد يكونُ من هذا الجنس ما تجانس به المفردُ بالمضاف، وقد تكون الإضافة اسماً ظاهراً ومكنيًّا، وقد تكون نسباً. ومن أملح ما سمعت فيه قول أبي الفتح بن العميد[5]:

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتب وإن كان مرضيا فقل شعر كاتب[6]

المطابقة

وأما المطابقة فلها شُعَبٌ خفية، وفيها مكامن تَغْمُض، وربما التبست بها أشياءٌ

---

(١) ديوانه ص ٤٢، أسرار البلاغة ص ١٣، نهاية الأرب (٧: ٧١)، الطراز (٢: ٣٦٢).

(٢) في الديوان: «تصول».

(٣) ديوانه ص ٢٤٦.

(٤) أتم القمر: اكتمل، وهو بدر تمام (بفتح التاء وكسرها، ويرى ابن دريد أنه بكسرها)، وليل التمام: أطول ليالي الشتاء.

(٥) العمدة (٢: ٤).

(٦) قال ابن رشيق: «وهو داخل عندي في باب الترديد؛ إذ كان قوله عند السخط «شعر كاتب» إنما معناه التقصير به، وبسط العذر له؛ إذ ليس الشعر من صناعته، كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون نحو كتابيّ إذا لم يكن مجوداً. وقوله عند الرضا: «شعر كاتب» إنما معناه التعظيم له وبلوغ الغاية في الظرف والملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات؛ فقد ضاد وطابق في المعنى وإن كان اللفظ تجنيساً مرددا».

لا تتميَّز إلا للنظرِ الثاقب، والذهن اللطيف؛ ولاستقصائها موضعٌ هو أملك به. ولم نفتح هذا الكلام وقصدنا ما جرى بنا القول إليه؛ لكنّ الحديث شُجون، وربما احتاج الشيءُ إلى غيره فذُكِر لأجله، وربما اتصل بما هو أجنبيّ منه فاستصحبه.

ومن أشهر أقسام المطابقة ما جرى مجرى قول دِعْبِل[١]:

لا تعجبي يا سَلْمُ من رجلٍ ضَحِك المشيب برأسهِ فبكَى

وقول مسلم بن الوليد:

مُسْتَعْبِر يَبْكي على دِمْنة ورأسُه يضحكُ فيه المشيب

وقول أبي تمام[٢]:

وتنظَّري خَبَبَ الرِّكاب يَنُصُّها[٣] مُحْيِي القَريض إلى مُمِيت المال

وقوله:

أرضى الثرى وأسخط الغبارا

وقوله[٤]:

هذا الذي عرفت يداهُ ساحتي من بعد ما جَهل البخيلُ مَكاني

فكلٌّ هذا بابٌ واحد، وقد يجيء منه جنسٌ آخر تكونُ المطابقةُ فيه بالنفي، كقول البحتري[٥]:

يُقَيِّض لي من حيث لا أعلم الهوى ويسري إليَّ الشوق من حيث أعلم

لما كان قوله: «لا أعلم» كقوله: أجهل، وكان قوله: أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته. ومن أغْرَب ألفاظه وألْطَف ما وُجِد منه قول أبي تمام[٦]:

مَهَا الوحش إلَّا أنَّ هاتَا أوَانِسٌ قَنا الخطِّ إلَّا أنَّ تِلْك ذَوَابِلُ

فطابق «بهاتا وتلك»، وأحدهما للحاضر، والآخر للغائب، فكانا نقيضين في المعنى. وبمنزلة الضدين.

وقد يخلط من يَقْصُر علمه ويسوءُ تمييزه بالمطابق ما ليس منه؛ كقول كعب بن سعد[٧]:

لقد كان: أمَّا حِلْمُه فمروَّحٌ علينا وأمَّا جَهْلُه فعزيب[٨]

---

(١) نهاية الأرب (٧: ١٠٠). (٢) مختارات البارودي (١: ١٩٧).
(٣) النص: السير السريع. (٤) ديوانه ص ٢٩٩.
(٥) ديوانه (٢: ٢٢٩).
(٦) ديوانه ص ٢٢٧، نهاية الأرب (٧: ٩٩)، وقد نسبه هناك إلى ابن المعتز.
(٧) جمهرة أشعار العرب ص ٢٧٥، والأمالي ٢: ١٤٨؛ من قصيدته التي مطلعها:
تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الطعام طبيب
(٨) مروح علينا: قريب منا. والعزيب: البعيد، مثل العازب.

لما رأى الحلم والجهل، ومروّحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة. ولو ألْحَقْنا ذلك بها لوجب أن نُلْحِقَ أكثر أصناف التقسيم، ولاتَّسع الخَرْقُ فيه حتى يستغرق أكثر الشعر. ولنا في استيفاء هذا الكلام وتحديد هذه الأضرب قولٌ سنُفْرِد له كتاباً يُحتمل استقصاؤه فيه.

التصحيف

ومن أصناف البديع التصحيف؛ كقول الشاعر(١):

ولم يكن المغترُّ باللّه إذ سَرى ... لِيُعْجِز، والمعتزّ باللّه طالبُه

وقوله(٢):

فكأنَّ الشَّلِيل والنَّثْرة الحَصْـ ... ـداء منه على سَلِيل غَرِيف(٣)

وقوله(٤):

ما بعيني هذا الغزال الغرير ... من فُتُونٍ مُسْتَجْلَبٍ من فُتُورِ

وقول إسماعيل بن عبَّاد:

غَمائِمٌ هنَّ فوق أَرْؤُسِنا ... عمائِم لم يُذَلْنَ بالخِرَق(٥)

وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس؛ لكن ما أمكن فيه التصحيف فله بابٌ على حِياله، وجانبٌ يتميَّز به عن غيره.

التقسيم

ومنه التقسيم، وقد يكون موصولاً، كقول زهير(٦):

يَطْعَنُهمْ ما ارتَموْا حتى إذا اطَّعَنُوا ... ضارَبَ حتى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا(٧)

فقسَّم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء، ثم أَلْحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح، فصار موصولاً به، مقروناً إليه. ونحوه قول عنترة(٨):

إن يَلْحَقُوا أكرر وإن يستَلْحِموا(٩) ... أشدد وإن نزلوا بضيق أَنْزل

---

(١) هو البحتري، ديوانه (١: ١٨). (٢) ديوانه (١: ١٠٤).

(٣) الشليل: غلالة تلبس تحت الدرع، والنثرة: الدرع الواسعة، والحصداء: المحكمة، والغريف: القصباء. وسليل الغريف: الأسد. والبيت من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل.

(٤) ديوانه (٢: ١٤). (٥) أي لم يجعل ذيلهن من الخرق.

(٦) ديوانه ص ٤١.

(٧) يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق كل قرن قرنه والتزمه.

(٨) ديوانه ص ١٠٠.

(٩) يقال: استلحمنا رجل من العدو أي تبعنا.

فهذا كالأول في الصنعة، وإن كان إنما أزوج كل قسم بقرينه، وما هو وفْقه، ولـم يرض الأولُ إلّا بأن قسم ثم تقدم عن كل قسم قُدُماً، وارتفع عليه درجة. وقد تكون القسمةُ مطلقة غير مشفوعة، كقول النابغة[١]:

فللّه عينا من رأى أهلَ قبة ... أضرّ لمن عَادَى وأكثر نافعا
وأعظمَ أحلاماً وأكرم سيداً ... وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا

فهذا ضربٌ من التقطيع على معانٍ مختلفة؛ ولستُ أسمح بتسميته تقسيما؛ وقد رأيتُ من يُطلق له هذه التسمية.

جمع الأوصاف

ومما يقاربُ هذا جمعُ الأوصاف، كقول أبي دُوَاد:

بعيد[٢] مدى الطرف خَاظِي البضيع ... مُمَرّ المَطَا سَمْهري العَصَبْ[٣]

وقد يجمع على نوع آخر كقول النابغة[٤]:

حَدِيدُ الطَّرْفِ والمنكِـ ... ـب والعُرقوب والقَلْبِ

وقد يُعَد فيه التّقفية والترصيع، كقول امرئ القيس[٥]:

والماء مُنْهَمِرٌ والشَّدُّ مُنْحَدِر ... والقُصْبُ مُضْطَمِرٌ والمتن مَلْحُوبُ[٦]

---

(١) لم نعثر عليهما في الديوان، وهما في العمدة (٢: ٢٢).

(٢) في أ «بديع»، وصوابه في ب.

(٣) خاظي البضيع: ممتلئ اللحم، وممر: مفتول، والمطا: حبل المتن، والسمهري: الشديد، والعصب؛ جمعه أعصاب؛ وهي أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها، وفي العمدة: «سمهري القصب».

(٤) نسبه أبو علي القالي إلى أبي دُوَاد. وقال أبو عبيد البكري: «الصحيح أنه لعقبة بن سابق الهزاني». وقبله:

طويل طامح الطرف ... إلى مفزعة الكلب

(٥) ملحق ديوانه ٢٢٦. وقد قال ابن بري: زعم الجوهري أنه لامرئ القيس، والبيت لإبراهيم بن عمران الأنصاري؛ قال وقبله:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني ... جرداء معروقة اللحيين سرحوب
إذا تبصرها الراؤون مقبلة ... لاحت لهم غرة منها وتجبيب
رقاقها ضرم وجريها خذم ... ولحمها زيم والبطن مقبوب
والعين قادحة واليد سابحة ... والرجل ضارحة واللون غربيب

اللسان (٢: ١٧٠).

وله في اللسان (٢: ٢٣٣) رواية أخرى غير منسوبة:

فالعين قادحة والرجل ضارحة ... والقصب مضطمر والمتن ملحوب

(٦) القصب: أسفل البطن من الأمعاء، ويريد به الخصر على المجاز؛ والمضطمر: المهزول، ويقال: لحب متن الفرس وعجزه: املاس في حدور.

وقد يمتنع بعضُ الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعا؛ لكنه أحدُ أبواب الصنعة، ومعدود في حلْي الشعر، وله أشْباه تجري مجراه، وتذكر معه؛ كالالتفات والتوصل وغيرهما، ولو أقبلنا على استيعابها، وتمييز ضروبها وأصنافها لاحتجنا إلى اتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال. ولو فعلنا ذلك لبخسنا أبا الطيب حقه، وافتتحنا الكتاب بذكره ثم شَغلْنا معظَمه بغيره؛ وإنما قدمنا هذا النَّبْذ[١] توطئةً لما نذكرُه على أثره، وتدريجاً إلى ما بعده؛ ليكون كالشاهد المقبول قوله، وبمنزلة المسلم أمره.

الاستهلال والتخلص والخاتمة

والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة؛ فإنها المواقف التي تَسْتَعْطِف أسماعَ الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء، ولم تكن الأوائلُ تخصُّها بفَضْل مراعاة؛ وقد احتذى البُحْتري على مثالهم إلا في الاستهلال، فإنه عُنِيَ به فاتفقت له فيه محاسن؛ فأما أبو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كلَّ مذهب، واهتمَّا به كل اهتمام، واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد، وأحسن وزاد.

---

(١) النبذ: الشيء القليل.

بدء الوساطة

ثم نعدل إلى ما تكلفناه في هذه الوساطة فنقول: إن خَصْم[١] هذا الرجل فريقان: أحدهما يعمُّ بالنقص كلَّ مُحْدث، ولا يرى الشعرَ إلا القديمَ الجاهليّ وما سُلِك به ذلك المنهج، وأُجْرِي على تلك الطريقة؛ ويزعم أن ساقة الشعراء رُؤْبة، وابن هَرْمة، وابن مَيَّادة، والحَكَم الخُضْرِي[٢]، فإذا انتهى إلى مَنْ بعدهم ـ كبشّار وأبي نواس وطبقتهم ـ سمّى شعرهم مُلَحاً وطُرَفاً، واستَحسن منه البيتَ استحسانَ النادرة، وأجراه مجرى الفكاهة؛ فإذا نزلت به إلى أبي تمام وأَضْرَابِه نَفَض يده، وأقسم واجتهد أن القوم لم يقرِضوا بيتاً قَطّ، ولم يقعوا من الشعر إلا بالبعد.

ومَنْ [كان] هذا رأيهُ ومذهبُه، وهذه دعواه ونِحْلته فقد أعطاك ما أردت من وجهٍ وإن مانعك سواه، وسمَح لك بما التمست وإن التوى عليك في غيره؛ لأن الذي انتصبْتَ له، وشغلتَ عنايتك به ـ إلحاقُ أبي الطيب بهذه الطبقة، وإضافتُه إلى هذه الجملة، وقد بذل ذلك، وقرَّب مطلبه عليك؛ فإن تكن الجماعة منسلخةً من الشعر، موسومة بالنقص، مستحقة للنفي، فصاحبك أوّلُهم؛ وإن تكن قد عَلِقَتْ منه بسبب، وحظِيت منه بطائل، وكان له فيه قدم، ومنه حظ وموقع، فهو كأحدهم.

وليس الحكم بين القدماء والمولدين من التوسط بين المحدث والمُحْدَث بسبيل؛ كما لا نسب بينه وبين تفضيل قديم على قديم، وإنما يستعتِب لك هذه المخاطبة مَنْ وافقك على فضل أبي تمام وحزبه، وسلّم محل مسلم ومَنْ بعده، فتجعل هؤلاء شهودك وحججك، وتقيم شعرهم حكماً بينه وبينك؛ فإنك لا تدّعي لأبي الطيب طريقةَ بشار وأبي نواس، ولا منهاج أشْجَع والخَرَيمي، ولو ادَّعيته فإنما كنتَ تخادع نفسك، أو تُبَاهِت[٣] عقلك، وإنما أنت أحد رجلين: إما أن تدّعي له الصنعة المحضة فتُلْحِقه بأبي تمام وتجعله من حِزْبه، أو تدّعي له فيه شركاً وفي الطبع حظاً، فإن مِلت به نحو الصنعة فَضْلَ مَيْل صيَّرته في جَنَبَةِ[٤] مسلم، وإن وفَّرت قسطه من الطبع عدلت به قليلاً نحو البُحْتري.

---

(١) الخصم: يستوي فيه المفرد والجمع.

(٢) في الأصلين: «الحضري»، تصحيف. وهو الحكم بن معمر، منسوب إلى الخضر، قبيلة في قيس عيلان.

(٣) أصل باهته: استقبله بأمر لا يعلمه وهو منه بريء، فيبهت منه.

(٤) الجنبة: الناحية.

وأنا أرى لك إذا كنت متوخّياً للعدل، مؤثراً للإنصاف أن تقسّم شعره؛ فتجعله في الصدر الأول تابعاً لأبي تمام، وفيما بعده واسطة بينه وبين مُسلم.

القدماء والشعر الحديث

وما أكثر مَنْ ترى وتسمع من حفّاظ اللغة ومن جِلّة الرواة، مَنْ يلهج بعيب المتأخرين؛ فإن أحدهم يُنْشَدُ البيتَ فيستحسِنه ويستجيده، ويَعْجَب منه ويختاره؛ فإذا نُسب إلى بعض أهل عصره وشعراءِ زمانه كذّب نفسه، ونَقَض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهون مَحْمَلا وأقل مَرْزأة من تسليم فضيلة لِمُحْدَث، والإقرار بالإحسان لمولّد.

إسحاق الموصلي والأصمعي

حُكي عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنه قال: أنشدتُ الأصمعي:

هَلْ[١] إلَى نَظْرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ ... فيُبَلّ الصَّدَى ويُشْفى الْغَليلُ
إنَّ مَا قَلّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي ... وكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال: واللّهِ هذا الدِّيبَاجُ الخُسْرَوَانِيُّ، لِمَنْ تنشدني؟ فقلت: إنهما لليلتهما فقال: لا جَرم واللّه إنَّ أثر التكلُّف فيهما ظاهر[٢].

وعن ابن الأعرابي[٣] في أبيات أبي تمام في الرَّوْض نحوٌ من هذا. وله نظائر مشهورة تُحْكى عن الأصمعي ومَنْ بعده. وقد بعدت بهم العصبيّة في ذلك إلى تناول بعض المتقدمين.

شعر أبي دُوَاد وعدي بن زيد

زعم الأصمعي أن العرب لا تَرْوِي شعر أبي دُوَاد وعدي بن زيد؛ لأن ألفاظَهما ليست بنَجْدية؛ وكيف يكونُ ذلك! وهذا معاويةُ يفضّل عديا على جماعة الشعراء. وهذا الحطيئة يُسأل: مَنْ أشعر الناس؟ فيقول: الذي يقول، وأنشد لأبي دُوَاد[٤]:

لا أَعُدُّ الإقْتَار عُدْما ولكنْ ... فَقْدُ مَن قَدْ رُزِئْتُه الإعدامُ
مِنْ رجال من الأَقَارب ماتوا ... من حُذاق هم الرّؤوس الكِرام[٥]
فيهمُ للمُلايِنين أناةٌ ... وعُرام[٦] إذا يُرَاد عرام

---

(١) الأغاني (٥: ٧١).

(٢) رواية الأغاني: «فقال: هذا الديباج الخسرواني، هذا الوشي الإسكندراني: لمن هذا؟ فقلت له: إنه ابن ليلته؛ فتبينت الحسرة في وجهه، وقال: أفسدته أفسدته: أما إن التوليد فيه لبيّن».

(٣) انظر أخبار أبي تمام للصولي ص ١٧٣.

(٤) مهذب الأغاني (١: ١٤٨)، وروى البيت الثاني في اللسان (١١: ٣٢٤) هكذا:

ورجال من الأقارب كانوا ... من حذاق هم الرؤوس الخيار

(٥) حذاق: رهط أبي دواد الإيادي. (٦) العرام: الشراسة والأذى.

أبو رياش القيسي وشعر البحتري

ولقد يتَّفق لأحد هؤلاء غلبةُ الإنصاف على قلبه في الوقت بعد الوقت، فيخلع رداءَ العصبية، ويُصْغي ويُميز فيَرجِع. حدثني جماعة من أصحاب [أبي] رياش القَيْسي[١]، ولا نعرف في زماننا راوية تقدمه، وكان معروفاً بالتحامل على هؤلاء والغضّ من أبي تمام والبحتري خاصة، حتى إنّ نسخ هذين الديوانين قلّت بالبصرة في وقته؛ لقلّة الرغبة فيهما: أنه أُنشد ذات يوم قول البحتري[٢]:

نظرتُ إلى طَدَان فقلت ليلى ... هناك وأين ليلى من طَدَان[٣]؟!
ودون[٤] مزارها إيجافُ[٥] شهر ... وسبع للمطايا أو ثَمانِ
ولما غرّبت أَعْراف سَلْمَى ... لهنَّ وشرّقت قُنَن القِنان[٦]
تصويت[٧] البلادُ بنا إليكم ... وغنَّى بالإيابِ الحادِيان

فقال: أحسن والله! مَنْ هذا البدوي المطبوع؟ فقيل: إنها للوليد بن عُبيد، فقال: أَعِدْ، فأعيدت، فرجع عن رأيه فيه، وحض الناس على رواية شعره.

التحامل في النقد

ولو أُنصف أصحابُنا هؤلاء لوُجِد يسيرُهم أحقّ بالاستكثار وصغيرهم أولى بالإكبار؛ لأن أحدهم يقفُ محصوراً بين لفظ قد ضُيّق مجاله، وحُذِف أكثره، وقلّ عدده، وحُظِر مُعْظمه. ومعان قد أُخذ عفوها، وسُبِق إلى جيّدها؛ فأفكاره تنبثُ في كل وجه، وخواطره تستفتح كل باب؛ فإن وافق بعضَ ما قيل، أو اجتاز منه بأبعد طرف قيل: سرق بيت فلان، وأغار على قول فلان. ولعل ذلك البيت لم يَقْرَع قطّ سمعه، ولا مرّ بخلَده؛ كأن التوارد عندهم ممتنع، واتفاقَ الهواجس غيرُ ممكن! وإن افترع معنى بكْرا، أو افتتح طريقاً مُبهماً لم يرض منه إلا بأعذب لفظ وأقربه من القلب، وأَلَذّه في السمع؛ فإن دعاه حبُّ الإغراب وشهوة التنوّق إلى تزيين شعره وتحسين

(١) هو أحمد بن إبراهيم أبو رياش القيسي اللغوي. روى عن مشايخ البصرة، وروى عنه عبد السلام البصري وطبقته. إنباه الرواة (١: ٢٥).
(٢) ديوانه (٢: ٢٨١).
(٣) طدان: قال ياقوت: هو موضع بالبادية في شعر البحتري. وفي الأصلين «ظاران»، والتصحيح عن الديوان.
(٤) رواية الديوان: «ودون لقائها». (٥) الإيجاف: نوع من السير.
(٦) في الأصلين:
ولما عرفت أعراف ليلى ... لهن وشرقت قنن القيان
وهذه رواية الديوان.
والأعراف: جمع عرف، وهو كل عال مرتفع، والأعراف أيضاً: ضرب من النخل.
(٧) في الأصلين: «فصويت»، وهذه رواية الديوان.

كلامه، فوشّحه بشيء من البديع، وحلّاه ببعض الاستعارة قيل: هذا ظاهرُ التكلف، بيِّن التعسف، ناشف الماء، قليل الرونق. وإن قال ما سمَحتْ به النفس ورضي به الهاجس قيل: لفظ فارغ وكلام غسيل؛ فإحسانه يُتَأوَّل، وعيوبه تُتَمَحّل، وزَلته تتضاعف، وعذره يُكذَّبُ؛ فلا تشتغلنَّ بهذه الطائفة ما دمت تنظر بين المتنبي وأهل عصره، وأخِّر المنازعة في هذا الرأي، وإن كان الخلاف الأكبر، فإن لكل مقام مقالا. وإنما خصمك الألَدُّ، ومخالفُك المعاند، الذي صمدْتَ لمحاكمته، وابتدأت بمُنَازَعته ومحاجّته، مَن استحسن رأيك في إنصاف شاعر، ثم ألزمك الحيفَ على غيره، وساعدك على تقديم رَجُل، ثم كلّفك تأخير مثله؛ فهو يسابقك إلى مدح أبي تمام والبحتري، ويسوِّغ لك تقريظ ابن المعتز وابن الرومي؛ حتى إذا ذكرت أبا الطيب ببعض فضائله، وأسميته في عِداد مَنْ يقصر عن رتبته امتعض امتعاض الموتور، ونفر نِفار المَضِيم، فغضّ طرْفه، وثَنَى عِطْفه، وصعَّر خَدّه، وأخذته العزة بالإثم، وكأنما زوّى بين عينيه عليك المحاجم.

وأُقبِل عليك أيها الراوي المتعتّب فأقول لك: خَبّرني عمّن تعظِّمه من أوائل الشعراء، ومَنْ تفتتح به طبقاتِ المحدَثين؛ هل خلص لك شِعْر أحدهم من شائبة، وصفا من كَدِر ومَعابة؟ فإن ادَّعيت ذلك وجدتَ العِيَان حَجيجَك، والمشاهدة خَصْمك؛ وُعْدنا بك إلى أضعاف ما صدَّرنا به مخاطبتك، واستعرضنا الدواوين فأريناك فيها ما يحول بينك وبين دَعواك، ويَحْجُزك إن كان بك أدنى مُسكة عن قولك. فإن قلت: قد أعْثُر بالبيت بعد البيت أنكِره، وأجد اللفظ بعد اللفظ لا أستحسنه، وليس كلّ معانيهم عندي مرضية، ولا جميع مقاصدهم صحيحة مستقيمة. قلنا لك: فأبو الطيب واحدٌ من الجملة، فكيف خُصّ بالظلم من بينها، ورجل من الجماعةِ فلِمَ أفرد بالحيف دونها؟ فإن قلت: كَثُر زَللُه، وقلَّ إحسانه، واتسعت معايبه، وضاقت محاسنه. قلنا: هذا ديوانُه حاضراً وشعره موجوداً ممكنا؛ هلم نستقرئه ونتصفّحه، ونقلبه ونمتحنه، ثم لك بكل سيئة عشر حسنات، وبكل نقيصة عشر فضائل، فإذا أكملنا لك ذلك واستوفيته، وقادك الاضطرار إلى القبول أو البهْت، ووقفت بين التسليم والعناد عُدْنا بك إلى بقيةِ شعره فحاججناك به، وإلى ما فضل بعد المقاصّة فحاكمناك إليه.

موازنة بين ابن الرومي والمتنبي

وقد تجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيلَ ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره، وهي تناهزُ المائة أو تُربى أو تُضْعِف، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين؛ ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها، جارية على رِسْلها؛ لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ، وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبياتٍ تُختار، ومعان تستفاد، وألفاظ تروق وتعذب، وإبداع يدلّ على الفطنة والذكاء، وتصرُّف لا يصدُر إلا عن غزارة واقتدار.

تفاوت شعر أبي نواس

ولو تأملتَ شعر أبي نواس حقّ التأمل، ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه، وعددتَ منفيَّه ومختاره، لعظَّمتَ مِنْ قَدْر صاحبنا ما صغّرت، ولأكبرت من شأنه ما استحقرت، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا محدَث شعراً أعم اختلالاً، وأقبح تفاوتاً، وأبين اضطراباً، وأكثر سفسفة، وأشد سقوطاً من شعره هذا؛ وهو الشيخ المقدّم والإمام المفضّل الذي شهد له خَلَف وأبو عبيدة والأصمعي، وفسر ديوانه ابنُ السكيت.

جيد شعر أبي نواس

فهل طمست معايبُه محاسنَه؟ وهل نقص رديُّه من قدر جيده؟ وهل ضرَّ قولَه[1]:

يحميك مما يستسر بفعله ضحكاتُ وجه لا يَرِيبُك مُشْرِقِ
حتى إذا أمضى عزيمة أمره أخذت بسَمْعِ عدوّه والمنطِقِ

وقوله[2]:

يا ناقُ لا تَسْأَمي أو تَبْلُغِي ملكا تقبيلُ راحته والركن سيَّانِ
متى تحطّي إليه الرَّحْل سالمةً تستجمعي الخَلْق في تمثال إنسانِ

وقوله[3]:

لعمرك ما غاب الأمينُ محمدٌ عن الشيء يَعْنيه إذا حضر الفَضلُ
ولولا مواريثُ الخلافة أنها له دونه ما كان بينهما فَضْلُ
فإن كانت الأحساب[4] فيها تباينٌ فقولُهما قولٌ وفعلُهما فعلُ
أرى الفَضْل للدنيا وللدين جامعاً كما السَّهمُ فيه الفُوقُ والرِّيشُ والنَّصْل[5]

وقوله[6]:

إذا نحن أثنينا عليك بصالحٍ فأنتَ كما نُثْنِي وفوق الذي نُثْنِي

(١) ديوانه ص ٦٢.
(٢) ديوانه ص ٦٥.
(٣) ديوانه ص ٨٧.
(٤) رواية الديوان ومختارات البارودي: «الأجسام».
(٥) الفوق: موضع الوتر من السهم، والريش: ما يوضع في السهم، والنصل: حديدة السهم.
(٦) مختارات البارودي (١: ١١٤).

وإن جرتِ الألفاظُ مِنّا بمدحة ... لغيرك إنسانا[١] فأنتَ الذي نَعْنِي

وقوله[٢]:

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عن شَجَرٍ ... قد بلوت المُرَّ من ثَمَرِه[٣]

خِفْتُ مأثورَ الحديث غداً ... وغَدٌ دانٍ لِمُنتظره

خاب مَن أسْرَى إلى مَلِكٍ[٤] ... غير معلوم مَدَى سَفَرِه

فامْضِ لا تَمْنُنْ عليّ يدا ... مَنُّكَ المعروف من كدره

رُبَّ فتيان رَبَأْتُهُمُ ... مسقطَ العَيُّوق من سَحَرِه[٥]

فاتَّقَوْا بي ما يَريبهمُ ... إنَّ تقوى الشرِّ من حَذَره

وقوله[٦]:

قالوا كبرت فقلت ما كَبِرت يدي ... عن أن تخبَّ[٧] إلى فمي بالكاس

وإذا عددت سنيّ كَم هي لم أجِدْ ... للشيب عذراً في النزول بِرَاسِي

وقوله:

بَاتُوا وفيهم شموسُ دُجْنٍ[٨] ... تُنْعِلُ أقدامَها القرونُ

تعومُ أعجازُهنَّ عَوْماً ... وتنثني فوقها المُتُونُ

وقوله[٩]:

وكأسٍ كمصباح السماء شربتُها ... على قُبْلة أو مَوْعد بلقاءِ

أتت دونها الأيام حتى كأنها ... تَساقُطُ نورٍ من فُتُوق سماءِ

---

(١) في أ «إنسان»، وصوابه في ب. (٢) ديوانه ص ٦٦.

(٣) جاء في شرح ديوان أبي نواس ما نصه تعليقاً على هذا البيت:

لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المرّ من ثمره

فقال: أخبرك؛ كانت لي صديقة تحبني كثيراً، فقيل لي: إنها كانت تختلف إلى آخر من أهل الريب، فلم أصدق حتى تتبعتها فرأيتها تدخل إلى منزل ذلك الرجل، ثم إن ذلك الرجل جاءني ـ وكان لي صديقاً ـ فكلمني فصرفت وجهي عنه وقلت:

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلي ولا سمره

ثم جعلت ذلك صدر مديح العباس الهاشمي.

(٤) في الديوان: «إلى بلد».

(٥) ربأت: حرست، والعيوق: نجم معروف، والسحر: قبيل الفجر، ومسقط: منصوب على الظرفية.

(٦) ديوانه ص ٢٩٥.

(٧) رواية الديوان:

قالوا شمطت فقلت ما شمطت يدي ... عن أن تحث إلى فمي بالكاس

(٨) ديوان المعاني: (١ : ٢٤٦)، والقرون: جمع قرن: وهو الضفيرة من الشعر.

(٩) مختارات البارودي (٤ : ٤).

وقوله[١]:

قامت تريك وأمرُ الليل مجتمع صبحاً[٢] تولَّد بين الماء والعنب
كأن صُغْرَى وكُبْرَى من فَواقِعها[٣] حَصْبَاءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهب[٤]
كأن تُرْكاً قياماً في جَوَانِبها تَوَاتَرُوا الرمي بالنشَّاب من كَثَب[٥]

وإن كان النحويون ينكرون صغرى وكبرى بغير ألف ولام.

وقوله[٦]:

فإذا علاها الماء ألْبَسَها زَبَداً شبيهَ جلاجل الحِجْل[٧]
حتى إذا سكنت جوامحها[٨] كتبت بمثل أكَارِع النمل[٩]
خطَّين من شتى ومُجْتَمع غُفْل من الإعجاب والشَّكْل

وقوله[١٠]:

فتمشَّتْ في مفاصلهم كتمشي البُرْءِ في السَّقم

ومن سلك هذا المسلك من شعره فقد صافح السماء وتناول النجوم.

رديء شعر أبي نواس

[هل ضرّ قولَه هذا] غَثاثَةُ[١١] قوله يمتدح الأمين[١٢]:

فعصا نداه بِراحتي أعلو بها الإفلاسَ قَرْعا

---

(١) ديوانه ص ٢٤٣، ومختارات البارودي (٤ : ٥).
(٢) في الأصلين: «صبح»، وصوابه من الديوان.
(٣) كذا في الأصلين، وفي الديوان ومختارات البارودي. والذي في كتب الشواهد: «فقاقعها»؛ وهي ما يعلو الخمر.
(٤) الحصباء: الحصى.
(٥) شبه الحبب بنشاب يختلف من ترك يترامون من كثب، ذلك لأنه في كأس، وهو موضع ضيق.
(٦) ديوانه ص ٣١١، ومختارات البارودي (٤ : ١٥).
(٧) الضمير في علاها يعود على الخمر في بيت قبله:
صفراء مجدها مرازبها جلت عن النظراء والمثل
والجلاجل: جمع جلجل وهو الجرس الصغير، والحجل: الخلخال، وفي الأصلين «خلاخل» وهو تحريف. ورواية البارودي:
فإذا علاها الماء ألبسها نمشا شبيه جلاجل الحجل
(٨) في الأصلين: «جوانحها».
(٩) أكارع النمل: أرجله. أخذه من قول الأخطل:
تدب دبيباً في العظام كأنه دبيب نمال في نقا يتهيل
(١٠) مختارات البارودي (٤ : ١٦). (١١) غثاثة: فاعل ضر في ص ٥٢؛ والزيادة ليتضح المعنى.
(١٢) ديوانه ص ١٢٤.

وعليٌّ سورٌ مانعٌ — من جوده إن خفتُ كَسْعا[١]
فلو أنَّ دَهْراً رَابني — لصفعتُه بالكَفُّ صَفْعا

وقوله[٢]:

ما لرِجْلِ المالِ أَضْحَتْ — تَشْتَكي منك الكَلالا
ما لأَمْوالِك مَنْ جَا — ءَ اخْتَشَى منها وَكَالَا

وقوله:

أيا مَن وجهه الداحي[٣] — ومن منزله الماحي
أمَا لِيَ منك يا ظا — لم إلا اللاهي واللاحي

وضعفُ قوله:

ألا يا قمرَ الدَّارِ — ويا مِسْكَة عَطَّار
ويا نَفْحَة نِسْرينِ — ويا وردةَ أَسحار
ويا جدول بُستان — على شاطئ أنهار
ويا كَغْبَيْنِ من عاج — ويا غرَّةَ دينار
ويا نَزْداً لِفتيان — ويا لُعْبة أَبْكار
ويا مِسْواكَ جَمَّاش — ويا طنبور شطَّار[٤]

وقوله:

قد غَنِينا عن الشُّتا — وعن اللّبْس لِلْفرا
وعن الحشو للعِما — مة والكنِّ والصَّلَا[٥]
وعن الفَرْش والوِطا — ببيوت بِلَا كرا
قدم الصيف بالولا — يةِ قدّامه اللِّوَا
بالمناديل والغلا — لة والنَّعل والرِّدا
والطنابير والطبو — ل وبالرقص والغِنا
يُحْشَرُ الناس في القيا — مة مُرْدا بلا لِحَى
أنا مَالي وللربا — ط ولِلْغَزْوِ والفِدَا
لستُ ممن يطوف في — عرفات ولا مِنى
أركبُ المرد في الديا — ر وفي المدن والقُرَى

---

(١) في الأصلين «لسعا»، وما أثبتناه عن الديوان.

(٢) ديوانه ص ١١٩.

(٣) الداحي: المنبسط.

(٤) الجماش: المتعرض للنساء، والشطار: الخليع.

(٥) الصلاء: الوقود.

فـــإذا مـــا تـــمـــنـــعـــوا وعـــصـــوا أبـــذلُ الـــرّشـــا

وهو كما تراه في سُخْف اللفظ، وسوء النظم، وسقط المعنى، وقوله:

حَـمْـدان مَـالـك تـغـضـبْ عـلـيّ مـن غـيـر مُـغْـضـبْ
فـقـد حـلـفـتُ يـمـيـنـاً مـبـرورة لـيـس تُـكْـذبْ
فـثـق بـذلـك مـنـي يـابـنَ الـكـريـم الـمَـرْكَـب
فـالْـبَـحْـر أصـبـح شـانـي والـبـحـرُ أشـهـى وأطْـيـبْ
وقـد تـآلـيـتُ ألّا فـي الـبـر مـا عـشـتُ أرْكَـبْ

وقوله:

ذاك الـذي مـن يـد الـلَّـ ـه حـار فـيـه الـقـبـولُ
فـكـلُّ جـانـب قـلـبـي شـوقـاً إلـيـه يـمـيـلُ
ويـلـي! ولـيـس يـرى لـي حـقَّ الـهـوى فـيـمـيـلُ
ويـلـي! ومـا هـكـذا إخـ ـوتـي يـكـونُ الـخـلـيـلُ
لـم يَـخْـتَـرِقْ بـيـتـنـا حـسـنـاً بـودّ رَسـولُ
حـتـى بَـدَا مـنـه مـا لـم يَـفْـعَـلـه قـطّ مَـلُـولُ
ولا افْـتَـدَى بـاحـتـيـالٍ إلـيـه قـطّ بَـخِـيـلُ
مـا أفـصَـح الـطَّـرْفَ حـدا لـلـودّ حـيـن يَـجُـولُ

وقوله:

ونـائـح هـبّ فـي الـغـصـون ضُـحـىً كـمُـنْـتَـشٍ مَـوْهِـنـاً إذا انْـقَـلـبـا
يـدعـو بـذكـرٍ عـلـى اسـمـه لِـهـوًى يـذكّـرنـا فـي أوانـه الـرّطـبـا

وقوله:

فـارْدُدْ عـلـيّ حـيـاتـي عـضًّـا بـفـيـك ولَـحْـسـا

وقوله[1]:

قـد حـكـى الـبـدرُ بَـهَـاكـا فـرآه مَـنْ رَآكـا
وازْدَهَـى بـالـحُـسْـنِ لـمَّـا صـار فـي الـحـسـنِ حَـكـاكـا

وقوله:

عـلـيـو يـا ريـمـوده أصـبَـحْـت لـي مـسـتـعـدّه
وقـد عَـلِـمـت لَـعَـمْـرُ الْـ ـإلْـه أنـك جَـلـده
بـالاسـتـلاب إذا مـا مـشـيـت لـي مَـشـى نـجـده

---

(١) ديوانه ص ٤٣١.

ورجـــرجـــت مـــن وَرَاهـــا أردافَ إيــــزارِ بـــــنـــــده

وقوله:

قـد صَبَـغـتْ بـنـتُ الـمـديـنـيـه لـلـفـطـر يـا عـبـاس فـوهـيّـه
وسـلَّـفَـتْ مـاشِـطَـهـا أُجْـرة واشـتـرطـت فـي الـمَـشْـطِ رازيّـه
فـاسـلـفـوا يـا قـوم فـي... مـن نَـقْـدِ بـيـتِ الـمـالِ بـخـيّـه
فـإنـهـا أعـشـق بـغّـايـةٍ لـهـذه الـمـعـصـوبـة الـنـيـه
يـا عَـمْـرو مـا بـالُ الـمـديـنـيـة لا تـأكُـل الـعـصـبـان مَـشْـوِيـه

ونحو هذا مما يملّ الناظر، ويضيع وقْت الكاتب. ولو وُجد لأبي الطيب بيت مثله، وحرفٌ يقاربه لغُصِب بعارِه، ولانطلقت الألسن بعيبه، وصُدِّر به ديوان مثالبه وصحيفة مساويه.

اللحن في شعر أبي نواس

فإن طَلَب اللحنَ والغلط أخذ عليه مثل قوله[1]:

وضَـيْـف كـأس مـحـدثـهْ مـلـك تِـيـهُ مُـغَـنٍّ وظَـرْفُ زِنْـدِيـقِ

فسكن الهاء، وقوله: «يا ربِّيَ الجبارُ». فرفع «الجبار».

وقوله[2]:

يـا خَـيْـرَ مـن كـان ومَـنْ يـكـونُ إلا الـنـبـيُّ الـطـاهـرُ الـمـيـمـونُ

وقوله[3]:

فـلـمـا خـشـي الإيـبـا ء مـن صَـخْـبٍ وجـلّاسِ

وإنما هو الإباء.

وقوله[4]:

وإذا نـزعـتَ إلـى الـغـوايـة فـلـيـكُـن لـلّـه ذاك الـنـزعُ لا لـلـنـاس

فساد العقيدة في الشعر

وإنما هو نزع عن الشيء نزوعاً، وأبيات كثيرة يضعفُ عذره في معظمها، وإن كان بابُ التأويل يتسع، ومذاهب الاحتيال في النحو لا تضيق.

وَوَجد له في الإحالة مثل قوله[5]:

وأَخَـفْـتَ أهْـلَ الـشِّـرْكِ حـتـى إنّـه لَـتَـخَـافُـكَ الـنُّـطَـفُ الـتي لـم تُـخْـلَـقِ

---

(١) ديوانه: ص ٨٩.
(٢) الموشح: ص ٢٦٧.
(٣) ديوانه ص ٩٥.
(٤) ديوانه ص ٢٩٥.
(٥) الموشح ص ٢٦٨.

وقوله:

حتى الذي في الرحم لم يك نطفة ... لفؤاده من خوفه خَفَقان

وقوله يصف الباري، جلَّ أن يُوصف:

إن الذي لا يخيِّب سائله ... جوهره غير جوهر البشر

وقوله:

كانت ذخيرة صانع متنوّق[1]

يعنيه ـ جل وعز.

خطأ الوزن في شعر أبي نواس

ومن الخطأ في الوزن قوله:

رأيت كل من كا ... ن أحمقا معتوها
في ذا الزمان ... صار المقدم الوجيها
يا رب نذل وضيع ... نوهته تنويها
هجوته لكيما ... أزيده تشويها

فبعضه «مستفعلن مفعول وفعول»، وبعضه «مستفعلن فاعلاتن».

فساد العقيدة عند أبي نواس

والعَجَب ممن يَنْقص أبا الطيب، ويغضّ من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله[2]:

يَتَرَشَّفْنَ من فمي رَشَفاتٍ ... هُنَّ فيهِ أحْلى من التوحيد

وقوله[3]:

وأبْهَرُ آيات التِّهاميّ أنَّهُ ... أبوكم[4] وإحْدى ما لَكُم من مَناقب

وهو يحتمل لأبي نواس قوله:

قلت والكأس على كـ ... ـفِّيَ تَهوي لالتثامي
أنا لا أعرف ذاك الـ ... ـيوم في ذاك الزحام

وقوله[5]:

يا عاذلي في الدهر ذا هَجْرُ ... لا قَدَرٌ صحَّ ولا جَبْرُ

---

(١) متنوق: متأنق.

(٢) ديوانه (١: ٣١٥).

(٣) ديوانه (١: ١٥٤).

(٤) رواية الديوان: «أبوك».

(٥) الموشح ص ٢٧٦، وروي البيت الأول هكذا:

يا ناظراً في الدين ما الأمر ... لا قدر صح ولا جبر

ما صح عندي من جميع الّذي يُذكر إلا الموتُ والقَبْرُ
فاشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهرُ

وقوله[١]:

عاذلتي بالسّفاه والزجر[٢] استمعي ما أبثّ من أمري
باح لساني بمضمر السرّ وذاك أني أقُولُ بالدهرِ
بين رياض السرور لي شيع كافرة بالحساب والحشرِ
موقنة بالممات جاحدة لما رووه من ضغطة القبرِ
وليس بعد الممات مُنقلب وإنما الموت بيضة العُقْرِ[٣]

وقوله:

أأترك لذة الصهباء نقداً لما وعدوه من لبن وخمر
حياة ثم موت ثم بَعْث حديث خرافة يا أُمَّ عَمْرو

وقد رُوي أنهما لديك الجن.

وقوله[٤]:

فدع الملامَ فقد أطعتُ غَوايتي ونبذتُ موعظتي وراء جدارِي
ورأيت إيثارَ اللَّذاذة والهوى وتمتعا من طيب هذي الدارِ
أحرى وأحزمُ من تنظّر آجلٍ ظَنّي به رَجْمٌ من الأخبارِ
إني بعاجل ما ترين موكل وسواه إرجافٌ من الآثارِ
ما جاءنا أحدٌ يخبر أنه في جنة مذ مات أو في النارِ

فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمْحَى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولَكان أولاهم بذلك أهلُ الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعرى وأضرابُهما ممن تناول رسولَ اللَّه ﷺ وعاب من أصحابه بُكْماً خرساً، وبِكاء[٥] مفحمين؛ ولكنَّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر.

---

(١) الموشح: ٢٧٧.
(٢) في أ «الهجر»، وما أثبتناه عن ب.
(٣) بيضة العقر: آخر بيضة تبيضها الدجاجة إذا هرمت.
(٤) الموشح ص ٢٧٧، مع تغيير في رواية الأبيات.
(٥) البكاء: جمع بكيء، وهو من قل كلامه خلقة.

تفاوت شعر أبي تمام

الجيد من شعر أبي تمام

ولو لزمت هذا المثال في شعر أبي تمام لتظاهرتْ عليك الحُجج، وكثرت عندك الشواهد، فقوِي في نفسك رأيي واعتقادي، وتصور لك صدقي وإصابتي؛ إذ رأيته يقول[١]:

أموسى بنَ إبراهيم دعوة خامس ... به ظمأُ التثريب لا ظمأُ الوِرْد[٢]
جليد على عتب الخطوبِ إذَا عَرَتْ[٣] ... وليس على عتب الأَخِلَّاء بالجَلْدِ
أأمنحُ هجْر القول من لو هجوْته[٤] ... إذاً لهجاني عنه معروفه عندي
كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورى ... معي وإذا ما لمتُه لمتُه وَحْدي
أَرُدُّ يدي عن عِرْض حرٍّ ومَنْطقي ... وأملأها من لِبْدَةِ الأسد الوَرْد
فإن يك سُخْطٌ عَنَّ أوْ تَكُ هَفْوَةٌ ... على خطأ مني فعذري على عَمْد

ويقول[٥]:

ومن لم يسلِّمْ للنوائب أصْبَحَتْ ... خلائقه جَمْعاً عليه نَوَائبا
وقد يَكْهَمُ[٦] السيف المسمى مَنِيّة ... وقد يرجع المرءُ المظفَّرُ خائبا

---

(١) ديوانه ص ١٢٨، ومختارات البارودي (١: ١٦٤).

(٢) الخامس: الظمآن لم يرد الماء منذ أربعة أيام، والتثريب: اللوم. وموسى بن إبراهيم ممدوح أبي تمام.

(٣) رواية البارودي:

جليد على عتب الخطوب إذا التوت

ورواية الديوان:

جليد على ريب الخطوب وعتبها

(٤) رواية البارودي:

أ ألبس هجر القول من لو هجوته

ورواية الديوان:

اسربل هجر القول من لو هجوته

(٥) ديوانه ص ١٧، ومختارات البارودي (١: ١٧).

(٦) يكهم: يقطع.

فـآفـة ذا ألّا يُـصَـادِفَ مَـضـربـا[١] وآفـة ذا ألّا يـصـادفَ ضـاربـا

وقوله[٢]:

أقول وقد قالوا استراحت لموتها من الكرب: روحُ الموت شرٌّ من الكرب
لقد نزلت ضَنْكا من اللحد والثرى ولو كان رحب الذَّرْع[٣] ما كان بالرحب
وكنت أرَجِّي القُرْب وهي بعيدة فقد نُقلت بعدي عن البُعْد والقرب
لها منزلٌ تحت الثرى وعهِدْتُها لها منزل بين الجوانِح والقلبِ

ويقول[٤]:

أرَى الناسَ مِنْهَاجَ الندى بعد ما عَفَتْ مهايعُه المثلى ومَحَّتْ لَواحِبه[٥]
ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب ليست منه وهي مواهبه
فيا أيها السَّاري اسْرِ غير محاذر جنان[٦] ظلام أو ردًى أنت هائبه

ويقول[٧]:

ذو الوُدّ مني وذو القربى بمنزلةٍ وإخْوَتي أسْوةٌ عندي وإخْواني
في دهريَ الأول المذموم أعرفهم فكيف أنكرهم في دهريَ الثاني
عصابة جاورتْ آدابهم أدبي فهم إنْ فُرِّقوا في الأرض جيراني

ويقول[٨]:

فتًى مات بين الضَّرْب والطَّعْن مِيتةً تقوم مقام النصر إذ فاتهُ النَّصر
لئن أُبْغِض الدهرُ الخؤُون لفقده لَعَهْدِي به ممَّن يُحَبُّ له الدهر
وكيف احتمالي للسحاب صنيعة بإسقائه قبراً وفي لحده البَحْرُ

ويقول[٩]:

وما اشْتَبَهَتْ طريق المجد إلّا هداك لِقِبْلة المعروف هادي
وما سافرتُ في الآفاقِ إلا ومن جَدْواك راحلتي وزادي
مقيم الظن عندك والأماني وإن قلقت ركابي في البلاد

(١) رواية البارودي والديوان: «راميا».
(٢) ديوانه ص ٣٥٦.
(٣) الذرع: الطاقة.
(٤) ديوانه: ٤٥.
(٥) عفت: درست. والمهايع: الطرق الواسعة. ومحت: بليت. واللواحب: الطرق الواضحة.
(٦) جنان الظلام: قلبه.
(٧) ديوانه ص ٣٣٢.
(٨) ديوانه ص ٣٦٩.
(٩) ديوانه ص ٧٩، ومختارات البارودي (١: ١٥٣).

الرديء من شعر أبي تمام

فيترقى في هذه الدَّرَج العالية، ويتصرف هذا التصرف المعجز، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب، ويقول[١]:

أصبحتَ نيء العقل فاضل لميْسَمِ ... بيدي ألجِّ الناس في الإنْضَاج

ويقول[٢]:

ألا لَا يمدُّ الدَّهرُ كفًّا بسيّئ ... إلى مجتدي نَصْر فتقطع للزَّنْدِ[٣]

ويقول[٤]:

لو كان كلَّفها عُبيدٌ حاجَةً ... يوماً لزَنَّى شَدْقَماً وجَدِيلا[٥]

وأظنه لو وجد لفظة أسقط من «زَنَّى»، وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها.

ويقول[٦]:

نَمْ وإن لم أَنَمْ كَرايَ كَراكا ... شاهدي الدّمع إنَّ ذَاكَ كَذَاكا[٧]

طالَ ضُرِّي نَفْسِي فداؤك بَل مَنْ ... أَنَا حتى تكون نفسي فِدَاكا[٨]

ضاق صدري بل كيف أسْتَطِيع أن أصْـ ... ـبِرَ إذْ كَانَ نَاظِرِي لا يَراكَا

ذهبت مُقْلَتَاي بالدَّم والدَّمْـ ... ـعِ إلى النَّارِ[٩] إذْ نَجَتْ مُقْلَتَاكا

ويقول[١٠]:

بنفسي مَنْ هواهُ أخِي وتربي ... وحِبّيه رضيعُ بنات قلبي

ومن قد شَفَّني وصبرت حتى ... ظننتُ بأن نفسي نفسُ كَلْب

---

(١) ديوانه ص ٤٩١.
(٢) ديوانه ص ١١٥.
(٣) في الأصل: «من الزند».
(٤) ديوانه ص ٢٤٣، والموشح ص ٣١١.
(٥) البيت في وصف المطايا، وعبيد: هو عبيد الراعي. قال شارح ديوان أبي تمام: شدقم وجديل: فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر اللخمي؛ يضرب بهما المثل. ورواية الديوان: «لأنسى».
(٦) ديوانه ص ٤٥٥.
(٧) رواية الديوان:

شاهدي منك أن ذاك كذاكا

(٨) رواية الديوان:

طال صبري تفديك نفسي وقلت ... نفسي مثلي عن أن تكون فداكا

(٩) في الديوان: «ففي النار».
(١٠) لم نجدهما في الديوان.

ويقول:

قَسَّمَتْ لي وقاسمتني بسلطا ... نِ من السحر مقلتا عَبْدُوسِ

فالقسيم القَسام عن لحظات ... منهما يختلسن حب النفوس

فالذي قاسمت بلَحْظ إذا الليـ ... ـل تمطى من الكرى المنفوسِ

ولست أدري ـ يشهد اللّه ـ كيف تصوّر له أن يتغزل وينسِب، وأيّ حبيب يستعطف بالفلسفة! وكيف يتّسع قلب عبدوس هذا؛ وهو غلام غِرّ، وحَدَث مُترف لاستخراج العويص وإظهار المعمّى!

ويقول[1]:

لم يبرح البينُ المُشِتُّ جَوَانِحي ... حتى تروَّث من دمٍ مسموم

ويقول[2]:

أأترك حاجتي غَرَض التواني ... وأنت الدلوُ فيها والرِّشاءُ[3]

ويقول[4]:

ضاحي المحيَّا للهجير وللقنا ... تحت العَجاج تخالُه مِخرَاثا[5]

ويقول[6]:

تُثَفِّي[7] الحربُ منه حين تَغْلي ... مراجِلُها بشيطان رجيم

ويقول[8]:

ولَّى ولم يُظْلَم وما ظُلِم امرُؤ ... حث النَّجاء[9] وخلفه التِّنين[10]

---

(١) ديوانه ص ٣٠٦، وفي الديوان: «من هوى مسموم».
(٢) ديوانه ص ٣٩٤.
(٣) الرشاء: الحبل.
(٤) ديوانه ص ٦٤.
(٥) الضاحي: البارز؛ والمحيا: الوجه، والهجير: شدة الحر، والقنا: الرماح، والعجاج: الغبار، وتخاله: تظنه.
(٦) ديوانه ص ٢٨٨، والموشح ص ٣٠٦.
(٧) في الأصلين: «تنمي» وما أثبتناه عن الديوان والموشح: وتثفي: تجعل أثافيّ، وهي الحجارة. والمراجل: القدور.
(٨) ديوانه: ٣٢٧، والموشح: ٣٠٨.
(٩) في أ «حيث»؛ والتصحيح عن ب، وهو يوافق ما في الديوان والموشح.
(١٠) قال المرزباني في الموشح تعليقاً على هذا البيت:
«فلو كان أجهد نفسه في هجاء الأفشين (الممدوح) هل كان يزيده على أن يسميه التنين! وما سمعت أحداً من الشعراء شبه به ممدوحاً بشجاعة ولا غيرها».

فهو يجعل الممدوح تارة دلواً، وتارة محراثاً، ومرة رشاء، وأخرى تنّيناً وشيطاناً رجيماً؛ وأظنه جَسَر على ذلك لما سمع قول جرير[١]:

أيام[٢] يدعونني الشيطانَ من غزلي   وهنَّ يهوَينني إذ كنتُ شيطانا

وما أبعد ما بين الكلامين، وأشد تفاوت ما بين الموضعين! ويقول[٣]:

كان الزمان بكم كلبا[٤] فغادركم   بالسيف والدهرُ فيكم أشهرُ الحرم

ويقول[٥]:

فحرام عليك أن تقرعي ها   مة قلبي بدمعك المهراق

وما تكاد قصيدة من شعره تسلم من أبيات ضعيفة؛ وأخرى غثَّة، لا سيما إذا طلب البديع وتتبّع العويص؛ فجاء بمثل قوله[٦]:

لعمري لقد حرَّرتُ يوم لقيته   لو آن القضاء وحدَه لم يُبَرِّدِ

وقوله[٧]:

لن يأكلوا هم ولا عشيرتهم   ما كنزوه من صامت الحسب[٨]

وقوله[٩]:

ذلَّتْ بهم عُنق الخليطِ وربما   كان المُمَنَّع أخدعاً وصَلِيفا[١٠]

وقد أولع بذكر الأخدع؛ فردده في عدة أبيات لم يوفق إلا في واحد منها. قال[١١]:

سأشكر فُرْجَة[١٢] اللَّبَب[١٣] الرخيّ   ولينَ أخادع الزَّمنِ الأبيّ

وقال[١٤]:

يا دهر قوِّم من أخدعيك فقد   أضْجَجْتَ هذا الأنامَ من خَرَقِكْ

(١) ديوانه ص ٥٩٧.
(٢) رواية الديوان: «أزمان».
(٣) ديوانه ص ٢٧٠.
(٤) رواية الديوان: «حربا».
(٥) لم نجدها في الديوان.
(٦) ديوانه ص ١٠١، والموشح ص ٣٠٨.
(٧) ديوانه ص ٤٨٧.
(٨) رواية الديوان:

لم يأكلوا هم ولا عشيرتهم   ما كنزوه من صامت النشب

(٩) ديوانه ص ٢٠٦، والموشح ص ١٨٣.
(١٠) الخليط: المخالط. والأخدع: عرق في العنق. والصليف: عرض العنق.
(١١) ديوانه: ص ٣٤٤.
(١٢) الفرجة: السعة.
(١٣) اللبب: المنحر، وفي الديوان: «الليت» وهو صفحة العنق.
(١٤) ديوانه ص ٢١٠.

وقال[١]:

فضربتَ الشِّتَاء في أَخْدعيه ضربةً غادرتْهُ عَوْداً[٢] رَكُوبا

وقد أحسن في قوله[٣]:

وما هو إلا الوحيُ أو حدُّ مُرْهَفٍ تُمِيلُ ظُباه أخْدَعَيْ كل مائلِ

وقد ذكره البحتري صفحا، فقال[٤]:

عَطَفَ ادٌ كارُكَ يوم رامة أخْدَعي شوقاً وأعناقُ المطيّ قواصدُ

فوقع من الحلاوة والحسن في الموقع الذي تراه.

وقوله[٥]:

لو لم تفتْ مُسنّ المجد مذ زمنٍ بالجود والبأس كان الجود قد خَرِفا

وقوله[٦]:

كانوا رداء[٧] زمانهم فتصدَّعُوا فكأنما لبس الزمانُ الصُّوفا

وقوله[٨]:

ولديك آلات جنوبٌ كلها فاحطم بِأَصْلبِهنّ أنف الشَّمْأَلِ

فإن حَمَل نفسه على التكلفّ، وفارق الطبع إلى التعمق أراك مثل قوله[٩]:

ألا سبيلَ نَدًى إلّا سبيلَ بِلًى لو كنت حياً لأضحى للندى سُبُل

وقوله[١٠]:

لو لم يمت بين أطراف الرماح إذاً لمات إذْ لم يمتْ من شِدَّة الحَزنِ

وقوله[١١]:

أبعد التي ما قبلها أفبعدها مقام لحرّ قلت أنت عجولُ[١٢]

---

(١) ديوانه ص ٢٧.
(٢) في الديوان: «قودا»، والعود: المسن من الإبل.
(٣) ديوانه ص ٢٤٩.
(٤) ديوانه (١: ١٤٢).
(٥) ديوانه ص ٢٠٤، وتفت: تدق، والبأس: الشدة.
(٦) الموشح ص ٣١٣، وديوانه ص ٢٠٦.
(٧) رواية الديوان: «برود». (٨) ديوانه ص ٢٣٦.
(٩) ديوانه ص ٣٨٤. (١٠) ديوانه ص ٣٨٨.
(١١) ديوانه ص ٤٠٨.
(١٢) رواية الديوان:

أبعد التي ما بعدها متلوم عليك لحر قلت أنت ملوم

وقوله[١]:

ذهبت بمذهبه السماحةُ فالْتَوَتْ   فيه الظنونُ أمُذهبٌ أم مَذهبُ

وقوله[٢]:

المجدُ لا يرضى بأن ترضى بأن   يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

بلغنا أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي سمعه ينشد هذا البيت، فقال له أن: يا هذا، لقد شققت على نفسك، إن الشعر لأقرب مما تظن.

فإن أظهر التعجرف، وتشبّه بالبدو، ونسي أنه حضري متأدب، وقروي متكلف جاءك بمثل قوله[٣]:

قَد قلتُ لما اطْلَخَمَّ الأمْر وانبعثت   عَشْواءُ تاليةٌ غُبْساً دَهاريسا[٤]

وقوله[٥]:

فعنيقُها يَعْضيدُها ووشيجها   سَعْدانُها وزميلُها تَنُّومها[٦]

وقوله[٧]:

إنَّ الأشاءَ إذا أصابَ مُشَذِّبٌ   مِنْه اتمهلَّ ذُرَى وأثَّ أسافِلَا[٨]

وقوله[٩]:

وحَادِث[١٠] أَخْرَق دَاوَيْتُه   ردَّاعة دَاهِية دَرْدَبِيسْ[١١]

وقوله[١٢]:

ومُزَحْزِحاتي عن ذرَاكَ[١٣] عوائِقٌ   أَصْحَرْنَ بي لِلْعَنْقَفِير المؤَبَّدِ[١٤]

---

(١) الموشح ص ٣٠٩، وأسرار البلاغة ص ٤، وديوانه ص ٣٩.
(٢) ديوانه ص ١٨٧.   (٣) ديوانه ص ١٧١.
(٤) أطلخم: أظلم، وعشواء: ضعيفة البصر، والغبس: جمع غبساء وهي المظلمة، والدهاريس: الدواهي.
(٥) ديوانه ص ٣١٢.
(٦) العنيق: المعانق. واليعضيد: بقلة تشبه الهندباء البري. والوشيج: اشتباك القرابة، والسعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل. والزميل: الرفيق. والتنوم: شجر.
(٧) ديوانه: ٣٨٠.
(٨) الأشاء: صغار النخل. اتمهلَّ: انتصب واعتدل. أث النبت: كثر والتف.
(٩) ديوانه ص١٨٠.
(١٠) في الديوان: «وحائن»، والحائن: الأحمق، وكذلك الأخرق.
(١١) الرداعة: من ردع فلان إذا وجع جسده كله، والدردبيس: الداهية.
(١٢) ديوانه ص ١١٤.
(١٣) في الديوان: «هواك».
(١٤) أصحرن: قصدن الصحراء. العنقفير: الداهية. والمؤبد: من الأبدية.

وقوله[١]:

مُقَابِلٌ في ذرى الأذواءِ مَنْصِبُه ... عِيصاً فعِيصاً وقُدْمُوساً فقُدْمُوسا[٢]

ثم لو لزم ذلك واستمرّ عليه ديناً وعادة، واتَّخذه إماماً وقِبْلَةً لقلنا: بدويٌّ جرى على طَبْعه، أو متحضّر حنَّ إلى أصلِه؛ لكنه يُعرِض عنه صَفْحاً، ويتناساه جملة، ويقول وهو يمدح خليفة[٣]:

ما زلت في العفو للذنوب وإطْـ ... ـلَاقِ لِعَانٍ في جُرْمه غَلِقِ[٤]

حتى تمنَّى البُرَاءُ أَنَّهم ... عندك أمسَوْا في القِدِّ والحَلَقِ[٥]

فنازعه المعنى، وانفرد دونه بالعَيْب؛ لأن أبا دَهْبَل زعم أن البرآء يتمنَّوْن أن يُذْنِبوا فيُصيبوا عَفْوه، ولا نَقْص في ذلك على الممدوح؛ لأنَّ انفِرَاده بالعفو متعذِّر، وإنما سبَبُه إلى ذلك ذنبُ المجرم وخطأُ الجاني.

وزاد أبو تمام فزعم أنَّهم يتمنَّوْن اليُتْم؛ ليصلوا إلى رِفْده، ويَلْحقوا بالأيتام في تكَفّله، والممدوح ممكّن من إفاضة العدل، وبثّ العُرف، وإغنائهم عن هذا التمني الذي لا يختارُه العاقل إلا بعد بلوغ الجهد منه، ووصول القُنوط إلى قلبه، واستيلاء الضَّنك على معيشته؛ وليس من صفة الجواد أن يعرِّض مُدَّاحه وقصّاده، ومَنْ علقت به آمالُه، وسمت إليه همتُه لسوء الحال، ويكلّفهم الأماني الرَّذْلة. وقد مَدح أبا المغيث[٦]، فقال[٧]:

اسقِ الرعيّة من بشاشتكَ الَّتي ... لو أنها ماءٌ لكان مَسُوسا[٨]

إن البشاشة[٩] والندى خيرٌ لهم ... من عفّةٍ جَمَسَتْ عليك جُمُوسا[١٠]

---

(١) ديوانه ص ١٧٢.

(٢) الذرى: الأعالي. والأذواء: هم ملوك اليمن، منهم ذو يزن وذو رعين. والمنصب: المرتبة. العيص: الأصل. والأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر. والقدموس: الملك العظيم.

(٣) كذا في الأصلين، وهذان البيتان ليسا لأبي تمام، كما هو واضح من كلامه بعد، وهما لأبي دهبل الجمحي، والبيت الذي يشير إليه لأبي تمام هو:

وتكفل الأيتام عن آبائهم ... حتى وددنا أننا أيتام

وقد أخذ هذا من قول أبي دهبل. وبهذا تفهم عبارته.

(٤) العاني: الأسير، وغلق الأسير والجاني: لم يفد.

(٥) البراء: الأبرياء. والقد: سير من جلد غير مدبوغ.

(٦) هو موسى بن إبراهيم الرافقي.

(٧) ديوانه ص ١٧٧.

(٨) المسوس هنا: العذب الصافي.

(٩) في الديوان: «إن الطلاقة».

(١٠) جمست: جمدت.

لو أنَّ أسبابَ العَفافِ بلا تُقًى ... نفعت لقد نفعَتْ إذاً إبليسا

فليتَ شعري عنه لو أراد هَجْوه، وقصد الغضّ منه، هل كان يزيدُ على أن يذمَّ عِفَّته، ويصفَها بالجموس والجمود، وهما من صفات البرد والثقل، ثم يختم الأمر بأن يضرِبَ له إبليس مثلاً، ويقيمه بإزائه كُفُواً، هذا وهو يقولُ في مثل ذلك غيرَ مادح، وبحيث يحتمل الاتساع ولا يضيق التصرف[١]:

عجباً[٢] لعمري أنَّ وجهَك مُعْرِض ... عنِّي وأنتَ بوجهِ نفعِك مقبلُ
أَوَلا ترى أنَّ الطلاقةَ جُنَّةٌ ... من سوء ما تجني الظنونُ ومَعْقِلُ!
ومودةٌ مطويةٌ منشورةٌ ... فيها إلى إنجاحها متعلَّلُ
إن يُعْطِ وجهاً كاسفاً من تحته ... كرمٌ وطيبُ خليقةٍ لا تدخلُ[٣]
فلَرُبَّساريةِ الغمام مطيرةٍ ... جادت بوابلها وما تتهلَّل[٤]

على أنه قد تحامل بقوله: «إن يعط وجهاً كاسفاً»، وبقوله في مثله[٥]:

ليس يَدري إلا اللطيفُ الخبيرُ ... أيّ شيءٍ تُطْوى عليه الصُّدُورُ
فتطلَّق[٦] مع العنايةِ إنَّ الْـ ... ـبشْر في أكثر الأُمور بشيرُ
إنما البِشْرُ روضةٌ فإذا كا ... ن ببَذْلٍ فروضةٌ وغَدِيرُ
فتكلم بمَا تُجَمْجِمُ[٧] فالمنـ ... ـطقُ عنوانُ ما يجنُّ الضميرُ

فيتوصَّل إلى مُراده أحسنَ ما توصل، ويُعبِّر عن ذات نفسه بألْطَف عبارة؛ وقوله[٨]:

شكوت إلى الزمان نحولَ جسمي[٩] ... فأرشدني إلى عَبْدِ الحميد

وإنما يُرْشَد في نحول الجسم إلى الأطباء، فأما الرؤساء والممدوحون فإنما يُلْتَمَس عندهم صلاحُ الأحوال؛ وقوله[١٠]:

تكادُ عطاياه يجنّ جُنُونها ... إذا لم يعوِّذْها بنَغْمةِ طَالِبِ[١١]

---

(١) ديوانه ص ٢٤٠، وقد قالها لأبي دلف.
(٢) في الديوان: «عجب».
(٣) في الديوان:

كرم وحلم خليقة لا يجهل

(٤) السارية: السحابة. العارض: المعترض في الأفق. يتهلل: يبرق، ورواية الديوان:

فلرب سارية عليك مطيرة ... قد جاء عارضها وما يتهلل

(٥) ديوانه ص ٣٩٧.
(٦) تطلق الشيء: سر به فظهر ذلك في وجهه.
(٧) الجمجمة: ألا يبين الإنسان كلامه. جنه وأجنه: ستره.
(٨) ديوانه ص ١٣٦.
(٩) في الديوان: «نحول حالي».
(١٠) ديوانه ص ٤١.
(١١) التعويذ: الرقية يرقى بها الإنسان.

وما بالها يُحوجها إلى الجنون، ويَلْتَمِس لها العُوَذ[١] والرُّقى، هلَّا فَكَّ أَسْرها، وقدم خلاصها، ولم ينتظر بها نَغْمة الطالب، ففعل ما قاله أبو الطيب[٢]:

وعَطَاءُ مالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ ... أَنْفَقْتَه في أَنْ تُلَاقِي طَالِبَا

وقد تَدَاول الناسُ هذا المعنى، فقال مُسْلم:

أخ لِيَ يعطيني إذا ما سألتُه ... ولو لم أعرِّضْ بالسؤال ابْتَدَانِيَا

وقال أبو العتاهية:

وإنّا إذا ما تركنا السؤال ... فلم نبغ نائلَه يَبْتَدِينا

وإن نحن لم نبغ معروفَه ... فمعروفُه أبداً يَبْتَغِينا

وقال أبو تمام[٣]:

فأضْحَتْ عطاياه نوازعَ شُرّدا[٤] ... تسائِل في الآفاق عن كلِّ سائل

وقوله[٥]:

ورأيتَني وسألتَ[٦] نفسك سَيْبَها ... لي ثم جدتَ وما انتظرتَ سُؤالي

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله:

أنفقته[٧] في أن تُلَاقِي طالبا

وقوله[٨]:

قَلْتاً[٩] من الرّيق نافعَ الذَّوْب إلْـ ... ـلَا أنّ بَرْد الأَكْبَاد في جَمدِهْ

فقد سلك مُفَسِّرُو هذا البيت غيرَ طريق، وقالوا فيه غيرَ قول، فلم يزيدوا على تأكيد المحال بالمحال، وإضافة الخطأ إلى الخطأ، وما معنى جمد الريق؟ وكيف يكون برد الأكباد في جامده دون ذائبه! وقد أعطاك أن ذوبه ناقع مرّ، وهل بعد الرّي برد الأكباد!

وبقوله[١٠]:

ألذّ من الماء الزّلَال على الظما ... وأَطرف من مَرِّ الشمال ببَغْدَاد

---

(١) العوذ (بفتح الواو): جمع عوذة، وهي الرقية أيضاً.
(٢) ديوانه (١: ١٣٢). (٣) ديوانه ص ٢٤٧.
(٤) في الديوان: «شزبا»؛ والشزب: الضامرة.
(٥) ديوانه ص ٢٤٧. (٦) في الديوان: «فسألت».
(٧) في أ «لأنفقته»، تحريف، صوابه من ب والديوان.
(٨) ديوانه ص ٩١.
(٩) القلت: النقرة في الصخر فيها ماء. الناقع: قاطع العطش.
(١٠) لم نجده في الديوان.

فجعل الشمال طرفه ببغداد، وهي أكثرُ الرياح بها هبوباً. وقد رواه بعض الرواة «أظرف»؛ ولا أعرف معنى الظرف في الريح؛ وقوله[١]:

ورحبَ صَدْرٍ لو أنَّ الأرض واسعةٌ كوسعه لم يضق عن أهله بلدُ

وهذا المعنى فاسد؛ لأنه جعل البلادَ إنما تضيق بأهلها لِضِيق الأرض، وأنها لو اتسعت اتساعَ صدره لم تضِق البلادُ. ونحن نعلم أن البلاد لم تُخَطّط في الأصل على قدر سَعةِ الأرض وضيقها، وأنّ الأرض تتّسع لبلاد كثيرة، ولاتّساع ما فيها من المدن أيضاً، وهي على حالها؛ وإنما تُؤَسس وتَبْتدئ على قَدْر الحاجة إليها؛ فإذا استمرَّ بها الزمانُ وكثرت العمارة، وظهر فيها ما يَسْتَدعي الناسَ إليها ضاقت، فإن جاوَرَتْها فُسَحٌ وعِرَاص[٢] وسّعت، وإلا احتمل لها بعض الضيق؛ فلو اتسعت الأرض حتى امتدَّت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقاديرها.

وقوله[٣]:

سبعون شهراً كلُّها في كُلِّه لي عائقٌ عن منزلي وبلادي

فجعل للكل كلاً، كما جعل للدهر دهراً في قوله[٤]:

تحمَّلْتُ ما لو حُمِّلَ الدهرُ شَطْرَه لفَكَّر دَهْراً أيّ عبأَيْهِ أثْقَلُ

وقوله[٥]:

رقيقُ حواشي الحلم لَوْ أنّ حِلمه[٦] بكَفَّيْك ما ماريتَ[٧] في انه بُرْدُ

والبُرد لا يوصفُ بالرِّقة، وإنما يوصفُ بالصفاقة والدّقة. وقد أقام الرقة مقام اللطف والرشاقة في موضع آخر، فقال[٨]:

لك قدٌّ أرقُّ[٩] من أن يُحاكى بقضيبٍ في النَّعتِ أو بكَثِيبِ[١٠]

والقدّ لا يوصف بالرقة. وقوله[١١]:

لآلٍ إذا مرَّت على السمع ناسبَتْ لدقَّة معنى نظمِها لؤلؤَ العِقْد

ومُناسبة اللآلئ في دقة النظم لا يُفْتَخر بها، ولا يجعل ما يناسبه في ذلك لآل؛ وإنما يشبه باللآلئ في الصفا والرونق والحسن، وقد يكون من سَقَط الخرَز وصِغاره ما

---

(١) ديوانه ص ٩٧.
(٢) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس بها بناء، وجمعها عراص.
(٣) لم نجده في الديوان.
(٤) ديوانه ص ٢٤٥.
(٥) ديوانه ص ١٢١.
(٦) في الديوان: «لو أن خلقه».
(٧) ماريت: جادلت. البرد: الثوب.
(٨) ديوانه ص ٤٣٤.
(٩) في الديوان: «أدق».
(١٠) الكثيب: التل من الرمل.
(١١) لم نجده في الديوان.

هو أدقُّ نظماً من اللؤلؤ؛ وقد تَنْظِم الأعراب تيجَانها من حَبّ الحَنْظَل، وهو أدقُّ نظماً من كل جوهر نفيس، وإنما أراد ذِكْرَ السبب الذي أفاده شبه اللؤلؤ فزلَّ عنه. وقوله(١):

من الهِيف لو أن الخلاخلَ صُيِّرت لها وشُحاً جالت عليها الخلَاخِلُ(٢)

أراد وصفها بدقَّة الخَصْر، فوصفها بغاية القصر والضؤولة؛ لأن الوشاح يؤخذ من العاتق ويوشح إحدى طرفيه الصَّدْر والبطن، والآخرُ الظهر، حتى ينتهيا إلى الكشح ويلتقيا على الورك. وكيف حالُ من يَجُول الخلخال من عاتقها وكشحها، وهل تكون هذه من البَشَر فضلاً عن أن تُنْسَب إلى الحُسنِ! وقوله(٣):

يَدِي لمن شاء رَهْنٌ لم يذُق جرَعاً مِنْ راحتيك دَرَى ما الصَّابُ(٤) والعَسَل

فحذف عمدة الكلام، وأخلَّ بالنظم؛ وإنما أراد يدي لمن شاء رهن (إن كَان) لم يذق. فحذف (إن كان) من الكلام، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه.

وقوله(٥):

حلَّتْ محلَّ البِكْر من مُعْطًى وقد زُفَّت من المعطِي زِفَافَ الأيِّم

معنى الأيم لغة وشرعاً

فجعل الأيِّم مقابل البِكر في التقسيم، والأيّم قد تكون بِكراً؛ وإنما هي التي لا زوج لها، يقال: آمت المرأة تئِيم أيْمَة. وكذلك الرجل إذا ماتت امرأته؛ وإنما لأهل اللغة قولان: أحدهما أن المرأة قد تكون أيِّماً إذا لم يكن لها زوج؛ وإن لم تكن نُكِحت قطّ. والثاني أنها لا تكون أيِّماً إلا وقد نُكِحت، ثم خلَت بموت أو طلاق؛ بِكراً كانت أو غير بكر، بَنَى عليها الزوج أو لم يَبْنِ. ويقال: تأيّمت المرأة؛ إذا لم تُنكح بعد موت زوجها.

فأما قول النبيّ ﷺ: «الأيّم أحق بنفسها من وَلِّيها، والبِكر تُسْتَأذن في نفسها». فقد ذهب العراقيون فيه على ظاهر اللغة؛ فجعلوا الأيّم عاماً في الثَّيِّب والبكر، وجعلوا اللفظة الثانية مفردة بحكم، وداخلة من الثانية في حكمها، وأبى أصحابُنا ذلك؛ فذهب الشافعي إلى أن المراد بالأيِّم الثيِّب، وليس يُحفظ عنه، ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيِّم والثيِّب في اللغة عبارتان عن معنى واحد، فيجد العائب طريقاً

---

(١) ديوانه ص ٢٥٦.

(٢) الهيف: الرقيقات. والخلاخل: حلى يلبس في الساق. والوشح: شبه قلائد عريضة تشد بين الكتف والخاصرة.

(٣) ديوانه ص ٢٢٨.

(٤) الصاب: عصير نبت مر.

(٥) ديوانه ص ٣١٣.

إلى عيبه، ولكنه لُطف في الفكر فتوصل به إلى استخراج ما غمض على غيره؛ وذلك أنه رأى الخبر تضمّن ذكر الأيّم والبكر، ووجد البكر معطوفاً على الأيم؛ وكان ظاهر الخطاب وحقيقة اللغة يقتضي تغايرَ المعطوف والمعطوف عليه. ومن الظاهر عند أهل اللسان أنَّ الشيء لا يُعْطَف على نفسه؛ هذا هو الأصل المطَّرد، فإنْ وُجد في الكلام ما يَخرج عنه، وأُصيب ما يخالف هذه القضية فزائل عن الظاهر تابع لدليله؛ كما يوجد عموم يُخَصّ، وأمر يُحْمل على النَّدْب، وخبرٌ يراد به الأمر؛ فلا يُترك له موضوعات الأصول ولا يُعترض به على حقائق اللغة.

وكما لا يُعطف بالشيء على نفسه؛ فكذلك لا يُعطف به على جُملة هو بعضُها؛ لأنه يكون معطوفاً به على نفسه وعلى شيء آخر معه.

ولو قال قائل من أهل اللغة موثوق بسداده: جاءني عمرو وأكرمني أبو زيد؛ لوجب أن يكون أحدُهما غيرَ الآخر في مقتضى الظاهر؛ وكذلك لو قال: وجدت عبد اللّه عاقلاً وأبا محمد فاضلاً لكان المعقول منهما تغايرهما، وإن أمكن أن يكون المسمّى هو المكنى.

فلما تقرّر عنده الأصلُ، ووجد الأدلة تَقُوده إليه فَصَل بين المعطوف والمعطوف عليه، فجعل الأيِّم غير البِكْر؛ وليس غير الأَبكار إلا الثُّيَّب. وليس يعترض هذا قولُ من يزعم أنه إقرار بالعدول عن الظاهر، ومفارقة الحقيقة، فقد سلم للمخالف ورفعت المنازعة في هذه الدلالة؛ لأنا نقول: إنّ في الخبر ظاهرين متقابلين؛ أحدهما حقيقة الأيِّم وهو انطلاقُها على كل خالية من حُرْمة النكاح، والثاني ظاهر العطف ووجوب تميّز المعطوف عليه، فلما تقابَل هذان الظاهران، ولم يكن من رفْض أحدهما بُدّ اتّبع المتعارف، واستسلم لعادة الخطاب؛ وعادةُ الاستعمال في اللغات مقدمة على حقائقها، وهي أولى بالظاهر من أصولها.

وأما أنا فأرى ظاهرَ الترتيب من ظاهر الألفاظ المنفردة، وإن كان من أصحابنا مَنْ يُخَالفني فيه.

وفي الإفصاح بما أشرتُ إليه، وتبيين ما أجملته كلامٌ يتسع، ولا يتصل بالغرض الذي قصدناه، وإنما نبذْت منه نُبذا اقتضاها فصلٌ أصبته لبعض من اعترض على أبي تمام، جمع فيه بينه وبين الشافعي في النكير، ووازن بين قولهما في الخطأ، ولم أستحسن ما يتسرع إليه أصحابُنا من التصريح بمخالفة اللغة، والتشبّث بالشواذ المردودة، ووجدت المعنى الذي ذكرته مستقيماً على اللغة والمعقول، وكالمصرّح به في لفظه؛ فأومأت إليه.

شعر المتنبّي

ثم أعود إلى نسق الكتاب وأكتفي بما قَدَّمتُه من هفَوات أبي تمام وإن كان ما أغفلته أضعافَ ما أثبتّه؛ إذ البغْيَة فيه الاعتذار لأبي الطيب، لا النّعي على أبي تمام. وإنما خَصَصْتُ أبا نُوَاس وأبا تمام لأجمع لك بين سيّدَيِ المطبوعين، وإمامَيْ أهلِ الصنعة، وأرِيك أن فضلَهما لم يحمِهما من زَلل، وإحسانهما لم يصفُ من كدَر؛ فإن أنصفتَ فلك فيهما عِبْرة ومَقْنع، وإن لجَجتَ فما تُغْنِي الآياتُ والنُّذر عن قومٍ لا يؤمنون.

وقد رأيتك ـ وفّقك اللّه ـ لما احتفلت وتعمّلت، وجمعت أعوانك واحتشدت، وتصفّحت هذا الديوان حرفاً حرفاً، واستعرضته بيتاً بيتاً، وقلّبته ظَهْراً وبَطْناً، لم تزد على أحرف تلقّطَتها، وألفاظ تمحّلَتها، ادّعيت في بعضها الغَلط واللحن، وفي أخرى الاختلال والإحالة، ووصفت بعضاً بالتَّعَسّف والغَثاثة، وبعضاً بالضّعف والركاكة، وبعضاً بالتعدّي في الاستعارة؛ ثم تعدّيت بهذه السِّمة إلى جملة شعره، فأسقطت القصيدة من أجل البيت، ونفيت الديوان لأجل القصيدة، وعجّلت بالحُكم قبل استيفاء الحجة، وأبرمت القضاء قبل امتحان الشهادة، فعبت قوله[١]:

فَتَـى أَلْـفُ جُـزْءٍ رَأْيُـهُ فـي زَمَـانـه   وما قَلَّ جُزْء بعضُه الرأي أَجْمَعُ[٢]

وقوله[٣]:

ومِنْ جَاهِلٍ بي وَهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ   وَيَـجْـهَـلُ عِـلْـمِـي أَنَّـهُ بِـيَ جَـاهِـلُ

وقوله[٤]:

فَقَلْقَلْت بالهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الحَشَا   قَلَاقِلَ عِيسٍ[٥] كلُّهُنَّ قَلَاقِلُ[٦]

---

(١) ديوانه (٢: ٢٤٢).

(٢) رواية الديوان:

أقـل جـزي بـعـضـه الـرأي أجـمـع

(٣) ديوانه (٣: ١٧٤).

(٤) ديوانه (٣: ١٧٥).

(٥) في أ «عيش». تحريف. والعيس: إبل يخالط بياضها شقرة.

(٦) قال أبو نصر بن المرزباني: «ثلاثة من الشعراء رؤساء؛ شلشل أحدهم، وسلسل الثاني، وقلقل =

غَثَاثَةُ عيشي أن تَغِثَّ كرامتي ... وليس بغَثٍّ أن تغِثَّ[1] المآكِلُ

وقوله[2]:

لك الخيرُ غَيْرِي رَامَ من غيرِكَ الغِنَى ... وغَيْرِي بغيرِ اللَّاذِقِيَّةِ[3] لَاحِقُ

وقوله[4]:

عَظُمتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلَّم مَهَابَةً ... تَوَاضَعْتَ وَهْوَ الْعُظْمُ عُظْماً عَنِ الْعُظْم

وقوله[5]:

ولَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجى الغَيْثُ دُونه ... ولا مُنْتَهى الجودِ الذي خَلْفَه خَلْفُ

ولا وَاحِداً في ذَا الْوَرى من جَماعَةٍ ... ولا الْبَعْضُ من كلٍّ ولَكِنَّكَ الضِّعْفُ

ولا الضِّعْفُ حتى يَتْبَع الضِّعْفُ ضِعفُه ... ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بل مِثْلَ أَلْفُ

وقوله[6]:

قَبِيلٌ أَنْتَ أَنتَ وَأَنتَ مِنْهُمْ ... وَجَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ

وقوله[7]:

كيف تَرْثِي التي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ ... رَءاها[8] غَيْرَ جَفْنِها غَيْرَ رَاقِي

وقلتَ: ما زلنا نتعجب من قول مسلم بن الوليد[9]:

سُلَّتْ وسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُها ... فأتى سَلِيلُ سَلِيلِها مَسْلُولا

حتى جاء المتنبي، فملأ ديوانه من هذا الجنس، فأنسانا بيتَ مُسْلم.

وقوله[10]:

أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَضُدَ الـ ... ـدّولة فَنَّا خُسْرو شَهَنْشَاهَا[11]

= الثالث؛ فالذي شلشل الأعشى، وهو من رؤساء شعراء الجاهلية، وهو الذي يقول:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني ... شاو مشل شلول شلشل شول

والذي سلسل مسلم بن الوليد، وهو من رؤساء المحدثين، قال:

سلت وسلت ثم سل سليلها ... فأتى سليل سليلها مسلولا

وأما الذي قلقل فالمتنبي: شرح ديوان المتنبي (٣: ١٧٦).

(١) الغث: الهزال.
(٢) ديوانه (٢: ٣٥٠).
(٣) اللاذقية بلد الممدوح (الحسين بن إسحاق التنوخي)، وهي من بلاد الساحل بالشام.
(٤) ديوانه (٤: ٥٨).
(٥) ديوانه (٢: ٢٩٠).
(٦) ديوانه (٤: ٧٩).
(٧) ديوانه (٢: ٣٦٢).
(٨) رءاها: رآها. رقأ الدم والدمع؛ إذا انقطع، وإنما أبدل الهمزة ياء لأنه آخر البيت.
(٩) التبيان (٣: ١٧٦).
(١٠) ديوانه (٤: ٢٧٥).
(١١) يمدح بالبيت عضد الدولة؛ وقد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه ونعته، وسماه بملك الملوك: «شاهنشاه».

وقوله[١]:

رِوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكِ مُسْبَطِرٌّ[٢] ومُلْكُ عَلِيٍّ ابْنِكِ فِي كَمَالِ
يُعَلِّلُهَا نَطَاسِيُّ[٣] الشَّكَايَا وَوَاحِدُهَا نِطَاسِيّ الْمَعَالِي
وَلَيْسَتْ كالإنَاثِ وَلَا اللَّواتي تُعَدُّ لَهَا الْقُبُور مِنَ الْحِجَالِ[٤]
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تِجَارٌ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النِّعَالِ[٥]

وقوله[٦]:

أَوْهِ مِن أنْ لَا أرَى مَحَاسِنَهَا وَأَصْلُ وَاهاً وَأَوْهِ مَرْآهَا[٧]

وقوله[٨]:

كيفَ يَقْوَى بكفِّكَ الزَّنْدُ والآ فاقُ فيها كالكَفِّ في الآفَاقِ
أنت فيه[٩] وكانَ كلُّ زَمانٍ يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الخَلَّاقِ

وقوله[١٠]:

مَبيتي من دِمِشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بحَرٍّ حَشَايَ[١١] حَاشِ

وقوله[١٢]:

وربَّما يَشْهَدُ[١٣] الطَّعَامَ مَعِي مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذي أَكَلَهْ

وقوله[١٤]:

إنِّي عَلَى شَغَفِي بما في خُمْرِها لأَعِفُّ عمَّا في سَرَاوِيلَاتِها

---

(١) ديوانه (٣: ١٣)، (٣: ١٦)، (٣: ١٧)، يرثي والدة سيف الدولة.
(٢) المسبطر: الممتد. قال الصاحب: ذكره الاسبطرار في مرثية النساء من الخذلان.
(٣) النطاسي: الحاذق في الأمور. الشكايا؛ واحدها شكوى.
(٤) الحجال: ما يستر النساء، وهو الخدر.
(٥) الجنازة، بالفتح والكسر: النعش.
(٦) ديوانه (٤: ٢٧٠).
(٧) يقول: أتوجع لأني لا أرى محاسنها، وأصل توجعي وتعجبي أنني رأيتها فهويتها.
(٨) ديوانه (٢: ٣٦٩، ٣٧١)، والآفاق: جمع أفق. وهو نواحي الدنيا.
(٩) الضمير يرجع إلى الدهر في البيت قبله، وهو:
ليت لي مثل جد ذا الدهر في الأد هر أو رزقه من الأرزاق
(١٠) ديوانه (٢: ٢٠٧).
(١١) في الأصلين: «حشاه»، وهذه رواية الديوان.
(١٢) ديوانه (٣: ٢٧٠).
(١٣) في الأصلين: «أشهد»، وهذه رواية الديوان.
(١٤) ديوانه (١: ٢٢٦). والخمر: جمع خمار، وهو ما تختمر به المرأة.

وقوله[١]:

لا خَلْقَ أَسْمَحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ بِكَ رَاءَ نَفْسَكَ لم يَقُلْ لك هَاتِها[٢]

وقوله[٣]:

لِسَانِي وعَيْنِي والفُؤَادُ وهِمَّتِي أَوُدٌّ[٤] اللَّواتي ذَا اسْمُها مِنْكَ والشَّطْرُ

وما أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذا الشِّعْرَ كُلَّهُ ولٰكِن لِشِعْرِي فيكَ من نفْسِه شِعْرُ[٥]

وقوله[٦]:

وشَيْخٌ في الشبابِ وليس شيخاً يُسَمَّى كلُّ مَنْ بَلغَ المشِيبَا[٧]

وقوله[٨]:

قَسَا فالأُسْدُ تَفْزَعُ من يَدَيْهِ[٩] ورَقَّ فنحنُ نَفْزَعُ أَنْ يَذُوبَا

وقوله[١٠]:

وسَيْفِي لأَنْتَ السَّيْفُ لا مَا تَسُلُّه لِضَرْبٍ ومِمَّا السَّيْفُ منهُ لكَ الغِمْدُ[١١]

وقوله[١٢]:

أيفطِمه التَّوْرَابُ[١٣] قبل فِطَامه ويأكلُه قبلَ البلوغ إلى الأكْلِ[١٤]

وقوله[١٥]:

إذا ما لبِستَ الدَّهْرَ مستمتعاً به تخرَّقْتَ والملبوسُ لم يتَخَرَّق

---

(١) ديوانه (١ : ٢٣٢).

(٢) راء: مقلوب رأى، كما يقال: ناء ونأى.

(٣) ديوانه (٢ : ١٥٨).

(٤) أود: جمع ود، والشطر: النصف. قال العكبري: «ذا حشو».

(٥) يقول: أنا ما انفردت بعمل هذا الشعر؛ ولكن شعري أعانني على مدحك؛ لأنه أراد مدحك كما مدحته.

(٦) ديوانه (١ : ١٤٢).

(٧) يريد أنه شيخ في شبابه لعقله وكمال رأيه، وإن كان شاباً.

(٨) ديوانه (١ : ١٤٢).

(٩) في الديوان: «من قواه».

(١٠) ديوانه (٢ : ٦).

(١١) يريد: وغمدك من الحديد الذي منه السيف.

(١٢) ديوانه (٣ : ٥٠).

(١٣) التوراب: التراب.

(١٤) في الأصلين: «إلى الأرض». وهو خطأ، صوابه من الديوان.

(١٥) ديوانه (٢ : ٣٠٧).

وقوله[١]:

أَغَرَّكُمُ طُولُ الْجُيُوشِ وعَرْضُهَا عَلِيٌّ[٢] شَرُوبٌ لِلْجُيُوشِ أَكُولُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلَّيْثِ إِلَّا فَرِيسَةً غَذَاهُ[٣] فَلَمْ يَنْفَعْكَ أَنَّكَ فِيلُ
إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تُدْخِلْكَ فِيهِ شَجَاعَةٌ هِيَ[٤] الطَّعْنُ لَمْ يُدْخِلْكَ فِيهِ عَذُولُ
إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ[٥] لَهَا وطُبُولُ

وقوله[٦]:

فكلُّكُمْ أَتَى مَأْتَى أَبِيهِ فكلُّ فِعَالِ كلِّكُمْ عُجَابُ

وقوله[٧]:

مُلِثَّ القَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوعا وإلا فاسْقِها السُّمَّ النَّقِيعَا[٨]
أُسَائِلُهَا عَنِ المتدَيِّرِيهَا فلا تَدْرِي ولا تُذْرِي دُمُوعا[٩]
إذا مَاسَتْ رأيتَ لها ارْتِجَاجاً لهُ لولا سَوَاعِدُها نُزُوعا[١٠]
تألَّم دَرْزَهُ والدَّرْزُ لَيْنٌ كما تَتَألَّمُ العَضْب الصَّنِيعَا[١١]
ذِرَاعَاها عَدُوَّا دُمْلُجَيها يظُنُّ ضَجِيعُها الزَّنْدَ الضَّجِيعَا[١٢]
أُحِبُّكِ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ ثَبِيراً[١٣] أَوِ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيعَا
أَمُنْسِيَّ الكِنَاسَ وحَضْرَ مَوْتاً وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ والسَّبِيعَا[١٤]

---

(١) ديوانه (٣: ١٠٧، ١٠٨)، يمدح سيف الدولة.

(٢) هو اسم سيف الدولة.

(٣) غذاه: صار له غذاء، والضمير راجع إلى الليث.

(٤) في الأصلين: «هو». والضمير يعود على الشجاعة، وهذه رواية الديوان.

(٥) عيب على المتنبي جمع بوق على بوقات؛ والقياس يعضده؛ إذ له نظائر.

(٦) ديوانه (١ : ٨٥).

(٧) ديوانه (٢: ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٧).

(٨) الملث: الدائم المقيم. والربوع: جمع ربع. والنقيع: المنقع.

(٩) تدير المكان: اتخذه داراً، وتذري: تلقي دموعا.

(١٠) قبله:

ترفع ثوبها الأرداف عنها فيبقى من وشاحيها شسوعا

(١١) الدرز: موضع الخياطة المكفوفة من الثوب. العضب: السيف، والصنيع: المحكم الصقل والصنعة.

(١٢) الدملج: المعضد من الحلي؛ يصف ذراعيها بالغلظ.

(١٣) ثبير: جبل بالحجاز. وابن إبراهيم هو علي بن إبراهيم التنوخي، الممدوح.

(١٤) الكناس، وحضرموت، وكندة، والسبيع: أمكنة بالكوفة، سميت بأسماء من سكنها، وفي الأصلين «أمنسي السكون». يقول: أنت أنسيتني بإحسانك والدتي وبلدي وأهلي.

وقوله[١]:

جَوَادٌ سَمَتْ في الخيرِ والشَّرِّ كَفُّهُ ... سُمُوًّا أَوَدَّ الدَّهْرَ أَنَّ اسمَهُ كَفّ[٢]

وُقُوفَيْنِ في وَقْفَيْنِ: شُكْرٍ ونائِلٍ ... فنائِلُه وَقْفٌ، وشُكْرُهُم وَقْفُ[٣]

ولمَّا فَقَدْنَا مِثْلَه دامَ كَشْفُنَا ... عَلَيْهِ فدَامَ الفَقْدُ وانكَشَفَ الكَشْفُ[٤]

وقوله[٥]:

ولا جَلَسَ البَحْرُ المحيطُ لقاصِدٍ ... ومِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ ومِنْ فَوْقِه سَقْفُ

وقوله[٦]:

رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ[٧] ... دِ وطِينُ الرِّجَالِ مِنْ صَلْصَالِ

وقوله[٨]:

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّا ... سُ بِنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي

وقوله[٩]:

لَا يَسْتَكِنُّ الرُّعْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ ... يَوْماً وَلَا الإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنَا[١٠]

تَتَقَاصَرُ الأَوْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ... مِثْلُ الَّذِي الأَفْلَاكُ فِيهِ وَالدُّنَا[١١]

وقوله[١٢]:

وَلِذَا اسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا ... مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ[١٣]

---

(١) ديوانه (٢: ٢٨٥).

(٢) يقول: هو جواد علت كفه في الخير والشر؛ الخير لأوليائه والشر لأعدائه. والدهر يتمنى أن يكون كفا يشارك كفه.

(٣) يقول: الناس والممدوح فريقان واقفان في شيئين وقفين؛ أحدهما على الناس منه وهو العطاء، والثاني على الممدوح من الناس وهو الثناء.

(٤) يقول: لما فقدنا نظيره ومن يكون له مثلاً، (لأنه عديم المثل) دام الكشف عن مثل له، ثم بطل لأنا أيسنا من وجود مثله.

(٥) ديوانه (٢: ٢٨٩).

(٦) ديوانه (٣: ١٩٨).

(٧) العنبر الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، والصلصال: الطين اليابس.

(٨) ديوانه (٣: ٢٠١).

(٩) ديوانه (٤: ٢٠١).

(١٠) أي لا يحسن عدم الإحسان، والإحسان الأول مصدر والثاني ضد الإساءة.

(١١) الدنا: جمع دنيا؛ كالعلا جمع عليا والقصا جمع قصيا.

(١٢) ديوانه (٣: ٢٥٢).

(١٣) يقول: إنما سميت أغطية العيون جفونها؛ لأنها ضمّت أحداقاً تعمل عمل السيوف.

وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ.

وقوله[١]:

جَفَخَتْ[٢] وَهُمْ لَا يَجْفَخُون بها بِهِم ... شِيَمٌ عَلَى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلَائِلُ

وقوله[٣]:

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

وقوله[٤]:

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِداً في نَيِّها ... إِسْآدَهَا فِي المَهْمَهِ الإِنْضَاءُ[٥]

وقوله[٦]:

كُفِّي أَرَانِي وَيْكِ لَوْمَك أَلْوَمَا ... هَمٌّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا[٧]

وقوله[٨]:

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ اسْتِهِ ... وآخَرُ قُطْنٌ مِنْ يَدَيْهِ الجَنَادِلُ[٩]

وقوله[١٠]:

فَلَوْلَا تَوَلِّي نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ ... عَنِ الأَرْضِ لانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِمْلُ

وقوله[١١]:

أَنَّى يَكُونُ أَبَا البَرِيَّةِ آدَمٌ ... وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ!

وقوله[١٢]:

خَفِ اللَّه واسْتُرْ ذَا الجَمَالَ بِبُرْقُعٍ ... فَإِنْ لُحْتَ حاضَتْ في الْخُدُورِ العَوَاتِقُ[١٣]

---

(١) ديوانه (٣: ٢٥٨).

(٢) جفخ: تكبر وفخر. والشيم: جمع شيمة، وهي الخليقة. والأغر: الأبيض.

(٣) ديوانه (٣: ٢٦١). (٤) ديوانه (١: ١٧).

(٥) الإسآد: الإسراع في السير، أو سير الليل بلا تعريس، أو سير الإبل بالليل مع النهار. والنيء: الشحم. والمهمه: المفازة. والإنضاء: فاعل لاسم الفاعل.

(٦) ديوانه (٤: ٢٧).

(٧) كفي: دعي واتركي، أنجم: أقلع؛ يقال: أنجمت السماء؛ إذا أقلعت من المطر.

(٨) ديوانه (٣: ١٧٤).

(٩) خساس الناس: أراذلهم، والصائب، بمعنى المصيب؛ يقال: صابه يصيبه وأصابه يصيبه فهو صائب ومصيب.

(١٠) ديوانه (٣: ١٨٨). (١١) ديوانه (١: ٣٤٠).

(١٢) ديوانه (٢: ٣٤٩).

(١٣) العواتق: جمع عاتق، وهي الجارية المقاربة للاحتلام. وفي رواية:

فإن لحت ذابت في الخدور العواتق

وقلت: لما أُنكر عليه حاضت غيَّره فجعله ذَابَت.

وقوله[1]:

مُـذِلُّ الأَعِـزَّاءِ الـمُـعِـزُّ وَإِنْ يَـئِـنْ بِهِ يُتْمُهُمْ فَالـمُوتِمُ الْجَابرُ الْيُتْمِ[2]

وقوله[3]:

تـحَـرَّجَ عَـنْ حَـقْـنِ الـدِّمَـاءِ كَـأَنَّـهُ يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرْكَ رَأْسٍ عَلَى جِسْمِ[4]

أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يابْنَ ابْنِ يُوسُفٍ لِشَهْوَتِنَا وَالْحَاسِدُو لَكَ بالرَّغْمِ[5]

إِذَا مَا ضَـرَبْتَ الـقِرْنَ ثُـمَّ أَجَـزْتَـنـي فَكِلْ ذَهَباً لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ[6]

فَكَمْ قَائِلٍ لَوْ كانَ ذَا الشَّخْصُ نَفْسَهُ لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ الْعَسْكَرِ الدَّهْمِ[7]

وقَـائِـلَـةٍ وَالأَرْضَ أَعْـنِـي تَـعَـجُّـباً عليّ امْرُؤٌ يَمْشِي بوَقْرِي[8] مِنَ الحِلم

وقوله[9]:

وَأَنَّـكَ فـي ثَـوبٍ وَصَـدْرُكَ فِـيـكُـمـا عَـلَـى أَنَّـهُ مِـنْ سَـاحَـةِ الأَرْضِ أَوْسَـعُ

وَقَـلْبُكَ في الـدُّنْـيـا ولـو دَخَـلَـتْ بـنَـا وبالجِنِّ فيه[10] ما دَرَتْ كيف تَرْجع

وقوله[11]:

أَحَـــادٌ أَم سُـــدَاسٌ فـــي أُحَـــادِ لُـيَـيْـلَـتُـنَـا الـمَـنُـوطَـةُ بـالـتَّـنَـادِ[12]

---

(١) ديوانه (٤: ٥٣).

(٢) الموتم الجابر اليتم: مبتدأ وخبر، أي أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى الأبناء الأيتام ويصطنعهم.

(٣) ديوانه (٤: ٥٤، ٥٦).

(٤) التحرج: الكف عن الشيء والإمساك عنه، وحقن الدماء: حفظها وتركها في أبدانها. يريد: أنه يريق دماء الأعداء ولا يحفظها.

(٥) ارتفع «الحاسدون» عطفاً على الضمير المرفوع في «أطعناك»، وحذف النون في: «الحاسدو» لأنه شبه باسم الموصول؛ كأنه قال: والذين حسدوك. وقد جاء مثله فيما أنشده سيبويه:

الـحـافـظـو عـورة الـعـشـيـرة لا يـأتـيـهـم مـن ورائـهـم وكـف

(٦) القرن: كفء الرجل في شجاعته، والجائزة: ما يعطاها الشاعر، والكلم: الجرح، أي أعطني ذهباً بقدر ما تسع ضربتك الواسعة.

(٧) القرى: الظهر. والمكمن: المخفي والمستتر، الدهم: الكثير.

(٨) الوقر: الثقل.

(٩) ديوانه (٢: ٢٤٧).

(١٠) الضمير في «فيه» للقلب، يقول، قلبك قد أحاطت به الدنيا، وهو فيها من جملة ما فيها، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لضلت فيه.

(١١) ديوانه (١: ٣٥٣).

(١٢) التناد: يوم القيامة.

وقوله[١]:

وأَبْعَدَ[٢] بُعْدَنا بُعْدَ التَّدَاني ... وقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ البِعَادِ

۞ ۞ ۞

قلت: قد جمع في هذه الأبيات وفي غيرها مما احْتَذَى به حَذْوَها بين البرد والغَثاثة، وبين الثُّقل والوخامة، فأبعد الاستعارة، وعوّص اللفظ، وعقَّد الكلام، وأساء الترتيب، وبالغ في التكلّف، وزاد على التعمّق؛ حتى خرج إلى السّخف في بعض، وإلى الإحالة في بعض. وقلت: كيف يُعَدّ في الفحول المُفلقين من يقول[٣]:

جَمَدَتْ نُفُوسُهُمُ فلمَّا جِئْتَها ... أَجْرَيْتَها وسَقَيْتَها الفُولَاذَا

فَغَدَا أَسِيراً قد بَلَلْتَ ثيابَه ... بدَمٍ وَبَلَّ بِبَوْلِهِ الأَفْخَاذَا

أَعْجَلت أَنْفُسَهُم[٤] بضَرْبِ رِقابِهِمْ ... عَنْ قَوْلِهِم لا فارِسٌ إلَّا ذَا

طَلَبَ الإمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وقَدْ نَشَا[٥] ... مَا بَيْنَ كَرْخَايا إلَى كَلْوَاذَا

فكَأَنَّهُ حَسِبَ الأَسِنَّةَ حُلْوَةً ... أَوْ ظَنَّهَا الْبَرْنِيَّ والآزاذَا[٦]

وقوله[٧]:

بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً في آيَةٍ ... يَنْفِي الظُّنُونَ ويُفْسِدُ التَّقْيِيسَا

يَا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزمَانِ بِظِلِّهِ ... أَبَداً وَنَطْرُدُ باسْمِهِ إبْلِيسَا

إنِّي نَثَرْتُ عليكَ دُرًّا فانْتَقِدْ[٨] ... كَثُرَ المدَلِّسُ فاحْذَرِ التَّدْلِيسَا[٩]

حَجَّبْتُها عن أهْلِ إنْطَاكِيَّةٍ ... وجَلَوْتُها لَكَ فاجْتَلَيْتَ عَرُوسَا

---

(١) ديوانه (١: ٣٥٨).

(٢) الضمير في أبعد وقرب يعود على المسير في بيت قبله. وقرب وبعد، نصبهما نصب المصادر.

(٣) ديوانه (٢: ٨٣).

(٤) في الديوان: «أعجلت ألسنهم»، جمع لسان.

(٥) في الديوان: «ونشؤه»، وكرخايا وكلواذا: قريتان من أعمال بغداد.

(٦) البرني والآزاذ: نوعان من أجود التمر.

(٧) ديوانه (٢: ١٩٧ ـ ٢٠٠).

(٨) انتقد الدراهم: أخرج الزيف منها.

(٩) صدره من قول الحكمي:

نشرت عليك الدر يا در هاشم ... فيا من رأى دراً على الدر ينثر

وعجزه ينظر فيه إلى قول ابن الرومي:

أول ما أسأل من حاجة ... أن يقرأ الشعر إلى آخره

ثم كفاني بالذي ترتئي ... في جودة الشعر وفي شاعره

خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى القُصُورِ وشَرُّها ... يَأْوِي الْخَرَابَ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا[١]

وقوله[٢]:

ولَعَلِّي مُؤَمِّلٌ بَعْضَ مَا أَبْـ ... ـلُغُ بالْلُّطْفِ من عَزِيزٍ حَمِيدِ

لِسَرِيٌّ لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقُطْـ ... ـنِ وَمَرْوِيُّ[٣] مَرْوَ لِبْسُ القُرُود

وقوله[٤]:

أَلْقَى الْكِرَامُ الأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُم ... عَلَى الْخَصِيبِيِّ[٥] عِنْدَ الفَرْضِ والسُّنَنِ

فَهُنَّ فِي الْحَجْرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ ... لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بالمَجْدِ والمِنَنِ[٦]

وقوله[٧]:

جَعَلْتُكَ بالْقَلْبِ لِي عُدَّةً ... لأَنَّكَ بالْيَدِ لَا تُجْعَلُ[٨]

وقوله[٩]:

ونُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَاالحَسَنِ[١٠] الْهَوى ... وَنُرْضِي الَّذِي يُسْمَى الإِلٰهَ وَلَا يُكْنَى

وقوله[١١]:

وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيس عَلَى الأَحْـ ... ـبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الأَضْدَادِ

وقوله[١٢]:

ليس كلُّ السَّراة[١٣] بالرُّوذَبَا ... رِيّ ولا كلُّ ما يَطِيرُ بِبَازِ

---

(١) الناووس: مقابر النصارى، وقيل: مقابر المجوس.

(٢) ديوانه (١: ٣٢٠).

(٣) مروى مرو: ثياب رقاق تنسج بها.

(٤) ديوانه (٤: ٢١٤).

(٥) باد الشيء: هلك، وأباده غيره: أهلكه. الخصيبي: هو الممدوح نسبة إلى الجد، وهو أبو عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي.

(٦) أصل الحجر المنع، وحجر القاضي على فلان: منعه من التصرف. والمنن: جمع منة، وهو ما يمكن به الإنسان على صاحبه.

(٧) ديوانه (٣: ٧١).

(٨) يقول: جعلتك بالقول عدة أعتدها، وعصمة أعتقدها؛ لأنك أرفع قدراً من أن تتناول بالجوارح.

(٩) ديوانه (٤: ١٦٦).

(١٠) أبو الحسن: هو علي بن عبد الله سيف الدولة الممدوح.

(١١) ديوانه (٢: ٣١).

(١٢) ديوانه (٢: ١٧٩).

(١٣) في الأصلين «البزاة»، وهذه رواية الديوان. والسراة: الأشراف، جمع سري على غير قياس. والروذباري: هو الممدوح نسبة إلى بلد أبيه، وهي من بلاد العجم.

فـارسـيٌّ لـه مـن الـمـجـدِ تَـاجٌ ... كـان مـن جَـوْهَـرٍ عـلـى أَبْـرَوَازْ[١]
فـكـأنَّ الْـفَـرِيـدَ والـدُّرَّ وَالْـيَـا ... قُـوتَ مـن لَـفـظِـهِ وَسَـامَ الـرِّكَـازْ[٢]
تَـقْـضَـمُ الْـجَـمْـرَ والـحـديـدَ الأَعَـادِي ... دُونَـهُ قَـضْـمَ سُـكَّـرِ الأَهْـوَازِ

وقوله[٣]:

ونَـهْـبُ نُـفُـوسِ أهْـلِ الـنَّـهْـبِ أَوْلَـى ... بأهـل الـمـجـدِ مـنْ نَـهْـبِ الْـقُـمَـاشِ[٤]
ومِـنْ قَـبْـلِ الـنِّـطَـاحِ وقـبـلِ يَـأْنِـي[٥] ... تَـبِـيـنُ لَـكَ الـنِّـعَـاجُ مـنَ الْـكِـبَـاشِ
تُـطَـاعِـنُ كـلُّ خَـيْـلٍ سِـرْتَ فِـيـهـا ... ولـو كـانـوا الـنَّـبِـيـطَ عـلـى الْـجِـحَـاشِ[٦]
أَتَـى خَـبَـرُ الأَمِـيـرِ فـقِـيـلَ كَـرُّوا ... فـقـلـتُ نـعـم ولـو لـحِـقُـوا بَـشَـاشِ[٧]

ويقول[٨]:

مُـسْـتَـقِـلٌّ لَـكَ الـدِّيَـارَ ولـوْ كـا ... نَ نُـجُـومـاً آجُـرُّ هـذا الـبِـنَـاءِ
ولـوْ أنَّ الـذي يَـخِـرُّ مِـنَ الأمْـ ... ـوَاهِ فـيـهـا مـنْ فِـضَّـةٍ بَـيْـضَـاءِ
أنـتَ أعْـلَـى مَـحَـلَّـةً أَنْ تُـهَـنَّـى ... بـمـكـانٍ فـي الأرضِ أو فـي الـسَّـمـاءِ
ولـك[٩] الـنـاسُ والـبـلادُ ومـا يَـسْـ ... ـرَحُ بـيـن الْـغَـبْـرَاءِ والـخَـضْـرَاءِ
يَـفْـضَـحُ الـشَّـمْـسَ كـلَّـمَـا ذَرَّت[١٠] الـشَّـمْـ ... ـسُ بـشَـمْـسٍ مُـنِـيـرةٍ سَـوْدَاءِ
إنـمَـا الْـجِـلْـدُ مَـلْـبَـسٌ وابْـيِـضَـاضُ الْـنَـ ... ـفْـسِ خَـيْـرٌ مـن ابْـيِـضَـاضِ الْـقَـبَـاءِ

ويقول[١١]:

مَـا أَنْـصَـفَ الْـقَـوْمُ ضُـبَّـهْ[١٢] ... وَأُمَّـهُ الـطُّـرْطُـبَّـهْ[١٣]

---

(١) أبرواز: هو أبرويز أحد ملوك العجم، وإنما غيره للوزن.
(٢) الفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، أو الكبار منه. والسام: عروق الذهب؛ يقول: كأن هذه الأشياء مأخوذة من لفظه لحسنه ونفاسته.
(٣) ديوانه (٢: ٢١٠، ٢١٣).
(٤) القماش: متاع البيت ومتاع الإنسان.
(٥) يأني: يحين؛ من أنى الشيء؛ إذا حان، وأراد: قبل أن يأني.
(٦) رواية الديوان: «ولو كان النبيط»، والنبيط: قوم بسواد العراق حراثون.
(٧) الكر: الرجوع على القرن بعد الفر للجولان، وشاش: موضع بما وراء النهر.
(٨) ديوانه (١: ٣٢). (٩) في الأصلين: «ملك».
(١٠) ذرت الشمس: بدت أول ما تطلع. (١١) ديوانه (١: ٢٠٤، ٢٠٨).
(١٢) ضبة اسم من يهجوه بهذه القصيدة، وهو ضبة بن يزيد العتبي؛ وكان فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب.
(١٣) الطرطبة: القصيرة الضخمة، وقيل: المسترخية الثديين.

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَنَاكُوا الأمَّ غُلُبَّهْ[١]
فَلا بِمَنْ مَاتَ فَخْرٌ وَلَا بِمَنْ نِيكَ رَغْبَهْ
وإنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْـ ـتُ رَحْمَةً لا مَحَبَّهْ
مَا كُنْتَ إلا ذُبَابَاً نَفَتْكَ عَنَّا مِذَبَّهْ
وكُنْتَ تَنْخَرُ[٢] تِيهاً فَصِرْتَ تَضْرِطُ رَهْبَهْ
وَإِنْ بَعُدْنَا قَلِيلاً حَمَلْتَ رُمْحاً وَحَرْبَهْ

ويقول[٣]:

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرِّ وَمِنْ حَقِّ ذا الشَّرِيفِ عَلَيْكا
وَإِذَا لَم تَسِرْ إلى الدَّارِ في وقْـ ـتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكا

كثرة استعماله لاسم الإشارة

وقلت: وهو أكثرُ الشعراء استعمالاً لذا التي هي للإشارة، وهي ضعيفة في صنعة الشعر، دالةٌ على التكلّف، وربما وافقتْ موضعاً يليقُ بها، فاكتست قبولاً؛ فأما في مثل قوله في هذين البيتين: «ومن حق ذا الشريف عليكا»؛ و«في وقتك ذا»، وقوله[٤]:

لَو لم تكن من ذَا الْوَرَى اللَّذْ[٥] مِنْكَ هُوْ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَواءُ

وقوله[٦]:

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ

وقوله[٧]:

وَإِنْ بَكَيْنَا[٨] لَهُ فَلَا عَجَبٌ ذَا الْجَزْرُ في البحْرِ غيرُ مَعْهُودِ

وقوله[٩]:

ذَا الَّذِي أنتَ جَدُّه وَأَبُوه [دِنْيَةً[١٠] دون جدّه وأبيه]

وقوله[١١]:

أَفي كلِّ يَوْمٍ ذَا الدُّمُسْتُقُ[١٢] مُقْدِمٌ قَفَاهُ على الإقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ

---

(١) الغلبة: المغالبة.
(٢) في الديوان: «تفخر».
(٣) ديوانه (٢: ٣٨٤).
(٤) ديوانه (١: ٣١).
(٥) اللذ: لغة في الذي.
(٦) ديوانه (٣: ٥٩).
(٧) ديوانه (١: ٢٦٢).
(٨) رواية الديوان: وإن جزعنا. وجزر البحر: رجوع مائه إلى خلف ونضوبه.
(٩) ديوانه (٤: ٢٦٣).
(١٠) يقال هو ابن عمي دنية: وهو القريب.
(١١) ديوانه (٣: ٣٨٩).
(١٢) الدمستق: صاحب جيش الروم.

وقوله[١]:

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الوجْهُ الذي كنتُ تَائِقاً إليه، وذا الوقتُ الذي كنتُ رَاجياً[٢]

وقوله[٣]:

نحنُ في أرضِ فارسٍ في سُرُورِ ذا الصَّبَاحُ الذي يُرَى مِيلَادُهْ

كلما قال نَائلٌ[٤]: أنا مِنْهُ سَرَفٌ، قال آخرٌ: ذَا اقْتِصَادُهْ

وقوله[٥]:

فَإِنْ يَكُنِ المَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فهذا وإِلَّا فالْهُدَى ذَا فما المَهْدِي!

وقوله[٦]:

يُعَلِّلُنَا هذا الزّمانُ بذَا الوَعْدِ ويخْدَعُ عما في يديهِ من النَّقْدِ[٧]

وقوله[٨]:

وهذا أوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا لأَوَّلِ مِيْتَةٍ في ذا الْجَلَالِ[٩]

وقوله[١٠]:

فإن أتى حَظُّها[١١] بأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

وقوله[١٢]:

حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتُ غُرَّةِ ذا في المَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهمْ أَمَلُ

فهذا صالح، وقوله[١٣]:

فبَعْدَهُ وَإِلَى ذا الْيَوْمِ لَو رَكَضَتْ بالخيْل في لهَوَاتِ الطِّفْلِ ما سَعَلا[١٤]

---

(١) ديوانه (٤: ٢٨٩).

(٢) أبو المسك: كنية كافور، وتاق يتوق توقا، إذا نازعه الحنين إلى الوطن وغيره. يخاطبه ويناديه: يا أبا الحسن، هذا الذي كنت أشتاق إليه وأحن، وهذا الوقت الذي كنت أرجو لقاءه وأتمناه.

(٣) ديوانه (٢: ٤٨).

(٤) في الأصلين: «قائل».

(٥) ديوانه (٢: ٦٧).

(٦) ديوانه (١: ٦٨).

(٧) النقد: خلاف النسيئة.

(٨) ديوانه (٣: ١٠).

(٩) الناعون: جمع ناع، وأصله رفع الصوت. و«طرا»: نصب على الحال، والبيت من قصيدة في رثاء أم سيف الدولة.

(١٠) ديوانه (٤: ٢٧٨).

(١١) الضمير يعود على همم في البيت الذي قبله، وهو:

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

(١٢) ديوانه (٣: ٣١١).

(١٣) ديوانه (١: ١٤٢).

(١٤) الفاء واقعة في جواب أما فيما قبل.

فهو ـ كما تراه ـ سخافةً وضعفاً، ولو تصفّحت شعره لوجدت فيه أضعافَ ما ذكره من هذه الإشارة؛ وأنت لا تجدُ منها في عدّة دواوين جاهليةٍ حَرْفاً، والمحدَثون أكثر استعانة بها، لكن في الفَرْط والنَّدْرة، أو على سبيل الغَلط والفَلتة.

التعقيد في شعره

وقلت: احتملنا له ما قدّمناه على ما فيه من فُنون المَعايب، وأصناف القبائح؛ كيف يُحْتمل له اللفظُ المعقّد، والترتيب المتعسِّف لغير معنى بديع يفي شرفُه وغرابتُه بالتعب في استخراجه، وتقوم فائدةُ الانتفاع بإزاء التأذي باستماعه، كقوله[1]:

وَفَاؤُكُما كالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهْ ... بأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ[2]

ومَنْ يَرى هذه الألفاظَ الهائلة، والتعقيد المُفْرِط، فيشك أن وراءَها كنزاً من الحكمة، وأنَّ في طيِّها الغنيمةَ الباردة؛ حتى إذا فتّشها، وكشف عن سترها، وسَهِر ليالي متواليةً فيها حصل على أن «وفاءكما يا عاذليّ بأن تُسْعِداني إذا درس شَجاي، وكلما ازداد تَدَارُساً ازددت له شجْواً؛ كما أن الربع أشجاه دارسُه».

فما هذا من المعاني التي يضيع لها حلاوةَ اللفظ، وبهاءَ الطبع، ورونق الاستهلال، ويشحّ عليها حتى يُهَلْهِل لأجلها النّسج، ويُفْسِد النظم، وَيَفْصِل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه، ويقدّم ويؤخّر، ويعمّي ويعوّص!

ولو احتمل الوزن ترتيبَ الكلام على صحته فقيل: «وفاؤكما بأن تُسْعِدا أشجاه[3] طاسِمُه كالربع»، أو «وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه»، لظهَر هذا المعنى المضْنون به، المتنافَس فيه؛ فأما قولُه: «والدمعُ أشفاه ساجمُه» فخطاب مستأنَف، وفصلٌ منقَطِع عن الأول، وكأنه قال: «وفاؤكما والربع أشجاه ما طسَم، والدمع أشفاه ما سجَم».

وكذلك قوله[4]:

أَحَادٌ أم سُدَاسٌ في أُحَادِ ... لُيَيْلَتُنا المَنُوطةُ بالتَّنَادِ[5]

---

(١) ديوانه (٣: ٣٢٥).
(٢) الطاسم: الدارس، والساجم: السائل.
(٣) هذه الجملة خبر: وفاؤكما.
(٤) ديوانه (١: ٣٥٣).
(٥) الليلة: تصغير ليلة، والمنوطة: المعلقة، والتنادي: كناية عن القيامة. يقول: إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة، فهي لطولها بمنزلة ليالي الدهر كلها؛ إلا أن كل واحدة من تلك الليالي طويلة أيضاً؛ حتى كأنها ست ليال في ليلة.

تعرّض فيه لوجوهٍ من الطعن: منها قوله: «سُدَاس»، وقد زعموا أنها غيرُ مَرْوِيَّة عن العرب، وإنما رُوي أُحَاد وثُناء وثُلاث ورُباع وعُشَار، وهذه معدولات لا يُتجاوز بها السماعُ، ولا يسوغُ فيها القياس.

ومنها أنه أقام أُحادا وسُدَاسا مقام واحد وستة؛ والعربُ إنما عَدلوا به عن واحد واحد، واثنين اثنين، ولذلك لا يقولون للاثنين والثلاثة. هذا ثُناء وهذا ثُلَاث؛ وإنما يقولون: جاء القوم أُحاد ومَثْنَى وثُلَاث: أي واحداً واحداً، واثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة؛ وبذلك نطق القرآنُ، قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦]. أي اثنين اثنين، وقال تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]، أي اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً.

ومنها أنه صغّر الليلة، ثم وصفها بالطُّول، ووصلها بالتَّنادِ، حتى احتاج إلى إطالةِ الاعتذار إلى التناوُل والاستشهاد. وأنت إذا امتحنْتَ الذي عَزاه لم تجد أكثرَ من «أوَاحِدةٌ ليلتُنا هذه أم ستُّ ليالٍ في واحدة» وهل يساوي ذلك ـ وإن عُرِض سَمْحاً مطاوعاً ووُجد سهلاً مُواتياً ـ أن يُفتتح به قصيدة، أو تُعْقَد عليه قافية!

وما باله خصّ سُدَاساً، وعُشَارٌ أكثر إن أراد التكثير! واجتماع عشر ليالٍ أطول من اجتماع ست. فإن ادَّعى مُدَّعٍ أنه أراد استيفاء ليالي الأسبوع، فجمعها في الستّ والواحدة، فكملت سبْعاً استدلّ النابهُ على ضعف بصره بالحساب؛ لأن الستَّ في الواحدة ستٌّ، فأينَ السابعة؟ ولِمَ اقتصر على الأسبوع وهو يريدُ المبالغة في الطول؟ وهلا بلغ أقصى ما يحتمِله الوزن وأكثر ما يُمْكِنه النظم!

فإن توسّعتَ في الدعاوى فضلَ توسّع، ومِلْتَ مع الحَيْفِ بعض الميل حتى تناولتَ طائِفةً من المختار، فجعلتَه في المنفيّ، وأخَذْتَ صدْراً من الجيد فجعلته مع الرديء ـ ولسنا نُنَازِعك في هذا الباب ـ فهو باب يضيق مجالُ الحجةِ فيه، ويصعبُ وصول البرهان إليه. وإنما مدارُه على استشهاد القرائح الصافية، والطبائع السليمة، التي طالت مُمارستُها للشعر، فحَذَقَتْ نَقْدَه، وأثبتت عياره، وقَوِيَت على تمييزه، وعرفت خلاصه، وإنما نُقابل دعواك بإنكار خَصْمك، ونُعارض حُجَّتك بإلزام مخالفك إذا صِرْنا إلى ما جعلتَه من باب الغَلط واللَّحْنِ، ونسبتَه إلى الإحالة والمناقضة، فأمّا، وأنت تقول: هذا غَثٌّ مستَبْرَد، وهذا متكلّف متعسّف، فإنما تخبِر عن نُبُوِّ النفس عنه، وقلَّةِ ارتياح القلبِ إليه.

الحكم على الشعر

والشعر لا يحبَّبُ إلى النفوس بالنظر والمحاجّة، ولا يحلّى في الصدور بالجِدَال والمُقايسة؛ وإنما يعطِفُها عليه القبولُ والطّلَاوَة، ويقرّبُه منها الرونقُ والحلاوة؛ وقد يكون

الشيءُ مُتْقَناً مُحْكماً، ولا يكونُ حُلْواً مقبولاً، ويكون جيّداً وثيقاً، وإن لم يكن لطيفاً رشيقاً.

وقد يجِدُ الصورةَ الحسنة والخِلقة التَّامةَ مقلية ممقوتةً، وأخرى دونها مُسْتَحْلَاةً مَوْموقة؛ ولكلِّ صناعة أهلٌ يُرْجع إليهم في خصائصها، ويُسْتَظْهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها.

وما أُنْكرُ أن يكونَ كثير مما عددتُه من هذه الأبيات ساقطةً عن الاختيار، غيرَ لاحقة بالإحسان، وأنّ منها ما غلَب عليه الضعفُ، ومنها ما أثِر فيه التعسُّف؛ ومنها ما خانه السَّبْك؛ فساء ترتيبهُ، وأخلّ نظمه. ومنها ما حمل عليه التعمّق؛ فخرج به إلى الغَثَاثة والبَرْد، وإن كان أكثرُها لم يأتِ من قِبَل المعنى وشَرَفه، وكنا نجد لكل واحد منها مثالاً يحسّنه، وشبيهاً يعضده ويسدده. ولكن الذي أُطالبك به وأُلزمك إياه ألّا تستعجلَ بالسيئة قبل الحسنة، ولا تقدّمَ السُّخْط على الرحمة، وإن فعلتَ فلا تُهْمِل الإنصاف جملة، وتخرج عن العَدْل صِفْراً؛ فإن الأديبَ الفاضل لا يستحسن أن يعقد بالعثرة على الذنب اليسير من لا يحمد منه الإحسان الكثير؛ وليس من شرائط النَّصفَة أن تنعي على أبي الطيّب بيتاً شذّ، وكلمةً نَدَرت، وقصيدةً لم يُسْعِده فيها طَبعُه؛ ولفظةً قصرت عنها عنايته، وتَنْسَى محاسِنَه، وقد ملأت الأسْمَاع، وروائِعَه وقد بهرت. ولا من العدل أن تُؤَخّره الهَفْوَةُ المنفردة، ولا تقدمه الفضائِلُ المجتمعة، وأن تحطه الزلةُ العابرة ولا تنفعه المناقبُ الباهرة.

وكيف أسقطته عن طبقات الفحول وأخرجتَه من ديوان المحسنين لهذه الأبيات التي أنكرتَها، ولم تسلّم له قصب السَّبْقِ ونصال النضال، وتُعَنْون باسمه صحيفة الاختيار لقوله(١):

هُوَ الجدُّ(٢) حتى تَفْضُلَ العيْنُ أُخْتَها ... وحَتى يكونَ(٣) الْيَوْمُ لِليوَم سَيِّدَا(٤)

وما قَتَلَ الأحْرارَ كالْعَفْوِ عَنْهُمُ ... ومَنْ لَكَ بالحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا!

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا(٥)

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنّي بِكَبْتِهِمْ(٦) ... فَأَنْتَ الَّذِي صيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا

---

(١) ديوانه (١ : ٢٨٦)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويهنئه فيها بعيد الأضحى.

(٢) الجد: الحظ.

(٣) في الديوان: «يصير».

(٤) يقول: الحظ يفرق بين الشيء وما يساويه، فيجعل لأحدهما مزية على الآخر؛ حتى لقد يقع التفاضل بين العين وأختها.

(٥) أنت في الشطرين فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور، والبيت تأكيد لما قبله.

(٦) الكبت: الصرف والإذلال.

وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ[1] حَمَلْتَهُ فَزَيَّنَ مَعْرُوضاً وَرَاعَ مُسَدَّدَا
أَجِزْنِي إذا أُنْشِدْتَ شِعْراً فإنَّما بِشِعْرِي أَتَاكَ المادِحُونَ مُرَدَّدَا
ودَعْ كلَّ صَوْتٍ دونَ صَوْتِي فإنَّني أنا الصائِحُ المَحْكِيُّ والآخرُ الصَّدَى[2]
تركْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قلَّ مَالُهُ وأَنْعَلْتُ أفْرَاسِي بنُعْماكَ عَسْجَدَا[3]
وقَيَّدْتُ نَفْسي في ذَرَاكَ مَحَبَّةً ومَنْ وَجَدَ الإحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا
إِذَا سَأَلَ الإنسَانُ أيَّامَه الغِنَى وكُنتَ على بُعْدٍ جَعَلْتُكَ[4] مَوْعِدَا

وقوله[5]:

وأَطْمَعَ عَامِرَ البُقْيَا عَلَيْهِمْ ونَزَّقَهَا احْتِمَالُكَ والوَقَارُ[6]
وكانتْ[7] بالتَّوقُّف عن رَدَاهَا نُفُوساً في رَدَاها تُسْتَشَارُ
وكنتَ السَّيْفَ قائِمُهُ إِلَيها[8] وفي الأَعْدَاءِ حَدُّك والغِرَار[9]
وظلَّ الطَّعْنُ في الخَيْلَيْنِ خَلْساً كأنَّ المَوْتَ بَيْنَهُمُ[10] اخْتِصَارُ[11]
مَضَوْا مُتَسَابِقي الأعضَاء فيه لأَرْؤُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِثَارُ
إذا صرَفَ النَّهارُ الضَّوْءَ عنهم دَجَا لَيْلَانِ: لَيْلٌ والغُبارُ
وإنْ جُنْحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عنهمْ أضَاءَ المَشْرَفِيَّةُ[12] والنَّهَارُ
إذا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاوَلَتْهُمْ بأَرْمَاحٍ من العطَشِ القِفَارُ
يَرَوْنَ المَوْتَ قُدَّاماً وخَلْفاً فيَخْتَارُونَ والمَوْتُ اضْطِرارُ

---

(١) السمهري: الرمح؛ منسوب إلى سمهر؛ اسم رجل كان يقوّم الرماح، وفي الأصلين «السمهري»، وهذه رواية الديوان.
(٢) الصدى: الصوت الذي يسمع من بعيد كأنه يحكي قولك أو صياحك.
(٣) السرى: مشي الليل. والعسجد: الذهب. يقول: استغنيت عن السرى بوصولي إليك، فتركته خلفي لمن أحوجه الفقر إليه، وأثريت بنعمتك؛ حتى لو شئت أنعلت أفراسي بالذهب.
(٤) في رواية: «جعلنك».
(٥) ديوانه (٢: ١٠١)، من قصيدة يصف إيقاع سيف الدولة بالقبائل العربية.
(٦) عامر: اسم قبيلة، ولذلك منعها من الصرف، وقال «عليهم»، وفي رواية: «عليها». ونزقها: حملها على النزق، والنزق: الخفة والطيش.
(٧) الضمير في «وكانت» يعود على الفرسان في بيت قبله.
(٨) في الديوان: «إليهم».
(٩) الغرار: الحد.
(١٠) في الديوان: «بينهما».
(١١) يريد أنهم ما زالوا يتخالسون الطعن، فيسرع إليهم الموت؛ فكأنهم يختصرون الآجال.
(١٢) جنح الليل: جانبه، والمشرفية: السيوف.

إذا سَلَكَ السَّمَاوَةَ[١] غَيْرُ هَادٍ ... فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ
فَمَنْ طَلَبَ الطِّعَانَ فَذَا عَلِيٌّ ... وخَيْلُ اللّهِ والأَسَلُ الحِرَارُ[٢]
يَرَاهُ النَّاسُ حيثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ ... بِأَرْضٍ مَا لِنَازِلِهَا اسْتِتَارُ
بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَّرْتَ فِيهِمْ ... يَدٌ لم يُدْمِهَا إلَّا السِّوَارُ
بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ ونَقْصٌ ... وفيهَا من جَلَالَتِهِ افْتِخَارُ
لَهُمْ حَقٌّ بِشِرْكِكَ في نِزَارٍ ... وأَدْنَى الشِّرْكِ في نَسَبٍ جِوَارُ
لَعَلَّ بَنِيهُمُ لِبَنِيكَ جُنْدٌ ... فأَوَّلُ قُرَّحٍ[٣] الخَيْلِ المِهَارُ

وقوله[٤]:

نَزَلُوا في مَصَارِعٍ عَرَفُوهَا ... يَنْدُبُونَ الأعمامَ والأَخْوالَا
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهمْ شَعَرَ الْهَا ... مِ وتُذْرِي[٥] عليهِمُ الأَوْصَالَا
تُنْذِرُ الجِسمَ أنْ يُقِيمَ لَدَيْهَا ... وتُرِيهِ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثَالَا
أَبْصَرُوا الطَّعْنَ في القُلُوبِ دِرَاكاً ... قَبْلَ أنْ يُبْصِرُوا الرِّمَاحَ خَيَالَا[٦]
يَنْفُضُ الرَّوْعُ أَيْدِياً لَيْسَ تَدْرِي ... أَسُيُوفاً حَمَلْنَ أَمْ أَغْلَالَا[٧]
وإذا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ ... طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ والنِّزَالَا[٨]
إنّ دونَ الَّتِي على الدَّرْبِ وَالأَحْـ ... ـدَبِ والنَّهْرِ مِخْلَطاً مِزْيالَا[٩]
غَصَبَ الدَّهْرَ والمُلُوكَ عَلَيْها ... وَبَنَاهَا في وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَالَا
إنما أَنْفُسُ الأَنِيسِ سِبَاعٌ ... يَتَفَارَسْنَ جَهْرَةً واغْتِيَالَا[١٠]
مَنْ أطاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلَاباً ... واغْتِصَاباً لم يَلْتَمِسْهُ سُؤَالَا[١١]

---

(١) السماوة: بادية بين الكوفة والشام.
(٢) الحرار: العطاش. الأسل: الرماح.
(٣) القرح من الخيل: جمع قارح، وهو الذي استكمل سنه.
(٤) ديوانه (٣: ١٤٠)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر نهوضه لغزو الروم.
(٥) الهام: الرؤوس، وتذري: تنثر وتفرق. ويريد بالأوصال: الأعضاء.
(٦) الدراك: التتابع، وخيالا: متخيلاً.
(٧) الروع: الخوف والفزع. والأغلال: جمع غل، وهو رباط تشد به اليد إلى العنق.
(٨) قال العكبري: وهذا من قول الحكيم «الجبن ذلة كامنة في نفس الجبان؛ فإذا خلا بنفسه أظهر شجاعتها».
(٩) الدرب: المدخل من أرض العدو. والأحدب: جبل. والنهر: موضع. وفلان مخلط مزيال: موصوف بالشجاعة وجودة الرأي، أي كثير المخالطة للأمور ثم يزايلها، أو مزيال عن أطراف بلاده.
(١٠) الأنيس: جماعة الناس. والتفارس: التقاتل. والاغتيال: القتل بالخديعة.
(١١) الغلاب: الغلبة. والاغتصاب: الأخذ بالقهر.

وقوله[١]:

قَادَ الجِيَادَ[٢] إلى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ ... إلّا إلى العاداتِ والأَوْطَانِ
إنْ خُلِّيَتْ رُبِطَتْ بآدابِ الوَغَى ... فدعاؤُها يُغْنِي عن الأَرْسَانِ[٣]
في جَحْفَلٍ[٤] سَتَرَ العُيونَ غُبَارُهُ ... فكأنَّما يُبْصِرْنَ بالآذانِ
يرْمي بها البلدَ البعيدَ مُظَفَّرٌ ... كلُّ البعيدِ لهُ قريبٌ دَانِ
حتى عَبَرْنَ بأَرْسَنَاسَ[٥] سَوَابِحاً ... يَنْشُرْنَ فيه عَمَائِمَ الفُرْسَانِ
يَقْمُصْنَ في مثلِ المُدَى مِن بارِدٍ ... يَذَرُ الفُحُولَ وَهُنَّ كالخِصْيانِ[٦]
بَحْرٌ تَعَوَّدَ أَوْ يُذِمُّ لأَهْلِهِ ... مِنْ دَهْرِه وطَوارِقِ الحِدْثَانِ[٧]
فتركْتَهُ وإذَا أَذَمَّ مِنَ الوَرَى ... رَاعاكَ وَاسْتَثْنَى بَني حَمْدَانِ[٨]
نظَرُوا إلى زُبَرِ الحديد كأنما ... يَصْعَدْنَ بين مَنَاكِبِ العِقْبَانِ[٩]
وَفَوَارِسٍ يُحْيي[١٠] الحِمامُ نفُوسَها ... فكأنها ليست منَ الحيوانِ
ما زِلْتَ تَضرِبُهُمْ دِرَاكاً في الذُّرَى ... ضَرْباً كَأَنَّ السَّيْفَ فيه اثْنَانِ[١١]
خَصَّ الجماجِمَ وَالوُجُوهَ كأنَّما ... جاءتْ إلَيْكَ جُسُومُهُمْ بأَمَانِ[١٢]

وقوله[١٣]:

لَوْ كَلَّتِ الخيلُ حتى لا تَحَمَّلُهُ ... تَحَمَّلَتْهُ إلى أَعْدَائِهِ الهِمَمُ[١٤]

---

(١) ديوانه (٤: ١٧٦).
(٢) الجياد: جمع جواد على غير قياس.
(٣) الوغى: من أسماء الحرب. والأرسان: جمع رسن، وهو ما يكون في رأس الدابة.
(٤) الجحفل: الجيش العظيم.
(٥) أرسناس: نهر بالشام بارد الماء جداً، يسيل من ذوب الثلج.
(٦) يقمصن: يثبن لشدة برده. والمدى: جمع مدية، وهي السكين. والخصيان: جمع خصي من الخيل.
(٧) الذمام: العهد. والحدثان: حوادث الدهر.
(٨) أذم: أجار، وبنو حمدان: قبائل سيف الدولة.
(٩) زبر الحديد: قطعه. والعقبان: جمع عقاب، وهو من سباع الطير.
(١٠) في الأصلين: «يحمي». والحمام: الموت.
(١١) الدراك: التتابع: وذرى الشيء: أعلاه.
(١٢) الجماجم: جمع جمجمة، وهي أعلى الرأس. يريد أن الضرب لا يقع إلا في وجه أو رأس ولا يتعرض لسائر الجسد.
(١٣) ديوانه (٤: ١٦).
(١٤) كلت: ضعفت. والهمم: جمع همة، وهي العزيمة.

سُحُبٌ تَمُرُّ بِحِصْنِ الرَّانِ مُمْسِكَةً ... وما بها الْبُخْلُ لَوْلا أَنَّها نِقَمُ[١]
وَشُزَّبٍ أَحْمَتِ الشِّعْرَى شَكائِمَها ... وَوَسَّمَتْها عَلَى آنافِها الْحَكَمُ[٢]
تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ ... مَكامِنُ الأرض والْغيطانُ والأَكَمُ[٣]
وما يَصُدُّكَ عَنْ بَحرٍ لَهمْ سَعَةٌ ... وما يَرُدُّكَ عَن طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ[٤]
ضَرَبْتَهُ[٥] بِصُدورِ الخيْلِ حَامِلَةً ... قَوْماً إِذَا تَلِفُوا قُدْماً فَقَدْ سَلِمُوا

وفيها:

هِنْدِيَّةٌ[٦] إِنْ تُصَغِّرْ مَعْشَراً صَغُرُوا ... بِحَدِّها أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَراً عَظُمُوا
قاسَمْتَها تَلَّ بِطْرِيقٍ[٧] فَكان لها ... أَبْطَالُها ولكَ الأَطْفَالُ والحُرَم
وقد تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرْبِ في لَجَبٍ ... أَنْ يُبصِرُوك فَلَمَّا أَبصرَوكَ عَمُوا[٨]
فكان أَثْبَتَ ما فيهمْ جُسُومُهُمُ ... يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ[٩]
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرْباتُ صَاعِدَةً ... تَوَافَقَتْ قُلَلٌ في الجوِّ تَصْطَدِمُ[١٠]
لا يَأْمَلُ النَّفَسَ الأَقْصَى لمُهْجَتِهِ ... فَيَسْرِقُ النَّفَسَ الأَدْنى وَيَغْتَنِمُ
أَلْقَتْ إِلَيْكَ دِماءُ الرُّومِ طاعَتَها ... فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمُ
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فيهمْ كلَّ حَادِثَةٍ ... فَما يُصِيبُهُمْ مَوْتٌ وَلَا هَرَمُ
أَلْهَى المَمالِكَ عن فَخْرٍ قَفَلْتَ بِهِ ... شُرْبُ المُدَامَةِ وَالأَوْتَارُ والنَّغَمُ
مُقَلَّداً فَوْقَ شُكْرِ اللَّه ذَا شُطَبٍ[١١] ... لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى منهما النِّعَمُ

وقوله[١٢]:

يا أَعْدَلَ النَّاسِ إلا في مُعامَلَتِي ... فيك الْخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

---

(١) حصن الران: موضع من بلاد سيف الدولة. والنقم: جمع نقمة، كنعم جمع نعمة.
(٢) الشزب: جمع شازب؛ وهي الفرس الضامر. الشعرى: نجم يطلع في الصيف ويكون فيه شدة الحر. الشكائم: جمع شكيمة، وهي رأس اللجام، والحكم: جمع حكمة، وهي ما على أنف الفرس.
(٣) الشفرات: جمع شفرة، وهي حد السيف. والباترات: القاطعات. ومكامن الأرض: الخفيات منها. والغيطان: جمع غائط، وهو المطمئن من الأرض.
(٤) الطود: الجبل، والشمم: العلو.
(٥) في الأصلين «ضربتهم»، والضمير في ضربته للنهر، وهو أرسناس السابق.
(٦) هندية: منسوبة إلى الهند. (٧) تل بطريق: بلد.
(٨) الدرب: موضع. واللجب: اختلاف الأصوات.
(٩) يقول: كانت جسومهم الثابتة ساقطة بين يديك وأرواحهم منهزمة.
(١٠) يريد أنهم لا يضربون ضربة إلا قطعوا بها رأساً، فالرؤوس المقطوعة على قدر الضربات.
(١١) ذا شطب: سيفاً فيه طرائق، والضمير في «منهما» للشكر والسيف.
(١٢) ديوانه (٣: ٣٦٦)؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويعاتبه.

إِذَا رَأَيتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً ... فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتي مِن هَمِّ صَاحِبِها ... أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ[1]
رِجْلاهُ في الرَّكْضِ رِجْلٌ والْيَدَانِ يَدٌ ... وفِعْلُهُ ما تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ
يا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنا أَنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدَانُنا كلَّ شيءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ[2]
ما كان أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ... لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ[3]
إِنْ كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حَاسِدُنا ... فَما لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ ... إِنَّ المَعَارِفَ في أهلِ النُّهَى ذِمَمُ[4]
ما أَبْعَدَ الْعَيْبَ والنُّقْصَانَ مِنْ شِيَمِي[5] ... أنا الثُّرَيَّا وذَانِ الشَّيْبُ وَالهَرَمُ
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ ... يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ[6]
شَرُّ الْبِلَادِ مَكانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ ... وَشَرُّ ما يَكْسِبُ الإِنْسَانُ مَا يَصِمُ[7]
وشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ... شُهْبُ الْبُزَاةِ سواءٌ فيه والرَّخَمُ[8]

ويقول[9]:

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ ... والدَّهْرُ لَفْظٌ وأنتَ معناهُ
وَالْجُودُ عَيْنٌ وأَنت نَاظِرُهَا ... وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ
تُنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ ... بِأَلْسُنٍ مَا لَهُنَّ أَفْوَاهُ
إِذَا مَرَرْنَا علَى الأَصَمِّ بِهَا ... أَغْنَتْهُ عن مِسْمَعَيْهِ عَيْنَاهُ
يَا رَاحِلاً كُلُّ مَنْ يُوَدِّعُهُ ... مُوَدِّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِن كَرَمٍ ... فِيكَ مَزِيدٌ، فَزَادَكَ اللَّهُ

(١) المهجة: الروح. والهم: ما اهتممت به. والجواد: الفرس الكريم. والحرم: ما لا يحل انتهاكه.
(٢) أي إذا فارقناكم ووجدنا كل شيء، فوجدانه والعدم سواء لأنه لا يغني غناءكم أحد.
(٣) أخلقنا: أحرانا. الأمم: القصد؛ يقول: ما كان أحراناً ببركم لو كان أمركم في الاعتقاد لنا مثل أمرنا في الاعتقاد بكم.
(٤) النهى: العقول. الذمم: العهود.
(٥) في الديوان: «من شرفي».
(٦) الديم: الأمطار.
(٧) يصم: يعيب.
(٨) الرخم: جمع رخمة، وهي طائر يشبه النسر في الخلقة. والشهب: جمع أشهب، وهو ما فيه بياض يخالطه سواد، والبزاة جمع باز؛ وهو من جوارح الطير.
(٩) ديوانه (٤: ٢٦٣). من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر، ويودعه حين سفره.

وقوله[١]:

وَفَارِسُ الخيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا ... في الدَّرْبِ والدَّمُ فِي أَعْطَافِهَا دُفَعُ[٢]
فَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ ... وَأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ[٣]
قادَ المَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ ... على الشَّكِيم وَأَدْنَى سَيْرِهَا سَرَعُ[٤]
لَا يَعْتَقِي[٥] بَلَدٌ مَسْرَاهُ عن بَلَدٍ ... كالمَوْتِ لَيس له رِيٌّ ولا شِبَعُ
يُطَمِّعُ الطَّيْرَ فيهمْ طولُ أَكْلِهِم ... حتى تَكادَ على أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ
ذَمَّ الدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْهِ وقَدْ طَلَعَتْ ... سُودُ الْغَمَامِ فظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ[٦]
فيها الْكُمَاةُ التي مَفْطُومُها رَجُلٌ ... على الْجِيادِ التي حَوْلِيُّهَا جَذَعُ[٧]
كأنها تَتَلَقَّاهُمْ لِتَسْلُكَهمْ ... فالطَّعْنُ يَفْتَحُ فِي الأَجْوَافِ ما تَسَعُ
إذا دَعا الْعِلْجُ عِلْجاً حالَ بَيْنَهُما ... أَظْمَى[٨] تُفَارِقُ منهُ أُخْتَها الضِّلَعُ
لا تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كان ذَا رَمَقٍ ... فليس يأكلُ إلا المَيْتَةَ الضَّبُعُ
وإنما عرَّضَ اللَّهُ الجُنُودَ بِكُمْ ... لِكي يكُونُوا بلا فَسْلٍ[٩] إذَا رَجَعُوا
وهل يَشِينُكَ وَقْتٌ أَنْتَ فارِسُهُ ... وكان غيرُك فيه الْعاجِزُ الضَّرَعُ[١٠]
مَن كان فوقَ مَحَلِّ الشمْسِ مَوْضِعُهُ ... فليس يَرفعُه شيءٌ ولا يَضَعُ
لا يُسْلِمُ الكَرُّ في الأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ ... إن كان أَسْلَمَها الأصحابُ والشِّيَعُ[١١]
وما حَمِدْتُكَ في هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ ... حتى بَلَوْتُكَ والأَبْطالُ تَمْتَصِعُ[١٢]

---

(١) ديوانه (٢: ٢٢٣)، من قصيدة، أنشدها سيف الدولة، وقد عاد منهزماً من غزو الروم.
(٢) خفت: أسرعت في الهزيمة. وقرها: ثبتها. والدرب: المضيق. وأعطافها: جوانبها. والدفعة من الشيء: ما انصب منه بمرة.
(٣) أوحدته: تركته وحيداً. والقذع: الفحش.
(٤) المقانب: جمع مقنب، وهو زهاء الثلاثمائة من الخيل، والنهل: الشرب أول مرة.
(٥) يعتقي: يعوق.
(٦) الدمستق: صاحب جيش الروم، والقزع: المتفرق من السحاب.
(٧) الضمير يعود على «سود الغمام» في البيت قبله. الجذع: الذي أتى عليه حولان، والحولي: الذي أتى عليه حول.
(٨) العلج: الرجل من كفار العجم. والأظمى: الرمح.
(٩) الفسل: الدنيء العاجز من الرجال.
(١٠) يشينك: يعيبك. الضرع: الضعيف.
(١١) أسلمه: خذله. والكر: الرجوع مرة بعد أخرى. والأعقاب: جمع عقب، وهو مؤخر كل شيء. والشيع: الأتباع.
(١٢) تمتصع: تذهب في الأرض هاربة. يقول: لم أحمدك في مواقف الهول إلا بعد أن اختبرتك، وعرفت ثباتك.

فقد يُظَنُّ شُجاعاً مَنْ به خَرَقٌ ... وقد يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ به زَمَعُ[(١)]

وقوله[(٢)]:

خَلِيلَيَّ إنّي لا أرَى غيرَ شاعِرٍ ... فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى ومِنِّي القَصَائِدُ

فلا تَعْجَبَا إنَّ السُّيُوفَ كثِيرةٌ ... ولكِنَّ سَيفَ الدَّوْلةِ اليومَ وَاحِدُ

لَهُ من كريم الطَّبع في الحَرْبِ مُنْتَضٍ ... ومنْ عادةِ الإحسانِ والصَّفْحِ غَامِدُ[(٣)]

ولمَّا رأَيْتُ الناسَ دُونَ مَحَلِّه ... تيَقَّنتُ أنَّ الدَّهرَ للناسِ نَاقِدُ

ومِنْ شَرَفِ الإقْدَامِ أنَّكَ فِيهِمُ ... على القَتْلِ مَوْمُوقٌ كأنَّك شَاكِدُ[(٤)]

وأَنَّ دَماً أجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ ... وأنَّ فُؤَاداً رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ

وكلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعَةِ والنَّدَى ... ولَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ

نَهَبْتَ مِنَ الأعمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ ... لهُنِّئَتِ الدُّنيَا بأنَّكَ خالِدُ

وقوله ـ يرثي عبداً لسيف الدولة[(٥)]:

ومَنْ سَرَّ أَهْلَ الأرْضِ ثم بكَى أسًى ... بكَى بعُيُونٍ سَرَّهَا وقُلُوبِ

سُبِقْنَا إلَى الدُّنْيَا فلو عَاشَ أهْلُهَا ... مُنِعْنَا بِهَا من جَيْئَةٍ وذُهُوبِ

وأوْفَى حَيَاةِ الغَابِرينَ لِصَاحِبٍ ... حَيَاةُ امْرِئٍ خَانَتْه بَعْدَ مَشِيبِ

وفيها:

فإنْ يَكُنِ العِلْقَ النَّفيسَ فَقَدتَهُ ... فمِنْ كَفِّ مِتْلافٍ أغَرَّ وَهُوبِ

كأنَّ الرَّدَى عادٍ على كلِّ مَاجِدٍ ... إذَا لم يُعَوِّذْ مَجْدَهُ بعُيُوبِ

ولَوْلا أيَادِي الدَّهْرِ في الجَمْعِ بَيْنَنَا ... غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ

تَسَلَّ بِفِكْرٍ في أَبَيْكَ فإنَّمَا ... بَكَيْتَ وكانَ الضَّحْكُ بَعْدَ قَرِيبِ

وقوله[(٦)]:

نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ[(٧)] نَمْشِي كَرَامَةً ... لِمَنْ بَانَ عَنهُ أنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا

(١) الزمع: رعدة تعتري الشجاع من الغضب.

(٢) ديوانه (١ : ٢٧١)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة؛ وقد أراد الذهاب إلى خرشنة، فعاقه الثلج.

(٣) انتضى السيف: جرده، يريد أنه سيف يجرده كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة، ويغمده ما تعوده من الإحسان والصفح.

(٤) الشاكد: المعطي.

(٥) ديوانه (١ : ٤٩).

(٦) ديوانه (١ : ٥٦)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش.

(٧) الأكوار: جمع كور؛ وهو رحل الناقة.

نَذُمُّ السَّحَابَ الغُرَّ في فِعْلِهَا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنهَا كلَّمَا طَلَعتْ عَتْبَا
ومَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَويلاً تَقَلَّبتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَها كِذْبَا
ذَكرتُ بِهِ وَصْلاً كأنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ وعَيْشاً كأني كنْتُ أَقْطَعُهُ نَهْبَا[١]

وقوله فيها:

مَضَى بَعْدَ ما الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ سَاعةً كما يَتَلَقَّى الهُدْبُ في الرَّقْدَةِ الهُدْبَا[٢]
ولَكنَّهُ وَلَّى ولِلطَّعْنِ سَوْرَةٌ إذَا ذَكَرتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الجَنْبَا
أَرَى كلَّنَا يَبْغِي الْحَيَاةَ بِسَعْيِهِ[٣] حَرِيصاً عليها مُسْتَهَاماً بها صَبَّا
فحبُّ الجَبَانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى وحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ[٤] أَوْرَدَهُ الحَرْبَا
ويَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ والفِعْلُ واحِدٌ إلى أنْ يُرى إحْسَانُ هَذَا لِذا ذَنْبَا

وفيها:

ولم تَفْتَرِقْ عنه الأسِنَّةُ رَحْمَةً ولم يَتْرُكِ الشَّامَ الأعَادِي لهُ حُبَّا
ولَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمةٍ كَرِيمُ الثنا ما سُبَّ قطُّ ولا سَبَّا
وجَيْشٌ يُثَنِّي كلَّ طَوْدٍ كأنَّهُ خَرِيقُ[٥] رِيَاحٍ وَاجَهَتْ غُصُناً رَطْبَا
كأنَّ نُجُومَ اللَّيلِ خَافتْ مُغَارَهُ[٦] فَمَدَّتْ عليهِ من عَجَاجَتِهِ حُجْبَا

ويقول ـ يذكر رسول صاحب الروم[٧]:

رَأَى مَلِكُ الرُّومِ ارْتِيَاحَكَ للنَّدَى فقَامَ مَقَامَ المُجْتَدِي المُتَمَلِّقِ
وخَلَّى الرِّماحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِراً لأدْرَبَ مِنْهُ بالطِّعَانِ وأَحْذَقِ[٨]
وَكَاتَبَ من أرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُها قَرِيبٍ على خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ
وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ منها رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إلا فوقَ هامٍ مُفَلَّقِ
وكُنْتَ إذا كاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إليهِ في قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ[٩]

---

(١) في الديوان: «وثبا».
(٢) أراد بقوله «الرماحان» رماح الفريقين. والهدب: شعر الجفن. أي انهزم بعد ما اشتبكت الرماح ساعة، واختلط بعضها ببعض، كما تختلط الأهداب العليا والسفلى عند النوم.
(٣) في الديوان: «لسعيه». (٤) في الأصلين: «الحرب».
(٥) الخريق: الريح الشديدة. (٦) مغاره: إغارته. واللجاجة: الغبار.
(٧) ديوانه (٢: ٣١١).
(٨) السمهرية: الرماح المنسوبة إلى سمهر؛ وهو رجل كان يقوّم الرماح. والصاغر: الذليل. وأدرب، من الدربة، وهي العادة والجرأة على الأمر.
(٩) القذال: مؤخر الرأس.

وهَلْ تَركَ البِيضُ الصَّوارِمُ مِنهُمُ حَبيساً[١] لِفَادٍ أوْ رفِيقاً لِمُعْتِقِ

وقوله[٢]:

فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكانُوا الظَّلامَ وكُنْتَ النَّهَارَا

أشَدُّهُمُ فِي النَّدَى هِزَّةً وأبْعَدُهُمْ فِي عُدُوٍّ مُغَارَا

سَمَا بِكَ هَمِّيَ فَوْقَ الهُمُومِ فَلَسْتُ أعُدُّ يَسَاراً يَسَارَا

ومَنْ كُنْتَ بَحْراً لَهُ يَا عَلِـ ـيّ لم يَقْبَلِ الدُّرَّ إلَّا كِبَارَا

وعِنْدِي لَكَ الشُّرَّدُ السَّائِرَا تُ لا يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأرْضِ دَارَا

وكُنَّ إذَا سِرْنَ مِنْ مِقْوَلِي[٣] وثَبْنَ الجِبَالَ وخُضْنَ البِحَارَا

وقوله[٤]:

وَرُعْنَ بِنَا قَلْبَ الفُرَاتِ كأنَّمَا تَخِرُّ عَلَيْهِ بالرِّجَالِ سُيُولُ

يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجَهُ كلُّ سَابِحٍ[٥] سَوَاءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ

تَرَاهُ كأنَّ المَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ وأقْبَلَ رَأْسٌ وَحْدَهُ وَتَلِيلُ[٦]

تَمَلُّ الحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا فتُلْقِي إلَيْنَا أهْلَهَا وتَزُولُ

وَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أنَّ كلَّ العَالَمِينَ فُضُولُ

فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمْ وشَيَّعَ فَلَّهُمْ[٧] بضَرْبٍ حُزُونُ الأرْضِ فِيه سُهُولُ[٨]

وإنَّا لَنَلْقَى الحَادِثَاتِ بِأنْفُسٍ كَثِيرُ الرَّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ

وفيها:

شَرِيكُ المَنَايَا والنُّفُوسُ غَنِيَةٌ فكلُّ مَمَاتٍ لم يُمِتْهُ غُلُولُ[٩]

---

(١) في الديوان: «أسيراً».

(٢) ديوانه (٢: ٩٦) من قصيدة أنشدها سيف الدولة، وقد استبطأ مدحه وأنكر ذلك.

(٣) رواية الديوان:

قوافٍ إذا سرن عن مقولي

ويروى أيضاً: «وهن إذا سرن».

(٤) ديوانه (٣: ١٠٢).

(٥) السابح: الفرس الذي يمد يديه عند الجري. وغمرة الماء: مجتمعه. والمسيل: مجرى ماء المطر.

(٦) التليل: العنق. (٧) الفل: المنهزم.

(٨) رواية الديوان:

بضرب حزون البيض فيه سهول

(٩) الغلول: ما أخذ من الغنائم قبل القسمة.

فَإِنْ تَكُنِ الدَّوْلَاتُ قِسماً فإنَّهَا لِمَنْ بَاشَرَ الْمَوْتَ الزُّؤَامَ تَدُولُ
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا على النَّفْسِ سَاعَةً ولِلْبِيض في هَامِ الكُمَاةِ صَلِيلُ

وقوله(١):

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ(٢) مَنْ يُرِيبُ وهَلْ تَرَقَّى إلى الفَلَكِ الخُطُوبُ!
يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا وقَدْ يُؤْذَى من المِقَةِ(٣) الحبيبُ
[وَكَيف تُعِلُّكَ الدُّنْيا بشيءٍ](٤) وأنت لِعلَّةِ الدنيا طَبيبُ!
وكيف تَنُوبُكَ الشَّكوى بداءٍ [وأنت المُسْتَغَاثُ لِمَا يَنُوبُ](٥)
مَلِلْتَ مُقَامَ يَوْمٍ ليس فيه طِعَانٌ صادِقٌ وَدَمٌ صَبِيبُ(٦)
وما بكَ غيرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وعِثْيَرُهَا لأرْجُلِهَا جَنِيبُ(٧)
مُجَلِّحَةً(٨) لها أرضُ الأعادِي ولِلسُّمْرِ المناحِرُ(٩) وَالْجُنُوبُ

وقوله(١٠):

المجْدُ عُوفيَ إذْ عُوفيتَ وَالْكَرَمُ وزال عنكَ إلى أعدائكَ الأَلَمُ
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَابْتَهَجَتْ بهَا المَكَارِمُ وانْهَلَّتْ بِهَا الدِّيَمُ(١١)
وَلَاحَ بَرْقُكَ لِي من عَارِضَيْ(١٢) مَلِكٍ ما يَسْقُطُ الْغَيْثُ إلا حَيْثُ يَبْتَسِمُ
وما أَخُصُّكَ في بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وقوله(١٣):

ما الدَّهْرُ عندكَ إلا رَوْضَةٌ أُنُفٌ(١٤) يَا مَنْ شَمَائِلُهُ في دَهْرِهِ زَهَرُ
ما ينتهي لك في أيامِهِ كَرَمٌ فلا انتهى لَكَ في أعْوَامِهِ عُمُرُ

---

(١) ديوانه (١: ٧٢).
(٢) أرابك: أفزعك، والذي أفزع سيف الدولة دمل شكا منه.
(٣) المقة: الحب.
(٤) زيادة من الديوان.
(٥) زيادة من الديوان.
(٦) دم صبيب: مصبوب.
(٧) الجنيب: المجنوب. والعثير: الغبار.
(٨) مجلحة: مصممة ماضية.
(٩) في الأصلين: المناحل. والمناحر: جمع منحر وهو موضع الذبح من الحلق.
(١٠) ديوانه (٣: ٣٧٥)، من قصيدة أنشدها يمدح سيف الدولة وقد عوفي من مرضه.
(١١) الديم: جمع ديمة، وهي السحابة.
(١٢) العارض: ما يلي الناب من داخل الفم.
(١٣) ديوانه (٢: ٩٧)، من قصيدة يهنئ بها سيف الدولة بعيد الفطر.
(١٤) روضة أنف: لم ترع.

فإنّ حَظّكَ مِنْ تَكْرَارِهَا[١] شَرَفٌ وَحظُّ غَيْرِكَ منهُ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ

وقوله يذكر رسول صاحب الروم[٢]:

وَأَنَّى اهْتَدَى هذا الرسولُ بأرْضِهِ وما سكَنَتْ مُذْ سِرْتَ فيها الْقَسَاطِلُ[٣]

ومِنْ أيِّ مَاءٍ كانَ يَسْقِي جِيادَهُ ولم تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ المَنَاهِلُ

أتاكَ يكادُ الرأسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقَدُّ تحتَ الذّرْعِ[٤] منه المفاصِلُ

فما بَلَّغَتْهُ ما أراد كَرَامَةً عَلَيْكَ ولكن لم يَخِبْ لَكَ سائلُ

وَأَكْبَرَ منهُ هِمَّةً بَعَثَتْ بِهِ إليك الْعِدَى وَاسْتَنْظَرَتْهُ الجحافلُ[٥]

فَأَقْبَلَ من أصحابه وهْوَ مُرْسَلٌ وعاد إلى أصحابه وهوَ عاذِلُ

إذا عَايَنَتْكَ الرُّسْلُ هَانَتْ نُفُوسُها عليها وما جاءتْ به والمَرَاسِلُ[٦]

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوالِدٌ ولو حارَبَتْهُ ناحَ فيها الثَّوَاكِلُ

وما كان أَدْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا وألْطَفَهَا لو أنَّهُ المُتَنَاوِلُ!

وقوله[٧]:

طَلَبْتَهُمُ على الأمْوَاهِ حتى تَخَوَّفَ أن تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

وتسألُ عنهمُ الْفَلَوَاتِ حتى أَجَابَكَ بعضُها وَهُمُ الجوابُ

إذا ما سِرْتَ في آثارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتِ الجماجِمُ والرِّقَابُ

ولو غيرُ الأميرِ غَزَا كِلاباً ثَنَاهُ عن شُمُوسِهِمُ ضَبَابُ

ولاقى دونَ ثَايِهِمُ[٨] طِعَاناً يُلاقي عِنده الذِّئْبَ الْغُرَابُ

وَخَيْلاً تَغْتَذِي رِيحَ المَوَامِي[٩] وَيَكْفِيها من الماءِ السَّرَابُ

ويقول[١٠]:

هَلِ الْحَدَثُ الْحَمْرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَها وتَعْلَمُ أيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ[١١]

---

(١) الضمير في تكرارها للأعوام. (٢) ديوانه (٣: ١١٢).

(٣) القساطل: جمع قسطل، وهو الغبار الذي تثيره الخيل بحوافرها.

(٤) في الديوان: «تحت الذعر».

(٥) الجحافل: جمع جحفل، وهو الجمع العظيم، واستنظرته: انتظرته.

(٦) نظر فيه إلى قول البحتري:

لحظوك أول لحظة فاستصغروا من كان يعظم عندهم ويبجل

(٧) ديوانه (١: ٧٦)، أنشدها سيف الدولة وقد أوقع ببني كلاب.

(٨) في الأصلين: «نأيهم». والثاي: جمع ثاية، وهي حجارة تجعل حول البيت يأوي إليها الراعي ليلاً؛ وهي مبارك الإبل ومرابض الغنم.

(٩) الموامي: جمع موماة، وهي المفازة. والسراب: الذي تراه نصف النهار كأنه ماء.

(١٠) ديوانه (٣: ٣٨٠).

(١١) الحدث: قلعة، وسميت حمراء لأنها بنيت بحجارة حمر، أو لكثرة ما جرى عندها من الدماء.

سَقَتْها الْغَمامُ الْغُرُّ قبلَ نُزُولِهِ فلما دَنا منها سَقَتْهَا الجماجِمُ
وكان بها مثلُ الْجُنُونِ فأصْبَحَتْ ومن جُثَثِ الْقَتْلَى عليها تمائِمُ[١]
طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَها فَرَدَدْتَها على الدِّينِ بالخَطِّيِّ والدَّهْرُ رَاغِمُ
تُفِيتُ اللَّيَالِي كلَّ شيْءٍ أَخَذْتَهُ وَهُنَّ لمَا يأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ
أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الحديدَ كأنَّهمْ سَرَوْا بِجيَادٍ ما لَهُنَّ قَوَائِمُ
وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ كأنكَ في جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأبطالُ كلْمَى[٢] هَزِيمةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ بَاسِمُ
ضَمَمْتَ جَنَاحَيْهم على الْقَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِي تحتَها وَالْقَوَادِمُ
بِضَرْبٍ أَتَى الهاماتِ وَالنَّصْرُ[٣] غائبٌ وصار إلى اللَّبَاتِ وَالنصْرُ قادِمُ

وقوله[٤]:

وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فأصْبَحَ جالِساً وَأَيَّامُها[٥] فيما يُرِيدُ قِيَامُ
وكلُّ أُنَاسٍ يَتْبَعُونَ إِمَامَهُمْ وَأنتَ لأَهْلِ المَكْرُمَاتِ إِمَامُ
وَرُبَّ جوابٍ عن كتابٍ بَعَثْتَهُ وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاظِرِينَ قَتَامُ[٦]
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ من قَبْلِ نَشْرِهِ وما فُضَّ بالبَيْدَاءِ عنه خِتَامُ[٧]
وَرَبَّوْا لَكَ الأوْلَادَ حتى أصَبْتَها وقد كَعَبَتْ بِنْتٌ وَشَبَّ غُلَامُ[٨]
جَرَى معك الجارُونَ حتى إذَا انْتَهَوْا إلى الْغَايَةِ الْقُصْوَى جَرَيْتَ وقاموا

وقوله[٩]:

ولِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ على الْفَتَى أكان سَخاءً ما أتى أم تَسَاخِيَا
خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَحَلْتُ إِلَى الصِّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجَعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا

---

(١) الجثث: جمع جثة، وهي الجسد. والتمائم: العوذ، واحدها تميمة. جعل الاضطراب بالفتنة فيها جنوناً لها.
(٢) كلمى: جرحى، وهزيمة: مهزومة.
(٣) في الأصلين: «والدهر غائب».
(٤) ديوانه (٣: ٣٩٣)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، وقد ورد عليه رسول الروم يطلب الهدنة.
(٥) في الأصلين «وأيامه».
(٦) القتام: الغبار.
(٧) البيداء: الأرض المقفرة البعيدة. والفض: الكسر. والختام: طابع الكتاب.
(٨) الكاعب: التي بدا ثديها للنهود. وشب الغلام: نشأ وكبر.
(٩) ديوانه (٤: ٢٨٤)، من قصيدة يمدح بها كافوراً، وهي أولى مدائحه له.

فـإنَّ دُمُـوعَ الـعـيْـنِ غُـدْرٌ بِـرَبِّـهَـا ... إذا كُـنَّ إثْـرَ الـغَـادِرِيـنَ جَـوَارِيـا
وَجُـرْداً مَـدَدْنَـا بـيـن آذَانِـهـا الْـقَـنَـا ... فَـبِـتْـنَ خِـفَـافاً يَـتَّـبِـعْـنَ الْـعَـوَالِـيَـا[١]
تَـمَـاشَـى بـأَيْـدٍ كـلَّـمـا وَافَـتِ الـصَّـفَـا ... نَـقَـشْـنَ بـه صَـدْرَ الْـبُـزَاةِ حَـوَافِـيَـا[٢]
وتَنْظُرُ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ في الدُّجَى ... يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخوصِ كَمَا هِيَا[٣]
وَتَنْصِبُ لِلْجَرْسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعا ... يَـخَـلْـنَ مُـنَـاجَـاةَ الـضَّـمِـيـرِ تَـنَـادِيـا
تُـجَـاذِبُ فُـرْسَـانَ الـصَّـبَـاحِ أَعِـنَّـةً ... كـأَنَّ عـلـى الأعْـنَـاقِ مـنـهـا أَفَـاعِـيَـا
قَـوَاصِـدَ كـافُـورٍ تَـوَارِكَ غَـيْـرِهِ ... وَمَنْ قَصَد الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا
فَـجَـاءَتْ بِـنَـا إنْـسَـانَ عَـيْـنِ زَمَـانِـهِ ... وَخَـلَّـتْ بَـيَـاضـاً خَـلْـفَـهـا وَمَـآقِـيَـا
تـجُـوزُ عـلـيـهـا الـمُـحْـسِـنِـينَ إلـى الـذي ... نَـرَى عِـنْـدَهـم إحْـسَـانَـهُ وَالأيَـادِيَـا

وقوله[٤]:

ومـا زالَ أهـلُ الـدَّهْـرِ يَـشْـتَـبِـهُـونَ لِـي ... إلـيـكَ فـلـمـا لُـحْـتَ لـي لَاحَ فَـرْدُهُ[٥]
يُـقَـالُ إذَا أَبْـصَـرْتَ جَـيْـشـاً وَرَبَّـهُ ... أمـامَـكَ رَبٌّ رَبُّ ذَا الـجَـيْـشِ عَـبْـدُهُ
وَأَلْـقَـى الْـفَـمَ الـضَّـحَّـاكَ أَعْـلَـمُ أَنَّـهُ ... قَـرِيـبٌ بِـذِي الْـكَـفِّ الـمُـفَـدَّاةِ عَـهْـدُهُ
فَكُنْ في اصْطِنَاعِي مُحْسِناً كَمُجَرِّبٍ ... يَـبِـنْ لَـكَ تَـقْـرِيـبُ الـجَـوَادِ وَشَـدُّهُ[٦]
ومـا الـصَّـارِمُ الـهِـنْـدِيُّ إلَّا كـغَـيْـرِهِ ... إذَا لـم يُـفَـارِقْـهُ الـنِّـجَـادُ وَغِـمْـدُهُ
فـإنـك مـا مَـرَّ الـنُّـحُـوسُ بـكَـوْكَـبٍ ... وَقَـابَـلْـتَـهُ إلَّا ووجـهُـكَ سَـعْـدُهُ

وقوله[٧]:

إذَا سَـاءَ فِـعْـلُ الـمَـرْءِ سَـاءَتْ ظُـنُـونُـه ... وصَـدَّقَ مـا يـعـتـادُهُ مـن تَـوَهُّـمِ[٨]
وعَـادَى مُـحِـبِّـيـهِ بِـقَـوْلِ عُـدَاتِـهِ ... وأصبحَ في لَيْلٍ منَ الشَّكِّ مُظْلِمِ
أُصَادِقُ نَفْسَ المَرْءِ منْ قبلِ جِسمِهِ ... وأعـرِفُـهـا فـي فِـعْـلِـهِ وَالـتَّـكَـلُّـمِ

---

(١) يريد خيلاً قليلات الشعر، وهو مدح للفرس. والعوالي: الرماح.
(٢) الصفا: الصخر. والبزاة: جمع باز. وحوافيا: جمع حاف.
(٣) في رواية: «وتنظرن».
(٤) ديوانه (٢: ٢٧)، من قصيدة يمدح فيها كافوراً.
(٥) يشتبهون بمعنى يتشابهون. يقول: ما زال أهل الدهر يتشابهون إلى قبل وصولي إليك، حتى ظهرت أنت لي؛ فإذا أنت فردهم.
(٦) التقريب: ضرب من العدو، وكذلك الشد. والجواد: الفرس.
(٧) ديوانه (٤: ١٣٥)، من قصيدة يمدح بها كافوراً، وقد أهداه فرساً أدهم.
(٨) نظر فيه إلى قول الشاعر:

وما فسدت لي ـ يشهد الله ـ نية ... عليك بل استفسدتني فاتهمتني

وما كلُّ هاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ ... ولا كلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
وَأَبْلَجَ[١] يَعْصِي باخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ ... عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيري ولُوَّمي
فَسَاقَ إِلَيَّ الْعُرْفَ غيرَ مُكَدَّرٍ ... وَسُقْتُ إِلَيْهِ الشُّكْرَ غيرَ مُجَمْجَمِ[٢]
فأَحْسَنُ وَجْهٍ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ ... وَأَيْمَنُ كَفٍّ فيهمُ كَفُّ مُنْعِمِ
ولو كنتُ أدري كم حَياتي قَسَمْتُها ... وصَيَّرْتُ ثُلْثَيْها انتظارَكَ فَاعْلَمِ

وقوله[٣]:

أما تَغْلَطُ الأيامُ فِيَّ بأَنْ أَرَى ... بَغِيضاً تُنَائي أو حبيباً تُقَرِّبُ[٤]
وَيَوْمٍ كَلَيْلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ[٥] ... أُراقِبُ فيه الشمسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ
وعَيْنِي إلى أُذْنَيْ أَغَرَّ[٦] كأنه ... من الليلِ باقٍ بين عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ
لهُ فَضْلَةٌ عن جسمِهِ في إِهَابِهِ ... تجيءُ على صَدْرٍ رَحيبٍ وَتَذْهَبُ[٧]
شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُدْنِي عِنَانَه ... فَيَطْغَى وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ
وَأَصْرَعُ أَيَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُه بِهِ ... وأنْزِلُ عنه مِثْلَهُ حين أرْكَبُ[٨]
وما الخيلُ إلَّا كالصديقِ قليلةٌ ... وإن كثُرَتْ في عَيْنِ مَنْ لا يُجَرِّبُ
إذَا لم تُشَاهِدْ غيرَ حُسْنِ شِيَاتِها[٩] ... وَأَعْضَائِهَا فالْحُسْنُ عنكَ مُغَيَّبُ

وفيها:

يُريدُ بكَ الحُسَّادُ ما اللَّهُ دَافِعٌ ... وَسُمْرُ الْعَوَالِي وَالحديدُ المُذَرَّبُ[١٠]
إذا طَلبوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّموا ... وإن طلبوا المَجْدَ الذي فيك خُيِّبُوا

---

(١) في الديوان: «أبلخ»، بالخاء، وهو العظيم، وهو من صفة الملوك. أما الأبلج بالجيم فهو الجميل الوجه.
(٢) المجمجم: الذي لا يفهم. يقول: لم يكدر إحسانه إلي بالمن، ولم ينغصه بالأذى.
(٣) ديوانه (١: ١٧٧)، من قصيدة يمدح فيها كافوراً.
(٤) الاستفهام للتعجب، وتنائي: تفاعل، من النأي وهو البعد.
(٥) كمنته، أي كمنت فيه، فترك الحرف ونصب الضمير مفعولاً به.
(٦) الأغر: ذو الغرة، وهي البياض، ويريد به الفرس.
(٧) الإهاب: الجلد. والرحيب: الواسع. يصف فرسه بعرض الصدر وسعة الجلد عليه؛ وكلاهما يقتضي سعة الخطو وسرعة العدو.
(٨) قفيته: أتبعته؛ يقول: إذا طردت به وحشاً أدركه فصرعه. وأنزل عنه بعد الطرد وهو باق على نشاطه وقوة جريه؛ مثلما كان حين الركوب.
(٩) الشيات: جمع شية، وهي اللون.
(١٠) المذرب: المحدد.

وَلَو جازَ أن يَحْوُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا ولكِنْ مِنَ الأشياءِ ما لَيسَ يُوهَبُ
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْم مَنْ باتَ حَاسِداً لِمَنْ باتَ في نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَيُغْنيكَ عمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّه إِليك تَنَاهَى المَكَرُماتُ وتُنْسَبُ
وتَعْذُلُني فِيكَ الْقَوَافِي وهِمَّتي كأنّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ

وقوله[١]:

رَأَيتُكم لا يَصُونُ العِرْضَ جَارُكمُ وَلَا يَدِرُّ على مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ
جَزَاءُ كلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمُ مَلَلٌ وَحَظُّ كلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمُ ضَغَنُ[٢]
وَتَغْضَبُونَ على مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ حتى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنَنُ
فَغَادَرَ الْهَجْرُ ما بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ يَهْمَاءَ[٣] تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالأُذُنُ
تَحْبُو الرَّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وتَسْأَلُ الأرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّفِنُ[٤]
سَهِرْتُ بَعْدَ رَحِيلي وَحْشَةً لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيري وَارْعَوَى الْوَسَنُ[٥]
وَإِنْ بُلِيتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ فَإنني بِفِرَاقٍ مِثْلِهِ قَمِنُ[٦]

وقوله[٧]:

برَغْمِ شَبِيبٍ[٨] فَارَقَ السَّيْفَ كَفُّهُ وكانَا على الْعِلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ
كأنَّ رِقَابَ النَّاسِ قالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وأنتَ يَمَانِي
وَهَلْ يَنْفَعُ الجيْشَ الْكَثِيرَ الْتِفَافُهُ على غَيْرِ مَنْصُورٍ وغيْرِ مُعَانِ
ثَنَى يَدَهُ الإحْسَانُ حتَّى كأنَّهَا وقَدْ قُبِضَتْ كانَتْ بِغَيْرِ بَنَانِ[٩]

وقوله[١٠]:

عُيُونُ رَوَاحِلي إنْ حِرْتُ عَيْنِي وكلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي[١١]

---

(١) ديوانه (٤: ١٣٦)، من قصيدة قالها بمصر، وقد بلغه أن قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة.
(٢) الضغن: الحقد والحسد. (٣) اليهماء: الأرض التي لا يهتدى فيها.
(٤) الرواسم: الإبل التي سيرها الرسيم (ضرب من السير)، الثفن: جمع ثفنة، وهي واحدة ثفنات البعير، وهو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ.
(٥) المرير: جمع مريرة، وهي القوة من الخيل. واستمر: استقام. وارعوى: انزجر. والوسن: النعاس.
(٦) قمن: خليق وجدير. يقول: إن كنت في قوم آخرين وعاملوني معاملتكم فارقتهم كما فارقتكم.
(٧) ديوانه (٤: ٢٤٣)، من قصيدة يذكر فيها شبيباً ومخالفته كافوراً.
(٨) شبيب هذا هو ابن جرير العقيلي، من قوم كانوا من القرامطة، وكانوا مع سيف الدولة.
(٩) ثنى يده: ردها. والبنان: الأصابع؛ واحدتها بنانة.
(١٠) ديوانه (٤: ١٤٣)، من قصيدة يصف فيها الحمى التي كانت تعتاده بمصر.
(١١) حرت: تحيرت. البغام: صوت الناقة للتعب. ورزحت الإبل: سقطت من الإعياء هزالاً. شبه نفسه في التحير بالبهيمة؛ لأنها لا تدري أين تذهب.

فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدِّي لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ[١]
وَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا[٢] جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ
وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الأَنَامِ
أَرَى الأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيراً عَلَى الأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللِّئَامِ

وقوله[٣]:

وَزَائِرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا[٤] فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
إِذَا مَا فَارَقَتْنِي غَسَّلَتْنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ[٥]
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامِ[٦]
أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرَبِ الْعِظَامِ

ومنها:

أَلَا يَا لَيْتَ شِعْرَ يَدِي أَتُمْسِي تَصَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ[٧]
وَهَلْ أَرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ مُحَلَّاةِ الْمَقَاوِدِ بِاللُّغَامِ[٨]
فَرُبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاةٍ أَوْ حُسَامِ
وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ[٩]
وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ

---

(١) قال ابن السكيت: العرب إذا عدت للسحاب مائة برقة؛ لم تشك في أنها ماطرة.
(٢) الخب: المكر. والود: الحب والصداقة.
(٣) ديوانه (٤: ١٤٦)؛ من القصيدة السابقة.
(٤) المطارف: جمع مطرف، وهو من الثياب التي في طرفها علمان. والحشايا: جمع حشية، وهو ما حشي من الفرش مما يجلس عليه.
(٥) قال الواحدي: يريد أنه يعرق لفراقها؛ فكأنها تغسله؛ لعكوفهما على ما يوجب الغسل. وإنما خص الحرام للقافية؛ وإلا فالجماع على الحلال كالجماع على الحرام.
(٦) بأربعة سجام؛ أي ذات سجام فحذف. وأراد بالأربعة اللحاظين والموقين.
(٧) العنان للفرس، والزمام للإبل، يقول: يا ليت يدي علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان الفرس أو زمام الإبل!
(٨) الراقصات: الإبل. اللغام: زبد يخرج من فم البعير.
(٩) الفدام: ما يجعل على رؤوس الأباريق التي يكون فيها الخمر.

يقُولُ لِيَ الطَّبيبُ أكلتَ شَيئاً ... وداؤكَ في شَرابِكَ والطَّعامِ
وَما في طِبِّهِ أنّي جَوادٌ ... أضرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الجَمامِ[1]
تَعوَّدَ أنْ يُغبِّرَ في السَّرايَا[2] ... ويَدْخُلَ مِنْ قَتامٍ في قَتامِ
فَأُمْسِكَ لَا يُطَالُ[3] لَهُ فَيَرْعَى ... ولا هُوَ في العَلِيقِ ولَا اللِّجَامِ
فَإنْ أَمْرَضْ فَما مَرَضَ اصْطِبارِي ... وإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعْتِزامِي
وإنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقى ولَكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الحِمَامِ إلى الحِمَامِ

وهذه القصيدةُ كلُّها مختارةٌ؛ لا يعلمُ لأحدٍ في معناها مثلُها. والأبياتُ التي وصف فيها الحمى أفراد، قد اخترع أكثرَ معانيها، وسهل في ألفاظها؛ فجاءت مطبوعةً مصنوعة. وهذا القسمُ من الشعر هو المطمِع المُؤْيِس.

قصيدة لابن المعذل في الحمى

وقد أحسن عبد الصَّمد[4] بن المُعَذَّل في قصيدته الرائية التي وصفَ فيها الحمّى، وقصر في الضادية وفي مقاطيع له في وصفِها، وكأن أبا الطيّب قصد تَنكُّب معانيه فلم يُلِمَّ بشيء منها؛ قال عبد الصَّمد[5]:

وبِنْتُ المنيَّةِ تَنْتَابُني ... هُدُوًّا وتَطْرُقُني سُحْرَه[6]
إذا وَرَدَتْ لم يَدَعْ وِرْدَها ... عن القلب حجبٌ ولا سُتْرَه[7]
كأنَّ لها ضَرَما في الحَشَى ... وفي كلِّ عُضْوٍ لها جَمْرَه
إذَا لم تَرُحْ أصْلاً في العشيّ ... فأقْصَى مَوَاعِدها بُكْره
لها قُدْرَةٌ في جسوم الأنام ... حَباها بها اللَّهُ ذو القُدْره
تَغالَيْتُ بِاْسم سواها لها ... كأنْ ليسَ لي باسْمِها خُبْرَه
فَطوْراً ألَقِّبها[8] سُخْنَةً ... وطَوْراً ألَقِّبها فَتْرَه
أُسائلُ أهيَ عن سُخْنَتي ... وأمنحُهُم نَظْرَةً نَظْرَه

---

(١) الجمام: أصله أن يترك الفرس فلا يركب؛ ويريد به هنا الراحة.
(٢) السرايا: جمع سرية، وهي التي تسري إلى العدو في الحرب. والقتام: الغبار.
(٣) لا يطال له: لا يرخى له الطول، وهو الحبل.
(٤) هو من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة، توفي نحو سنة ٢٤٠هـ.
(٥) ديوان المعاني (٢: ١٦٧)، مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات.
(٦) السحرة كالسحر: آخر الليل قبيل الصبح.
(٧) السترة: ما استترت به من شيء كائناً ما كان.
(٨) في ديوان المعاني: ألقيها (بالياء).

فَأجْزَعُ إن قِيلَ لِي حُمْرَةٌ وأُشْفِقُ إن قِيلَ لِي صُفْرَه
وصرت إذا جُعْتُ يوماً ظَلِلْتُ كأنَّ عَلَى كَبِدِي شَفْرَه
ويربو الطِّحَالُ إذا ما شبعت فتعلو الترائبُ والصُّدْره[١]
فأُمسي كأنيَ من معدتي لبستُ الثيابَ على زُكْرَه[٢]
إذا ما رأيتُ امرأً مطلقاً له الأكل تخنُقُني العَبْره
كأنيَ في منزلي مُخْصِباً بِبَلْقَعَةٍ جَدْبَةٍ قَفْرَه

موازنة بين المتنبي وابن المعذل

فأحسن وأجاد، وملح واتسع، وأنتَ ـ إذا قِسْتَ أبيات أبي الطيِّب بها على قِصَرِها، وقابلتَ اللفظ باللفظ، والمعنى بالمعنى، وكنتَ من أهل البصر، وكان لك حظٌّ في النقد تبينتَ الفاضل من المفضول. فأما أنا فأكرهُ أن أبتّ حُكماً أو أفصِّل قضاء، أو أدخل بين هذين الفاضلين، وكلاهما مُحْسِن مصيب.

۞ ۞ ۞

وقوله[٣]:

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا ولَا تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ واللِّمَمِ[٤]
وكانَ حالُهُمَا في الحُكْمِ واحِدَةً لَوِ احْتكمنا مِنَ الدُّنْيَا إلى حَكَمِ
طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أيْدِيها بِأَرْجُلِها حتى مَرَقْن بِنَا مِنْ جَوْشَ والْعَلَمِ[٥]
فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بما لَقِينَ رِضَا الأَيْسَارِ بالزَّلَمِ[٦]
حتى رَجَعْتُ وأقلامِي قَوَائِلُ لِي: المَجْدُ لِلسيْفِ لَيْس المَجْدُ للقَلَمِ
اكْتُبْ بِنَا أبداً بَعْدَ الْكِتابِ[٧] بِهِ فإنما نحنُ لِلأَسْيافِ كالْخَدَمِ

(١) الصدرة: الصدر.
(٢) الزكرة: زق يجعل فيه شراب أو خل.
(٣) ديوانه (٤: ١٥٥)، من قصيدة يذكره مسيره من مصر ويرثي فاتكا.
(٤) العذر: جمع عذار، والمراد به الشعر النابت في موضع العذار، واللمم: جمع لمة، وهي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن.
(٥) جوش والعلم: جبلان، والضمير يعود على البيت الذي قبله، وهو:
لا أبغضُ العيس لكنني وقيت بها قلبي من الحزن أو جسمي من السقم
(٦) أخطروا أرواحهم: حملوا أرواحهم على الخطر. الأيسار: هم الذين ينحرون الجزور ويتقارعون عليها بالقداح، وهو ما كانت تفعله الجاهلية. والزلم: السهم.
(٧) الكتاب: مصدر كالكتابة.

مَنِ اقْتَضَى بِسَوى الْهِنْدِيِّ حاجَتَهُ ... أجَابَ كلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بلَمِ
تَوَهَّمَ القَوْمُ أنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنا ... وفي التَّقَرُّبِ ما يَدْعُو إلى التُّهَمِ
ولَم تَزَلْ قِلَّةُ الإنْصَافِ قاطِعَةً ... بينَ الرِّجالِ وَإِنْ كانوا ذَوِي رَحِمِ[١]
فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أن تَزُورَهُمُ ... أيْدٍ نَشَأنَ مَعَ المَصْقُولَةِ الْخُذُمِ[٢]
صُنَّا قَوَائِمَهَا عَنهمْ فما وَقَعتْ ... مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ في الأيْدِي ولا الْكَزَمِ[٣]
هَوِّنْ على بَصرٍ ما شَقَّ مَنظَرُهُ ... فإنما يَقَظَاتُ الْعَيْنِ كالْحُلُمِ
وَلا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شَكْوَى الجريحِ إلى الْغِرْبَانِ والرَّخَمِ

وقوله[٤]:

تَزَاحَمَ الجيْشُ حتى لم يَجِدْ سبباً ... إلى بِسَاطِكَ لي سَمْعٌ ولا بَصرُ
فَكُنت أَشْهَدَ مُخْتَصٍّ وَأَغْيَبَهُ ... مُعَايَناً وعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ

وقوله[٥]:

إنْ تَرَيْني أَدُمْتُ بعدَ بَيَاضٍ ... فَحَمِيدٌ مِنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولُ[٦]
صَحِبَتْني على الْفَلَاةِ فَتَاةٌ[٧] ... عادةُ اللَّوْنِ عندها التَّبْدِيلُ
سَتَرَتْكِ الحِجَالُ عنها ولكنْ ... بِكِ منها منَ اللَّمَى[٨] تَقْبيلُ

وقوله[٩]:

أَخُو الحرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى ... قَنَاهُ، وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبْ
إذَا حَازَ مَالاً فَقَدْ حَازَهُ ... فَتًى لا يُسَرُّ بما لا يَهَبْ
وقد عَلِمَتْ خَيْلُهُ أَنَّهُ ... إذا هَمَّ وَهْوَ عَلِيلٌ رَكِبْ

---

(١) في الديوان:

بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

(٢) الخذم: جمع خذوم، وهو السيف القاطع.
(٣) الكزم: قصر اليد، وفي الأصل: الكرم. قال ابن القطاع: قد صحف هذا البيت جماعة فرووه. «الكرم»؛ ضد البخل، ولا معنى له هنا، وإنما الصحيح الكزم (بالزاي)، وهو قصر اليدين بالبخل.
(٤) ديوانه (٢: ٩٨).
(٥) ديوانه (٣: ١٥٠)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة ويشكره على هديته.
(٦) أدم: شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره. والقناة: الرمح.
(٧) يريد الشمس. وجعلها فتاة لأن الزمان لا يؤثر فيها.
(٨) اللمى: سمرة تكون في الشفتين.
(٩) ديوانه (١: ٩٩)، من قصيدة أرسلها إلى سيف الدولة وقد كتب إليه يستدعيه.

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعَ مِنْ أَرْضِهِمْ طِوَالَ السَّبِيبِ قِصَارَ الْعُسُبْ[(١)]
ولا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوِّهِ إذا لم تَخَطَّ الْقَنَا أَو تَثِبْ

وقوله ـ يصف السيف[(٢)]:

قَلَّدَتْنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ أَعْقَبَتْ منه واحداً أَجْدَادُهْ
كلما اسْتُلَّ ضَاحَكَتْهُ إِيَاةٌ تَزْعُمُ الشمسُ أنها أَرْآدُهْ[(٣)]
مَثَّلُوهُ في جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْـ ـدِ ففي مثلِ أَثْرِهِ[(٤)] أَغْمَادُهْ
مُنْعَلٌ لا مِنَ الْحَفَا ذَهَباً يَحْـ ـمِلُ بَحْراً فِرِنْدُهُ إِزْبَادُهْ
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْـ ـلَمُ مِنْ شَفْرَتَيْهِ إِلَّا بِدَادُهْ[(٥)]
جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِي فَاسْتَجْمَعَتْ آحَادُهْ

وقوله[(٦)]:

تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي نَجَائِبُ[(٧)] لا يُفْكِرْنَ في النَّحْسِ وَالسَّعْدِ
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَثَّمُوا عَلَيْهِنَّ لا خَوْفاً مِنَ الحَرِّ وَالْبَرْدِ
إذا لم تُجِزْهُمْ دارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ أَجَازَ الْقَنَا وَالخَوْفُ خَيْرٌ من الوُدِّ
ومَنْ يَصْحَبِ اسم ابنِ العَمِيدِ مُحَمَّدٍ يَسِرْ بين أنيابِ الأَسَاوِدِ[(٨)] وَالأُسْدِ
كَفَانَا الرَّبِيعُ العِيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فَجَاءَتْهُ لم تَسْمَعْ حُدَاءً سِوى الرَّعْدِ
كَأَنَّا أرادتْ شُكْرَنَا الأرضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُخْلِنا جَوٌّ هَبَطْنَاهُ مِنْ رِفْدِ
فَتًى فَاتَتِ الْعَدْوَى مِنَ الناسِ عَيْنُهُ فَمَا أَرْمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرةُ الرُّمْدِ
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى العِدَى بِمَنْشُورَةِ الرَّاياتِ مَنْصُورَةِ الجُنْدِ
وَمَبْثُوثَةٍ[(٩)] لا تُتَّقَى بَطَلِيعَةٍ ولا يُحْتَمَى منها بغَوْرٍ ولا نَجْدِ

---

(١) الضمير في أتاهم للدمستق، السبيب: شعر الناصية والعرف والذنب. العسيب: منبت الذنب من الجلد والعظم.
(٢) ديوانه (٢: ٥٠).
(٣) إياة الشمس: ضوؤها. الأرآد: يجوز أن يكون جمع رأد وهو الضوء، وأن يكون جمع رئد، وهو الترب.
(٤) الأثر: فرند السيف. وهو ماؤه وجوهره.
(٥) المدجج: المغطى بالسلاح. البدادان: جانبا السرج.
(٦) ديوانه (٢: ٦١)، من قصيدة قالها وقد ورد عليه كتاب من عضد الدولة يستزيره، فسار إليه، وودع ابن العميد.
(٧) النجائب: جمع نجيب، وهو الكريم من الإبل.
(٨) الأساود: الأفاعي.
(٩) المبثوثة: الغارة التي تشن. وهذه الكلمة معطوفة على «كتائب» في بيت قبله وهو:
إذا ارتقبوا صبحاً رأوا قبل ضوئه كتائب لا يردي الصباح كما تردي

يَغِضْنَ إِذَا ما غِرْن في مُتَفَاقِدٍ[(١)] مِنَ الكُثْرِ غَانٍ بالبعيدِ عن الحَشْدِ
حَثَتْ كلُّ أَرْضٍ تُرْبَةً في[(٢)] غُبَارِهِ فَهُنَّ عليه كالطَّرَائِقِ[(٣)] في الْبُرْدِ

وقوله[(٤)]:

أَرُوحُ وقد خَتَمْتُ عَلَى فُؤَادِي بحُبِّكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَا
لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً يُعِينُ عَلَى الإِقَامَةِ في ذَرَاكَا[(٥)]
ولو أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فلم أُبْصِرْ بِهِ حتى أَرَاكَا
وكَمْ طَرِبِ المَسَامِعِ ليس يدري أَيَعْجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ حُلَاكَا
وفي الأَحْبَابِ مُخْتَصٌّ بوَجْدٍ وآخَرُ يَدَّعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَا
إِذَا اشْتَبَهَتْ دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى
وَأَيًّا شِئْتِ يا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أو هَلَاكَا
فلو سِرْنَا وفي تَشْرِينَ خَمْسٌ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوُا السِّمَاكَا[(٦)]

وقوله[(٧)]:

وَمَا زِلْتُ أَطْوِي الْقَلْبَ قبل اجْتِمَاعِنَا عَلَى حَاجَةٍ بين السَّنَابِكِ[(٨)] وَالسُّبْلِ
ولو لم تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الأَهلِ
وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَعْيَهَا إلا ومِرْجَلُنَا يَغْلِي

وقوله[(٩)]:

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمُ طَعْنُ نُحُورِ الْكُمَاةِ لَا الْحُلُمُ[(١٠)]

---

(١) في الأصلين: «عدن». وفي الديوان «يغصن» بالصاد. المتفاقد الذي يفقد بعضه لكثرته واضطرابه.
(٢) في الأصلين: «من».
(٣) الطرائق هنا: الخطوط في الشيء.
(٤) ديوانه (٢: ٣٨٧)، من قصيدة قالها عند وداع سيف الدولة.
(٥) الذرى: الكنف والناحية.
(٦) تشرين: شهر من أشهر الفرس، وهو أول سنتهم؛ والسماك يرى في هذا الوقت نفسه.
(٧) ديوانه (٣: ٢٩٣)، من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس.
(٨) السنابك: مقادم الحوافر.
(٩) ديوانه (٤: ٦٤)، من قصيدة يمدح فيها علي بن إبراهيم التنوخي.
(١٠) النحور: جمع نحر، وهو موضع القلادة، والكماة: جمع كمي وهو المستتر في سلاحه، والحلم: البلوغ. يقول: بلوغ الغلام عند هؤلاء الممدوحين أن يحمل على الأعداء في الحرب فيطعنهم.

كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ ... لا صِغَرٌ عَاذِرٌ ولا هَرَمُ
إذا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُوا ... وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً[1] كَتَمُوا
تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمُ[2] ... أَنهُمُ أَنْعَمُوا وما عَلِمُوا
إنْ بَرَقُوا[3] فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ ... أو نَطَقُوا فالصَّوَابُ وَالْحِكَمُ
أو حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ[4] واجْتَهَدُوا ... فقولهم: «خَابَ سَائِلِي» الْقَسَمُ
أو رَكِبُوا الْخَيْلَ غيرَ مُسْرَجَةٍ ... فَإِنَّ أَفْخَاذَهُمْ لها حُزُمُ
أو شَهِدُوا الحَرْبَ لَاقِحاً[5] أَخَذُوا ... مِنْ مُهَجِ الدَّارِعِيْنَ ما احْتَكَمُوا
تُشْرِقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُهُهُمْ ... كأنها في نفُوسِهِمْ شِيَمُ
أُعِيذُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمُ ... فإِنَّهُ في الْكِرَامِ مُتَّهَمُ

وقوله[6]:

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُه ... يَتَبَارَيَانِ دَماً وَعُرْفاً[7] سَاكِبَا
إنْ تَلْقَهُ لَا تَلْقَ إلا جَحْفَلاً ... أو قَسْطَلاً[8] أو طاعِناً أو ضَارِبَا
وإذَا نَظرتَ إلى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا ... تحتَ الْجِبَالِ فَوَارِساً وَجَنَائِبَا
وَعَجَاجَةً تركَ الحديدُ سَوَادَهَا ... زِنْجاً تَبَسَّمَ أو قَذَالاً شَائِبَا
كَالبَحْرِ يَقْذِفُ لِلقَرِيبِ جَوَاهِراً ... جُوداً وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

وقوله يصف كلباً[9]:

فَحلَّ كَلَّابِي[10] وَثَاقَ الأَحْبُلِ
عن أَشْدَقٍ مُسَوْجَرٍ[11] مُسَلْسَلِ

---

(١) الصنيعة: ما صنعوا من المعروف؛ يقول: إذا عادوا فإنهم يظاهرون بالعداوة، وإذا اصطنعوا صنيعة أخفوها.
(٢) الاعتداد: ما يعتد به؛ يريد أنهم لا يعتدون بصنيعهم وإنعامهم؛ كأنهم لم يعلموا بذلك.
(٣) برقوا: خوفوا وهددوا.
(٤) الغموس: هي اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم.
(٥) اللاقح: الحرب الشديدة.
(٦) ديوانه (١: ١٢٥)، من قصيدة يمدح فيها علي بن منصور الحاجب.
(٧) عرفا: معروفا. (٨) الجحفل: الجيش. القسطل: الغبار.
(٩) ديوانه (٣: ٢٠٣)، من قصيدة يصف فيها كلباً أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي.
(١٠) الكلّاب: الذي يسوق الكلاب ويصيد بها.
(١١) الأشدق: الواسع الشدق: والمسوجر: الذي في رقبته ساجور؛ القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب.

مُؤَجَّدِ الفِقْرَةِ[1] رِخْوِ المَفْصِلِ
لَهُ إذَا أَدْبَرَ لَحْظُ المُقْبِلِ
يَعْدُو إذَا أَحْزَنَ عَدْوَ المُسْهِلِ
يُقْعِي جلُوسَ الْبَدَوِيِّ المُصْطَلِي
بأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لم تُجْدَلِ
فُتْلِ الأَيادي رَبِذَاتِ[2] الأَرْجُلِ
آثَارُها أَمْثَالُها في الجَنْدَلِ
يَكادُ في الْوَثْبِ مِنَ التَّفَتُّلِ[3]
يَجمعُ بين مَتْنِهِ وَالْكَلْكَلِ
وبين أَعْلاَهُ وبين الأَسْفَلِ

وقوله[4]:

أَغَرَّ أَعْدَاؤُهُ إذَا سَلِمُوا ... بالْهَرَبِ اسْتَكْثَرُوا الَّذِي فَعلُوا
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كلِّ سَابحَةٍ[5] ... أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ
جَرْدَاءَ مِلْءِ الحِزَامِ مُجْفَرَةٍ ... تكُونُ مِثْلَيْ عَسِيبِها الخُصَلُ[6]
إنْ أَدْبَرَتْ قُلْتُ: لا تَلِيلَ[7] لهَا ... أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتُ: مَا لَهَا كَفَلُ
سَارٍ ولَا قَفْرَ في[8] مَوَاكِبِهِ ... كأَنَّمَا كلُّ سَبْسَبٍ[9] جَبَلُ
إنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَبُوا ... مَا دونَ أَعمارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا
كَتِيبَةٌ[10] لَسْتَ رَبَّهَا نَفَلٌ ... وَبَلْدَةٌ لَسْتَ حَلْيَهَا عُطُلُ

---

(١) مؤجد: قوي موثق. رخو المفصل. شديد المتن لين المفاصل.
(٢) فتل: جمع فتلاء وهي اليد التي بانت عن الصدر فلم يمسها عند العدو. الربذات: الخفيفات السريعات.
(٣) التفتل: الانفتال؛ وهو السرعة.
(٤) ديوانه (٣: ٢١٣)، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار، وقد فصد لعلة.
(٥) السابحة: الفرس التي كأنها تسبح في جريها.
(٦) الجرداء: القليلة الشعر. مجفرة: واسعة الجوف. العسيب: عظم الذنب.
(٧) التليل: العنق. والكفل: الردف.
(٨) في الأصلين: «من».
(٩) السبسب: المتسع المستوي من الأرض.
(١٠) الكتيبة: الجماعة من الخيل. والنفل: الغنيمة. والعطل: التي لا حلي عليها. يقول: كل جماعة لست أميرها، فهي غنيمة لمن وجدها، وكل بلدة لست زينتها فهي عاطل.

ثم وصف خطأ الفاصد فقال:

عُـذْرُ الْـمَـلُـومَـيْـنِ فِـيـكَ أنَّـهُـمَـا ... آسٍ[١] جَـبَـانٌ ومِـبْـضَـعٌ بَـطَـلُ
مَـدَدْتَ فـي رَاحَـةِ الـطَّـبـيـبِ يَـداً ... وَمَـا دَرَى كَـيْـفَ يُـقْـطَـعُ الأمَـلُ
خَـامَـرَهُ إذْ مَـدَدْتَـهَـا جَـزَعٌ ... كـأنَّـهُ مِـنْ حَـذَاقَـةٍ عَـجِـلُ[٢]
أبْلَغُ ما يُطْلَبُ النَّجَاحُ به الطَّبْـ ... ـعُ وعِـنْـدَ الـتَّـعَـمُّـقِ الـزَّلَـلُ

وقوله[٣]:

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى ... وجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى
وأُقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ ... لمـا صَلَحَ العِبَادُ لَهُ شِمَالَا
أُقَلِّبُ مِنْكَ طَرْفِي في سَمَاءٍ ... وإنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالَا

وقوله[٤]:

مَحِكٌ[٥] إذا مَطَلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ ... جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أرَادَ كَفِيلَا
أعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ ... ولَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلَا

ثم وصف الأسد فقال[٦]:

وَقَعَتْ عَلَى الأُرْدُنِّ[٧] مِنهُ بَلِيَّةٌ ... نَضَدَتْ بِهَا هَامَ الرِّفَاقِ تُلُولَا
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَابِسٌ ... في غِيلِهِ[٨] مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلَا
مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إلَّا ظُنَّتَا ... تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ[٩] حُلُولَا
يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ ... فَكَأنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلَا
ويَرُدُّ غُفْرَتَهُ[١٠] إلى يافُوخِهِ ... حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إكْلِيلَا
وتَظُنُّه مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ ... عَنْهَا بِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فكأنَّمَا ... رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوادَهُ مَشْكُولَا[١١]
ألْقَى فَرِيسَتَهُ وَبَرْبَرَ[١٢] دُونَهَا ... وَقَرُبْتَ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلَا

---

(١) الآسي: الطبيب، والمبضع: حديدة الفاصد، والبطل: الشجاع.
(٢) خامره: خالطه، والحذاقة: الحذق.
(٣) ديوانه (٣: ٢٣١)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.
(٤) ديوانه (٣: ٢٣٥)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر الأسد.
(٥) المحك: اللجوج.
(٦) ديوانه (٣: ٢٣٧).
(٧) الأردن: موضع بالشام.
(٨) الغيل: الأجمة.
(٩) الفريق: الجماعة.
(١٠) الغفرة: الشعر اجتمع على قفاه.
(١١) شكل الدابة: شد قوائمها بحبل.
(١٢) بربر: صاح.

فَتَشَابَهَ الْخُلْقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ... وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا
أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا ... مَتْناً أَزَلَّ وَسَاعِداً مَفْتُولَا[١]
فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمِرَّةٍ[٢] ... يَأْبَى تَفَرُّدُهَا لَهَا التَّمْثِيلَا
نَيَّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا ... تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيلَا
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا ... وَتَظُنُّ عَقْدَ عِنَانِهَا مَحْلُولَا[٣]
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ ... حَتى حَسِبْتَ الْعَرْضَ مِنْهُ الطُّولَا
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ[٤] كَأَنَّهُ ... يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلَا
أَنَفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ ... فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلَا
وَالْعَارُ مَضَّاضٌ[٥]، ولَيسَ بِخَائِفٍ ... مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلَا
قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وَعُنْقَهُ ... فَكَأَنَّمَا صَادَفْتَهُ مَغْلُولَا

ولولا أبياتُ البحتريّ في هذا المعنى لعددتُ هذه من أفراد أبي الطيب؛ لكن البحتريَّ قال يصف قَتْل الفتح بن خاقان أسداً عَرَض له[٦]:

غَداةَ لقيتَ اللَّيثَ والليثُ مُخْدِرٌ ... يحدُّدُ نَاباً لِلِّقَاء ومِخْلَبا
يحصِّنه من نهر نيزك مَعْقِلٌ ... مَنيعٌ تَسَامَى غَابُه وتَأشَّبا[٧]
إِذَا شَاءَ غَادَى عانةً[٨] أَو غَدَا عَلَى ... عقائل سِرْبٍ أو تَقَنَّصَ رَبْرَبا[٩]
يجرّ إلى أشباله كلَّ شارقٍ ... عبيطاً مُدَمىً أو رَميلا مُخَضَّبا[١٠]
فلم أر ضِرْغَامَيْنِ أَصدق منكما ... عِراكا إِذَا الهَيَّابَةُ النِّكْس[١١] كَذَّبا
هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِي هِزَبْراً وأَغْلَبٌ ... من القوم يَغْشَى باسِلَ الوجْهِ أَغْلَبا
أذلَّ بشَغْبٍ[١٢] ثم هالته صَوْلَةٌ ... رآك لها أمضَى جَنَاناً وأشْغَبَا

---

(١) الأزل: القليل اللحم.
(٢) ظامئة الفصوص: عطاش ليست برخوة رهلة. طمرة: وثابة.
(٣) السوالف: جمع سالفة، وهي صفحة العنق، استحضرتها: حملتها على الحضر، وهو العدو.
(٤) الحجار: الأحجار. الحضيض: قرار الأرض عند منقطع الجبل.
(٥) مضاض: موجع ومحرق. والحتف الهلاك.
(٦) ديوانه (١: ٥٦).
(٧) في الديوان: «تسامى روضه». تأشب: التف.
(٨) العانة: القطيع من حمر الوحش.
(٩) تقنص: اقتنص، اصطاد. الربرب: القطيع من بقر الوحش.
(١٠) العبيط؛ من عبط الذبيحة إذا نحرها من غير علة وهي سمينة فتية. الرميل: الملطخ بالدم.
(١١) النكس: الضعيف.
(١٢) شغبهم وبهم وعليهم: هيج الشر عليهم.

فأَحْجَم لما لم يجدْ فيك مَطْمعاً وأَقْدَمَ لما لم يجدْ عَنك مَهْرَبا
حملتَ عليه السيفَ، لا عزمُكَ انثنى ولا يدُكَ ارتدَّتْ ولا حَدُّه نَبا
وكنتَ متى تَجْمَعْ يمينك تهتك الضَّـ ـريبة أولا تُبْق للسيف مَضْربا

فاستوفى المعنى، وأجاد في الصِّفة، ووصل إلى المراد، وأما أبو زبيد فإنما وصف خَلْق الأسد وزئيره وجرأته وإقدامه، وكأنما هو مرعوب أو محذر، والفضل له على كل حال، لكن هذا غرضٌ لم يَرُمْه، ومذهب لم يَسْلُكه.

وقوله[1]:

نِيطَتْ حَمَائِلُهُ بعَاتِقِ مِحْرَبٍ[2] ما كَرَّ قَطُّ وهَلْ يَكُرُّ وما انثنى
أَمْضَى إرَادَتَهُ فَسَوْف له قَدٌ[3] واستقْرَبَ الأَقْصى فثَمَّ لَهُ هُنا

وقوله[4]:

وَجَدْتُ المُدَامَةَ غَلَّابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ[5]
تُسِيءُ مِنَ المَرْءِ تَأْدِيبَهُ ولكِنْ تُحَسِّنُ أَخْلَاقَهُ[6]
وأَنْفَسُ ما لِلْفَتى لُبُّهُ وذُو اللُّبِّ يَكْرَهُ إنْفَاقَهُ
وقَدْ مُتُّ أَمْسِ بِهَا مَوْتَةً ولا يَشْتَهِي الموتَ مَنْ ذَاقَهُ[7]

وقوله[8]:

قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ[9] فيه وَعَامِرٌ كما يَتَلَاقَى الْهُنْدُوَانِيُّ والنَّصْرُ
فَجَاءَا بِهِ صَلْتَ[10] الجبينِ مُعَظَّماً تَرَى الناسَ قُلاً حَوْلَهُ وهُمُ كُثْرُ
وما زِلْتُ حتى قادَنِي الشَّوْقُ نحوَهُ يُسَايِرُنِي في كلِّ رَكْبٍ لهُ ذِكْرُ

---

(١) ديوانه (٤ : ١٩٩)، من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.
(٢) المحرب: صاحب الحرب الممارس لها. والضمير يعود على السيف وإن لم يذكره.
(٣) قد: حرف لما مضى، وجعلها بمنزلة الأسماء؛ فأعربها.
(٤) ديوانه (٢ : ٣٥٠) وهي أبيات أنشدها بدر بن عمار حين عرض عليه الصحبة.
(٥) المدامة: الخمر؛ يقول: إنها تغلب العقول فلا تستطيع مقاومتها.
(٦) أي تسيء أدبه في اللفظ والحركات؛ فلا يتقيد بآداب المجلس، وتحسن أخلاقه بما تظهر فيه من حب السماحة وطيب المفاكهة.
(٧) جعل ذهاب عقله بالخمر موتاً، فقال: ومن مات مرة لا يشتهي أن يعود إلى الموت.
(٨) ديوانه (٢ : ١٥٥)، من قصيدة يمدح فيها علي بن أحمد الأنطاكي.
(٩) في الأصلين: «الصمت»، تحريف. والقران: مقارنة الكوكبين، استعارة لاجتماع جدّيه في نسبه. والصلت: جد الممدوح لأمه، وعامر: جده لأبيه. والهندواني: السيف المطبوع.
(١٠) صلت الجبين: واضح الجبين.

وأسْتَكْبِرُ الأخْبَارَ قبلَ لِقَائِهِ ... فلما الْتَقَيْنَا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ[١]
أَزَالَتْ بكَ الأيامُ عَتْبِي كأنما ... بَنُوهَا لها ذَنْبٌ وأنت لها عُذْرُ

وقوله[٢]:

وَقَفْنَا كأنَّا كلُّ وَجْدِ قُلُوبِنَا ... تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا[٣] في الْقَوَائِمِ
وَدُسْنَا بأَخْفَافِ المَطِيِّ تُرَابَهَا ... فَلا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بلَثْمِ المَنَاسِمِ
دِيارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ ... بطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لاَ بالتَّمَائِمِ
حِسَانُ التثَنِّي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مثلهُ ... إذَا مِسْنَ في أَجْسَامِهِنَّ النَّوَاعِمِ
وَيَبْسِمْنَ عن دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثْلَهُ ... كأنَّ التَّرَاقِي وُشِّحَتْ بالمَبَاسِمِ[٤]
مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الجهلَ دُونَهُ ... إذَا اتَّسَعَتْ في الْحِلْمِ طُرْقُ المَظَالِمِ
وَأَنْ تَرِدَ الماءَ الذي شَطْرُهُ دَمٌ ... فَتَسْقِي إذَا لم يَسْقِ مَنْ لم يُزَاحِمِ
وَمَنْ عَرَفَ الأيامَ مَعْرِفتي بهَا ... وبالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غيرَ رَاحِمِ

وفيها:

وَذي لَجَبٍ[٥] لَا ذُو الجنَاحِ أمامَهُ ... بناجٍ، ولا الوحْشُ المُثَارُ بسالِمِ
تَمُرُّ عليه الشمسُ وَهْيَ كليلَةٌ ... تُطَالِعُه مِن بينِ رِيشِ القَشَاعِمِ[٦]
إذَا ضَوْؤُها لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فَرْجَةً ... تَدَوَّرَ فوقَ الْبَيْضِ مِثلَ الدَّرَاهِمِ
أَرَى دون ما بينَ الفُرَاتِ وَبَرْقَةٍ[٧] ... ضِرَاباً يُمَشِّي الخيْلَ فوق الجماجِمِ
وطَعْنَ غَطَارِيفٍ كأنَّ أَكُفَّهمْ ... عَرَفْنَ الرُّدَيْنِيَّاتِ قبلَ المَعاصِمِ[٨]
حَمَتْهُ على الأعداءِ مِن كلِّ جَانِبٍ ... سُيُوفُ بَنِي طُغْجٍ بنِ جُفٍّ القَماقِمِ[٩]

---

(١) الخبر، بالضم والكسر: الاختبار.
(٢) ديوانه (٤: ١١٠)، من قصيدة يمدح فيها الحسن بن عبيد اللّٰه بن طغج.
(٣) الأذواد: جمع ذود؛ وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من الإبل.
(٤) التراقي: جمع ترقوة، وهي العظام التي فوق الصدر. والمباسم: جمع مبسم، وهو الثغر.
(٥) اللجب: كثرة الأصوات في الحرب.
(٦) القشاعم: النسور. ورواية الديوان:

تمر عليه الشمس وهي ضعيفة

(٧) برقة: موضع ذو حجارة ورمل وطين. والضراب: المحاربة.
(٨) الغطاريف: جمع غطريف، وهو السيد الكريم. والردينيات: جمع رديني، وهو الرمح المنسوب إلى ردينة؛ امرأة من العرب كانت تقوم الرماح. والمعصم: موضع السوار من الساعد.
(٩) الضمير في حمته يعود إلى «ذي لجب» وهو الجيش، القماقم: جمع قمقام، وهو السيد العظيم.

هُمُ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ في حَوْمَةِ الْوَغَى ... وأحسنُ مِنْهُ[1] كَرَّهُمْ في الْمَكارمِ
ولولا احْتِقَارُ الأُسْدِ شَبَّهتُهُمْ بها[2] ... ولكنها مَعْدودةٌ في الْبَهَائِم
كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا لَقِيتُه[3] ... كأنهُمُ ما جَفَّ مِنْ زَادِ قَادِمِ[4]
وكادَ سروري لا يَفِي بِنَدَامَتي ... على تَرْكِهِ في عُمْرِيَ الْمُتَقَادِمِ

وقوله[5]:

وشَامِخٍ مِنَ الجِبَالِ أَقْوَدِ[6]
فَرْدٍ كيَافُوخِ الْبَعِيرِ الأَصْيَدِ[7]
يُسَارُ مِنْ مَضِيقِهِ وَالجلْمَدِ[8]
في مِثْلِ مَتْنِ المَسَدِ المُعَقَّدِ[9]
زُرْنَاهُ لِلأَمْرِ الذي لم يُعْهَدِ
[لِلصَّيْدِ وَالنُّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ][10]
بكلِّ مَسْقِيِّ الدِّمَاءِ أَسْوَدِ
[مُعَاوِدٍ[11] مُقَوَّدٍ مُقَلَّدِ]
كطالِبِ الثَّأْرِ وإن لم يَحْقِدِ
يَقْتُلُ ما يَقْتُلُهُ ولا يَدِي[12]
فَثَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدِي

---

(١) في الأصلين: «منها».

(٢) هكذا بالأصل، قال في شرح العكبري: وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه: «شبهتهم بها». وفي الديوان: «شبهتها بهم».

(٣) رواية الديوان:

كريم نفضت الناس لما بلغته

(٤) المعنى: نفضت الناس لما وصلت نفض القادم حثالة زاده، لاستغنائه عنه بعد القدوم عليه.

(٥) ديوانه (٢: ٣). اجتاز الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد اللّٰه بن طغج ببعض الجبال، فأثارت الغلمان ظبياً فتلقفته الكلاب، فأنشد هذه الأرجوزة مرتجلا.

(٦) الأقود: المنقاد طولا.

(٧) الأصيد: الذي في عنقه اعوجاج من داء به. والصيد: داء يأخذ الإبل في أعناقها.

(٨) الجلمد: الصخر.

(٩) المسد: الحبل من ليف أو شعر.

(١٠) الزيادة من الديوان. التمرد: اللعب والبطر.

(١١) معاود: يعاود الصيد. ومقود: جُعل له مقود يقاد به إلى الصيد. ومقلد: له قلادة. والزيادة من الديوان.

(١٢) لا يدي: أي لا يطالب بدية ولا تجب عليه دية.

كـأنـه بَـدْءُ عِـذَارِ الأمْـرَدِ
فـلـم يَـكَـدْ إلَّا لِـحَـتْـفٍ يَـهْـتَـدِي
ولـم يَـقَـعْ إلا عـلـى بَـطْـنِ يَـدِ

وقوله[١]:

فَـتًـى عَـلَّـمَـتْـهُ نَـفْـسُـهُ وجُـدُودُهُ ... قِراعَ العوالي[٢] وَابْتِذَالَ الرغائِبِ[٣]
فـقـدْ غَـيَّـبَ الـشُّـهَّـادَ عـن كـلِّ مَـوْطِـنٍ ... وَرَدَّ إلـى أوْطَـانِـهِ كـلَّ غـائِـبِ
كـذا الـفـاطِـمِـيُّـونَ الـنَّـدَى في بَـنَـانِـهِـمْ ... أَعَزُّ امِّحاءً مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ[٤]
أَلَا أيُّـهَـا الـمـالُ الـذي قَـدْ أَبـادَهُ ... تَـعَـزَّ فـهـذا فِـعْـلُـهُ بـالْـكَـتَـائِـبِ
لَـعَـلَّـكَ فِـي وَقْـتٍ شَـغَـلْـتَ فُـؤَادَهُ ... عن الجودِ أو كَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَارِبِ

وقوله[٥]:

يـرى الْـجُـبَـنَـاءُ أَنَّ الْـجُـبْـنَ عَـقْـلٌ[٦] ... وتـلـكَ خَـدِيـعَـةُ الـطَّـبْـعِ الـلَّـئِـيـمِ
وكَـمْ مـنْ عَـائِـبٍ قَـوْلاً صـحـيـحـاً ... وآفَـتُـهُ مِـنَ الْـفَـهْـمِ الـسَّـقِـيـمِ
ولـكـنْ تَـأْخُـذُ الآذانُ مِـنْـهُ ... عـلـى قَـدْرِ الْـقَـرَائِـحِ[٧] وَالْـعُـلُـومِ

وقوله[٨]:

يَـا بَـنِـي الـحـارِثِ بـن لُـقْـمَـانَ لَا تَـعْـ ... ـدَمْكُمُ في الْوَغَى مُتُونُ العِتَاقِ[٩]
بَـعَـثُـوا الـرُّعْـبَ فـي قُـلُـوبِ الأَعَـادِ ... يّ فـكـان الْـقِـتَـالُ قـبـلَ الـتَّـلاقِـي
وتـكـادُ الـظُّـبَـى لِـمَـا عَـوَّدُوهـا ... تَـنْـتَـضِـي نَـفْـسَـهَـا إلـى الأعْـنـاقِ

(١) ديوانه (١ : ١٥٢)، من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي.
(٢) في الأصلين: «الأعادي»، وهذه رواية الديوان.
(٣) الرغائب: جمع رغيبة، وهي العطية التي يرغب فيها.
(٤) الرواجب: واحدتها راجبة، وهي مفاصل الأصابع التي تلي الأنامل، والفاطميون: أولاد فاطمة، الكتائب: جمع كتيبة، وهي الجماعة من الخيل.
(٥) ديوانه (٤ : ١٢٠)، من قصيدة أنشدها أبا محمد الحسن بن عبيد اللّه بن طغج وقد غزا أنطاكية.
(٦) رواية الديوان:

يـرى الـجـبـنـاء أن الـعـجـز عـقـل

(٧) رواية الديوان:

عـلـى قـدر الـقـريـحـة والـعـلـوم

(٨) ديوانه (٢ : ٣٦٦)، من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان العدوي.
(٩) الحارث بن لقمان: جد أبي العشائر (الممدوح). والعتاق: الخيل الكرام.

وإذا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْـ ـعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الإشفاقِ
كلُّ ذِمْرٍ يزيدُ في الموتِ حُسْناً كَبُدُورٍ تَمَامُها في الْمُحَاقِ[1]
جاعِلٍ دِرْعَهُ مَنِيَّتَهُ إنْ لَمْ يكنْ دونها منَ العَارِ وَاقِ
كَرَمٌ خَشَّنَ الجَوَانِبَ مِنْهُمْ فَهْوَ كالماءِ في الشِّفَارِ[2] الرِّقَاقِ
وَمَعَالٍ إذَا ادَّعَاهَا سِوَاهُمْ لَزِمَتْهُ خِيَانَةُ السُّرَّاقِ

وقوله[3]:

سِرْ حَلَّ حيث تَحُلُّهُ النُّوَّارُ[4] وأرادَ فيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ
وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ حيث اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ[5] مِدْرَارُ
وأَرَاكَ دَهْرُكَ ما تُحَاوِلُ في العِدَى حتى كأنَّ صُرُوفَهُ أَنْصَارُ
أَنتَ الذي بَجِحَ[6] الزمانُ بذِكرِهِ وتَزَيَّنَتْ بحَدِيثِهِ الأَسْمَارُ

وقوله في بازٍ أطلق[7]:

وطائرةٍ تَتَبَّعُهَا المَنَايا عَلَى آثارِهَا زَجِلُ الجَنَاحِ[8]
كأنَّ رُؤُوسَ أَقْلَامٍ غِلَاظٍ مُسِحْنَ بِرِيشِ جُؤْجُئِهِ الصِّحَاحِ[9]
فَأَقْعَصَها بحُجْنٍ[10] تحتَ صُفْرٍ لها فِعْلُ الأَسِنَّةِ والرِّماحِ[11]
كأنَّ الريشَ منهُ في سِهَامٍ على جَسَدٍ تَجَسَّمَ مِنْ رِياحِ
فَقُلْتُ: لكلِّ حَيٍّ يَوْمُ سُوْءٍ وإنْ حَرِصَ النُّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ

---

(١) الذمر: الرجل الشجاع، والمحاق ـ بضم الميم وكسرها: نقصان القمر في أواخر الشهر.
(٢) الشفار جمع شفرة، وهي حد السيف، والرقاق: الحداد القاطعات.
(٣) ديوانه (٢: ٨٦)، يمدح سيف الدولة.
(٤) في رواية:

سر حيث شئت يحله النوار

(٥) الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. والمدرار: الدائم الدر.
(٦) بجح، بالكسر ويفتح: فرح.
(٧) ديوانه (١: ٢٥٩)، وهي أبيات أنشدها وقد أرسل أبو العشائر بازيا على حجلة فأخذها.
(٨) زجل الجناح: الذي يضرب بجناحيه إذا طار.
(٩) الجؤجؤ: صدر الطير؛ يريد نقش صدره، فشبه سواد صدره برؤوس أقلام غلاظ مسحن في ثوب أبيض.
(١٠) القعص: دق العنق، وهو الموت السريع؛ وحجن: جمع أحجن، أحجن المخالب: معوجها.
(١١) في الأصلين: «فعل الأسنة والصفاح».

وقوله[١]:

فَـوَاهِـبٌ والـرِّمـاحُ تَـشْـجُـرُهُ[٢] وَطـاعِـنٌ والـهِـبَـاتُ مُـتَّـصِـلَـهْ
وكـلـمـا آمَـنَ الـبِـلَادَ سَـرَى وكـلـمـا خِـيـفَ مَـنْـزِلٌ نَـزَلَـهْ
وكـلـمـا جـاهَـرَ الـعَـدُوَّ ضُـحًـى أَمْـكَـنَ حـتـى كـأنـهُ خَـتَـلَـهُ

وقوله[٣]:

أنـا مِـنْـكَ بـيـن فَـضـائـلٍ ومـكـارمٍ ومِـنَ ارْتِـيَـاحِـكَ فـي غَـمـام دائـم
ومِنَ اخْتِقَارِكَ[٤] كلَّ ما تَحْبُو بهِ فـيـمـا أُلَاحِـظُـهُ بَـعْـيـنَـيْ حَـالـم
إنَّ الـخـلـيـفـةَ لـم يُـسَـمِّـكَ سيـفـهـا حتى ابْتَلَاكَ فَكُنْتَ عَينَ الصَّارِمِ[٥]
فـإذا تَـتَـوَّجَ كُـنْـتَ دُرَّةَ تـاجِـهِ وإذا تَـخَـتَّـمَ كُنْتَ فَصَّ الـخـاتَـمِ[٦]
وإذا انْتَضَاكَ على العِدَى في مَعْرَكٍ هَـلَـكـوا وضـاقَـتْ كَفُّهُ بـالـقـائـمِ[٧]
أَبْـدَى سَـخَـاؤُكَ عَـجـزَ كـلِّ مُـشَـمِّـرٍ فـي وَصْـفِـه وَأَضـاق ذَرْعَ الـكـاتِـمِ

وقوله[٨]:

فـكـأنـهـا[٩] والـدمـعُ يَـقْـطـرُ فَـوْقَـهـا ذَهَـبٌ بِـسِـمْـطَـيْ لُـؤْلُـؤٍ قَـدْ رُصِّـعـا
نَشَرَتْ[١٠] ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فـي لَـيْـلَـةٍ فَـأَرَتْ لَـيَـالِـيَ أَرْبَـعَـا
واسْـتَـقْـبَـلَـتْ قَـمَـرَ الـسَّـمـاءِ بـوَجْـهـهـا فَـأَرَتْـنِـيَ الْـقَـمَـرَيْـنِ فـي وَقْـتٍ مَـعَـا

وقوله[١١]:

وشَـكِـيَّـتـي[١٢] فَـقْـدُ الـسَّـقَـامِ لأنـه قـد كـان لَـمَّـا كـان لِـي أَعْـضَـاءُ

---

(١) ديوانه (٣: ٢٧٣)؛ من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر الحمداني.
(٢) تشجره: تنفذ فيه وتخالطه.
(٣) ديوانه (٣: ٣٤٩)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.
(٤) في الأصلين: «ومن ارتياحك».
(٥) الهاء في «سيفها» للدولة. والابتلاء: التجربة والاختبار.
(٦) تتوج: لبس التاج. يقول: الخليفة يتجمل بك؛ كما يتجمل بالتاج والخاتم.
(٧) المعرك: الحرب، وقائم السيف: ما يكون في يد الضارب.
(٨) ديوانه (٢: ٢٦٠)، من قصيدة يمدح فيها عبد الواحد بن العباس الكاتب.
(٩) الضمير في كأنها للصفرة في البيت قبله، وهو:
سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاجرها ولم تك برقعا
(١٠) في الديوان:
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها
(١١) ديوانه (١: ١٤)، من قصيدة يمدح فيها هارون بن عبد العزيز الأدراجي.
(١٢) الشكية والشكوى والشكاية بمعنى.

مَثُلَتِ عَيْنَكِ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلَاءُ

قوله: «فَتَشابهَا» كان حقُّه «فَتشابهَتا»، ولكن حمل الجراحة على الجرح والعين على العضو.

نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وربما تَنْدَقُّ فيه الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ[١]

وقوله[٢]:

كأنَّ العِيسَ كانت فوقَ جَفْني مُنَاخاتٍ فلمَّا سِرْنَ[٣] سَالَا

لَبِسْنَ الْوَشْيَ لا مُتَجَمِّلَاتٍ ولٰكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الجَمالَا

بدَتْ قَمَراً وَمالَتْ خُوطَ[٤] بَانٍ وفَاحَتْ عَنبراً ورَنَتْ غَزَالا

وقوله[٥]:

كانَتْ مِنَ الكَحْلَاءِ سُولِي إنَّمَا أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُولَا[٦]

أَجِدُ الْجَفَاءَ على سِوَاكِ مُروءَةً والصَّبْرَ إلَّا في نَوَاكِ جَمِيلَا

وأَرَى تَدَلُّلَكِ الْكَثِيرَ محبَّباً وأرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولَا

تَشْكُو رَوَادِفَكِ المَطِيَّةُ فوقَهَا شَكْوَى الَّتي وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيلَا

وقوله[٧]:

الْحُبُّ ما مَنَعَ الكلامَ الألْسُنَا وأَلَذُّ شَكْوَى عاشِقٍ مَا أَعْلَنَا

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِي هَجْرَ الكرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَاصِلِي صِلةَ الضَّنَى[٨]

بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَدْرِ مَا أَلْوَانُنا مِمَّا امْتُقِعْنَ تَلَوُّنَا[٩]

وتَوَقَّدَتْ أَنفاسُنَا حَتى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ[١٠] الْعَوَاذِلُ بَيْنَنَا

أَفْدِي المُوَدِّعَةَ الَّتي أتْبَعْتُها نَظَراً فُرَادَى بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا[١١]

---

(١) الصعدة: القناة التي نبتت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم، والسابري: الدرع العظيمة التي لا ينفذها شيء؛ وقيل السابري: الثوب الرقيق.

(٢) ديوانه (٣: ٢٢٢)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.

(٣) رواية الديوان: «ثرن»: أي أثاروها للرحيل.

(٤) الخوط: القضيب، والعنبر: ضرب من الطيب.

(٥) ديوانه (٣: ٢٣٣)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار.

(٦) الكحلاء: التي بعينيها كحل. سولي؛ أي سؤلي، وأصله مهموز. والأجل: المدة.

(٧) ديوانه (٤: ١٩٥)؛ من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار وقد سار إلى الساحل.

(٨) الجرم: الذنب.

(٩) بنا: تفرقنا. وحليتنا: وصفتنا. وامتقع لونه: إذا تغير حياء أو خيفة.

(١٠) أراد أن تحترق. وأشفقت: خفت.

(١١) أراد «ثناء»، وقصر للقافية. كذلك سكن زفرات لضرورة الشعر.

أَنْكَرْتُ طارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِها فَصَارَتْ دَيْدَنَا[١]

وقوله[٢]:

إِلَامَ[٣] طَمَاعِيَةُ الْعَاذِلِ ولَا رَأْيَ فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ[٤]
وإنِّي لأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحُولِي وكلَّ فَتًى[٥] نَاحِلِ
وَلَوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيْتُ عَلَى حُبِّيَ الزَّائِلِ
أَيُنْكِرُ خَدِّي دُمُوعِي وقَدْ جَرَتْ مِنْهُ في مَسْلَكٍ سَابِلِ[٦]
أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلِ
وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لَامَنِي وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ في شاغِلِ
كَأَنَّ الْجُفونَ[٧] عَلَى مُقْلَتِي ثِيابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلِ

وقوله[٨]:

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأحِبَّةِ سلْوَةً[٩] ولَكِنَّنِي لِلنَّائِبَاتِ حَمُولُ
وإنَّ رَحِيلاً وَاحداً حَالَ بَيْنَنا وفِي المَوْتِ منْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلُ
إِذَا كانَ شَمُّ الرَّوْحِ[١٠] أَدنَى إِلَيْكُمُ فَلا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وقَبولُ
وَمَا شَرَقِي بِالْمَاءِ إلَّا تَذَكُّراً لِمَاءٍ بِهِ أهْلُ الحَبِيبِ نُزُولُ
يُحَرِّمُهُ لَمْعُ الأسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظَمْآنٍ إلَيْهِ وُصولُ
أَمَا في النُّجُومِ السَّائرَاتِ وغَيْرِها لِعَيْني عَلَى ضَوْءِ السَّماءِ دَلِيلُ

---

(١) الديدن: العادة.

(٢) ديوانه (٣: ٢١)؛ من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر استنقاذه تغلب بن داود من الأسر.

(٣) إلى: من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من «ما» استخفافا، وكذلك يفعلون في: بم، فيم، عم. والطماعية: مصدر كالطمع.

(٤) يريد إن الطبيعة لا تنقاد لناقلها، ولا تتأتى لمخالفها.

(٥) في الديوان:

نحولي وكل امرئ ناحل

(٦) المسلك السابل: الطريق الجادة.

(٧) في الأصلين: «جفوني».

(٨) ديوانه (٣: ٩٥)، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة.

(٩) سلوة، منصوب بفعل محذوف تقديره: ما سلوتهم سلوة، أو بإسقاط حرف الجر، يريد عن سلوة. أو مفعول له.

(١٠) الروح: نسيم الرياح.

أَلَمْ يَرَ هذا اللَّيلُ عَيْنَيْكِ رُؤْيَتِي ... فَتَظْهَرَ فيهِ رِقَّةٌ وَنُحُولُ
لَقِيتُ بِدَرْبِ الْقُلَّةِ[1] الْفَجْرَ لُقْيَةً ... شَفَتْ كَمَدِي واللَّيْلُ فيه قَتِيلُ
ويَوْماً كأَنَّ الحُسْنَ فيه عَلامَةٌ ... بَعَثْتِ بِها والشَّمْسُ مِنْكِ رَسُولُ

وقوله[2]:

دِمَنٌ تكاثَرَتِ الْهُمُومُ عَلَيَّ فِي ... عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ
فكأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِها ... تَبْكِي بِعَيْنَيْ عُرْوَةَ بنِ حِزَامِ[3]
ولَطالَمَا أَفْنَيتُ رِيقَ كِعَابِهَا[4] ... فِيها وأَفْنَتْ بالعِتَابِ كَلامِي

وقوله[5]:

شَامِيَّةٌ[6] طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا ... تُبْصِرُ في نَاظِرِي مُحَيَّاهَا
فَقَبَّلَتْ نَاظِرِي تُغَالِطُنِي ... وإنما قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا
تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ ... مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا
ما نَفَّضَتْ في يَدِي غَدَائِرُهَا ... جَعَلْتُهُ في المُدَامِ أَفْوَاهَا[7]
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الحِجَالُ[8] بِهِ ... على حِسَانٍ ولَسْنَ أَشْبَاهَا
لَقِينَنَا والحُمُولُ[9] سَائِرَةٌ ... وهُنَّ دُرٌّ فَذُبْنَ أَمْوَاهَا
كُلُّ مَهَاةٍ كأَنَّ مُقْلَتَهَا ... تَقُولُ إِيَّاكُمُ وإِيَّاهَا

وقوله[10]:

أَوَمَا وَجَدْتُمْ في الصَّرَاةِ مُلُوحَةً ... مِمَّا أُرَقْرِقُ في الفُرَاتِ دُمُوعِي[11]

---

(١) درب القلة: موضع ببلاد الروم.

(٢) ديوانه (٤: ٧)، من قصيدة قالها في صباه.

(٣) عروة بن حزام: صاحب عفراء، أحد العشاق المشهورين.

(٤) الكعاب: الكاعب، وهي الجارية التي قد كعب نهدها.

(٥) ديوانه (٤: ٢٧٠)؛ من قصيدة يمدح فيها عضد الدولة.

(٦) شامية: نسبة إلى الشام. والمحيا: الوجه.

(٧) ما: يجوز أن تكون بمعنى الذي؛ فتكون مبتدأ خبره «جعلته»، وأن تكون شرطية. والغدائر: الضفائر. والمدام: الخمر. وأفواه الطيب: أخلاطه. يقول: ضفائرها لكثرة الطيب فيها ينتفض الطيب منها، فالذي ينتفض علي منها من الطيب يطيب به الخمر.

(٨) الحجال: جمع حجلة، وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور للعروس.

(٩) الحمول: الإبل التي تحمل الهوادج؛ كان فيها نساء أو لم يكن.

(١٠) ديوانه (٢: ٢٤٨)، من أبيات قالها في صباه.

(١١) الصراة: نهر يأخذ من الفرات، فينسكب في دجلة. ورقرق الماء: إذا صبه.

رَحَلَ العَزَاءُ بِرَحْلَتي فكأنَّمَا ... أتْبَعْتُهُ الأنْفَاسَ لِلتَّشْييعِ

وقوله[1]:

ما كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ دَفْنِكَ في الثَّرَى ... أنَّ الْكَوَاكِبَ في التُّرَابِ تَغُورُ[2]

ما كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أنْ أرَى ... رَضْوَى على أَيْدِي الرِّجَالِ تَسِيرُ[3]

خَرَجُوا بِهِ ولِكُلِّ باكٍ خَلْفَهُ ... صَعَقَاتُ مُوسىٰ يَوْمَ دُكَّ الطُّورُ[4]

والشَّمْسُ في كَبِدِ السَّماءِ مَرِيضَةٌ ... والأرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ[5]

وحَفيفُ أَجْنَحَةِ الْمَلائِكِ حَوْلَهُ ... وعُيُونُ أَهْلِ اللَّاذِقِيَّةِ صُورُ[6]

حَتَّى أَتَوْا جَدَثاً[7] كأنَّ ضَرِيحَهُ ... في قَلْبِ كلِّ مُوَحِّدٍ مَحْفُورُ

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بَرَدَّ حَيَاتِهِ ... لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

وقوله[8]:

نَفَرٌ إذَا غَابَتْ غُمُودُ سُيُوفِهِمْ ... عَنْهَا فَآجَالُ العِبَادِ حُضُورُ

وقوله[9]:

وَمَن لَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيماً! ... ولَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلى الْوِصَالِ

نَصِيبُكَ في حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ... نَصِيبُكَ في مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

رَمَانِي الدَّهْرُ بالأَرْزَاءِ[10] حَتى ... فُؤَادِي في غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ[11]

وهَانَ[12] فَمَا أُبَالِي بالرَّزَايَا ... لأنِّي مَا انْتَفَعْتُ بأنْ أُبَالِي

وهَذَا أوَّلُ النَّاعِينَ طُرًّا ... لأَوَّلِ مَيْتَةٍ في ذَا الْجَلَالِ

(١) ديوانه (٢: ١٢٩)، من قصيدة يرثي فيها محمد بن إسحاق التنوخي.
(٢) تغور: تذهب وتختفي.
(٣) رضوى: اسم جبل في المدينة؛ شبه المرثي به لعظمته وفخامة قدره.
(٤) الطور: جبل كلم الله موسى عليه.
(٥) الواجفة: المضطربة، وتمور: تذهب وتجيء.
(٦) الملائك: جمع ملك على غير قياس. وصور: جمع أصور، وهو المائل.
(٧) الجدث: القبر.
(٨) ديوانه (٢: ١٣٣)، من القصيدة السابقة.
(٩) ديوانه (٣: ٨)، من قصيدة يرثي فيها والدة سيف الدولة.
(١٠) الأرزاء: جمع رزء، وهي المصيبات. والغشاء: ما يغطي الشيء ويشمله.
(١١) النصال: جمع نصل، وهي الحديدة التي في السهم.
(١٢) أضمر الفاعل لدلالة الكلام عليه، والتقدير: وهان رمي الدهر، لدلالة قوله: رماني الدهر.

كأنَّ المَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بنَفْس ... ولَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِبالِ
صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ[١] ... عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بالجَمَالِ
عَلَى المَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً ... وَقَبْلَ اللَّحْدِ في كَرَمِ الخِلَالِ
فإنَّ لهُ بِبَطْنِ الأرضِ شَخْصاً ... جديداً ذِكْرُنَاهُ[٢] وَهْوَ بَالِي

وفيها:

أَتَتْهُنَّ المَصَائِبُ[٣] غافِلَاتٍ ... فَدَمْعُ الحُزْنِ في[٤] دَمْعِ الدَّلَالِ
ولَوْ كان النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وقوله[٥]:

أَجِدُ الحُزْنَ فِيكَ حِفْظاً وَعَقْلاً ... وأَراهُ في الخَلْقِ ذُعْراً وَجَهْلَا
لَكَ إِلْفٌ[٦] يَجُرُّهُ وَإِذَا ما ... كَرُمَ الأصلُ كان لِلإلْفِ أَصْلَا
وَوَفَاءٌ نَبَتَّ فيهِ ولكنْ ... لم يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلَا
إنَّ خيرَ الدُّمُوعِ عَوْناً لَدَمْعٌ ... بَعَثَتْهُ رِعَايَةٌ فاسْتَهَلَّا[٧]
أين ذي الرِّقَّةُ التي لَكَ في الحَرْ ... بِ إذَا اسْتُكْرِهَ الحديدُ وصَلَّا[٨]
أَيْنَ خَلَّفْتَهَا غَدَاةَ لَقِيتَ الرُّ ... ومَ والهَامُ بالصَّوَارِمِ تُفْلَى[٩]
قَاسَمَتْكَ المَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْراً ... جَعَلَ القِسْمُ نفسَهُ فيكَ عَدْلَا
فإذا قِسْتَ ما أَخَذْنَ بما غا ... دَرْنَ[١٠] سَرَّى عَنِ الفُؤَادِ وسَلَّى
وتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى ... وَتَبَيَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى
وَلَعَمْرِي لَقَدْ شَغَلْتَ المَنَايا ... بالأعادي فكيفَ يَطْلُبْنَ شُغْلَا

---

(١) الحنوط: طيب يستعمل في غسل الميت.
(٢) رفع «ذكرناه» بجديد؛ ووضع الضمير المتصل مكان المنفصل كما في قوله تعالى: ﴿أنلزمكموها﴾.
(٣) رواية الديوان:
أتتهن المصيبة غافلات
(٤) في الأصلين: «مع».
(٥) ديوانه (٣: ١٢٤)، من قصيدة يعزي فيها سيف الدولة بأخته الصغرى، ويسليه بالكبرى.
(٦) الإلف: السكون إلى الشيء والغبطة به، يجره: يسحب إليك الحزن.
(٧) الاستهلال: الانسكاب.
(٨) صل الحديد: إذا صوت.
(٩) تفلى: تفصل.
(١٠) في الديوان: «أغدرن»، وهو مثل غادرن. وسرى: أذهب. وسلى: عزى.

وكم انْتَشْتَ بالسيوفِ مِن الدَّهْـ[١] ـرِ أَسِيـراً وبـالـنَّـوالِ مُـقِـلَّا
عَـدَّهَـا نُـصْـرَةً عـلـيـه فـلـمَّـا صـال[٢] خَـتْـلاً رآهُ أَدْرَكَ تَـبْـلَا[٣]
وإذا لـم تـجـدْ مـنَ الـنـاسِ كُـفْـواً ذَاتُ خِـدْرٍ أَرَادَتِ الـمَـوْتَ بَـعْـلَا
ولَـذيـذُ الـحـيَـاةِ أَنْـفَـسُ فـي الـنَّـ ـفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى
وإِذَا الـشـيْـخُ قـال أُفٍّ فـمَـا مَـ ـلَّ حَـيـاةً وإنـمـا الـضُّـعْـفَ مَـلَّا
آلَـةُ الـعَـيْـشِ صِـحَّـةٌ وَشَـبَـابٌ فـإذا وَلَّـيَـا عَـنِ الـمَـرْءِ وَلَّـى
أَبَـداً تَـسْـتَـرِدُّ مـا تَـهَـبُ الـدُّنْـ ـيا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كـانَ بُـخْـلَا
وَهْيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لا تَحْـ ـفَـظُ عَـهْـداً ولا تُـتَـمِّـمُ وَصْـلَا
كـلُّ دَمْـعٍ يَـسِـيـلُ مِـنْـهَـا عـلـيـهـا وَبِـفَـكِّ الـيَـدَيْـنِ عـنـهـا تُـخَـلَّـى
شِـيَـمُ الـغَـانِـيَـاتِ فـيـهـا فـلا أَدْ رِي لِذَا أَنَّثَ اسْمَهـا النَّـاسُ أم لا[٤]
يـا مَـلِـيـكَ الْـوَرَى الـمفَـرِّقَ مَـحْـيـاً وَمَـمَـاتـاً فـيـهـمْ وعِـزّاً وَذُلَّا
قَـلَّـدَ الـلَّـهُ دَوْلَـةً سَـيْـفُـهـا أَنْـ ـتَ حُسَاماً بالـمَـكْـرُمَاتِ مُحَلَّـى
فَـبِـهِ أَغْـنَـتِ الـمَـوَالِـيَ بَـذْلاً وبِـهِ أَفْـنَـتِ الأعـادِيَ قَـتْـلَا
أيُّـهَـا الـبَـاهِـرُ الـعُـقُـولَ فَـمَـا يُـدْ رَكُ وَصْفاً أَتْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلَا
مَـنْ تَـعَـاطَـى تَـشَـبُّـهـاً بِـكَ أَعْـيَـا هُ وَمَـنْ دَلَّ فـي طـريـقِـكَ ضَـلَّا
وإذا مـا اشْـتَـهَـى خُـلُـودَكَ دَاعٍ قـال لا زُلْـتَ أو تَـرَى لـك مِـثْـلَا[٥]

وقوله[٦]:

الـنَّـوْمُ بَـعْـدَ أَبـي شُـجَـاعٍ نَـافِـرٌ والـلـيـلُ مُـعْـيٍ[٧] والْـكَـوَاكِـبُ ظُلَّـعُ
إنـي لأَجْـبُـنُ مِـنْ فِـرَاقِ أَحِـبَّـتِـي وتُحِسُّ نَفْسِي بالْحِمَامِ[٨] فأَشْجُعُ

---

(١) انتاشه من صرعة؛ إذا نعشه.
(٢) في الأصلين: «صار».
(٣) الضمير في رآه للدهر. صال: وثب. والتبل: الحقد والعداوة. والختل: افتراس الشيء على خديعة وحين غفلة.
(٤) الشيم: الطبائع. والغانيات: النساء الشواب. يريد أن الدنيا طبعها طبع الغواني؛ لا تصونه وداً، ولا تقيم عهداً.
(٥) في الديوان:

قـال لا زلـت أو نـرى لا مـثـلا

(٦) ديوانه (٢: ٢٦٨)؛ من قصيدة يرثي فيها أبا شجاع فاتكا. وذلك بعد أن خرج من مصر.
(٧) معي: من إعياء الماشي وهو كلاله، والظلع: التي تغمز في مشيها عرجا.
(٨) الحمام: الموت.

وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الأعادي قَسْوَةً ... وُيلِمُّ بي عَتْبُ الصَّدِيقِ فأَجْزَعُ[١]
تَصْفُو الحياةُ لجاهِلٍ أو غافِلٍ ... عما مَضى منها وما يُتَوَقَّعُ[٢]
ولِمَنْ يُغالِطُ في الحقائقِ نفسَهُ ... ويَسُومُها طَلَبَ المُحَالِ فَتَطْمَعُ
أينَ الذي الهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... ما يَوْمُهُ ما قَوْمُهُ ما المَصْرَعُ
تَتَخَلَّفُ الآثارُ عن أصحابِها ... حيناً ويُدْرِكُها الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ
وإذا حَصَلْتَ مِنَ السِّلَاحِ على البُكا ... فَحَشَاكَ رُعْتَ بهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ[٣]

وقوله[٤]:

طَوَى الجزيرةَ حتى جاءني خَبَرٌ ... فَزِعْتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ
حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُهُ أَمَلاً ... شَرِقْتُ بالدمعِ حتى كادَ يَشْرَقُ بي
تَعَثَّرَتْ بهِ في الأفْوَاهِ أَلْسُنُها ... والبُرْدُ[٥] في الطُّرْقِ وَالأَقْلَامُ في الكُتُبِ
فإن تكنْ تَغْلِبُ الغَلْبَاءُ عُنْصُرَها ... فإن في الخمر مَعْنًى ليس في العِنَبِ[٦]
وما[٧] ذَكَرْتُ جَميلاً من صَنَائِعِها ... إلَّا بَكَيْتُ، ولا وُدٌّ بِلَا سَبَبِ
فلا تَنَلْكَ اللَّيالِي إنَّ أَيْدِيَها ... إذا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرَبِ[٨]
ولا يُعِنَّ عَدُوًّا أَنتَ قاهِرُهُ ... فإنَّهُنَّ يَصِدْنَ الصَّقْرَ بالخَرَبِ[٩]
وربما احتَسَبَ الإنسانُ غايَتَها ... وَفَاجَأَتْهُ بأَمْرٍ غيرِ مُحتَسَبِ
وما قَضى أحدٌ منها لُبَانَتَهُ[١٠] ... ولا انتهى أَرَبٌ إلا إلى أَرَبِ

---

(١) يريد أنه لا يلين لأعدائه إذا غضبوا؛ بل يزيد قسوة عليهم، ويجزع عند عتب الصديق، فيلين له وينقاد.
(٢) يسومها: يكلفها؛ أي وتصفو الحياة لمن يغالط نفسه في حقيقة الموت، ويمنيها السلامة والبقاء فتطمع في المحال، ولا تبالي بما ترى من العبر.
(٣) تقرع: تضرب، ورعت: أخفت. يقول: إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء، فهو سلاح عليك لا لك.
(٤) ديوانه (١ : ٨٧). كانت قد توفيت أخت سيف الدولة بميافارقين، وورد خبرها إلى الكوفة؛ فقال المتنبي قصيدة يرثيها، ويعزيه بها، وكتب بها إليه من الكوفة.
(٥) البرد: جمع بريد، وهو الرسول، وسكن الراء على لغة تميم.
(٦) تغلب الغلباء: إن كانت من تغلب الغالبين الناس لشجاعتهم وعزهم فإنها أفضل منهم.
(٧) في الديوان: «ولا». أي بكيت لمودتي إياها، ولكل مودة سبب، وسبب مودتي ما ذكرت من صنائعها.
(٨) النبع: شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي. والغرب: نبت ضعيف ينبت على الأنهار؛ أي لا أصابتك الليالي بسوء؛ فإنها تغلب القوي بالضعيف.
(٩) يعن، من الإعانة، والضمير لليالي، والخرب: ذكر الحبارى.
(١٠) اللبانة: الحاجة، وكذلك الأرب.

وَمَن تفكَّر في الدُّنيا وَمُهجَتِهِ أَقَامَهُ الفِكْرُ بين العَجْزِ وَالتَّعَبِ

وقوله[١]:

نحن بَنُو المَوْتِ[٢] فَمَا بَالُنَا نَعَافُ ما لا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ

تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا على زمانٍ هُنَّ[٣] مِنْ كَسْبِهِ

فهذه الأرواحُ مِن جَوِّهِ وهذه الأجسامُ مِنْ تُرْبِهِ

لَوْ فكَّرَ العاشِقُ في مُنْتَهَى حُسْنِ الذي يَسْبيهِ لم يَسْبِهِ

لم يُرَ قَرْنُ[٤] الشمس في شَرْقِهِ فَشَكَّتِ الأنفُسُ في غَرْبِهِ

يموتُ راعي[٥] الضَّأنِ في جَهْلِهِ مِيتَةَ جَالِينُوسَ في طِبِّهِ

وربما زاد على عُمرِهِ وزَادَ في الأمْنِ على سِرْبِهِ[٦]

وغايةُ المُفْرِطِ في سِلْمِهِ كَغَايَةِ المُفْرِط[٧] في حَرْبِهِ

فلا قضى حاجتَه طالِبٌ فُؤَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُعْبِهِ

حاشاكَ أَنْ تَضْعُفَ عنْ حَملِ ما تَحَمَّلَ السَّائرُ[٨] في كُتْبِهِ

وقوله - يرثي جدته[٩]:

عَرَفْتُ اللَّيالِي قبلَ ما صَنَعَتْ بِنَا فلما دَهَتْنِي لم تَزِدْني بها عِلْمَا

حَرَامٌ على قَلْبِي السرورُ فإنني أَعُدُّ الذي ماتَتْ بهِ بَعْدَهَا سَمَّا

تَعَجَّبُ مِن خَطِّي وَلَفظِي كأنها[١٠] تَرَى بحروف السطرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا[١١]

وَتَلْثَمُهُ حتى أَصارَ مِدَادُهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وأنْيَابِهَا سُحْمَا[١٢]

رَقَا[١٣] دَمْعُهَا الجاري وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بعد ما أَدْمَى

---

(١) ديوانه (١: ٢١١)، من قصيدة يرثي بها عمة عضد الدولة، ويعزيه فيها.

(٢) في الديوان: «الموتى».

(٣) في الديوان: «هي».

(٤) قرن الشمس: أول ما يبدو منها.

(٥) يريد براعي الضأن: أحقر القوم وأجهلهم.

(٦) الضمير في عمره يعود إلى جالينوس. السرب هنا: النفس، والضمير في «زاد» يعود إلى الراعي.

(٧) أفرط في الأمر: جاوز الحد فيه.

(٨) السائر: الذي حمل إلى أبي شجاع عضد الدولة الكتاب بوفاتها.

(٩) ديوانه (٤: ١٠٤).

(١٠) في الأصلين: «كأنما».

(١١) الغراب الأعصم: الذي في أحد جناحيه ريشة بيضاء. وهو قليل الوجود.

(١٢) اللثم: التقبيل. وسحما: سودا.

(١٣) رقا الدم والدمع: إذا انقطع، وأصله الهمزة.

ولم يُسْلِها إلا المَنايا، وإنما أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الذي أَذْهَبَ السُّقْما[١]
وكُنْتُ قُبَيْلَ الموتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى فقد صارتِ الصُّغْرَى التي كانتِ العُظْمَى
وما انْسَدَّتِ الدنيا عليَّ لِضِيقِهَا ولكنَّ طَرْفاً لا أَراكِ بِهِ أَعْمَى

وقوله[٢]:

يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَغَى لأَخُوكِ ثَمَّ أَرَقُّ مِنْكِ وَأَرْحَمُ
يَرْنُو إِلَيْكِ مَعَ الْعَفَافِ وعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ
رَاعَتْكِ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوْ أَنَّهَا الأُولَى لَرَاعَ الأَسْحَمُ[٣]
لَو كانَ يُمْكِنُنِي سَفَرْتُ[٤] عَنِ الصِّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الأَوَانِ تَلَثُّمُ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقاً[٥] يُمِيتُ وَلَا سَوَاداً يَعْصِمُ
والنَّاسُ قَدْ نَبَذوا الحِفَاظَ[٦] فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُولَى وَعَافٍ يَنْدَمُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ[٧] النُّفُوسِ فإنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ جَهْلِهِ[٨] وخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ

ثم هجا وقال:

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلَغَ الطَّرِيقَ وعِرْسُهُ ما بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الأعْظَمُ
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَعْقَابِهِ تَحْتَ الْعُلُوجِ[٩] وَمِنْ وَرَاءٍ يُلْجَمُ
وجُفُونُه مَا تَسْتَقِرُّ كأَنَّها مَطْرُوفَةٌ أَوْ فُتَّ فِيها حِصْرِمُ
وإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثاً فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ
يَقْلِي مُفَارَقَةَ الأَكُفِّ قَذَالُهُ حَتَّى يَكادَ عَلَى يَدٍ يَتَعَمَّمُ

---

(١) يقول: لم يسلها عني إلا الموت، والموت الذي أذهب سقمها بالحزن لأجلي كان أشد من السقم.
(٢) ديوانه (٤: ١٢٢)، في هجاء ابن كيغلغ.
(٣) الرائعة: التي تروع الناظر. والأسحم: الأسود. والعارض: ما يلي الخد.
(٤) سفرت: أظهرت وكشفت. والتلثم: ستر الوجه.
(٥) أبيض يقق: شديد البياض.
(٦) الحفاظ: المحافظة على العهود وغيرها، وعاف: من العفو عن الإساءة.
(٧) الشيم: جمع شيمة وهي الخليقة. وفي الأصلين: «فالظلم».
(٨) لا يرعوي: لا يقلع. ورواية الديوان:
عن غيه وخطاب من لا يفهم
(٩) العلوج: جمع علج، وهو الرجل الأعجمي، والحمار الوحشي.

ومِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... ومِنَ الصَّداقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ

وقوله[١]:

مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقَوْمُهُ الْبِيضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصِّيدُ[٢]

أَمْ أُذْنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً ... أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودُ

وقوله[٣]:

وأسْودُ أمّا القلبُ منه فضَيِّقٌ ... نَخِيبٌ[٤] وأمّا بَطْنُهُ فرَحِيبُ

يموتُ به غَيْظاً على الدَّهْرِ أهلُه ... كما مات غَيْظاً فاتكٌ وشَبِيبُ

إذَا ما عَدِمْتَ الأصْلَ وَالعَقْلَ والنَّدَى ... فما لِحيَاةٍ في جَنابِك طِيبُ

وقوله[٥]:

كأنَّمَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ ... بَحْرٌ حَوَى مثْلَ مائهِ عَنَمَا[٦]

نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُوفِ دَماً ... وكلَّ قَوْلٍ يقولُهُ حِكَمَا

والخَيْلَ قدْ فَصَّلَ الضِّياعَ بها ... والنِّعَمَ السَّابِغَاتِ والنِّقَمَا

فَلْيُرِنَا الوردُ إن شكَا يَدَهُ ... أحْسَنَ منه من جُودِها[٧] سَلِمَا

وقُلْ لهُ لسْتَ خيْرَ ما نَثَرَتْ ... وإنما عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا[٨]

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوانه (٢: ٤٦)، من قصيدة قالها عند خروجه من مصر، يهجو فيها كافوراً.

(٢) الصيد: جمع أصيد، وهم الملوك ذوو الكبرياء.

(٣) لم نقف عليها في ديوانه.

(٤) النخيب: الجبان.

(٥) ديوانه (٤: ١٦٤)، من أبيات يمدح فيها عضد الدولة، وكان قد نثر ورداً.

(٦) العنم: شجر له ثمر أحمر؛ يشبه به بنان الجواري.

(٧) يروى «جوده»؛ قال في التبيان: «من رواه مذكراً رجع إلى الممدوح، ومن رواه مؤنثاً رجع إلى اليد». والضمير في «منه» يعود إلى الورد.

(٨) يقول: قل للورد لست خيراً مما نثرت يداه، وإنما جعلك ـ حين نثرك ـ عوذة للكرم.

حسن التخلص والخروج

ومن حُسْن التخلص وحسن الخروج قوله[١]:

حَدَقٌ يُذِمُّ[٢] من الْقَواتِلِ غيْرَها ... بَدْرُ بْنُ عَمَّارِ بْنِ إِسْماعِيلَا

وقوله[٣]:

وهَزٌّ أَطَارَ النَّوْمَ حتى كأنَّني ... من السُّكْرِ في الغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ[٤]

شَدَوْا بابْنِ إِسْحَاقَ الحُسَيْنِ فصَافَحَت ... ذَفَارِيَها كِيرَانُها والنَّمَارِقُ[٥]

وقوله[٦]:

مرّتْ بِنَا بيْنَ تِرْبَيْها[٧] فقُلْتُ لها ... مِنْ أيْنَ جانَسَ هذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا

فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُغِيث يُرَى ... لَيْثَ الشَّرَى وهْوَ مِنْ عِجْلٍ إذا انْتَسَبا

وقوله[٨]:

وحُبيتُ من خُوصِ الرِّكابِ بِأَسْوَدٍ ... من دَارِشٍ[٩] فَغَدَوْتُ أَمْشِي راكِبَا

حالاً متَى عَلِمَ ابنُ مَنْصُورٍ بها ... جاءَ الزَّمانُ إلَيَّ مِنها تائِبَا

---

(١) ديوانه (٣: ٢٣٥).

(٢) يذم: يجير ويعطي الذمام، وأذمه: أجاره.

(٣) ديوانه (٢: ٣٤٤).

(٤) الهز: التحريك والإزعاج. أراد بالسكر: النعاس. الغرز: ركاب من خشب، وقيل: من جلد للإبل خاصة. الشبارق: الخلق المقطع.

(٥) الذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذنين، والجمع ذفريات وذفارى. والكيران: جمع كور، وهو الرحل، والنمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة تحت الراكب وغيره. أراد ما يكون قدام الرحل يجعل الراكب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز.

(٦) ديوانه (١: ١١٢).

(٧) الترب: اللدة، والشادن من الظباء وغيرها: الذي شدن قرنه وقوي وترعرع.

(٨) ديوانه (١: ١٢٥).

(٩) الخوص: جمع خوصاء، وهي الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والدارش: ضرب من الجلود، وهو من جلد الضأن، يريد: بدلت من خوص الركاب بخف أسود من رديء الجلود، وأنا ماش راكب.

وقوله[١]:

جمَح الزمانُ فما لذيذٌ خالصٌ ... مما يَشُوبُ ولا سرورٌ كاملُ

حتى أبو الفضلِ بنُ عبد اللَّه رُؤْ ... يتُه المُنَى وهْيَ المَقَامُ الهائلُ[٢]

وقوله[٣]:

ومَقَانِبٍ[٤] بمَقَانِبٍ غَادَرْتُها ... أقْوَاتَ وحْشٍ كُنَّ من أقْوَاتِهَا

أقْبَلْتُهَا[٥] غُرَرَ الْجِيَادِ كأنما ... أيدي بَني عِمْرَانَ في جَبَهَاتِهَا

وقوله[٦]:

وغَيْثٍ ظَنَنَّا تحته أنَّ عامراً[٧] ... عَلَا لم يَمُتْ أو في السّحَابِ لهُ قَبْرُ

وقوله[٨]:

إذَا صُلْتُ لم أتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكٍ ... وإن قلتُ لم أتْرُكْ مَقالاً لعالم

وإلا فَخَانَتْني القَوَافِي وعاقَني ... عن ابنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ضُعْفُ الْعَزَائِمِ

وقوله[٩]:

ولو كنتُ في أَسْرِ غير الهوى ... ضَمِنْتُ ضَمَانَ أبي وائِلِ[١٠]

فَدَى نفسه بضمانِ النُّضارِ ... وأعطى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابلَ[١١]

وقوله[١٢]:

نُوَدِّعهم وَالْبَيْنُ فينا كأنهُ ... قَنَا ابْنُ أبي الهيجَاءِ في قلبِ فَيْلَقِ[١٣]

وقوله[١٤]:

وَتَعَذُّرُ الأحرار صيَّر ظَهْرها ... إلَّا إليكَ عليَّ ظَهْرَ حَرامِ

وقوله[١٥]:

كلما رحّبتْ بنا الرّوضُ قُلنا ... حَلَبٌ قَصْدُنَا وأنتِ السَّبيلُ

---

(١) ديوانه (٣: ٢٥٤).
(٢) الهائل: المهيب المخيف.
(٣) ديوانه (١: ٢٢٨).
(٤) المقانب: جمع مقنب، وهو الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.
(٥) الضمير في أقبلتها للمقانب. وأقبلته الشيء: إذا وجهته إليه.
(٦) ديوانه (٢: ١٥٣).
(٧) يريد عامراً الأنطاكي جد الممدوح. والقصيدة في مدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي. وقبر معطوف على خبر إن.
(٨) ديوانه (٤: ١١٢).
(٩) ديوانه (٣: ٢٣).
(١٠) أبو وائل: هو تغلب بن داود، وهو ابن عم سيف الدولة.
(١١) القنا الذابل: الرقاق.
(١٢) ديوانه (٢: ٣٠٨).
(١٣) أبو الهيجاء: والد سيف الدولة، والفيلق: الكتيبة الشديدة.
(١٤) ديوانه (٤: ٩).
(١٥) ديوانه (٣: ١٥٣).

فِيكِ مَرْعَى جِيَادِنا والمطايا وإليها وجِيفُنَا والذميلُ[١]
والمُسَمَّوْنَ بالأمير كثيرٌ والأميرُ الذي بها المأمولُ

وقوله[٢]:

لو أنَّ فَنَّاخُسْرَ[٣] صَبَّحكم وَبَرَزْتِ وَحْدَكِ عاقَهُ الغَزَلُ
ما كنتِ فاعِلَةً وَضَيْفُكم مَلِكُ الملوكِ وشَأْنُكِ البَخَلُ
أَتُمَنِّعِينَ قِرًى فَتَفْتَضِحِي أم تَبْذُلِينَ له الذي يَسَلُ
بل لا يَحُلّ بحيث حلّ بهِ بُخْلٌ ولا جَوْرٌ ولا وَجَلُ

المستكره من تخلصه

ولعلك لا تجدُ له تخلّصاً مستكرهاً إلا قوله[٤]:

أُحبّكِ أو يقولوا جَرّ نَمْلٌ ثَبِيراً أو ابنُ إبْرَاهِيمَ رِيعَا

وقوله[٥]:

فَأَفْنَى وما أفنتْهُ[٦] نفسي كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كَهْفُ

وقوله[٧]:

لوِ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ الناسَ كلّهمُ إلى سَعِيدِ بن عبد اللّه بُعْرَانَا[٨]

وقوله[٩]:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنَى[١٠] سَرْجُ سَابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزّمانِ كِتَابُ
وبحرٌ أبو المِسْكِ الخِضَمُّ الذي لَهُ على كلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وعُبَابُ[١١]

فهي وإن لم تكن حسنةً مختارة، فليست من المستَهْجَن الساقط.

ابتداءاته

ومن عاب من ابتدائه مثل قوله[١٢]:

كُفّي أرَاني وَيْكِ لَوْمكِ أَلْوَمَا[١٣]

---

(١) الوجيف والذميل: ضربان من السير سريعان. (٢) ديوانه (٣: ٣٠٢).
(٣) فناخسر: من أسماء الديلم، وهو اسم عضد الدولة، وصبحكم: أتاكم صباحاً للغارة.
(٤) ديوانه (٢: ٢٥٣). (٥) ديوانه (٢: ٢٨٤).
(٦) الضمير في: أفنته عائد على الضنى في البيت قبله، والكهف: الموضع الذي يمنع ويعصم من يأوي إليه.
(٧) ديوانه (٤: ٢٢٤). (٨) البعران: جمع بعير.
(٩) ديوانه (١: ١٩٣).
(١٠) الدنى: جمع دنيا، والسابح من الخيل: الشديد الجري.
(١١) الخضم: الكثير الماء، والزخر: تراكب الماء. وعباب البحر: شدته وقوته.
(١٢) ديوانه (٤: ٢٧).
(١٣) وبقية البيت: همّ أقام على فؤاد أنجما

وقوله[١]:

هـذي بَـرَزْتِ لـنـا فـهـجْتِ رَسِـيسَـا ثـم انـثَـنَـيْت ومـا شـفَـيْتِ نَـسِـيسَـا[٢]

وقوله[٣]:

أَوْهِ بَـدِيـلٌ مـن قَـوْلـتـي واهَـا[٤] لِـمَـنْ نَـأَتْ والـبَـدِيـلُ ذِكْـرَاهَـا

واستَبْرَدَ قوله[٥]:

أمُـسَـاوِرٌ[٦] أمْ قَـرْنُ شَـمْـسٍ هـذَا أم لَـيْـثُ غـابٍ يَـقْـدُمُ الأسْـتَـاذَا

وقوله[٧]:

إِثْـلِـثْ فـإنّـا أيُّـهَـا الـطَّـلَـلُ[٨]

وقوله[٩]:

أحَـادٌ أمْ سُـدَاسٌ فـي أُحَـادِ[١٠]

وقوله[١١]:

مُـلِـثَّ[١٢] الـقَـطْـرِ أعطِـشْـهَـا رُبُـوعـاً

وقوله[١٣]:

بـقَـائِـي شـاء لـيـسَ هـمُ ارتـحـالَا وحُـسْـنَ الـصبرِ زَمّوا[١٤] لَا الـجـمـالَا

وقوله[١٥]:

سِـرْبٌ مَـحـاسِـنُـه حُـرِمْـتُ ذَوَاتـهـا

---

(١) ديوانه (٢: ١٥٣).

(٢) هذي: يا هذه. والرسيس: ما رس في القلب من الهوى؛ أي ثبت. والنسيس: بقية النفس.

(٣) ديوانه (٤: ٢٦٩).

(٤) أوه: كلمة توجع، وواها: كلمة تعجب.

(٥) ديوانه (٢: ٨٢).

(٦) مساور: هو الممدوح، وهو ابن محمد الرومي. والأستاذ هو الوزير في لغة بعض أهل الشام.

(٧) ديوانه (٣: ٢٩٩).

(٨) بقية البيت:

نـبـكـي وتـرزم تـحـتـنـا الإبـل

(٩) ديوانه (١: ٣٥٣).

(١٠) بقية البيت:

لـيـلـتـنـا الـمـنـوطـة بـالـتـنـاد

(١١) ديوانه (٢: ٢٤٩).

(١٢) الملث: الدائم المقيم، وبقية البيت:

وإلا فـاسـقـهـا الـسـم الـنـقـيـعـا

(١٣) ديوانه (٣: ٢٣١).

(١٤) زموا الجمال: خطموها بالأزمّة.

(١٥) ديوانه (١: ٢٢٥).

وقوله[١]:

أنا لَائِمي إن كنتُ وقتَ اللَّوائِم

وقوله[٢]:

مَبيتي من دِمِشقَ على فِرَاشٍ حَشَاهُ لي بحَرِّ حَشاي حاشِي

وقوله[٣]:

وفاؤكُما كالرَّبْع أشْجَاهُ طَاسِمُهْ

واستقبح افتتاحه مخاطبةَ ملك[٤] بقوله[٥]:

كفى بكَ داءً أن ترَى الموتَ شافياً وحَسْبُ المنايا أنْ يكنَّ أمانيَا

وضرب له الأمثال، فروى له خبر ذي الرُّمة حين استنشده بعضُ الملوك من بني أميّة ـ ويقال: إنه عبدُ الملك بن مروان ـ فأنشده قوله[٦]:

ما بالُ عَيْنِكَ منها الماءُ يَنْسَكِبُ

فقال: وما سؤالك عن هذا يا ابن اللَّخْنَاء! وأمرَ بإخراجه. وكانت عينُ الممدوح بها عِلّة فدمْعُها لا يستمسك. وأنا أرتابُ بهذا الخبر، ولا أظنّه ثبتا.

وخبر أبي حَكِيمة لما استنشده أبو دُلَف بعضَ ما وصف به هَنَه، فأنشدَه:

ألا ذهب... الذي كنت تعرف

فقال: أمُّ الأبعد به أعرف.

حسن ابتداءاته

فَلْيَغْتَفِرْ ذلك له لقوله[٧]:

أَتُرَاها لِكَثْرَةِ العُشَّاقِ تَحْسِبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المآقِي

فإنه ابتداءٌ ما سُمِع مثله، ومعنى انفردَ باختراعه، وقوله[٨]:

على قَدْرِ أهْلِ العزمِ تأتي العَزائِم

---

(١) ديوانه (٤: ١١٠) وتمامه:

علمت بما بي بين تلك المعالم

(٢) ديوانه (٢: ٢٠٧).

(٣) ديوانه (٣: ٣٢٥) وتمامه:

بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

(٤) يمدح كافورا. (٥) ديوانه (٤: ٢٨١).

(٦) الجمهرة ص ٣٦٠، وتمامه:

كأنه من كلى مفرية سرب

(٧) ديوانه (٢: ٣٦٢).

(٨) ديوانه (٣: ٣٨٧) وتمامه:

وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقوله[١]:

الـرّأيُ قـبـلَ شَـجـاعـةِ الـشُّـجـعـانِ هُـوَ أوّلٌ وَهِـيَ الـمَـحَـلُّ الـثـانِـي
فـإذا هـمـا اجْـتـمَـعـا لـنَـفْـسٍ مِـرَّةٍ بـلـغَـتْ مـن الـعـلـيـاءِ كـلَّ مـكـانِ

وقوله[٢]:

لِـكـلِّ امْـرِئٍ مـن دَهْـرِهِ مـا تَـعَـوَّدَا وعادةُ[٣] سَيْفِ الدولةِ الطَّعْنُ في الْعِدَا

وقوله[٤]:

فَـدَيـنـاكَ مـن رَبْـعٍ وإن زِدْتَـنـا كَـرْبَـا

وقوله[٥]:

إذا كـانَ مَـدْحٌ فَـالـنَّـسِـيـبُ الْـمُـقَـدَّمُ أكُـلُّ فَـصِـيـحٍ قـال شِـعْـراً مُـتَـيَّـمُ

وقوله[٦]:

أيَـــدْرِي الــــرَّبْـــعُ أيَّ دَمٍ أراقَــــا

وقوله[٧]:

أُغَالِبُ فيكَ الشَّوْقَ والشَّوْقُ أغْلَبُ

وقوله[٨]:

حَـاشَـى الـرَّقـيـبَ فـخـانَـتْـهُ ضَـمـائـرُه وغَـيَّـضَ الـدّمـع فـانـهـلّـتْ بَـوادرُهُ[٩]

وقوله[١٠]:

سِـــرْ حَـــلَّ حـيــثُ يَـحُــلُّــه الـنُّــوَّارُ وأرادَ فـيـــكَ مُـــرَادَكَ الـــمِـــقْـــدارُ

وقوله[١١]:

أعْلَى الممالِكِ ما يُبْنَى على الأسَلِ

---

(١) ديوانه (٤ : ١٧٤). (٢) ديوانه (١ : ٢٨١).

(٣) في الأصلين: «عادات» تحريف.

(٤) ديوانه (١ : ٥٦)، وتمامه:

فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

(٥) ديوانه (٣: ٣٥٠).

(٦) ديوانه (٢ : ٢٩٤) وبقيته:

وأي قلوب هذا الركب شاقا

(٧) ديوانه (١ : ١٧٦)، وبقيته:

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

(٨) ديوانه (٢: ١١٥).

(٩) حاشاه: توقاه. وغيض الدمع: نقصه وحبسه. وانهلت: انصبت. والبوادر: السوابق.

(١٠) ديوانه (٢: ٨٦).

(١١) ديوانه (٣: ٣٤)، وبقيته:

والطعن عند محبيهن كالقبل

والأسل: الرماح.

وقوله[١]:

أفاضِلُ النَّاسِ أغراضٌ لِذَا الزَّمن

وقوله[٢]:

فؤادٌ ما تُسَلِّيهِ المُدَامُ وعُمْرٌ مثلُ ما تَهَبُ اللئامُ

وقوله[٣]:

اليومَ عَهْدُكُمُ فأينَ الموعِدُ هَيْهَاتَ ليسَ ليومِ عَهْدِكُمُ غَدُ

وأمثال ذلك إن طلبتَه هداك إلى موضعه، وإذا التمستَه دلّك على نفسه. وهذه أفرادُ أبيات منها أمثالٌ سائرة، ومنها معانٍ مستَوفاة، لم تجد في أخَواتها، وجَارات جنبها ما يصلُح لِمُصاحبتها. ولعل أكثرَها، أو معظم ما أثبت منها، وكثيراً مما ذُكر في درج ما تقدّمها من اللُّمع المختارة، مختارة المعاني مفترعة المذاهب. وليس لك أن تُلْزمني تمييزَ ذلك وإفرادَه والتنبيهَ عليه بأعيانه كما فعله كثيرٌ ممن استهدف للألسن، ولم يحترز من جناية التهجّم؛ فقال: معنى فرد، وبيت بديع، ولم يُسْبق فلان إلى كذا، وانفرد فلان بكذ؛ لأني لم أدَّع الإحاطة بشعر الأوائل والأواخر؛ بل لم أزعم أني تَصَفَّحْتُه سماعاً وقراءة، فدَع الحِفظ والرواية. ولعل المعنى الذي أَسمُه بهذه السِّمة، والبيتَ الذي أُضيفه إلى هذه الجملة في صدر ديوان لم أتصفّحه؛ أو تصفّحتُه ولم أعثر بذلك السطر منه، أو عساني أن أكونَ رويتُه ثم نسيتُه، أو حفظته لكني أغفلتُ وجهَ الأخذِ منه، وطريقة الاحتذاء به.

ضياع كثير من الشعر

وإنما أجسر في الوقت بعد الوقت فأُقْدِم على هذا الحكم انقياداً للظنّ واستنامة إلى ما يغلبُ عَلَى النفس؛ فأما اليقين الثقة، والعلم والإحاطة فمعاذَ اللّه أن أدعيه! ولو ادعيتُه لَوجب ألّا تقبلَه، مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ، وخمول أكثر ما قيل، وضياع جلّ ما نُقِل. وأظنّك قد سمعتَ أو انتهى إليك أنّ البحتريّ أسقط خمسمائة شاعر في عصره، فما يُؤمنني من وقوع بعض أشعارهم إلى غيري؟ وما يدريني ما فيها؟ وهل هذا المستغرب المستحسن منقول عنها، ومقتبَس منها؟ وهؤلاء المُحْدَثون الذين شاركونا في الدار والبلد، وجاورونا في العصر والمولد. فكيف بِمَنْ

---

(١) ديوانه (٤ : ٢٠٩)، وبقيته:

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(٢) ديوانه (٤ : ٦٩).

(٣) ديوانه (١ : ٣٢٧)، والعهد: اللقاء. وأين سؤال عن المكان، فلو قال: متى الموعد؟ أو أين الوعد؟ لكان أليق.

بَعُد عهده، وقَدُم زمانه، وتناسخت الأمم بيننا وبينه!

زعم بعض آل الزبير أنه زار عُرْوة بن الزبير ذات يوم، فسأله عما يُعْنى بطلبه من العلوم، فقال: قلت: الشعر. فقال: لأيّ قبائل العرب أنت أروى! فقلت: لبني سُلَيْم، فأنشدني لعدة أكثرها من بني سُلَيم، ولم أعرف واحداً منهم.

وقد ذكر الأصمعي عن كِرْدِيْن المِسْمَعِي[١]: أن فتية من الحيّ أتوا أبا ضَمْضَم الراوية، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: أتيناك نتحدّث. قال: كذبتم. قلتم: خَرِف الشيخ، هلمّوا نتغفّله. ثم أنشدهم لمائة أو ثمانين شاعراً، كلّهم يسمى عَمْرا. قال الأصمعي[٢]: فجهدنا أن نتمّ ثلاثين شاعراً يسمى عَمرا، فلم نجد.

وزعم الأصمعي أيضاً أن إخوة من بني سعد يسمون مُنْذِراً، ومُنتذراً[٣]، ونذيراً، كانوا رجّازا، فلم يهبطوا الأمصار، فذهبت أشعارُهم. وأن أُرجوزة رُؤْبة القافيّة[٤] التي هي قلادتُه، وعينُ شعره لنذير[٥].

وقد يرى في أشعار القبائل الأبيات تُنْسب إلى الرجل المجهول الذي لم يُرْوَ له غيرها، ولا يعرف له اسمٌ إلا بها؛ وكأن النفس تشهد أنّ مثلها لا يكونُ باكورة الخاطر، ولا تسمحُ بها القريحةُ إلّا بعد الدُّرْبة وطولِ الممارسة، ومن ذا يسمع قول الهُذَلي:

أبو مالك قاصِرٌ فَقْرَه على نفسه ومُشِيعٌ غِناهُ
إذا سُدْتَه سُدْت مِطْواعةً ومهما وَكَلْتَ إليه كفاهُ

فيشكّ أنها تَنْدُر فَلْتة، وتَصْدر بَغْتَة، وأن لها مقدمات سهَّلت سبيلَها، وأخوات قرَّبت مأخذها؛ وهي في شعر الهذليين أبيات لم يُرْوَ لشاعر غيرها.

وقد كان قدم مكة أيام مقامي بها شيخٌ بَدَوِيّ من بني عامر بن ربيعة؛ يدعى مطرف بن سفيان، فأنشدنا قصيدةً مدح بها جعفر بن محمد الحسني وجدتُها متنافرةَ الأبيات، مختلفةَ الأطراف، بين عَيْنٍ نادر، ومتوسّط متقارب، وضعيف ساقط؛ فكنت كالمتعجِّبِ لِما أراه من اضطرابها، وظهورِ تَفاوتها؛ وامتحنتُ الشيخ فوجدتُ شِعره إلى الضعف ما هو؛ فنحن كذلك إذ أتانا بعض مَنْ كان بقُرْبه من أصحابنا، فسألناه عن

(١) الشعر والشعراء لابن قتية ص ٤. وهو مسمع بن عبد الملك بن مسمع البعري. كان أخبارياً، وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى.

(٢) الذي في الشعر والشعراء. «قال الأصمعي: فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين».

(٣) في الأصلين: «ومنذرا»، وهذا عن الشعر والشعراء.

(٤) أولها:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

(٥) في الشعر والشعراء: «منتذر».

العامري فأثبته[١] معرفة، وذكر أنه حضر الحيّ وقت تأهّبه للوفادة، فرآه في نادي القوم، وقد جمع فِتْيان الحلّة، وأحداث القبيلة، فقال: إن شيخكم يريد امتداحَ هذا الشريف بمكة، فزوّدوه! فزوّدَه كلُّ رجل منهم البيتين والثلاثة، ثم نظمها قصيدة، وإذا سببُ ذلك التباين تفاضلُ القرائح، واختلافُ الأفكار والهواجس.

فإذا كان هذا الشعر عندهم اليوم، وهذه عدّة من يقرض منهم وينظم، واللغة فاسدة، واللسان مدخول، والأمر مُدْبِر، وأكثر العرب مستعجم؛ فما ظنُّكَ بهم والعربُ عرب، والدارُ خالصة لهم، والحضَر بعيد منهم، وأسبابُ الفساد منقطعِة عنهم! وهل يُمْكن مع هذه الأحوال إحصاء المقرر المتوسّع[٢]، فضلاً عن المُقِلّ المتطرّف! أفتستَجيز لي على ما تراه أن أتسرع ولا أتحرّز، وأعجل ولا أتلبّث؟ كلا؛ بل أفصّل لك بين المرَاتب والمقادم، وأعزل لك المقدّم عن المؤَخر، وأميز ما يقرب عندي من الإبداع عما أشهد عليه بالأحد؛ فإن ألحقت به المأخوذ المُسْتَرق فلبعض الأغراض المتقدّمة: أو لزيادة فيه مستحسنة، فأسلم من تورط المسترسِل، ولا أقف موقِفَ المتكلّف.

۞ ۞ ۞

(١) أثبته: عرفه حق المعرفة.

(٢) كذا في الأصلين.

أفراد من شعره

فمن تلك الأبيات قوله[١]:

وكُنْتُ إذا يَمَّمْتُ أرضاً بَعِيدةً   سَرَيْتُ فكنتُ السِّرَّ والليْلُ كاتِمُهْ

❁ ❁ ❁

أزورهم وسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي   وأنْثني وبياضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي[٢]

❁ ❁ ❁

قِفِي تَغْرَمِ الأولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتي   بثانيةٍ والمُتْلِفُ الشيءَ غَارِمُهْ[٣]

❁ ❁ ❁

ضُرِبْنَ إلينا بالسِّياطِ جَهالَةً   فلما تعارفْنَا ضُرِبْنَ بها عنّا[٤]

❁ ❁ ❁

لوْ كنتَ عَصْراً مُنْبِتاً زَهَراً   كنت الربيعَ وكانت الوَرْدا[٥]

❁ ❁ ❁

وما الجمعُ بينَ الماءِ والنار في يدي   بِأصْعَبَ من أن أجمعَ الجَدّ وَالْفَهْمَا[٦]

❁ ❁ ❁

وأَسْمَعُ من ألفاظهِ اللُّغَة التي   يَلَذُّ بها سَمْعي وإنْ ضُمِّنَتْ شَتْمِي[٧]

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوانه (٣: ٣٤٠).   (٢) ديوانه (١: ١٦١).

(٣) ديوانه (٣: ٣٣٠). غرم ما أتلفه: لزمه أداؤه.

(٤) ديوانه (٤: ١٦٧). قال أبو الفتح: «كانت خيل الروم قد رأت خيلاً لسيف الدولة فظنوهم روما، فأقبلوا نحوهم مسترسلين، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين.

(٥) ديوانه (١: ٣٢٦)، والعصر: الدهر.

(٦) ديوانه (٤: ١٠٨)، والجد: الحظ.

(٧) ديوانه (٤: ٥٣).

ولا تُنْكِرا عَصْفَ الرِّياح فإنها   قِرَى كلِّ ضَيْفٍ بات عند سِوَارِ[(١)]

❁ ❁ ❁

دُعِيتُ بتَقْرِيظِيكَ في كلِّ مَجْلسٍ   وظَنّ الذي يَدْعُو ثَنائي عليك اسمي[(٢)]

❁ ❁ ❁

كأنَّ الهامَ في الهَيْجَا عُيُونٌ   وقد طُبِعَتْ سُيُوفُكَ من رُقَادِ[(٣)]
وقد صُغْتَ الأسِنَّةَ من هُمُومٍ   فما يَخْطُرْنَ إلا في فُؤادِ

❁ ❁ ❁

بكل أرضٍ وَطِئْتَها أُمَمٌ   تُرْعَى بعَبْدٍ كأنها غَنَمُ[(٤)]
يَستخشِنُ الخَزَّ حينَ يَلْمَسُهُ   وكان يُبْرَى بظُفْرِهِ القَلَمُ

❁ ❁ ❁

مالٌ كأنَّ غُرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ   فكلما قيل هذا مُجْتَدٍ نَعَبَا[(٥)]

❁ ❁ ❁

ما زَالَ كلُّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُها   والسُّقْم يُنْحِلُني حتى حَكَت جَسَدِي[(٦)]

❁ ❁ ❁

فقد خَفِيَ الزَّمانُ به علينا   كسِلْكِ الدُّرِّ يُخْفِيهِ النِّظامُ[(٧)]
لقد حَسُنَت بك الأوقاتُ حتى   كأنك في فمِ الدَّهْر ابتِسامُ

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوانه (٢: ١١٤)، وسوار: اسم المهجو.
(٢) ديوانه (٤: ٥٧). والتقريظ: مدح الرجل حيا، والتأبين: مدحه ميتا. يقول: قد عرفت بالثناء عليك؛ حتى صار كأنه اسم لي.
(٣) ديوانه (١: ٣٦٠)، والهام: جمع هامة، وهي الرأس، والهيجا: الحرب.
(٤) ديوانه (٤: ٥٩)، يمدح علي بن إبراهيم التنوخي.
(٥) ديوانه (١: ١١٧)، والمجتدي: السائل.
(٦) ديوانه (١: ٣٤٩)، وفي الأصلين:
والصبر ينحلني حتى حكت جلدي
الهزيم: الذي لا يستمسك، والضمير في «ينحلها» يعود على الديار في البيت قبله وهو:
ولا الديار التي كان الحبيب بها   تشكو إلي ولا أشكو إلى أحد
(٧) ديوانه (٤: ٧٤). وفي الديوان:
كأنك في فم الدهر ابتسام

قِفْ على الدِّمْنَتَيْنِ بالدَّوِّ من رَ يَّا كخالٍ في وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِ[(١)]
بِطُلولٍ كأنهنّ نُجُومٌ في عِرَاصٍ كأنهن لَيَالِ[(٢)]

❁ ❁ ❁

ولو حِيزَ الحِفاظُ بغير عقلٍ تجَنَّبَ عُنقَ صَيْقَلِهِ الحُسَامُ[(٣)]

❁ ❁ ❁

وكلما فاضَ دَمْعِي غاضَ مُصْطَبَري كأن ما سالَ من جَفنيّ من جَلَدِي[(٤)]

❁ ❁ ❁

كلُّ هَوْجَاءَ لِلدَّيامِيم فيها أثرُ النَّارِ في سَلِيطِ الذُّبالِ[(٥)]
من بنات الجَدِيلِ[(٦)] تمْشِي بنا في الْـ ـبيدِ مَشْيَ الأيّام في الآجالِ

❁ ❁ ❁

وإذا خَفِيتُ على الغَبيِّ فعاذِرٌ أن لا تراني مُقْلَةٌ عمياءُ[(٧)]

❁ ❁ ❁

أمْضَى إرَادَتَهُ فسوف لهُ قَدٌ واستقرب الأقصى فثَمَّ لَهُ هُنَا[(٨)]

❁ ❁ ❁

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عليه ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلَامُ[(٩)]

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوانه (٣: ١٩٢)، والدمنة: آثار الديار، والدو: الأرض الواسعة المستوية القفرة. ريًا: اسم امرأة. والخال: شامة تكون في الوجه أو الجسم.
(٢) الطلول: ما بقي من آثار الديار؛ واحدها طلل. يريد أن الطلول الشاخصة الباقية؛ تلوح في العراص كالنجوم في الليالي المظلمة.
(٣) ديوانه (٤: ٧١). والحفاظ: المحافظة .
(٤) ديوانه (١: ٣٥٠). والمصطبر: الاصطبار، وغاض نقص.
(٥) ديوانه (٣: ١٩٤)، والدياميم: جمع ديمومة و هي الفلاة. والسليط: الدهن، والذبال: جمع ذبالة وهي الفتيلة.
(٦) الجديل: فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل الكرام.
(٧) ديوانه (١: ١٥).
(٨) ديوانه (٤: ٢٠٠). يقول: إذا نوى أمراً فكأنه يسابق نيته بوقوعه، فيصير ماضياً والمكان البعيد يصير عنده قريباً.
(٩) ديوانه (٤: ٩٤).

طَرِبَتْ مَرَاكِبُنَا فَخِفْنَا أنها لَوْلا حَياءُ عاقَها رَقَصَتْ بنَا[١]
عَقَدَتْ سَنابكُها عليها عِثْيراً لو تَبْتَغي عَنَقاً[٢] عليه لأمْكنا

۞ ۞ ۞

يَتَعَثَّرنَ بالرؤوس كما مَرَّ بتاآتِ نُطْقِهِ التَّمْتَامُ[٣]
خيرُ أعضائِنا الرؤوسُ ولكنْ فضلَتْها بقَصْدِكَ الأقْدَامُ[٤]

۞ ۞ ۞

فلوْ كنتَ امرأً يُهْجَى هَجَوْنا ولكن ضاق فِتْرٌ عن مَسِيرِ[٥]

۞ ۞ ۞

لا يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنُ بِزَّتِهِ وهل تَرُوقُ دَفيناً جَوْدَةُ الْكَفَنِ[٦]

۞ ۞ ۞

دونَ التَّعَانُقِ ناحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ نَصْبٍ أدَقَّهما وَضَمَّ الشَّاكِلُ[٧]
لِلَّهْوِ آوِنَةٌ تمرُّ كأنها قُبَلٌ يُزَوَّدُها حبيبٌ رَاحِلُ

۞ ۞ ۞

قد كنت أشفقُ من دَمْعِي على بصري فاليومَ كلُّ عَزيز بَعدكم هانا[٨]

۞ ۞ ۞

فكأنها نُتِجَتْ قياماً تحتهم وكأنهمْ وُلدوا على صَهَوَاتِها[٩]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٤: ٢٠٣)، وفي الديوان: «فخفنا أنها».
(٢) العنق: ضرب من السير شديد، وفي الديوان: «عليها».
(٣) ديوانه (٤: ٩٨)، والتمتام: الذي يتردد لسانه بالتاء.
(٤) يقول: الرأس خير عضو في الإنسان؛ لأنه مجمع الحواس، وفيه محل العقل؛ ولكن صارت الأقدام أفضل منها، لقصدها إياك.
(٥) ديوانه (٢: ١٤٤)؛ يقول: لو كنت ممن يعبأ به ويتكلف هجاؤه بالشعر لفعلنا، ولكنك أخس قدراً من أن تستحق هذه العناية؛ كما أن مسافة الفتر تضيق عن السير فيها.
(٦) ديوانه (٤: ٢١٣).
(٧) ديوانه (٣: ٢٥٢)، وأراد الشكلة التي تكون في الإعراب وهي الفتحة. يريد بالضم: القرب، ولم يرد الضم الذي يسمى في الإعراب رفعاً.
(٨) ديوانه (٤: ٣٢٢).
(٩) ديوانه (١: ٢٣٠)، يصف الممدوحين بطول إلفتهم للخيل وملازمتهم للركوب.

ولـو لـم يَـغـلُ إلّا ذو مَـحَـلّ تَعَالَى الجيشُ وانحطَّ القتَامُ[١]

۞ ۞ ۞

ومَن يُنْفِق السَّاعاتِ في جَمْعِ مالِه مَخافَة فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفقرُ[٢]

۞ ۞ ۞

وأنفُسٌ يَلْمَعِيَاتٌ تُحِبُّهُمُ لها اضْطِراراً ولو أَقْصَوْكَ شَنْآنا[٣]

كأنّ ألْسُنَهمْ في النُّطق قد جُعِلت على رماحهِم في الطَّعْنِ خُرْصانا[٤]

۞ ۞ ۞

لو مرَّ يَرْكُض في سُطورِ كِتابةٍ أَحْصَى بحافِرِ مُهْرِه مِيمَاتِها[٥]

أَعْيا زَوَالُكِ عن مَحَلٍّ نِلْتَه لا تخرجُ الأقمارُ عن هَالَاتِها[٦]

۞ ۞ ۞

ومِن نَكَدِ الدُّنيا على الحرِّ أن يَرَى عَدواً له ما مِنْ صَدَاقَتِه بُدّ[٧]

تَلَجُّ دُمُوعي بالجُفونِ كأنما جُفوني لِعَيْنَيْ كلِّ باكية خَدُّ[٨]

۞ ۞ ۞

ذُكِر الأنامُ لنا فكان قصيدةً كنتَ البديعَ الفَرْدَ من أبْياتِها[٩]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٤ : ٧٢)، والقتام: الغبار؛ يريد أن العلو لا يدل على شرف المحل، ولو كان كذلك لكان الغبار سافلاً والجيش عالياً.

(٢) ديوانه (٢ : ١٥٠).

(٣) ديوانه (٤ : ٢٢٩)؛ والألمعي واليلمعي: الحاد الفطنة.

(٤) الخرصان: جمع خرص، وهو هنا السنان.

(٥) ديوانه (١ : ٢٣١)، يصف الممدوح بالفروسية، وأن مهرهم يطاوعه في جميع حركاته فلا يضع حافره إلا حيث شاء. وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من جميع الحروف.

(٦) أعيا الأمر: أعجز طالبه، وزوالك: براحك. يقول: قد بلغت مكاناً من الشرف لا تفارقه فأنت فيه كالقمر في علو المنزلة، وهو لك كالهالة، والقمر لا يخرج عن هالته.

(٧) ديوانه (١ : ٣٧٥).

(٨) يقول: كلما بكت باكية؛ فكأن دموعها تمر بجفني كما تمر بخدها؛ فلست أخلو من بكاء ودموع؛ كما لا تخلو الدنيا من باكية تجري دموعها.

(٩) ديوانه (١ : ٢٣٥).

كَأنَّ الجوَّ قاسَى ما أُقَاسِي ... فصار سوادُه فيهِ شُحُوبا[١]
أُقَلِّبُ فيه أَجْفَاني كأني ... أعُدّ به على الدّهرِ الذّنُوبا

۞ ۞ ۞

مَنْ خَصّ بالذّم الفِرَاقَ فإنني ... مَنْ لا يَرَى في الدهرِ شيئاً يُحْمَدُ[٢]

۞ ۞ ۞

إِذَا غَدرت حَسْنَاءُ وَفَت بعَهْدِها ... ومِن عَهْدِها أن لا يَدُومَ لها عَهْدُ[٣]

۞ ۞ ۞

فإن يَكُ سيّارُ بنُ مُكْرمٍ انقَضَى ... فإنك ماءُ الوردِ إن ذَهب الوَرْدُ[٤]

۞ ۞ ۞

عرفتُ نَوَائبَ الحِدْثَانِ حتى ... لَو انْتَسَبَتْ لكنتُ لها نَقِيبَا[٥]
يُصيبُ ببعضها أَفْوَاقَ[٦] بعضٍ ... فلولا الكَسْرُ لاتّصَلَتْ قَضِيبَا
فآجَرَكَ الإلهُ على عَلِيلٍ ... بَعَثْتَ إلى المَسِيحِ به طَبِيبَا

۞ ۞ ۞

صِيَامٌ بأبوابِ القِبَابِ جِيادُهم ... وأشخاصُها في قَلْبِ خائِفِهِمْ تَعْدُو[٧]

۞ ۞ ۞

بعيدَةُ ما بَيْنَ الجفونِ كأنما ... عَقَدْتُم أعالي كلِّ هَدْبٍ بحاجبِ[٨]
ولو قَلَمٌ أُلقِيتُ في شَقِّ رأسهِ ... منَ السُّقْمِ ما غَيَّرْتُ من خطِّ كاتِبِ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (١ : ١٣٩). والشحوب: تغير اللون من الهزال.
(٢) ديوانه (١ : ٣٨٤).
(٣) ديوانه (٢ : ٤)؛ يقول: إذا غدرت الحسناء؛ لم تعد سجاياها؛ لأن عادتها الغدر؛ وقد وفت بالعهد إذا غدرت، لأن عهدها ألا تبقى على عهده.
(٤) ديوانه (١ : ٣٨٠)، ويسار بن مكرم جد الممدوح. يقول: إن كان جدك مات وفني عمره؛ فإن فضائله ومحاسنه انتقلت إليك؛ فلم يفقد إلا شخصه؛ كماء الورد يبقى بعد الورد.
(٥) ديوانه (١ : ١٤٠)، والحدثان: هو ما يحدث من نوائب الدهر، والنقيب: هو الذي يعرف القوم.
(٦) الفوق من السهم: موضع الوتر، والجمع أفواق وفوق.
(٧) ديوانه (٢ : ٧)، ويريد: خيل قيام؛ يقال: صام الفرس؛ إذا وقف.
(٨) ديوانه (١ : ١٤٨)، والهدب هو الشعر الذي على حرف العين.

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ القَنَاةَ بِفَارِسٍ ... وثَنَى فَقَوَّمَها بآخَرَ مِنْهُمُ[(١)]

۞ ۞ ۞

لو سار ذاك الحبيبُ عن فَلَكٍ ... ما رَضِيَ الشَّمْسَ برجُه بَدَلَهْ[(٢)]

۞ ۞ ۞

رأيتُك في الّذين أرَى مُلُوكاً ... كأنكَ مستقيمٌ في مُحَالِ[(٣)]

فإنْ تَفُقِ الأنَامَ وأنت منهُمْ ... فإنَّ المِسْكَ بعضُ دم الغَزَالِ

۞ ۞ ۞

أنتَ الذي لَو يُعَابُ في مَلأٍ ... مَا عِيبَ إلا بأنَّهُ بَشَرُ[(٤)]

۞ ۞ ۞

إني لأُبْغِضُ طَيْفَ مَن أحببتُه ... إذْ كان يهجرُنا زَمانَ وِصَالِهِ[(٥)]

ونُرَاعُ غيرَ مُعَقَّلاتٍ حولَهُ ... فَيَفُوتها مُتَجَفِّلاً بِعِقَالِهِ[(٦)]

لو لم تكُنْ تَجري على أسيافِهِ ... مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ على إقبالِهِ

فكأنّما قَذِيَ النّهارُ بِنَقْعِهِ[(٧)] ... أو غَضّ عنه الطَّرْفَ مِنْ إجْلَالِهِ

۞ ۞ ۞

وخَصْرٌ تَثْبُتُ الأبصارُ فيهِ ... كأنّ عليه من حَدَقٍ نِطَاقا[(٨)]

۞ ۞ ۞

أوّل حَرْفٍ مِنَ اسْمِهِ كَتَبَتْ ... سَنَابِكُ الخيلِ في الجَلامِيدِ[(٩)]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٤ : ١٣٢)، وأطر: عوج، وتأطر الرمح: تثنى. يقول: إذا اعوجت قناته في مطعون طعن بها آخر فتقومت.

(٢) ديوانه (٣ : ٢٧٥)، وفي أ «بدل»، وصوابه من ب والديوان. الضمير في «برجه» للحبيب، تقديره لو سار الحبيب عن برج من بروج السماء لم يرض برجه الشمس تحل بدلاً منه، ورضي؛ بمعنى اختار وأحب.

(٣) ديوانه (٣: ٢٠).

(٤) ديوانه (١ : ٨٩) وفي الديوان: «لأنه بشر».

(٥) ديوانه (٣: ٥٦).

(٦) تراع: تفزع، والمتجفل: المسرع. والعقال: حبل يشد به يد الجمل إلى عضده.

(٧) النقع: الغبار.

(٨) ديوانه (٢ : ٢٥٦)، والنطاق: كل ما شددت به وسطك وتقويت به.

(٩) ديوانه (١ : ٢٦٦)، والجلاميد: جمع الجلمود، وهي الحجارة.

كـأنّ الـعِـدَا فـي أرْضِـهـم خُـلَـفـاؤُهُ فإنْ شاءَ حازُوها وإن شاءَ سَلَّمُوا[١]

❁ ❁ ❁

لـها في الـوغـى زِيُّ الفَـوارِسِ فوقَـها فـكـلُّ حِـصَـانٍ دَارِعٌ مُـتَـلَـثِّـمُ[٢]
وما ذاكَ بُخْـلاً بـالـنفـوسِ عـلى القَـنا ولـكِـنّ صَـدْمَ الـشَّـرِّ بـالـشَّـرِّ أحـزَمُ

❁ ❁ ❁

ومَـلْـمُـومَـةٌ زَرَدٌ ثَـوْبُـهَـا ولـكِـنَّـهُ فـي الْـقَـنَـا مُـخْـمَـلُ[٣]
يُـفَـاجِـئُ جَـيْـشـاً بـهـا حَـيْـنُـه ويُـنْـذِرُ جَـيشـاً بـهـا الـقَـسْـطَـلُ[٤]
فـلا تُـنْـكِـرَنَّ لـهـا صَـرْعَـةً فَـمِـنْ فَـرَحِ الـنَّـفـس مـا يَـقْـتُـلُ[٥]
ومـا اعْـتَـمَـدَ الـلَّـهُ تَـقْـوِيـضَـهـا ولـكـن أشـار بـمـا تَـفْـعَـلُ[٦]

❁ ❁ ❁

إن كنتَ تَرْضَى بأنْ يُعْطُوا الجِزَى بذَلوا منها رِضاكَ ومَنْ لِلْعُورِ بالحَوَلِ[٧]
لـعـلَّ عَـتْـبَـكَ مَـحـمـودٌ عَـوَاقِـبُـه فـرُبـمـا صَـحَّـتِ الأجـسـام بـالـعِـلَـلِ

❁ ❁ ❁

ويُرْجِعُـها حُـمْـراً كـأنّ صَـحيـحَـهـا يَـبـكـي دَمـاً من رحـمـةِ الـمُـتَـدَقِّـقِ[٨]

❁ ❁ ❁

مـا الـخِـلُّ إلّا مَـنْ أوَدّ بـقَـلْـبِـهِ وأرى بـطَـرْفٍ لَا يَـرَى بـسَـوَائِـه[٩]

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوانه (٣: ٣٥١).
(٢) ديوانه (٣: ٣٦٠)، الدراع: ما عليه تجفاف (ما حلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح)، ومتلثم: على وجهه مخطمة من حديد.
(٣) ديوانه (٣: ٧١)، وفي الديوان: «ولكنه بالقنا»، والملمومة: الكتيبة المجموعة. وخمل الثوب: ما تدلى منه.
(٤) القسطل: الغبار. يقول: يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها.
(٥) كان سيف الدولة قد ضرب خيمة بميافارقين، وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها، فهبت ريح شديدة، فوقعت الخيمة، فتكلم الناس في ذلك. والضمير في «لها» يعود إلى الخيمة المذكورة في الأبيات التي سبقت البيت.
(٦) كان قلع الخيمة؛ تنبيهاً من اللّه تعالى لك بما تفعله من الارتحال والتوجه إلى الغزو.
(٧) ديوانه (٣: ٨٤)، والجزى: جمع جزية، وهي ما يعطيه أهل الذمة ليدفعوا به عن أنفسهم ويحفظوا به دماءهم.
(٨) ديوانه (٢: ٣١)، والمتدقق: المتكسر. (٩) ديوانه (١: ٤)، وسوائه: سواه.

كـأنّـي عَـصَـتْ مُـقْـلَـتِـي فـيـكُـمُ ... وكـاتَـمَـتِ الْـقَـلْـبَ مـا تـبْـصِـرُ[١]
إذا مـا قَـدَرْتُ عـلـى نَـطْـقَـةٍ ... فـإنّـي عـلـى تَـرْكِـهـا أقْـدَرُ
فـلَا غَـفَـلَ الـدَّهْـرُ عـن أهْـلِـهِ ... فـإنـكَ عـيـنٌ بـهـا يَـنْـظُـرُ

۞ ۞ ۞

وكـيـفَ انـتِـفـاعـي بـالـرُّقـادِ وإنـمـا ... بعلّته يعتَلُّ في الأعَيُن الغُمْضُ[٢]

۞ ۞ ۞

وأتـعَـبُ مَـن نـاداكَ مَـن لا نـجـيـبُـهُ ... وأغْـيَـظُ من عاداكَ مَنْ لا تُـشَـاكِـلُ[٣]

۞ ۞ ۞

إذا كـان مـا تَـنْـويـهِ فِـعـلاً مُـضـارعـاً ... مَضى قبلَ أن تُلْقَى عليه الجوَازِمُ[٤]

۞ ۞ ۞

قُـشَـيْـرٌ وبَـلْـعَـجْـلانِ فـيـهـا خَـفِـيَّـةٌ ... كَـرَاءَيْـنِ فـي ألـفـاظِ ألـثغَ نَـاطـق[٥]

۞ ۞ ۞

أسِـيـرُ إلـى إقـطَـاعـهِ فـي ثِـيـابِـه ... عـلـى طِـرْفـه مِـن دَاره بـحُـسَـامـهِ[٦]

۞ ۞ ۞

وإذا حَـاوَلَـتْ طِـعَـانَـكَ خـيـلٌ ... أبـصـرَتْ أذرُعَ الـقَـنَـا أمْـيَـالَا[٧]

۞ ۞ ۞

كـأنَّ كـلَّ سُـؤَالٍ فـي مَـسَـامـعـهِ ... قَميصُ يُوسُفَ في أجْفَانِ يَعقوب[٨]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٢: ٩٢).
(٢) ديوانه (٢: ٢١٨). يقول: لا أنتفع بالنوم إذا كان عليلاً؛ لأن النوم يفارق عيني.
(٣) ديوانه (٣: ١١٧).
(٤) ديوانه (٣: ٣٨٢).
(٥) ديوانه (٢: ٣٢٤)، بلعجلان؛ يريد بني العجلان، والألثغ: الذي لا يفصح بالحرف، وقشير وعجلان: قبيلتان.
(٦) ديوانه (٤: ٣)، والإقطاع: ما أقطعه من البلاد، والطرف: الفرس.
(٧) ديوانه (٣: ١٤١).
(٨) ديوانه (١: ١٧٢).

بِـوَادٍ بـه مـا بـالـقـلـوبِ كـأنـه وقد رَحَلوا ـ جِيدٌ تَنَاثَر عِقْدُهُ[١]

۞ ۞ ۞

لا تُنكرِ الحسَّ مِنْ دارٍ تكونُ بها فإنّ رِيحكَ رُوحٌ في مَغانيها[٢]

۞ ۞ ۞

إنما تَنْجَحُ المَقالةُ في المَرْ ءِ إذا وافقَتْ هَوًى في الفؤادِ[٣]

وإذا الحِلمُ لم يكُنْ عن طِباعٍ لم يُحَلِّمْ تَقَدُّمُ الميلادِ

وإذا كان في الأنابيبِ خُلْفٌ وَقعَ الطَّيشُ في صُدور الصِّعادِ[٤]

۞ ۞ ۞

تَحَمّلوا حَمَلَتْكُمْ كلُّ ناجيةٍ فكلُّ بَيْنٍ عليَّ اليَوْمَ مُؤْتَمَنُ[٥]

۞ ۞ ۞

كلَّما أنْبَتَ الزمانُ قَناةً رَكَّبَ المرء في الْقَناةِ سِنانَا[٦]

وإذا لم يكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ فمِنَ العَجز أن تكونَ جَبانَا

۞ ۞ ۞

إنَّا لَفِي زَمنٍ تَرْكُ القبيح به من أكثرِ الناس إحْسانٌ وإجمالُ[٧]

ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثّاني وحاجَتُهُ مَا فاتَهُ وفُضُولُ العَيش أشْغالُ

لَطُفْتَ رأيكَ في بِرّي وَتَكْرِمَتي إنَّ الكريمَ على العَلْياءِ يَحْتالُ

۞ ۞ ۞

رُدَيْنِيَّةٌ تَمَّتْ وكادَ نَباتُها يُرَكِّبُ فيها زُجَّها وسِنَانَها[٨]

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٠)، يريد أن الوادي كان متزيناً بهم؛ فلما ارتحلوا عنه تعطل كالعنق إذا سقط عنه العقد.

(٢) ديوانه (٤ : ٢٦٨). المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل والمسكن.

(٣) ديوانه (٢ : ٣١)، وفي الديوان:

إذا صادفت هوى في الفؤاد

(٤) الصعاد: جمع صعدة، وهي القناة المستقيمة، والطيش: الخفة، والأنابيب: جمع أنبوب.

(٥) ديوانه (٤ : ٢٣٥)، والناجية: الناقة المسرعة.

(٦) ديوانه (٤ : ٢٤٠).

(٧) ديوانه (٣ : ١٨٧).

(٨) ديوانه (٤ : ١٧٠)، ردينية: منسوبة إلى ردينة، امرأة كانت تعمل الرماح. والزج: الذي يكون في أسفل الرمح، والسنان: الذي في أعلاه.

وسَمْراءُ يَسْتَغْوي الفَوَارِسَ قَدُّهَا ويُذْكِرُها كَرَّاتِها وطِعانَها

۞ ۞ ۞

وغالَبَهُ الأعداءُ ثم عَنَوْا له كما غالبَتْ بِيضَ السُّيُوفِ رِقابُ[1]
ولا مُلْكَ إلّا أنْتَ والمُلْكُ فَضْلَةٌ كأنَّكَ سَيْفٌ فيه وَهْوَ قِرَابُ[2]

۞ ۞ ۞

فَلا تُرَجِّ الخيرَ عندَ امْرِئٍ مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ في رَأْسِهِ[3]

۞ ۞ ۞

إذا أَتَتِ الإساءةُ من وَضِيعٍ ولَمْ أَلُمِ المُسيءَ فمَنْ ألومُ[4]

۞ ۞ ۞

لَا تَشْتَرِ العَبدَ إلّا والعَصَا مَعَهُ إنَّ العَبيدَ لأنجاسٌ مَناكِيدُ[5]

۞ ۞ ۞

ومَنْ جَهِلَتْ نفسُه قَدْرَهُ رأى غَيْرُهُ منهُ ما لَا يَرَى[6]

۞ ۞ ۞

كلَّمَا عادَ مَنْ بعثتُ إليها غارَ مِنّي وخَانَ فيما يقولُ[7]
أفْسَدَتْ بيننا الأماناتِ عَيْنَا ها وخَانتْ قُلوبَهنَّ العُقولُ[8]

۞ ۞ ۞

ومَنْ رَكِبَ الثورَ بعدَ الجوا دِ أنْكَرَ أظلافَه والغَبَبْ![9]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (١: ١٩٤)، عنوا: خضعوا وذلوا.
(٢) القراب: الغشاء الذي فيه يكون السيف والسكين، ويروى: «كأنك نصل».
(٣) ديوانه (٢: ٢٠٤)، في رأسه: يعني على رأسه.
(٤) ديوانه (٤: ١٥٢)، وفي الديوان: «من لئيم».
(٥) ديوانه (٢: ٤٣)، المناكيد: جمع منكود، وهو الذي فيه نكد.
(٦) ديوانه (١: ٤٤).
(٧) ديوانه (٣: ١٤٨). يقول: كلما عاد إليها من أبعثه، وشاهدها من أرسله ملكه الافتنان بحسنها وشاركني في الشغف بها، وأظهر الغيرة مني عليها؛ فخالفني في أمره، وخالفني في جملة قوله.
(٨) يقول أفسدت عيناها بسحرهما الأمانات بيني وبين من أنزل الثقة به وأعتقد الخلاص له.
(٩) ديوانه (١: ٩٨). الغبب للبقرة: ما تدلى تحت حنكها، والظلف: ما تطأ به الأرض كالقدم للإنسان.

أتى الزمانَ بَنوهُ في شَبيبتهِ فسرَّهُمْ وأتيناهُ على الهَرَمِ[1]

۞ ۞ ۞

إنْ أوْحَشَتْكَ المَعَالي فإنَّها دَارُ غُرْبَهْ[2]
أوْ آنَسَتْكَ المَخَازِي فإنَّها لَكَ نِسْبَهْ

۞ ۞ ۞

إذا سَمِعَ النَّاسُ ألفاظَه خَلَقْنَ له في القلوبِ الحَسَدْ[3]

۞ ۞ ۞

وغَيْظٌ على الأيام كالنارِ في الحَشَا ولكنه غَيْظُ الأسير على القِدِّ[4]
وقد كنتُ أدركتُ المُنَى غيرَ أنّني يُعَيِّرُني أهْلي بإدراكِها وحْدِي[5]

۞ ۞ ۞

وألْقى الشرقُ منها في ثيابي دَنانيراً تَفِرُّ من البَنانِ[6]

۞ ۞ ۞

وهو مثل قوله في كلمة أخرى[7]:

إذا ضَوْؤُهَا لَاقَى منَ الطيرِ فَرْجةً تَدَوَّرَ فوقَ البيضِ مثل الدراهمِ

۞ ۞ ۞

فلو طُرِحَتْ قلوبُ العشقِ فيها لما خافت من الحَدَقِ الحِسَانِ[8]

۞ ۞ ۞

قالَتْ: ألَا تَصْحُو! فقلت لها أَعْلَمْتِني أَنَّ الهوَى ثَمِلُ[9]
فوقَ السماءِ وفوقَ ما طلبُوا فإذا أرادُوا غايةً نَزَلُوا

۞ ۞ ۞

وما أنا غيرُ سَهْمٍ في هواءٍ يَعُودُ ولم تَجِدْ فيه امْتِسَاكا[10]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٤: ١٦٣).
(٢) ديوانه (١: ٢٠٩).
(٣) ديوانه (٢: ٥٨).
(٤) ديوانه (٢: ٦١)، والقد: سير يشد به الأسير.
(٥) ديوانه (٢: ٦٩).
(٦) ديوانه (٤: ٢٥٣).
(٧) ديوانه (٤: ١١٤).
(٨) ديوانه (٤: ٢٦٠). يريد قلوب أهل العشق.
(٩) ديوانه (٣: ٣٠٢).
(١٠) ديوانه (٢: ٣٩٦).

شُجَاعٌ كَأَنَّ الحربَ عاشِقَةٌ له إِذَا زارها فَدّتهُ بالخيل والرَّجْلِ[١]

۞ ۞ ۞

يَرمِي النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يحاولُها كأنها سَلَبٌ في عَيْنِ مَسْلُوب[٢]

۞ ۞ ۞

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنَّ كأنما يُبْدِينَ مِن عِشقِ الرِّقاب نُحُولَا[٣]

۞ ۞ ۞

وإذا أتتْكَ مَذَمَّتي من ناقص فهِي الشَّهادةُ لي بأنّي كاملُ[٤]

۞ ۞ ۞

وما التِّيهُ طِبِّي فيهمُ غير أنني بَغِيضٌ إلَيّ الجاهِلُ المُتَعَاقِلُ[٥]

۞ ۞ ۞

فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ من زَمَنٍ أَحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ[٦]!

تعقيب

قد وَفينا لكَ بما اقتضاه شرطُ الضمانِ وزِدنا، وبرئنا إليكَ مما يوجبه عقد الكفالة وأفضلنا، ولم تكن بُغيتنا استيفاء الاختيار، واستقصاءَ الانتقاد؛ فيقال: هلّا ذكرتَ هذا فهو خير مما ذكرتَ؛ وكيف أغفلتَ ذاك وهو مُقدَّم على ما أثبت! وإنما دعوْناك إلى المقاصّة، وسِمْنَاك[٧] في ابتداء خطابنا[٨] المحاجّة والمحاكمة؛ فلزمنا طريقة العدل فيها، والتقطنا من عُروض الديوان أبياتاً لم نذهب ـ إن شاء اللّه ـ في أكثرها عن جهة الإصابة، فإن وقع في خلالها البيتُ والبيتان فلأنّ الكلام معقودٌ به، والمعنى لا يتمّ بدونه، وما يتقدمه وما يليه مفتقر إليه، أو لغرض لا تعظم الفائدة إلا بذكره، ويضيقُ

---

(١) ديوانه (٣: ٢٩٨).

(٢) ديوانه (١: ١٧٥)، وفي الأصلين:

رأى النجوم بعين من يحاولها

والسلب: الشيء المسلوب.

(٣) ديوانه (٣: ٢٣٧)، مضاربه: حداه.

(٤) ديوانه (٣: ٢٦٠).

(٥) ديوانه (٣: ١١٧).

(٦) ديوانه (١: ٢٦٣)، أحمد حاليه: البقاء، وهو غير محمود.

(٧) سمناك: كلفناك.

(٨) في أ «خطابك»، وما أثبتناه عن ب.

هذا القدر من الخطاب عن استقصاء شرحه، أو لسهو عارضَ التمييز، وغَفْلَةٍ لابست الاختيار.

وقد جعلنا لك أن تحذف منه ما أحببتَ؛ وأَبحنا لك أن تُسقط ما أردتَ، فإن الذي يفضل نقدك منه، ويوافقنا رأيك عليه، ينجز وعدك ويبلغ غايتك؛ ويبقى ما وقعت الموافقةُ عليه بيننا وبينك. ثم طالع بقية شعره، وتصفَّح فضالة ديوانه؛ لتعلم أنا لم نقصد استيعابَ عيونه، وأَخْذَ صفوته ولُبابه، وأن فيما غادرنا منه ولم نعرض له ما يمكن فيه محاكمتك، ولا تضعف معه محاجّتك؛ ولعلك إذا رأيتَ هذا الجدّ في السعي، والعنفَ في القول تقول: إنما وقفت موقفَ الحاكم المسدد، وقد صرت خَصْماً مجادلاً، وشرعت شروع القاضي المتوسط، ثم أراك حرباً منازعاً؛ فإن خطر ذلك ببالك، وحدَّثَتْك به نفسك فأَشْعِرها الثقة بصدقي، وقرِّر عندها إنصافي وعَذْلي، واعلم أني رسولٌ مُبَلغ، وسامع مُؤَدّ، وأني كما أُناظرك أناظر عنك، وكما أخاصمك أخاصم لك؛ فإن رأيتني جاوزتُ لك موضع حجة فردّني إليها، ونبّهني عليها، فما أُبَرِّئُ نَفْسي من الغَفْلَةِ، ولا أَدَّعي السلامة من الخطأ؛ والمدّعي أشد اهتماماً بما يحقّق دعواه من المتوسط، وعناية الخصم بشهوده أتمّ من عناية الحاكم.



عود إلى نقد شعر المتنبّي

وأعودُ إلى نَسَق الكلام الأول فأقول: ورأيتك وأصحابك أَنْحَيْتُم في منازعة خصمكم على ادّعاء السَّرَق؛ فقال قائلكم: ما يَسْلَمُ له بيت، ولا يخلص من معانيه معنى؛ وما هو إلا ليث مُغِير، أو سارق مُخْتَلِس، وأنشد منشدكم قول أبي تمام[(١)]:

مَنْ بنو بَحْدَل مَن ابن الحُبَاب[(٢)] مَـنْ بـنـو تَـغـلـب غـداة الـكـلاب
إنـمـا الـضـيـغـمُ الـهـصـورُ أبـو الأَشْـ ـبـال رِئْبَـالُ[(٣)] كـلّ خِـيـس وغـابِ
من عَدَتْ خيلُه على سرح شعري وهـو لـلـحـيـن راتـعٌ فـي كـتـابـي
غـارة أَسـخـنـت عـيـونَ الـمـعـالـي[(٤)] واسـتـحـلَّـت مـحـارمَ الآداب
يـا عَـذَارَى الـكـلام صِـرْتُـنَّ مـن بَـعْـ ـدي سـبـايـا تُـبَـعْـنَ فـي الأعـراب

وقلت: إنما عمد إلى شعر أبي تمام فغيّر ألفاظه، وأبدل نظمه؛ فأما المعاني فهي تلك بأعيانها؛ أو ما سرقه من غيرها، فإن اعتمد على قريحته، وحصل على فكره وخاطره، جاء بمثل قوله[(٥)]:

إن كـانَ لا يُـدْعَـى الـفَـتَـى إلَّا كَـذَا رَجُـلاً فـسَـمِّ الـنَّـاسَ طُـرًّا إِصْـبَـعـا

ومثل قوله[(٦)]:

أَيَـا أَسَـداً فـي جـسـمِـهِ رُوحُ ضَـيْـغَـم وكَـمْ أُسْـدٍ أرواحُـهُـنَّ كِـلَابُ
جَـرَى الـخُـلْـفُ إِلَّا فـيـك أَنَّـكَ وَاحِـدٌ وأنَّـكَ لَـيْـثٌ والـمُـلـوكُ ذِئَـابُ
وأنـك إنْ قـويِـسْـتَ صَـحَّـفَ كـاتـب[(٧)] ذِئَـابـاً ولـم يُـخْـطِـئْ فـقـال ذُبـابُ

---

(١) ديوانه ص ٤٨٧، يهجو شاعراً سرق شعره.
(٢) في الأصل:

مـن بـنـو نـجـدل مـن ابـن الـحـسـاب

وهذه رواية الديوان.
(٣) في الديوان: «مناع كل خيس». والخيس: الشجر الملتف أو موضع الأسد.
(٤) في الديوان: «أسخنت عيون القوافي».
(٥) ديوانه (٢: ٢٦٧).
(٦) ديوانه (١: ١٩٦).
(٧) في الديوان: «صحف قارئ».

ومثل قوله[١]:

لو كان صادَفَ رَأْسَ عَازَرَ[٢] سَيفُهُ ... في يوم مَعْرَكَةٍ لأَعْيَا عِيْسَى
أو كان لُجُّ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمينِه ... ما انْشَقَّ حتى جازَ فيهِ مُوسَى
أو كان لِلنِّيرَانِ ضوءُ جَبِينِهِ ... عُبِدَتْ فكان العَالَمُون مَجُوسَا

فأعيته المعاني، حتى التجأ إلى استصغار الأنبياء ـ عليهم السلام.

وقوله[٣]:

لم تُسَمَّ يا هارون[٤] إلا بَعْدَ ما اقْـ ... ـتَرَعَتْ ونازَعَتِ اسمكَ الأسماءُ
فغَدَوْتَ واسْمُكَ فيك غيرُ مُشَارَكٍ ... والناسُ فيما في يَدَيْك سَواءُ

وقوله[٥]:

فَخُذَا مَاءَ رِجْلِهِ وَانْضَحَا فِي الْـ ... ـمُدْنِ تَأْمَنْ بَوَائِقَ الزِّلْزَالِ
رَجُلٌ طِينَتُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَرْ ... دِ وَطِينُ الرِّجالِ مِنْ صَلْصَالِ
وَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لاَقَتِ الْمَا ... ءَ فصارتْ عُذُوبَةً في الزُّلاَلِ

فهذا مقدارُ اختراعه، وهذه طريقةُ ابتداعه، فإن زاد عليه وتجاوزَه قليلاً اضطرَ إلى تعقيد اللفظ، وفساد الترتيب، واضطرابِ النَّسْجِ؛ فصار خيرُه لا يفي بشرّه، وجُرْمه يزيدُ على عُذْره؛ ثم لم يظفر فيه بمعنى شريف؛ وإنما هو الإفراط والإغراق والمبالغة والإحالة كقوله[٦]:

لَوْ طَابَ مَوْلِدُ كلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ ... وَلَدَ النِّسَاءُ وَمَا لَهُنَّ قَوَابِلُ[٧]

ولِمَ يُسْتَغْنى بطيب المولد عن القابِلة؟ وإذا استُغْني عنها كان ماذا؟ وأيّ فَخْرٍ فيه؟ وأي شرف يناله؟

وقوله[٨]:

لِمَنْ مالٌ تُمَزِّقُهُ العَطايا ... ويَشْرَكُ في رَغَائِبِهِ الأنَامُ

---

(١) ديوانه (٢ : ١٩٨).
(٢) عازر: رجل من بني إسرائيل، وهو الذي أحياه اللّه لعيسى ابن مريم. ويوم معركة: يوم حرب.
(٣) ديوانه (١ : ٢٨).
(٤) هو أبو علي هارون بن عبد العزيز الكاتب.
(٥) ديوانه (٣ : ١٩٧).
(٦) ديوانه (٣ : ٢٥٧).
(٧) القوابل جمع قابلة، وهي التي تشارف المرأة عند الولادة.
(٨) ديوانه (٤ : ٧٩).

ولا نَدْعُوكَ صاحِبَهُ فَتَرْضَى لأنَّ بصُحْبَةٍ يَجِبُ الذِّمَامُ[١]

لَمَّا وقع له المعنى الذي يُقارِب الحسن ضَعُفَ عن تحسين لفظه؛ فجاء كما ترى.

وقوله[٢]:

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وإنما حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُها الرُّحَضَاءُ[٣]

هل زاد على أنْ جعلَ السحاب يحمّ فأفرط؛ كما جعل أبو تمام الدهر يصرع في قوله[٤]:

خطوبٌ كأنَّ الدهرَ منهنَّ يُصرَعُ[٥]

وجعل بشّار الزّمانَ يَمُوقُ[٦] في قوله[٧]:

وما أنا إلّا كالزَّمان فإن صَحَا[٨] صَحَوْتُ وإن ماقَ الزَّمانُ أَمُوقُ

وقوله[٩]:

فإن مارَيْتَني[١٠] فارْكَبْ حصاناً ومَثِّلْهُ تَخِرَّ لهُ صَرِيعَا

وهذا المعنى عامي، وكذلك قوله[١١]:

وكلُّ مكانٍ[١٢] أتاه الفتى على قَدَرِ الرِّجْلِ فيه الخُطا

وقوله[١٣]:

لَوِ الفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَه شيءٌ عن الدَّوَرَانِ

وهذا البيت من قلائده، إلّا أنك تعلم ما في قوله «شيء» من الضعف الذي يجتنبه الفحول، ولا يرضاه النقّاد، وهو وأشباه هذا مما لم نُرد استقصاءَه؛ وإنما دَلَلْناك على منهاجه، وأريناك بابَه، وقد قدَّمنا ما استرذلنا من شعرِه.

---

(١) أراد بصحبته، فحذف الهاء ضرورة. الذمام: العهد، وقيل: جمع ذمة، وهي الأمان.
(٢) ديوانه (١: ٣٠).
(٣) الرحضاء: عرق الحمى.
(٤) ديوانه ص ١٩٠.
(٥) أوله:

تروح علينا كل يوم وتغتدي

(٦) ماق: حمق في غباوة.
(٧) الأغاني (٣: ٢٢٥) (طبعة الدار).
(٨) في الأغاني: «إذا صحا».
(٩) ديوانه (٢: ٢٥٦).
(١٠) المماراة: المجادلة.
(١١) ديوانه (١: ٤٢).
(١٢) في الديوان:

وكل طريق أتاه الفتى

(١٣) ديوانه (٤: ٢٤٧).

فلسفته في شعره

وإنما تجدُ له المعنى الذي لم يسبقه الشعراءُ إليه إذا دقق، فخرج عن رَسْم الشعر إلى طريق الفلسفة، فقال[١]:

ولَجُدْتَ حتى كِدْتَ تَبْخَلُ حائِلاً[٢] للمنتهَى ومن السرورِ بُكاءُ

وقال[٣]:

إلْفُ هذا الهواءِ أوْقَعَ في الأنْـ ـفُسِ أنّ الحِمامَ مُرُّ المَذَاقِ
والأسَى قبلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجْزٌ والأسَى لا يكونُ بعد الفِراقِ

وقوله[٤]:

تَخالفَ الناسُ حتى لا اتِّفاقَ لهم إلّا على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ[٥]
فقِيلَ تَخْلُصُ نفسُ المَرْءِ سالِمةً وقيل تَشرَكُ جسمَ المرء في العَطَبِ

وقوله[٦]:

خَلَقَتْ صِفاتُك في العُيون كلامَه كالخطِّ يَمْلأُ مِسْمَعَيْ مَنْ أَبْصرَا

---

(١) ديوانه (١ : ٢٩).
(٢) حائلاً: راجعاً.
(٣) ديوانه (٢ : ٣٦٩).
(٤) ديوانه (١ : ٩٥).
(٥) الشجب: الهلاك والحزن.
(٦) ديوانه (٢ : ١٦٨).

السرقات الشعرية

قد أنصفناك في الاستيفاء لك، والتبليغ عنك، ولسنا نُنكِرُ كثيراً مما قلتَه، ولا نردّ اليسير مما ادّعيتَه، غير أن لخَصْمك حُجَجاً تُقابل حُجَجك، ومقالاً لا يُقَصّر عن مَقالك. وزعم خَصْمُك أنك وأصحابَكَ وكثيراً منكم لا يعرفُ من السَّرَق إلا اسمَه، فإن تجاوزه حصل على ظاهره، ووقف عند أوائله؛ فإن استُثْبتَ فيه، وكُشِف عنه، وُجد عارياً من معرفة واضحِهِ، فضلاً عن غامضهِ، وبعيداً من جليّه، قبل الوصول إلى مُشْكله؛ وهذا باب لا ينهض به إلّا الناقد البصير، والعالم المبرِّز. وليس كلّ مَنْ تعرّض له أدركه، ولا كلّ مَنْ أدركه استوفاه واستكمله. ولستَ تعدّ من جهابذة الكلام، ونُقّاد الشعر، حتى تميِّزَ بينَ أصنافهِ وأقسامهِ، وتحيط علماً برُتَبه ومَنازله، فتفصل بين السَّرَق والغَصْب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتَفرِق بين المشترك الذي لا يجوز ادّعاء السَّرق فيه، والمبتذِل الذي ليس أحدٌ أولى به، وبين المختصّ الذي حازه المبتدئ فملكه، وأحياه السابق فاقتطعه، فصار المعتدي مُخْتَلِساً سارقاً، والمشارِك له محتذياً تابعاً، وتعرفَ اللفظَ الذي يجوزُ أن يقال فيه: أُخذ ونقل، والكلمةَ التي يصحُّ أن يقال فيها: هي لفلان دون فلان.

المعاني المشتركة والمتداولة

فمتى نظرتَ فرأيتَ أن تشبيه الحَسَن بالشمس والبدرِ، والجوادِ بالغيث والبحر، والبليدِ البطيء بالحجر والحمار، والشجاعِ الماضي بالسيف والنار، والصبّ المستهام بالمخبول في حيرته، والسليم في سَهره، والسقيم في أنينه وتألّمه، أمورٌ[١] متقررة في النفوس، متصوّرة للعقول، يشتركُ فيها الناطقُ والأبكم، والفصيحُ والأعجم، والشاعرُ والمفحَم، حكمتَ بأن السرقةَ عنها مُنْتَفية، والأخذَ بالاتباع مستحيل ممتنع، وفَصلتَ بين ما يشبه هذا ويُبَاينُه، وما يلحق به وما يتميّزُ عنه، ثم اعتبرتَ ما يصحّ فيه الاختراعُ والابتداع؛ فوجدتَ منه مستفيضاً مُتَدَاوَلاً متناقلاً لا يعدّ في عصرنا مسروقاً، ولا يُحْسَب مأخوذاً، وإن كان الأصلُ فيه لمن انفرد به، وأوّله للذي سَبَقَ إليه؛ كتشبيه

(١) خبر أن، في قوله: «فرأيت أن تشبيه».

الطَلَل المُحيل بالخطّ الدَّارِس وبالبُرْد النَّهج[١] والوَشْم في المِعْصَم، والظُّعُنِ المتحمّلة بالنَّخل، وعلائقها بأعذاق البُسْر، والفحل بالفَدَن[٢] المشيد، والظَّليم المهيج بأحْقَب[٣] يسوقُ أُتنه، وكوصف الحمول ومَوَرَانِ[٤] الآلِ بها، وذم الغراب، والصُّرَد، والسانِح[٥]، والبارِح[٦]، وسؤال المنزل عن أهله، والتفجع لمن استبدل بعد ساكنه، ولوم النفس على بُكاء الدار، واستعطاف العقل واستبطاء الصبر، وتحسينه تارةً وتقبيحه أخرى، وتشبيه الفرس باللّقْوَة[٧]، والظَبي بشهاب قُذُف، والعِقاب بالدَّلو التي خانها الرّشاء، وكوصف الغيث بالعموم والتطبيق[٨]، واقْتِلاع الدوح، وتفريق الوَحْشِ، وتشبيه دَفْعه بِعَطّ[٩] المَزَاد، وجَلّ العَزَالِي[١٠]، ووصف البرق بخَطْف الأبصار، وسرعة اللّمح، وأنه كالقَبَس من النار، وكالحريق المتضرّم، وكمصباح الرَّاهب.

ولم أرد هذه بأعيانها دون غيرها، ولم أُوردها إلّا دلائل على أمثالها؛ فإذا اعتبرتَها تصنّفت لك صنفين: إما مشتركٌ عامُّ الشَّركة، لا ينفردُ أحد منه بسَهم لا يُسَاهَم عليه[١١]، ولا يختصّ بقسْم لا يُنازَع فيه؛ فإن حُسْنَ الشمس والقمر، ومَضَاء السيف، وبلادةَ الحمار، وجَوْد الغَيْث، وحيرة المخبول، ونحو ذلك مقرّر في البداية، وهو مركّب في النفس تركيبَ الخِلْقة. وصنْفٌ سبق المتقدّم إليه ففاز به، ثم تُدُوول بعده فكثُر واستُعمل؛ فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد، والاستفاضة على أَلْسُن الشعراء، فحمى نفسه عن السَّرَق، وأزال عن صاحبه مذمّة الأخذ، كما يُشاهد ذلك في تمثيل الطَّلَل بالكتاب والبُرْد، والفتاة بالغَزال في جيدها وعينيها، والمَهَاة في حُسْنها وصفائها. ومتى شئتَ أن ترى ما وصفتُه عِياناً، وتعلمه يقيناً فاعترض أوّل عامي غُفْل تستقبله، وأعجمي جِلف تَلْقَاه، ثم سَلْه عن البرق فإنه يؤدي إلى معنى قول عَنْتَرة[١٢]:

أَلا يَـامَـا لِـذَا الْـبَـرْقِ الْـيَـمَـانِـي ... يُـضِـيءُ كَـأَنَّـه مِـصْـبَـاحُ بَـانِ[١٣]

---

(١) نهج البرد: بلى. (٢) الفدن: القصر المرتفع.
(٣) الأحقب: الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض.
(٤) الموران: الاضطراب.
(٥) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك.
(٦) البارح: ما أتاك عن يسارك من ظبي أو طائر أو غير ذلك.
(٧) اللقوة: بفتح اللام المشددة وكسرها: المرأة السريعة اللقاح، كالناقة والعقاب الأنثى، أو الخفيفة السريعة.
(٨) التطبيق: من طبق الشيء تطبيقاً: عم، وطبق السحاب الجو: غشاه، وطبق الماء وجه الأرض: غطاه.
(٩) العط: الشق.
(١٠) العزالي: جمع عزلاء؛ مصب الماء من القربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء، وتفتح اللام وتكسر.
(١١) لا يساهم: لا يقارع. (١٢) لم نجده في ديوانه.
(١٣) البان: من العضاه، وله حب، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان.

وإن لم يذكر لك البانَ لجَهْله بعادة العرب في الاستصباح به، ولأنه لم يعرف منه ما عرفه عَنْترة، ومعنى امرئ القيس في قوله[١]:

يُضِيءُ سَنَاه أو مصابيحُ رَاهِبٍ   أَمَالَ[٢] السَّلِيطِ بالذُّبالِ المُفَتَّل

وهيهات أن يعرضَ لك الأديبُ الفَطِن لقول عامر الثقفي:

كأن رَيِّقَه لما عَلَا سَبِطاً[٣]   أقْرَابُ أبلق ينفي الخيلَ رَمّاح

وقول آخر[٤]:

وترى البرقَ عارضاً مُستَطِيراً   مَرَحَ البُلْقِ جُلْنَ في الأجلال

إلّا عن روية كثيرة، أو فِكْر طويل، ولو سمعتَ قائلاً يقول إن فلاناً الشاعر أخذ عن فلان قولَه: لا مرحباً بالشيب، وحبَّذا الشباب! وكيف لوعاد، ويا أسفي لفراق الأحبة! وما لذِت العيش بعدهم، وفاضت عيني صبابةً لذِكرْهم. لحكمت بجهله، ولم تشك في غَفْلته. وقد يكون في هذا الباب ما تَتَّسِعُ له أمة، وتضيق عنه أخرى، ويسبقُ إليه قومٌ دون قوم؛ لعادةٍ أو عهد، أو مشاهدة أو مِرَاس؛ كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتَرِيكة[٥] النعامة، ولعلّ في الأمم من لم يرها؛ وحمرةَ الخدود بالورد والتفاح؛ وكثيرٌ من الأعراب من لم يعرفهما؛ وكأوصاف الفَلَاة، وفي الناس من لم يُصْحِر؛ وسيرَ الإبل؛ وكثير منهم لم يركب.

التفاضل في الشعر المتداول

وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصَنْعة الشعر؛ فتشترك الجماعة في الشيء المتداوَل، وينفردُ أحدهم بلفظة تُستعذب، أو ترتيب يُستحسَن، أو تأكيد يُوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره؛ فيريك المشترَكَ المبتذل في صورة المبتدَع المخترع، كما قال لبيد[٦]:

وجَلَا السُّيُولُ عن الطُّلُولِ كأنها   زُبُرٌ[٧] تُجِدُّ مُتُونَها أقْلامُها

---

(١) ديوانه ص ٤١.

(٢) رواية الديوان:

أهان السليط بالذبال المفتل

والسليط: الزيت. والذبال: جمع ذبالة، وهي الفتيلة.

(٣) يقال: مطر سبط؛ أي سح. القرب (بضم القاف وسكون الراء، وبضمهما) الخاصرة، وجمعه الأقرب.

(٤) منسوب إلى كثير ـ كما في اللسان.

(٥) التريكة: البيضة بعد ما يخرج منها الفرخ، وخص بعضهم به بيض النعام التي تركها بالفلاة بعد خلوها مما فيها؛ وقيل: هي بيض النعام المنفرد.

(٦) اللسان ـ مادة زبر، العمدة (١: ١٩٧)، وشرح المعلقات للتبريزي ص ١٢٨.

(٧) الزبور: الكتاب، والجمع زبر. وتجد: تجدد.

فأدّى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء، قال امرؤ القيس[١]:

لِمَنْ طَلَلٌ أَبصَرْتُه فَشَجَاني كخَطِّ زَبُورٍ في عَسِيبِ يماني[٢]

وقال حاتم[٣]:

أَتَعْرِفُ أَطْلَالاً ونؤياً مُهَدَّما كخطِّك في رَقٍّ كِتابا مُنَمْنَما

وقال الهذلي[٤]:

عرفتُ الديار كرَسْمِ الكِتا بِ يَزْبُره الكاتِبُ الْحِمْيَري

وأمثال ذلك مما لا يُحصى كثرة، ولا يَخْفَى شُهرة، وبين بيت لبيد وبينهما ما تراه من الفَضْل، وله عليها ما تشاهد من الزيادة والشُّف[٥]. ولم تَزَل العامَّة والخاصة تشبّه الوردَ بالخدود، والخدود بالورد، نثراً ونظماً، وتقول فيه الشعراء فتُكْثِر، وهو من الباب الذي لا يمكن ادّعاءُ السَّرقةِ فيه إلا بتناول زيادة تُضمّ إليه، أو معنى يُشْفَع به، كقول عليّ بن الجَهْم:

عشيةَ حيَّاني بوَرْدٍ كأنه خدودٌ أُضِيفت بعضُهن إلى بعض

فأضاف بعضهن إلى بعض له، وإن أُخذ فمنه يؤخذ، وإليه ينسب. وكقول ابن المعتز:

بياضٌ في جوانبه احمرارٌ كما احمرَّت من الخَجل الخدودُ

والخَجِل إنما يحمّر وجنتاه، فأما منبت الأصداغ، ومخطّ العِذَار فقليلاً ما يحمرّان؛ فهذا التميز مسلّم له، وإن لم يكن يسبق إليه، ولو اتفق له أن يقول: حمرة في جوانبها بياض، لكان قد طبّق المَفْصِل، وأصاب الغَرَض، ووافق شَبَه الخجل؛ لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان، فجعل الاحمرارَ في جوانب البياض، فراغ عن موقع التشبيه. ثم قال أبو سعيد المخزومي:

والوردُ فيه كأنما أوْراقُه نُزِعت وردّ مكانهن خدود

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرّد، لكنه كساه هذا اللَّفْظَ الرشيق، فصرت إذا

---

(١) ديوانه ص ١٠٩.

(٢) العسيب: سعف النخل، وفي الديوان:

كخط الزبور في العسيب اليماني

(٣) شعراء النصرانية ص ١١٨.

(٤) اللسان ـ مادة دوي، وروايته:

عرفت الديار كخط الدو ي حبره الكاتب الحميري

(٥) الشف (بفتح الشين وكسرها): الفضل والزيادة، والمعروف بالكسر.

قستَه إلى غيره وجدتَ المعنى واحداً، ثم أحسست في نفسك عنده هزّة، ووجدت طرْبَة تعلم لها أنه انفردَ بفضيلة لم يُنَازع فيها.

السرقة الممدوحة

ومتى جاءت السرقةُ هذا المجيء لم تُعَدّ مع المعايب، ولم تُحْص في جملة المثالب، وكان صاحبها بالتفضيل أحقّ، وبالمدح والتزكية أولى. ومن ذا يشكّ في فضل امرئ القيس يشبِّه الناقة في سرعتها بتَيْس الظباء في عَدْوه بقوله[١]:

أو تيسٍ أظبٍ ببطنِ واد   يعدو وقد أُفْرِدَ الْغَزَالُ

على كل ما قِيل فيه، والمعنى واحد؛ لكن امرأَ القيس زاد إفراد الغزال، وهذه زيادة حسنة؛ لأنه إذا أُفرد اجتمع للتيس الخوف والوَلَه؛ فكان أشدَّ لعَدْوه، وإن امرأ القيس زاد في قوله يصف الطعنة[٢]:

كَجَيْبِ الدِّفْنِس[٣] الوَرْهاء   ريعَتْ وهي تَسْتَفْلِي

على كل من شبَّهها بجَيْب الحمقاء، وجَيْب الفتاة، لأنها إذا رِيعَت وهي تستفلي عجلت عن الرّفق. وقال أوس بن حَجَر:

وفي صَدْرِه مثلُ جَيْبِ الفتا   ة تشهق حيناً وحيناً تهِرّ

فزاد بالتقسيم الجاري على الشهيق والهَرير، ولكنّ زيادة الأول أحسن وأَغْمَض مأخذا، وأوقع تشبيهاً، فأما الفِنْد فإنه أورد البيت على حاله: واضطرته القافية إلى ترك الزيادة التي ذكرناها؛ فقال:

كجَيْبِ الدِّفْنِس الوَرْها   ء رِيعَتْ بَعْدَ إجْفَالِ

ومتى سمعتَ قول أبي دَهْبل الجُمَحي:

وكيف أنساك لا أَيْدِيك واحدة   عندي ولا بالذي أَوْلَيْتَ مِن قِدَم

علمتَ أنه من قولِ النابغة[٤]:

أَبي غفلتي أني إذا ما ذكرتُه   تقطَّع حزن في حَشَى الجَوْفِ دَاخِل[٥]

---

(١) ديوانه: ١٦٢، وروايته ـ بشرح السندوبي:

كأنها عنز بطن واد   تعدو وقد أفرد الغزال

(٢) اللسان ـ مادة دفنس.

(٣) الدفنس: المرأة الحمقاء.

(٤) ديوانه ص ٦١.

(٥) في الديوان:

تحرك داء في فؤادي شاغل

وأنَّ تـلادي إنْ نَـظَـرت وشِـكَّـتـي ... ومُـهْـرِي ومـا ضـمَّـت إلـيَّ الأنـامـلُ
حِـبَـاؤُكَ والـعِـيـسُ الـعِـتَـاقُ كـأنـهـا ... هِجَان المها تُرْدَى[(١)] عليها الرّحائل[(٢)]

فإذا انصفْتَ أبا دَهْبل عرفتَ فضْلَه، وشهِدْتَ له بالإحسان؛ لأنه جمع هذا الكلام الطويل في: «ولا أيديك واحدة عندي». ثم أضاف إليه: «ولا بالَّذي أوليت مِن قِدَم». فتم المعنى، وأكده أحسن تأكيد؛ لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدُها، وتقادَم عَهْدُها؛ فنفى عنه وجوه النسيان كلّها، وقد اختصر النابغةُ أبياته هذه في بيتٍ من كلمة أخرى؛ فقال[(٣)]:

ومـا أَغْـفَـلْـتُ شُـكْـرَكَ فـانـتـصـحـنـي ... فـكـيـفَ ومِـن عَـطـائِـك جـلُّ مَـالـي

فأحسن وزاد على أبي دَهْبل بأن جعل جُلَّ ماله من عطائه. واقتصر أبو دَهْبل على تتابع الأيادي، وقد تَصْغُر وقد تَكْثُر، لكنه انفرد بالمصراع الثاني، فحصل له زيادة لا تقصر عن معنى منفرد.

وما أبْعد ما وقع العَطَوي من أبي دَهْبَل؛ إذْ أخذ قول ابن مُناذر (قال الأصمعي: ابن مَناذر[(٤)] جمع مُنْذِر. قال القاضي: وهو أعرفُ به لأنه بصري)؛ فقال:

تـراضَـيْـنَـا بـحُـكْـمِ الـلَّـه فـيـنـا ... لـنـا أدبٌ ولـلـثَّـقَـفـيّ مـالُ

ففرّقه في أربعة أبيات، بيتُ ابن مُناذر خيرٌ من جميعها؛ فقال:

رضـيـنـا بـحُـكْـم الـلَّـه بـيـن عـبـاده ... رِضَـا عُـلَـمَـاءِ لا تَـسَـخُّـط جُـهَّـالِ
لـئن خَصّ قـومـاً بـالـنـبـاهـة والـغِـنَـى ... وألْـبَـسَـنـا ثـوبَـيْ خـمـول وإقْـلالِ
لـقـد جـاء بـالـعِـلْـم الـنـفـيـس الـذي بـه ... رُشِـدْنـا فـلـم نـلـبـس ملابـسَ ضُـلَّالِ
فـلـو سُـمْـتَـنَـا لـم نُـعْـطِ عـلـمـاً بـثـروة ... ولـم نَـرَ لـلـتـمـيـيـز كُـفْـواً مِـنَ الـمـالِ

وما ضرّ قول المتنبي[(٥)]:

فـاسـتـعـارَ الـحـديـدُ لَـونـاً وألْـقَـى ... لـونَـهُ فـي ذَوائـبِ الأطـفـالِ

---

(١) ردت الفرس رديا ورديانا: رجمت الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.

(٢) في الديوان:

هـجـان الـمـهـا تـحـدى عـلـيـهـا الـرحـائـل

(٣) ديوانه: ٦٥، ورواية الديوان مع بيت قبله:

فـلا عـمـر الـذي أثـنـى عـلـيـه ... ومـا رفـع الـحـجـيـج إلـى إلال
لـمـا أغـفـلـت شـكـرك فـانـتـصـحـنـي ... فـكـيـف ومـن عـطـائـك جـل مـالـي

(٤) من فتح الميم منه لم يصرفه ويقول: إنه جمع منذر لأنه محمد بن منذر بن منذر بن منذر، ومن ضمها صرفه.

(٥) ديوانه (٣: ٢٠٠).

وإن كان مأخوذاً من قول العامة: هذا أمرٌ يشيب الطفل. وكانتِ الشعراء قد تداوَلَتْه وابتذلته حتى أخلق ورثَّ، وقد زاد فيه الزيادة المليحة، وإنما العيبُ على أبي الجُوَيرية[١] العبدي إذ أخذ قول نُصَيْب[٢]، فقال:

قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفه من أهل وَدّانَ طالِبُ[٣]
فعاجُوا فأثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ولو سَكتُوا أثنت عليكَ الحقائب

فنقل معناه وكثيراً من ألفاظه، ثم يَقعُ من إحسانه أحسن موقع فيقول:

أقولُ لِقَافلين يُرَى عليهمْ عطايا منكَ ليس لها حِسَاب
قِفُوا أُخْبِرْكُمُ وتُخَبِّرُوني قليلاً والسَّرَابُ له اخْتِباب[٤]
لأُفْصِحَهم وما كفروك حُسْنا ولو فَعلوا لكذَّبه العِياب[٥]

وقد أخذ أبو الجُوَيرية بيتي الخَنْساء أحسن أخذ، وجمعهما في بيت استوفى فيه معنييهما. قالت الخَنساء:

وما بَلَغت كفُّ امرئٍ متناول من المجد إلّا والذي فيك أَطْوَلُ
وما بَلغ المُهْدُون نحوك مِدْحَة وإن أطنَبوا إلّا وما فيك أفضلُ

فقال أبو الجُوَيرية:

يزيدُ على سَرْوِ الرجال بَسْروِه[٦] ويقصر عنه قولُ مَنْ يتمدّح

وعلى من يأخذ قولَ أبي العطاء:

جَلَّتْ رزِيَّتُه فعمَّ مُصَابها فالناسُ فيه كلُّهم مَأْجُور

فيقول:

ولقد أصابَ غليلُها مَنْ لم يُصَبْ وتصيّرت فَقْداً لمن لم يَفْقِد

وبين الكلامين في صحّةِ النظم وعذوبة المنطق ما تراه. ثم قد كرّر المعنى في المصراعين، ولم يزد على قول أبي المعطاء: فثم مصابه، وبقية البيت فضل ومن يأخذ قول ساعدة بن جؤية:

للمَشْرفيَّة وَقْعٌ في قلَالِهم تَحْتَ القُيُون وطاب الأَثْل بالقُدُم

---

(١) أبو الجويرية العبدي: اسمه عيسى بن أوس العبدي، شاعر محسن ـ سمط اللآلي ص ٣٢٣.
(٢) البيان والتبيين (١: ٨٣).
(٣) رواية البيان والتبيين:
قفوا خبرونا عن سليمان إنني لمعروفه من آل ودان طالب
(٤) الخبب: ضرب من العدو، والسرعة، وخب واختب بمعنى.
(٥) العياب: جمع عيبة، وهي ما يجعل فيه الثياب.
(٦) السرو: المروءة في شرف.

فيقول:

لِـلـمـشـرفـيَّـةِ وَقْـعٌ فـي قِـلَالِـهـم وَقْع القَدُوم بكفِّ القَيْن في الخَشَبِ

فيبدل تلك الألفاظ، والبيت نقلاً ونسخاً على هيئته لما كان هذا المعنى يُعَدُّ مسروقاً؛ لأنه من المبتذَل العامي المشاهَد في كل حال.

ومتى أحكمتَ هذا الباب حقَّ الإحكام، وأوليتَه حسنَ التمييز فقد ألقيتَ عن نفسك ثقلاً، وكفيتها مؤونة، ولم يبقَ عليك إلا أن تَحترس من التفريط، كما احترستَ من الإفراط. فلا تكن كمن يرى السَّرَق لا يتمُّ إلا باجتماع اللفظ والمعنى، ونقل البيت جملة، والمصراعَ تامّاً؛ بل لا يَعْرِف السارق إلا من يفعل فِعل عبدِ اللّٰه بن الزُّبير بأبيات معن بن أوس. حكى أبو عبيدة وغيره أن عبد اللّٰه بن الزُّبير دخل على معاوية فأنشده لنفسه[١]:

إذَا أَنـتَ لـم تُـنْـصِـفْ أَخـاك وجـدتَـه على طَرَفِ الـهِـجْرَان إن كـان يـعْـقِـلِ
ويـركـبُ حـدَّ الـسَّـيف من أن تَـضِـيـمـه إذا لـم يكـن عـن شَفْرَة السيف مَزْحَلُ

فقال له معاوية؛ لقد شعرت بعدي يا أبا بكر! ولم يفارق عبد اللّٰه المجلس حتى دخل مَعْنُ بن أوس المزني، فأنشده كلمته التي أولها[٢].

لَـعَـمَـرُكَ مـا أدري وإنـي لأَوجَـلُ عـلـى أيِّـنَـا تَـغْـدُو الـمـنـيـةُ أولُ

حتى أتى عليها، وهذه الأبيات فيها. فأقبل معاوية على عبدِ اللّٰه بن الزُّبير فقال: ألم تخبرني أنها لك؟ فقال: المعنى لي واللفظ له؛ وبعدُ فهو أخي من الرضاع وأنا أحقّ الناس بشعره.

وكفعل جرير بقول سُوَيد بن كراع العُكْلي[٣]:

ومـا بـات قـومٌ ضَـامِـنِـيـنَ لـنـا دمـاً فـنـوفـيـهـا[٤] إلا دِمـاءٌ شَـوَافِـعُ

فإنه نقل البيتَ إلى قصيدة له، فلما أنشدها نبه عليه عمر بن نجاء التيمي، وكان أحدَ الأسباب التي هاجت الشر بينهما.

وفِعْل الفرزدق إذ سمع جميلاً ينشد:

تـرى الـناسَ ما سِرْنَا يسيرون خَلْفَنا وإن نـحـنُ أومـأنا إلـى الـناس وقَّـفُـوا

فقال: أنا أحقُّ بهذا البيت، فأخذه غصباً. وكما ادعى دِعْبِل على أبي تمام[٥] في

(١) الأمالي (٣: ٢١٨).
(٢) اللسان ـ مادة شفع، وديوانه ص ٣٧٢.
(٣) ديوان جرير ص ٥٧.
(٤) في الديوان: «فتوفينا»، وفي اللسان: «فيشفينا».
(٥) ديوانه ص ٣٦٨، أخبار أبي تمام ص ٢٠٠، وفي الأصلين: «كما ادعى وعمل».

كلمته الرائية، التي رثى بها محمد بن حميد، فإنه زعم أن أبا مَكْنفِ المُزَني، من ولد زُهير بن أبي سلمى رَثَى ذُفافَة العبْسي، فقال:

أَبعد أبي العباس يُسْتعتب الدّهرُ ... وما بعده للدهرِ عُتْبَى[1] ولا عُذر
ألا أيّها الناعي ذُفَافة والنَّدَى ... تَعِستَ وشَلَّت من أنامِلك العَشْر
إذا ما أبو العباس خَلَّى مكانه ... فما حملَتْ أنثى ولا مَسَّها طُهْر
ولا مَطَرت أرضاً سماءٌ ولا جَرَت ... نجومٌ ولا لذَّت لشاربها الخَمْرُ
كأنَّ بني القَعْقَاع بعد وَفَاتِه ... نجومُ سماءٍ خرَّ من بينها البَدْرُ
تُوفِّيت الأمال بعد ذُفَافَةٍ ... وأصبحَ في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفْرُ
يُعَزَّوْنَ عنْ ثَاوٍ تَعزَّى به العُلَا ... ويبكي عليه البَأسُ والمَجْدُ والشِّعرُ
وما كان إلَّا مالَ مَنْ قَلَّ مالُه ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذُخْرُ

فأخذ أبو تمام أكثرَ هذه القصيدة وجعل مكان «بني القعقاع» «بني نبهان» وأبدل باسم ذُفافة محمداً.

أو كما فعل أبو نُخَيْلة بأُرْجوزَة العجّاج: زعم أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن أبا نُخيلة قال: وفدتُ على مَسلمة بن عبد الملك وقد مدحته فأكرمني وأنزلني، ثم قال لي: ما لكَ والقَصِيد وأنتَ من بني سعد! عليك بالرجز! فقلت: أولستُ بأرجز العرب؟ فقال: أسمعني، فأنشدته:

يا صاحِ ما شاقَك من رَسْم خالِ ... ودمنةٍ تعرفُها وأطلالِ

وهو من قول العجّاج، فلما سمع أولها أصاخَ، فلما أسهبتُ فيها قال: أمسك. فنحنُ أَرْوى لهذا منك، وظننته مقتنى، فما أصبتُ منه خيراً.

وكما أخذ زُهير[2] بيت أوس:

إذا أنتَ لم تَعْرِض[3] عن الجَهْلِ والخنا ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهِلُ

وهو مرويٌّ في قصيدته. وكقول المَغْلُوط[4]:

إن الظغائِنَ يَوْمَ حَزْمِ عُنَيْزَةٍ ... بَكَّيْنَ[5] عند فراقهنَّ عُيُونا
غيَّضْنَ من عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لي ... ماذا لقيتَ من الهَوَى ولَقِينَا!

وقال جرير[6]:

إن الذين غَدَوْا بلُبّك غادَروا ... وشَلاً بعَيْنك ما يزال مَعينا

---

(١) العتبى هنا: ما تعوتب به.
(٢) أمالي ابن الشجري (٢: ١٧).
(٣) رواية الأمالي: «تقصر».
(٤) الأمالي (٣: ٨٠).
(٥) في الأمالي: «أبكين».
(٦) ديوانه ص ٥٧٨.

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنَّ وقلن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولَقِينا

۞ ۞ ۞

ولا تعدّ المعنى مأخوذاً حتى يجيء مجيء قول النابغة[(١)]:

لو أنها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ راهبٍ عَبَدَ الإلٰهَ صَرُورَةٍ[(٢)] متعبِّدِ

وقول ربيعة بن مقروم[(٣)]:

لو أنها عرضَتْ لأَشْمَط رَاهبٍ عَبَدَ الإلٰهَ صَرُورَةٍ مُتَبَتِّلِ

وقول امرئ القيس[(٤)]:

كأنِّيَ لم أركَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ ولم أَتَبَطَّنْ كاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ[(٥)]

ولم أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِيَ ولم أقُلْ لِخَيْلِيَ كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إجْفَالِ[(٦)]

وقول عبد يَغُوث بن وقاص الحارثي[(٧)]:

كأنيَ لم أرْكَبْ جَوَاداً ولم أقل لخَيليَ كُرِّي نفْسي عن رِجاليا

ولم أَسْبَأ الزِّقَّ الرويَ ولم أَقُلْ لأيْسَار[(٨)] صدْقٍ عظِّمُوا ضَوْءَ نَارِيَا

۞ ۞ ۞

وقول النابغة[(٩)]:

وما كان دونَ[(١٠)] الخير لو جاء سالماً أَبُو حجر إلا لَيالٍ قَلَائِل

وقول الحطيئة[(١١)]:

وما كان بيني ولو لقيتُك سالِما وبين الغِنَى إلّا ليالٍ قَلائِل

۞ ۞ ۞

(١) اللسان (مادة صرر) وديوانه ص ٣١. (٢) الصرورة: الذي لم يتزوج.

(٣) اللسان (مادة تبل). (٤) ديوانه ص ٥٨.

(٥) الجواد: الفرس اللاحق، ولم أتبطن؛ من البطانة. والكاعب: الجارية التي كعب ثديها وارتفع. والخلخال من الحلي؛ مثل السوار.

(٦) سبأ الخمر: اشتراها، والروي: الذي يروي.

(٧) خزانة الأدب (١: ٢٩٨). المواهب الفتحية (١: ١٠٨).

(٨) الأيسار جمع ياسر، وهو الجازر، والذي يلي قسمة جزور الميسر.

(٩) ديوانه ص ٦٢.

(١٠) رواية الديوان: «بين».

(١١) ديوانه ص ٩٩.

وقال مالك بن الرَّيب:

الـعـبـدُ يُـقـرَعُ بـالـعَـصـا والـحـرُّ يَـكْـفـيـه الـوَعـيـد

وقول يزيد بن [ربيعة بن] مُفَرِّغ:

الـعـبـدُ يُـقْـرَعُ بـالـعـصـا والـحـرُّ تَـكْـفِـيـهِ الـمَـلَامَـهْ

وقال آخر بعدهما:

الـعـبـدُ يُـقْـرَع بـالـعـصـا والـحـرُّ تـكـفـيـه الإشـارهْ

۞ ۞ ۞

وقول ذي الرُّمة:

يَـطْـرَحْـنَ بـالـدَّويَّـة[١] الأمـلاس[٢] لـكـلِّ ذئـب قَـفْـرَةٍ ولّاس[٣]

مَـوتَـى الـعـظـام حَـيَّـةَ الأنـفـاسِ

وقول رُؤْبة:

يَـطْـرَحْـنَ بـالـدَّوِّيَّـةِ الأغْـفَـالِ[٤] كلَّ جنين لفق السِّربال

حـيِّ الـشَّـهـيـقُ مَـيِّـتِ الأوصـال

۞ ۞ ۞

وقول امرئ القيس بن عابس[٥]:

قِـفْ بـالـدِّيـار وُقُـوفَ حـابِـسْ وتـأنَّ إنـك غَـيْـرُ آيِـسْ

مـاذا عـلـيـك مـن الـوقـو ف بـهـامـدِ الـطَّـلَـلـيـن دَارِسْ

لَـعِـبَـت بـهـن الـعـاصـفـات[٦] الـرا ئـحـات مـن الـرَّوائِـسْ[٧]

وقول الكُمَيت:

قِـف بـالـديـارِ وقـوف زائـرْ وتـأنَّ إنـك غَـيـرُ صـاغـر

(١) الدوية: المفازة، وفي الأصلين: «بالدرية».
(٢) الملس: المكان المستوي؛ والجمع أملاس.
(٣) الولاس؛ من الموالسة، وهي المخادعة.
(٤) كل ما لا علامة فيه ولا أثر للعمارة من الأرضين والطرق ونحوهما غفل، والجمع أغفال.
(٥) أخبار المراقسة ص ٩٣، وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي. ذكره ابن حجر في الإصابة (١: ٦٤)، وأورد شعره المذكور.
(٦) في أخبار المراقسة: «الغاديات».
(٧) الرائس: رأس الوادي، وكل مشرف، وجمعه روائس. وروائس الوادي أعاليه. وسحابة رائسة: هي التي تتقدم السحاب.

مـاذا عـلـيـك مـن الـوقـو ف بـهـامـد الـطَّـلَـلـيـن دَاثِـر
درجـت عـلـيـه الـغـاديـات الـرا ئـحـات مـن الأعـاصـر

۞ ۞ ۞

ومثل قول الأُقَيْشر ـ إن كانت له:

جرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ العَتِيقِ وهانَ عليَّ مأْثُورُ الفُسوقِ
وَجَدْتُ أَلذَّ عاريةِ اللَّيالي قِرانَ النَّغم بالوتَر الخَفُوقِ
ومُسْمِعَةً إذا ما شئتُ غنَّت متى نزل الأحِبَّةُ بالعقيق
تمتَّعْ من شبابٍ ليس يبقى وصِلْ بعُرَى الصَّبوح عُرَى الغَبُوق[1]

وقول أبي نواس[2]:

جريتُ مع الصّبا طَلْق الجُمُوحِ وهانَ عليَّ مَأثُورُ القَبيحِ
وَجَدْتُ أَلَذَّ عاريةِ اللَّيالِي قِرَان النَّغم بالوَتَرِ الفَصيحِ
ومُسْمِعَةً إذا ما شئتُ غنَّت متى كان الخيامُ بذي طُلُوحِ
تمتَّعْ من شبابٍ ليس يَبْقَى وَصِلْ بعُرَى الغَبُوق عُرَى الصَّبُوحِ

وأنا أرتابُ بأبيات الأُقَيْشِر؛ فإنها لا تُشْبه شعرَه، ولم أرها في ديوانه.

۞ ۞ ۞

وقول الرّاعي:

فتًى يَشْتَري حُسنَ الثناءِ بماله إذا ما اشترى المخْزَاةَ بالمال بَيْهَسُ

وقال الأبيْرد:

فتًى يشتري حسن الثناءِ بماله إذ السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ[3] أَعْوَزَها الْقَطْرُ

وقول أبي نواس[4]:

فتًى يشتري حُسنَ الثَّناءِ بماله ويعلمُ أنَّ الدائرات تَدُور

۞ ۞ ۞

وقول محمد بن وَهْب:

هل الدَّهْرُ إلا غَمْرَةٌ وانجلاؤُها وَشيكاً وإلا ضِيقَةٌ تتفرَّج

---

(١) الغبوق: الشرب بالعشي.
(٢) ديوانه ص ٢٥٧.
(٣) سنة شهباء: كثيرة الثلج مجدبة.
(٤) ديوانه ص ٩٩.

وقول البُحْتَري[١]:

هل الدهرُ إلا غَمرةٌ ثم يَنْجَلي عَمَاها وإلا ضِيقةٌ وانْفِرَاجُها

۞ ۞ ۞

وقول حَزْن بن جَنَاب المِنقَريّ[٢]:

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسَه ففي صالح الأخلاقِ نفسَك فاجْعَلِ

وقول حُرَيْث أبو اللَّحَام[٣]:

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسَه فأبْصِرْ بعينَيك امرأً حيثُ يَعْمد[٤]

۞ ۞ ۞

وقال مالك بن الريب[٥]:

يقولون لا تَبْعَد وهم يَدْفِنُونني وليس[٦] مكانُ البُعْدِ إلّا مَكانيا

وقول هُذْبَة بن الخَشْرَم[٧]:

يقولونَ لا تَبْعَد وهم يَدْفِنُونني وليس مكانُ البُعْدِ إلا ضَرَائحي[٨]

۞ ۞ ۞

وقول العباس بن المطلب:

وما الناسُ بالناس الذين عَهِدْتهم ولا الدَّارُ بالدَّار التي كنت تَعْلَمُ

وقول الفرزدق:

وما الناسُ بالناسِ الذين عهدتهم ولا الدارُ بالدارِ التي كنت تعرِفُ

۞ ۞ ۞

وقول نَافذ بن عُطَارد[٩]:

وإني لأعطي المالَ مَنْ ليس سَائلاً ومَنْ لم يكُن يوماً ليُعْطِيَني سُؤْلي

---

(١) ديوانه (١: ١٠٣)، ورواية الديوان:

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها وشيكا وإلا ضيقة وانفراجها

(٢) في الأصلين: «ابن حيان»، والتصحيح عن معجم الشعراء ص ١٠١.

(٣) في الأصلين: «حريث اللجام»، والتصحيح عن الخزانة.

(٤) يعمد: يقصد. (٥) الأمالي (٣: ١٣٧).

(٦) في الأمالي: «وأين مكان البعد». (٧) في الأصلين: «هرمة بن الخشرم».

(٨) الضريح: الشق في وسط القبر، واللحد في الجانب.

(٩) في الأصلين: «ناقد».

وقول الأصلع بن قصّاب:

وإني لأُعْطي المالَ مَن ليس سائلاً وَأُعْرِضُ عن بادِي الشَّذَاةِ[١] مُلِيم

۞ ۞ ۞

وقول المُخَضَّع العبْدي[٢]:

ومَن يَقْتَرِف خُلْقاً سوى خُلْقِ نفسه يَدَعْه وتَرْجِعه إليه الرَّواجِع

وقول الأعْوَر الشَّنّي:

ومن يقْترف خُلْقاً سِوَى خُلْق نفسه[٣] يَدَعْه ويَغْلبه على النَّفْس خِيمُها[٤]

۞ ۞ ۞

وقول وَالبة:

يا شقيقَ النَّفسِ مِنْ أَسَدِ نمتَ عن لَيْلى ولم أَكَدِ

وقول أبي نواس[٥]:

يا شَقِيقَ النَّفْسِ من حَكَمِ[٦] نِمْتَ عن لَيْلى ولم أَنَم

۞ ۞ ۞

وقول حاتم[٧]:

وإنّي لعفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنى وتاركُ شَكلٍ لا يُوافقُه شَكلي

وقول جرير[٨]:

وإني لعفُّ الفَقْرِ مُشْترِكُ الْغِنى سريعٌ إذا لم أرضَ دَاري احتماليا

وأشباه ذلك مما جمعَ اتفاقَ الألفاظ، وتساوِيَ المعاني، وتماثُلَ الأوزان.

سرقة المعاني والأغراض

وأول ما يلزمُك في هذا الباب ألّا تُقْصِر السَّرقة على ما ظهرَ ودعا إلى نفسه دون ما

---

(١) الشذاة: الحدة، وفي الأصلين: «الشداة» ـ بالدال.

(٢) هو من عبد قيس.

(٣) رواية البيت في المؤتلف والمختلف ص ٤٧٥:

ومن يبتدع خلقاً سوى خلق نفسه

(٤) الخيم: الطبع.

(٥) ديوانه: ٣٢٤.

(٦) حكم: قبيلة.

(٧) مهذب الأغاني (١ : ٦٦)، ديوانه ص ٢٠.

(٨) ديوانه ص ٦٠٥.

كَمَن، ونَضَح[١] عن صاحبه؛ وألّا يكون همُّك في تتبع الأبيات المتشابهة، والمعاني المتناسخة طَلَبَ الألفاظ والظواهر دون الأغراض والمقاصد، ولن تُكمِلَ ذلك حتى تعرفَ تناسب قول لبيد[٢]:

وما المالُ والأهلونَ إلا وَدَائِعُ ... ولا بُدَّ يوماً أن تردَّ الوَدَائعُ

وقول الأفوه الأوْدي:

إنما نِعْمَةُ قَوْمٍ مُتْعَةٌ ... وحياةُ المرءِ ثَوبٌ مُسْتَعَار

وإن كان هذا ذكر الحياة، وذلك ذكر المال والولد، وكان أحدُهما جُعِل وديعة، والآخرُ عارية، وتعلم أنَّ قولَ الشاعر[٣]:

وما المرءُ إلا حيثُ يَجعَلُ نفسه

هو من قول الآخر:

فنفسَكَ أَكْرِمها فإنَّك إن تَهُنْ ... عليك فلن تَلْقى لها الدهرَ مُكْرِما

وحتى تتأملَ هذه الأبيات فتعرف انتسابَ بعضِها إلى بعض، واتصالَ كلِّ واحد منها بصاحبه، مع افْتِنان مذاهبهما، واختلاف مواقعهما، كقول زهير[٤]:

وليس لمنْ لم يركب الهوْلَ بُغْيةٌ ... وليس لمن قد حطَّه اللّه حَامِلُ

وقول حاتم[٥]:

إذا أَوْطَنَ[٦] القومُ البيوتَ وجدتَهم ... عُمَاةً عن الأخْبَار خُرْقَ المكاسِبِ

وقول الآخر:

خاطِرْ بنفسك كي تُصِيبَ غنيمَةً ... إن القُعُودَ مع العيالِ قَبيح

وقول الآخر[٧]:

ومَن يكُ مثلي ذَا عِيال ومُقْتِراً ... من المال يَطْرَحْ نفسَه كلَّ مَطْرَحِ

وقال غيره ـ ويقال لسَهم بن حنظلة[٨]:

اغضِ العواذِلَ وازْمِ الليلَ عن عَرَضٍ ... بذي سَبيب[٩] يُقاسي لَيلَه خَبَبا

---

(١) نضح عن صاحبه: دفع عنه.

(٢) مهذب الأغاني (٢: ٦٤).

(٣) سبق منسوباً إلى حزن بن جناب ص ١٧٣.

(٤) مختارات ابن الشجري: ١٨، قال: وقد روى الشطر الثاني:

ليس لرحل حله اللّه حامل

(٥) شعراء النصرانية ص ١٢٩، ديوانه ص ٤.

(٦) أوطنه: اتخذه محلاً وسكناً (وطناً).

(٧) هو أبو العيال، ولا يعرف له اسم غير هذا، العمدة (١: ٢٤).

(٨) اللسان ـ مادة شعب.

(٩) السبيب: شعر الناصية.

حتى تُصادِفَ مالاً أو يُقالَ فَتى ... لاقى[١] الذي شَعَبَ الفِتْيَان فانْشَعَبا

وقول هبيرة بن عبد مناف:

إذَ المرءُ لَمْ يغْشَ الكريهةَ أوشكَتْ ... حبالُ الهوينى بالفتى أن تَقَطَّعَا

وقول أبي تمام[٢]:

ذَريني وأهوالَ الزمانِ أُعانِها[٣] ... فأهوالُه العظمى تليها رغائبُهْ

وتعلم أن زهيراً جمع في قوله:

وليس لمن لم يركب الهولَ بُغيَة

ما بسطه هؤلاء، وأن أبا تمام زاد بأن حقَّق درك البُغية، وحصول المراد لا محالة.

واقتصر زهير على التأميل؛ فلأبي تمام فضيلة التأكيد، وأن الغرض الحثُّ على تجشّم الأهوال في الطلب، فكلما ازدادَ الكلامُ تأكيداً كان أبلغ. ولزهير مَزِيَّة الصدق؛ لأن الأملَ مقرون بهذه الحال، والبغية مطلوبة؛ فأما الظفرُ الذي حكم به أبو تمام فقد يكون، وقد يُقْتَطعُ الطالب دونه، ويُحَالُ بينه وبينه.

۞ ۞ ۞

وألطف من هذا التناسب، وأَغْمض مَأخذا ما تجده بين هذه الأبيات إذا حذفتَ عنك اعتبار أمْثِلتها، وأقبلت على صريح معانيها:

قال بعض العرب:

يهاب العديدَ الدُّهْم من حيثُ لا يُرى ... ويخشى شَذَاةَ[٤] العِزِّ والعزُّ غَائبُ

وقال أبو هَفَّان:

أنا السيفُ يُخشَى حدُّه قبل هزِّه ... فكيف وقد هُزَّ الحُسَامُ المهنَّدُ

وقول البحتري[٥]:

ويُخشى شَذَاهُ وهو غيرُ مُسَلَّط ... وقد يُتَوَقَّى السيفُ والسيفُ في الغِمْد

(١) رواية اللسان:

لاقى التي تشعب الفتيان فانشعبا

(٢) ديوانه ص ٤٤.

(٣) في الديوان: «فإنها».

(٤) الشذاة: الحدة، وفي الأصل: الشداة ـ بالدال.

(٥) ديوانه (١ : ١٩٦)، وفي الأصلين «شداه».

وقول المتنبي[١]:

تُهَابُ سيوفُ الهند وهْيَ حَدائِدُ ... فكيفَ إذا كانتْ نِزاريةً عُرْبَا
ويُرْهَبُ نابُ الليثِ والليثُ وَحْدَهُ ... فكيفَ إذا كان اللّيوثُ له صَحْبا
ويُخْشى عُبابُ البَحر وهو مكانه ... فكيف بمَنْ يَغْشى البلادَ إذا عَبَّا

معنى هذه الأبيات الثلاثة واحد، وإن اختلفت المعارض والأمثلة.

❁ ❁ ❁

وكاختلافها واتفاق أغراضها قول الطُّفَيْل الغَنَوي[٢]:

نجوم سماءٍ كلَّما انقضَّ كوكبٌ ... بدا وانجلَت عنه الدُّجُنَّةُ[٣] كوكَبُ

وقول أبي الطَّمَحَان[٤] [القَيْني]:

نجوم سماء كُلَّما غَارَ كَوْكَبٌ ... بَدا كوكبٌ تَأْوِي إليه كَوَاكِبُه

وقال أوس[٥]:

إذَا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نابِه ... تَخَمَّطَ منا[٦] نابُ آخرَ مُقْرَم

وقال الخُرَيْمِيّ[٧]:

إذا قَمَرٌ منّا تَغَوَّرَ أو خَبَا ... بَدا قَمَرٌ في جَانِب الأُفْق يَلْمعُ

وقال أبو تمام[٨]:

رأيتُهُمْ ريشَ الجناح إذا مضت[٩] ... قوادمُ منه بشّرت[١٠] بقَوَادِمِ

التفنن في السرقة

وحتى لا يغرَّك من البيتين المتشابهين أن يكونَ أحدُهما نسيباً، والآخر مديحاً،

---

(١) ديوانه (١: ٦١).

(٢) مهذب الأغاني (١: ٢٢٧) وروايته:

كواكب دجن كلما انقض كوكب

(٣) الدجنة: الظلمة.

(٤) في الأصلين: «الطحان».

(٥) اللسان ـ مادة خمط، وسمط اللآلئ: ٤٥٥، وروايته:

وإن سيد منا ذرا حد نابه ... تخمط فينا ناب آخر مقرم

(٦) في اللسان: فينا، والتخمط: الغضب والتكبر والأخذ والقهر بغلبة، والمقرم: السيد، أراد أنه إذا هلك سيد قام آخر.

(٧) في الأصلين: «الخزيمي».

(٨) ديوانه ٣٨٦.

(٩) في الديوان: «ذوت».

(١٠) في الديوان: «أيدت».

وأن يكون هذا هجاءً، وذاك افتخاراً؛ فإن الشاعر الحاذق إذا عَلِق المعنى المختَلس عدَل به عن نوعه وصِنفه وعن وزنه ونظمه، وعن رويّه وقافيته، فإذا مرَّ بالغبيّ الغُفْل وجدهما أجنبيين متباعدين، وإذا تأملهما الفَطِن الذكي عرف قرابةَ ما بينهما، والوصْلَة التي تجمعهما، قال كُثَيِّر[١]:

أُريد لأنْسى ذِكْرَها فكأنما   تَمَثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ

وقال أبو نواس[٢]:

ملك تصوَّر في القلوب مِثالُه   فكأنه لم يَخْلُ مِنه مَكان

فلم يشكّ عالمٌ في أن أحدهما من الآخر، وإن كان الأول نسيباً والثاني مديحاً.

۞ ۞ ۞

وقال أبو نواس[٣]:

حُلِّيتَ وَالحُسْن تأخذه   تَنْتقِي منه وتَنْتَخِب

فاكْتَسَتْ منه طرائفَه   واستزادت فضلَ ما تهبُ

وقال عبد اللَّه بن مُصْعَب:

كَأنك جئت مُحْتَكِماً عَليهم   تَخَيَّرُ في الأبوَّةِ ما تَشَاءُ

فأحدُ البيتين هو الآخرُ في المعنى، وإن كان أحدُهما يتخيَّر الحسن والآخر الأبوة، وإنما هما من قول بشار[٤]:

خُلِقْتُ على ما فيَّ غيرَ مُخَيّرٍ   هَواي ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذّبا

ثم تناوله أبو تمام، فأخفاه فقال[٥]:

ولو صورتَ نفسَكَ لم تَزِدْها   عَلَى ما فيك من كَرَمِ الطِّبَاعِ

۞ ۞ ۞

وقد أخذ أبو نواس قول جرير[٦]:

بعثن[٧] الهوَى ثم ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنا   بأسْهُمِ أعداءٍ وهنَّ صَدِيقُ

---

(١) الأمالي (٣: ١١٩).
(٢) ديوانه (ص ٥٩).
(٣) ديوانه (ص ٣٦١).
(٤) ديوانه (ص٣٣)، وروايته:
طبعت على ما في غير مخير
(٥) ديوانه ص ١٩٥.
(٦) ديوانه ص ٣٩٨.
(٧) في الديوان: «دعون».

فقال[١]:

إذا امتحَن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ ... له عن عدوٌ في ثياب صديقِ

۞ ۞ ۞

وأخذ أيضاً قول أبي خِرَاش الهُذَليّ[٢]:

ولم أدْرِ مَنْ ألقى عليه رِدَاءَه ... على أنه قد سُلَّ من مَاجِدٍ مَحْضِ

فقال ـ يصف شَرْباً[٣]:

ولم أدرِ منهم غيرَ ما شهدَت به ... بشرقيّ ساباط الدّيار البَسَابِس[٤]

فلم يَخْفَ موضع لأخذ؛ وإن كان قد نقلَ الغَزَلَ إلى الزّهد، والمرثيّة إلى المنادمة.

مناقضة الشعراء

ومِن لطيفِ السَّرَق ما جاء به على وجه القلب، وقَصَد به النقض، كقول المتنبي[٥]:

أأُحِبّهُ وأُحِبُّ فيه مَلَامَةً ... إنّ الملامَةَ فيه من أعْدَائه

إنما نقض قول أبي الشيص[٦]:

أَجِدُ الملامَةَ في هواكِ لذيذةً ... حبًّا لذِكْرِكِ فلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

وأصله لأبي نُوَاس في قوله[٧]:

إذا غاديتني بصَبوح عذلٍ ... فممزوجا[٨] بتَسْمِيَةِ الحبيبِ

فإني لا أَعُدُّ اللوم[٩] فيه ... عليكِ إذا فعلتِ من الذّنوب

۞ ۞ ۞

وقول المتنبي[١٠]:

والجِرَاحَاتُ عِنْدَه نَغَمَاتٌ ... سَبَقَتْ قبلَ سَيْبه بِسُؤَالِ

إنما ناقض به أبا تمام في قوله[١١]:

وَنَغْمَةُ مُعْتَفٍ جَدْوَاه[١٢] أحلى ... على أُذُنَيْهِ من نَغمِ السَّماعِ

(١) مختارات البارودي (٤ ـ ٤٦٨).
(٢) مهذب الأغاني (٢: ١٩٧).
(٣) ديوانه ص ٢٩٥.
(٤) البسابس: جمع بسبس، وهو القفر.
(٥) ديوانه (١ ـ ٤).
(٦) التبيان (١ ـ ٤).
(٧) ديوانه ص ٣٦١.
(٨) في ديوانه: «فشوبيه».
(٩) في الديوان: «العذل».
(١٠) ديوانه (٣: ١٩٦).
(١١) ديوانه ص ١٩٤.
(١٢) في الديوان: «يرجوه».

وقد تبعه البُحتري؛ فقال[(١)]:

نَشْوَانَ يَطْرَبُ للسؤال كأنما غَنَّاه مالك طيِّئٍ أو مَعْبَد

❁ ❁ ❁

وقول المتنبي[(٢)]:

أَنْتَ نقيضُ اسْمِهِ إذا اختلَفَتْ قَوَاضِبُ البيض والْقَنَا الذُّبُل

إنما هو نقيض قول أبي نواس[(٣)]:

عباسٌ عباسٌ إذا احْتَدَم الوَغَى والفضلُ فَضلٌ والرَّبيعُ رَبيعُ

❁ ❁ ❁

وقول ابن أبي طاهر:

يشتركُ العالَمُ في ذَمِّه لكنني أمدحه وَحْدِي

إنما هو عكس قول أبي تمام[(٤)]:

كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والوَرَى معي وإذا ما[(٥)] لمتُه لمتُه وَحْدي

وهذا بابٌ يحتاجُ إلى إنعام الفِكر، وشدَّةِ البحث، وحسنِ النظر، والتحرّز من الإقدام قبل التبيّن، والحكم إلا بعد الثقة. وقد يَغْمُض حتى يخفى، وقد يذهبُ منه الواضح الجليّ على من لم يكن مرتاضاً بالصناعة، متدرّباً بالنقد؛ وقد تَحْمِل العصبيةُ فيه العالِمَ على دفع العِيان، وجَحْدِ المُشَاهدة، فلا يزيد على التعرّض للفضيحة، والاشتهار بالجَوْرِ والتحامل!

(١) ديوانه ص ١٧٦.
(٢) ديوانه (٣: ٢١٦).
(٣) ديوانه ص ٩٦.
(٤) ديوانه ص ١٢٩.
(٥) في الديوان: «ومتى ما لمته».

ادعاء السرقة في شعر البحتري وأبي نواس وأبي تمام

ومتى طالعتَ ما أخرجه أحمد بن أبي طاهر وأحمد بن عمار من سرقات أبي تمام وتَتَبَّعه بِشْر بن يحيى على البُختري، ومهلهل بن يموت على أبي نواس عرفت قُبْح آثار الهَوى، وازداد الإنصاف في عينك حسنا. زعم مهلهل أن قول أبي نواس[١]:

إليك أبا العبّاس من[٢] بَيْنِ مَنْ مَشَى ... عليها امتطينا الحَضْرَمِيَّ المُلَسَّنَا

مأخوذ من قول كُثَيِّر[٣]:

لهم أُزُرٌ حُمْرُ الحَواشي يَطَوْنَها[٤] ... بأقْدَامهم في الحَضْرَميّ[٥] المُلَسَّنِ

والحضرمي الملسّن أشهرُ عند العرب من أن يُفْتَقر فيه إلى قول كثير أو غيره، وإنما هو صنف[٦] من نِعالهم كان مستحسناً عندهم، فما في ذِكْر أبي نواس له من السرقة المعروفة شيء، ثم لو ذكر بعض شعرائنا اليماني المُخَصَّر[٧] والكناني المُطَبَّق، ثم وجدناه في شعر غيره، أَكُنّا نقول: إنه مأخوذ منه؟ أو كنا نعدّه سرقة؟ وليس بين البيتين اتّصال ولا تناسب إلا في هذه اللفظة؛ لأن كثيِّراً مدح قوماً فوصفهم بالمَرح والنعمة والخُيَلاء، وذكر سُبُوغَ أُزُرِهم، وأنهم يَطأونها بنعالهم الحَضْرَمية المُلَسَّنة هَوَاناً بها، وقصد أبو نواس معنًى آخر فذكر أنه قَصَدَ مَمْدُوحه ماشياً وامتطى نعله الحضرمية المُلَسَّنة؛ فما أرى بينها غيرَ ما ذكرت. وزعم أن قول أبي نواس[٨]:

نُعَزِّي[٩] أميرَ المؤمنين محمداً ... على خيرِ مَيْتٍ غَيَّبَتْه المقَابرُ

---

(١) ديوانه ص ٧٦.

(٢) في الديوان: «من دون من مشى».

(٣) اللسان ـ مادة لسن.

(٤) في الأصلين: «بطنها».

(٥) في الأصلين: «والحضرمي».

(٦) الملسن من النعال: الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان.

(٧) خصر النعل: ما استدق من قدام. ونعل مخصرة لها خصران، وفي الحديث: «إن نعله عليه السلام كانت مخصرة»، أي قطع خصراها حتى صارا مستدقين.

(٨) ديوانه ص ١١٧.

(٩) في الأصلين: «تعز».

وإنَّ أميرَ المؤمنين محمداً   لَرابِطُ جَأْشٍ للخُطوب وصَابرُ

من قول مُوسى شَهَواتٍ:

بكتِ المنابرُ يوم ماتَ وإنما   أبكى المنابرَ فقدُ فارِسهنَّه

لما علاهنَّ الوليدُ خليفةً   قلن: ابنُه ونظيرُه فسكنَّه

وهذا أعجبُ من الأول؛ لأنهما لم يتشابها في لفظٍ ولا معنى، وأكثر ما فيها أنّ كل واحد منهما عزَّى خليفة عن أبيه ومدَحه، فإن كان هذا سرقة فالكلامُ كله سرقة؛ وإنما الذي يقاربُ قولَ موسى قولُ محمد بن عبد الملك يرثي المعتصم ويمدح الواثق:

لَنْ يجبرَ اللَّه أمّةً فقَدَتْ   مثلَك إلّا بمثلِ هارون

لأنه جعل انجبارَ الأمة بعد الوَهن الشديد بهارون كسُكُونِ المنابر بالوليد بعد البُكاء على أبيه؛ وهذا أخذٌ لطيف. وقد زعم أن قوله:

حباريابُ جَلْهَتي مَلْحُوبِ   فالقُطبِيَّات إلى الذُّنُوبِ

من قول عبيد[1]:

أَقْفَرَ من أهلِه مَلْحُوب   فالقُطْبِيَّاتُ[2] فالذُّنُوبُ

وهذه أسماءُ مواضع لا معنى للسَّرقة فيها، ولو كان الجمع بينها سرقة لكان إفرادها كذلك، فكان يحرم على الشاعر أن يذكرَ شيئاً من بلاد العرب. وأن قوله في الخمر[3]:

أتت دونها الأيامُ حتى كأنها   تَسَاقُطُ نورٍ من فُتُوق سَماء

من قول جرير[4]:

يَجْرِي[5] السِّواكُ على أَغرَّ كأنه   بَرَدٌ تحدَّر من مُتُونِ غَمام

ولست أرى شبهاً يَشْتركان فيه إلا إن ادُّعي احتذاء المثال فلعلّة. وأن قوله[6]:

تَرى العينَ تَسْتَعْفِيك من لمَعَانِها   وتحسِر حتى ما تُقلُّ جفونَها

من قول الأُبَيْرِد:

وقد كنت أستعفي الإلٰه إذا اشتكى   من الأمر لي فيه وإن عَظُم الأمْر

ولا أراهما اتفقا إلا في الاستعفاء، وهي لفظةٌ مشهورة مُبْتَذَلة، فإن كانت مسترَقة فجميعُ البيت مسروق، بل جميعُ الشعر كذلك؛ لأن الألفاظَ منقولة متداوَلة وإنما

(١) اللسان ـ مادة قطب، ومادة لحب.
(٢) القطبية: ماء بعينه، وملحوب: موضع.
(٣) ديوانه ص ٦٣.
(٤) ديوانه ص ٥٥١.
(٥) في الديوان: «تجري السواك».
(٦) لم نقف عليه في ديوانه.

يُدَّعى ذلك في اللفظ المستعار أو الموضوع، كقول أبي نُوَاس[1]:

طوى الموتُ ما بيني وبين محمدٍ وليس لما تَطْوي المنيةُ ناشرُ

وقول البطَيْن البَجَلي:

طوى الموتُ ما بيني وبينَ أحبَّةٍ بهم كنتُ أعطي ما أشاءُ وأمنعُ

۞ ۞ ۞

وكقوله:

سَقَتْهُ كفُّ الليل أكْؤُسَ الكَرى

وقول الآخر:

سقاه الكَرَى كأسَ النُّعاس فرأسُهُ لدِينِ الكَرَى في آخرِ اللَّيلِ سَاجِدُ

۞ ۞ ۞

وقوله[2]:

كدَّت منادمةُ الدماءِ سيوفَه فلَقَلَّمَا تختارُه الأجْفان

وقول بعض العرب:

وتنادَمت دُفع الدماءِ سيوفُنا حتى اجْتَوى أصحابها سُكْر القَنَا

۞ ۞ ۞

وقول أبي تمام[3]:

حتى تعمّم صُلْعُ هامات الرُّبى من دونه[4] وتأزَّرَ الأهضامُ

وقول بعض الأعراب:

أصبحت العُقْدة[5] صَلْعَاء اللِّمم وأصبح الأَسْوَدُ مَخْضوباً بِدَم

۞ ۞ ۞

وقول آخر:

بكى فاستملَّ الشوقَ مِنْ فِي حمامةٍ أبت في غُصون الأَيْكِ إلا تَرنُّما

وقول أبي تمام[6]:

وقد كاد يُنْسَى[7] عهدُ ظَمْيَاءَ باللِّوى ولكن أملَّتْه عليه الحَمَائِم

---

(١) ديوانه ص ١٢٩.
(٢) لم نجده في ديوانه.
(٣) ديوانه ص ٢٧٩.
(٤) في الديوان: «من ثوره».
(٥) العقدة من الشجر: ما اجتمع وثبت أصله.
(٦) ديوانه ص ٢٨٥.
(٧) في الأصلين «يبني».

فأخذ أملّ من استملّ، وإن كان تَهْييجُ الحَمام صبابةَ المشتاقِ مبتذلاً.

۞ ۞ ۞

وقول أشْجَع:

إذا خالط الشيبُ الشباب تجهَّزَتْ إلى البين أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِله

وقول زهير[١]:

صَحَا القَلْبُ عن سلمى وأَقْصَرَ باطلُه وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبَا ورَواحِلُه

۞ ۞ ۞

وقول الجلّاح:

نفضنا إلى الموت أَدْرَاعَنا كما تَنْفُضُ الأسدُ أَلْبَادَها

وقول حسّان[٢]:

ويشربُ تَعْلَمُ أَنَّا بِهَا أُسُودٌ تُنَفِّضُ أَلْبَادَها

۞ ۞ ۞

ومما ادّعاه أيضاً على أبي نواس قوله:

كأنَّ فَخِذَيه وقد ضُمَّتَا وال... فيه عقد عشرينا

أنه مأخوذ من قول عَبْد بني الحسحاس:

وأشهدُ بالرحمٰن أني رأيتُها وعشرين منها إصبعاً من وَرَائِيا

وليس بين البيتين اتفاقٌ بحال إلا في ذكر العشرين، والمعنيان شديدا التباين؛ هذا يذكرُ أنه علاها والتحفتْ عليه فعقدت يديها ورجليها فصارت أصابعها العشرون من ورائه، وأبو نواس يُشَبِّه ما ذكره بعقد عشرين، فأيّ قُرْبى أو نسب بين هذين.

وشبيه بهذا ما زعم ابن قتيبة في قول هُدبة[٣]:

ولا أتمنَّى الشرَّ والشرُّ تارِكي ولكن متى أُحْمَل على الشرّ أرْكَب

أنه مأخوذ من قول تأبّط شرّاً:

ولَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إذا الدهرُ سرَّني ولا جازِعٍ من صَرْفِه المتحوّلِ

تأمّلهما فإنّك ترى بينهما من التَّبَايُن ما يحظُر ادِّعاء ذلك فيهما، ولو احتمل الكتابُ استقصاءَ ما حافَتْ به هذه الطائفة على أبي نواس وأبي تمّام والبحتري لبسطنا القولَ فيه؛ لكنه لما ضاق عنه اقتصرنا على قَدْر ما أريناك به الطريقة، ووَقَفْنَاك به على

---

(١) ديوانه ص ٢٤. (٢) ديوانه ص ١١٧.

(٣) الشعر والشعراء ص ٢٥١.

المَنْهَج، فَإن سمَتْ بك همَّة، ونازعتك رَغبة، فاقْتَفِ فيه هذا الأثر، وعَايره بهذا المعيار فإنك لا تبعدُ عن الإصابة ما لم تَمِلْ بك العصبيةُ، ويستولي عليك الهوى والمداهنة.

السرق داء قديم

والسَّرَقُ ـ أيّدَك اللَّهَ ـ داءٌ قديم، وعيبٌ عتيق، وما زال الشاعر يستعينُ بخاطرِ الآخر، ويستمدُّ من قريحته، ويعتمدُ على معناه ولفظه؛ وكان أكثره ظاهراً كالتوارد الذي صدّرنا بذكره الكلام، وإن تجاوزَ ذلك قليلاً في الغموض لم يكن فيه غيرُ اختلاف الألفاظ، ثم تسبّب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب؛ وتغيير المنهاج والترتيب، وتكلّفوا جَبْرَ ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد والتعريض في حال، والتصريح في أخرى، والاحتجاج والتعليل؛ فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقصر معه عن اختراعه وإبداع مثله. وقد ادّعى جرير على الفرزدق السَّرَق فقال(١):

سيعلمُ مَنْ يكونُ أبوه فينا ... وَمَن عُرِفَتْ قصائدهُ اجتلابا

وادَّعى الفرزدق على جرير فقال(٢):

إنَّ استراقَك يا جريرُ قصائدي ... مثل ادِّعاكَ سِوَى أَبيكَ تَنَقُّلُ

ومتى أنصفتَ علمت أن أهل عصرِنا، ثم العصر الذي بعدنا أقربُ فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذَمّة؛ لأن مَنْ تقدَّمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على مُعْظَمها؛ وإنما يحصل على بقايا: إمّا أن تكونَ تُرِكت رغبةً عنها، واستهانةً بها، أو لبعدِ مَطْلَبها، واعتياص مَرَامها، وتعذُّر الوصول إليها؛ ومتى أَجْهَد أحدُنا نفسَه، وأَعمل فكرَه، وأَتْعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنُّه غريباً مبتدَعاً، ونَظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفّح عنه الدواوين لم يُخْطِئه أن يجدَه بعينه، أو يجد لهَ مثالاً يغضُّ من حُسْنِه؛ ولهذا السببِ أَحظر على نفسي، ولا أرى لغيري بتَّ الحكم على شاعر بالسرقة. وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في محاجّة البحتري لما ادّعى عليه السَّرَق قوله:

والشعرُ ظَهْر طَرِيقٍ أنتَ راكبه ... فمنه مُنْشَعِب أو غيرُ مُنْشَعِب

وربما ضمَّ بين الرَّكب منهجه ... وأَلْصَق الطُّنُبَ العالي على الطُّنُبِ

إلا أني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبته بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره، وإنما أقول: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا، فأغتنم به فضيلةَ الصدق، وأَسلم من اقتحام التهوّر.

---

(١) ديوانه ص ٦٢.

(٢) النقائض (١: ١٨٩).

سرقات المتنبّي

وهذا ما ادُّعي على أبي الطيب فيه السَّرقة، وما أُضيف إليه مما عثرت به:

قال أبو تمام ـ وقد روي هذا البيت لبكر بن النَّطاح، وقد دخل في شعر أبي تمام[١]:

ولو لم يكن في كفهِ غيرُ نَفْسه[٢] لجادَ بها فليتَّق اللَّهَ سائلُهْ

قال أبو الطيب[٣]:

يا أيُّها المُجْدَى عليهِ رُوحُه إذْ لَيْسَ يأتيه لها استِجْدَاءُ
أحمَدْ عُفَاتَكَ[٤] لا فُجِعْتَ بِفَقْدِهم فلَتَرْكُ مَا لم يأخذُوا إعْطَاءُ

وبيت أبي تمام أو بكر بن النّطاح أَملحُ لفظاً وأصحّ سبكاً. وزاد أبو الطيب بقوله: إنه يجدي عليه رُوحه. ولكن في اللفظ قصور، والأول نهاية في الحسن، ثم نقل المعنى عن الروح إلى الجسد، فقال[٥]:

لو اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَراذِلٌ مِنْهُ في الشِّيزَى وأَوْصالُ[٦]

وهذا هو الأول، ومن جاد بأوصاله فقد جاد برُوحه، وكأنه من قول ابن الرُّومي:

لو حزَّ من جسمه لِسَائِلِه أَنْفَسَ أَعْضَائِهِ لَمَا أَلِما

ثم كرره وغيَّره بعض التغيير فقال[٧]:

مِلْتُ إلَى مَنْ يَكادُ بَيْنَكُمَا[٨] لَوْ كُنْتُما السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ[٩]

---

(١) ديوانه ٢٣٢، التبيان: ٢٦: وقد رواه هناك منسوباً إلى بكر بن النطاح؛ وروايته فيه:

ولو أن ما في كفه غير نفسه

(٢) في الديوان: «غير روحه».

(٣) ديوانه (١: ٢٦).

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو الفقير السائل، وهو طالب المعروف.

(٥) ديوانه (٣: ٢٨١).

(٦) القاري: المضيف. خرادل (بالدال والذال): القطع. والأوصال: جمع وصل؛ وهو كل عظم لا يكسر، ولا يخلط به غيره. الشيزى: جفان تصنع من خشب أسود.

(٧) ديوانه (٤: ٦٣).

(٨) يخاطب صاحبيه، وهي من عادة الشعراء.

(٩) المعنى: إني عدلت إلى زيارة رجل، لو جئتما تسألانه يكاد ينقسم بينكما؛ فصار لكل واحد منكما نفسه. وهذا مبالغة في الكرم.

ثم لاحظ هذا فأخفاه؛ وأحسن ما شاء، فقال[١]:

إنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إذَا وَهَبُوا ... مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا

فجاء به معنى مُفْرَداً، وهو من باب السماحة بالرُّوح. والغرضُ واحد. ومن هذا المعنى قول بَكْر بن النَّطَّاح[٢]:

ولو خَذَلَتْ أموالُه فيضَ[٣] كفِّه ... لقاسم من يَرْجوه شَطْرَ حَياته

❁ ❁ ❁

قال أبو تمام[٤]:

لو حار[٥] مُرْتَادُ المنيّةِ لم يجدْ ... إلّا الفِراقَ على النفُوس دَلِيلا

قال أبو الطيب[٦]:

لَوْلا مُفارقَةُ الأحباب ما وجَدتْ ... لها المنايا إلى أرْوَاحِنا سُبُلَا

❁ ❁ ❁

وقال الأعشى[٧]:

لو أَسْنَدَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِها ... عاشَ ولم يُنْقَلْ إلى قَبرِ

وقال أبو الطيب[٨]:

فَذُقْتُ ماءَ حياةٍ من مُقَبَّلِها ... لو صابَ تُرْباً لأحيا سالِفَ الأُمَمِ

وهذا معنى متداوَل بعد الأعشى، وقد قيل فيه ما كَثُر.

❁ ❁ ❁

قال أبو العباس الناشئ الأكبر[٩]:

لَفْظِي ولَفْظُكَ بالشَّكوى قَدِ ائتَلَفَا ... يا ليتَ[١٠] شِعْرِي فَقَلْبَانَا لِمَ اخْتَلَفَا

قال أبو الطيب[١١]:

أَبْدَيْتِ مِثْلَ الَّذِي أبْدَيْتُ من جَزَعٍ ... ولم تُجِنّي الَّذِي أَجْنَنْتُ[١٢] مِنْ أَلَمِ

والأول أملح لفظاً.

❁ ❁ ❁

(١) ديوانه (٣: ٢١٦).
(٢) الأمالي (١: ٢٤٧).
(٣) في الأمالي: «جود كفه».
(٤) ديوانه ص ٢٤٢.
(٥) في الديوان: «جاء»، وحار: رجع.
(٦) ديوانه (٣: ١٦٣).
(٧) التبيان (٤: ٣٧).
(٨) ديوانه (٤: ٣٧).
(٩) التبيان (٤: ٣٨).
(١٠) في الأصلين: «فليت».
(١١) ديوانه (٤: ٣٨).
(١٢) أجننت الشيء: سترته وكتمته.

قال محمد بن داود[١]:

كأنَّ رَقيباً منك يَرْعَى خَوَاطِرِي ... وآخَرَ يَرْعَى نَاظِري ولِسَانِي

وإنما أخذه من قول العبَّاس[٢] [بن الأحنف]:

أقَامَتْ عَلَى قَلْبي رَقيباً ونَاظِرِي ... فَلَيْس يُؤَدِّي عَنْ سِوَاها إلى قَلْبي

قال أبو الطيّب[٣]:

كأنَّ رَقيباً مِنْكِ سَدّ مَسَامِعي ... عَنِ الْعَذْلِ حَتى لَيْس يَدْخُلُها عَذْلُ[٤]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

مُتَوَاطِئُو عَقِبَيْكَ في طَلَبِ العُلَا ... والمجْدِ ثُمَّتَ تَسْتَوي الأقْدَامُ

قال أبو الطيب[٦]:

رَأيتُ عَلِيّاً وابنَه خيرَ قَوْمِه ... وهُمْ خيرُ قومٍ واسْتَوى الحرُّ والعبدُ

وأعاده فقال[٧]:

حتى يُشَارَ إليكَ ذَا مولاهُمُ ... وهُمُ المَوَالِي والخليقَةُ أعْبُدُ

۞ ۞ ۞

قال أبو تمام[٨]:

غرّبَتْهُ العُلا على كَثْرَةِ الأهْـ ... ـلِ فأضْحَى في الأقْرَبينَ جَنِيبَا[٩]

فلْيَطُلْ عُمْرُهُ فلَوْ مَاتَ فِي مَرْ ... وَ مُقِيماً بها لماتَ غَرِيبَا

وقال أبو الطيب[١٠]:

وهكذَا كُنتُ في أَهْلِي وفي وطَني ... إنَّ النَّفيسَ غريبٌ حيثما كانَا

وبيتُ أبي الطيب أجودُ وأسلم، وقد أساء أبو تمام بذكر الموت في المديح، فلا حاجةَ به إليه؛ والمعنى لا يختلّ بفقده، ومن مات في بلده غريباً فهو في حياته أيضاً غَريب، فأيّ فائِدة في استقبال الممدوح بما يتطيّر منه!.

۞ ۞ ۞

(١) التبيان (٣: ١٨٣).
(٢) التبيان (٣: ١٨٣).، ديوانه ص ١٦.
(٣) ديوانه (٣: ١٨٣).
(٤) في الديوان: «يدخلها العذل».
(٥) ديوانه: ٢٨٢، والتبيان (٢: ١٠).
(٦) ديوانه (٢: ١٠).
(٧) ديوانه (١: ٣٣٩).
(٨) ديوانه ص ٢٦، والتبيان (٤: ٢٢٣).
(٩) جنيبا: أجنبيا.
(١٠) ديوانه (٤: ٢٢٣).

قال أبو تمام[١]:

كفى فقَتْلُ محمدٍ لَكَ[٢] شاهد أنَّ العَزِيزَ مع القَضَاء ذَليلُ

قال أبو الطيب[٣]:

أَلَا إنما كانت وفاةُ محمَّدٍ دَليلاً على أَنْ ليسَ للَّهِ غالِبُ

◎ ◎ ◎

قال كُثير[٤]:

أُرِيد لأَنْسَى ذِكْرَها فكأَنما تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بكلِّ سَبيلِ

وقال أبو نواس[٥]:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ في القلوبِ مِثالُه فكأنَّه لم يخلُ منه مَكانُ

قال أبو الطيب[٦]:

كذب المخبِّرُ عنك دُونَك وَصْفُه مَنْ بالعراقِ يراكَ في طَرْسُوسَا

فقصّر، لأنه اقتصر على مَنْ بالعراق، وعمَّ أبو نواس القلوب والأماكن، وبين اللفظين بَوْنٌ في الجزالة والصِّحة؛ وقد كرّره واستوفى، فقال[٧]:

هذَا الذي أبصرتَ منه حاضِراً مثلُ الَّذِي أبصرتَ منه غائبا

ثم مثّل فقال:

كالبَدْرِ من حيثُ الْتَفَتَّ رأيتَه يُهْدِي إلى عَيْنَيْك نُوراً ثاقِبا

◎ ◎ ◎

قال عبد اللَّه بن محمد المهلّبي[٨]:

ما كُنتَ إلّا كلَحْمِ مَيْتٍ دَعَا إلى أكلِه اضْطِرارُ

وقال أبو الطيب[٩]:

غَيْرَ اختيارٍ رَضِيتُ برَّكَ بي[١٠] والجوعُ يُرْضِي الأُسودَ بالجِيَفِ

---

(١) ديوانه ٣٧٥، والتبيان (١: ١٠٩).

(٢) في الديوان: «لي شاهد». ورواية التبيان:

وكفى بقتل محمد لي شاهدا

(٣) ديوانه (١: ١٠٩). (٤) التبيان (٢: ٢٠٠).

(٥) ديوانه ص ٥٩.

(٦) ديوانه (٢: ٢٠٠)، وفي الديوان: «صدق المخبر».

(٧) ديوانه (١: ١٢٩). (٨) التبيان (٢: ٢٨١).

(٩) ديوانه (٢: ٢٨١). (١٠) في الديوان: «قبلت برك لي».

وقريب منه قول أبي عليّ البصير[١]:

ولــكــنَّ الــبــلادَ إذَا اقــشــعــرَّتْ وصَــوَّحَ نَــبْــتُــهــا رُعِــيَ الــهَــشِــيــمُ

ومنه قول الآخر[٢]:

فـلا تَـحْـمَـدُونـي فـي الـزِّيـارةِ إنَّـنـي أَزُورُكــمُ إذْ لَا أَرَى مُــتَــعَــلَّــلَا

وهذا مما قدمتُ لك ذكرَه من اختلاف صور الأمثلة على المعنى الواحد.

۞ ۞ ۞

قال أبو تمام[٣]:

هـانـت عـلـى كلِّ شيءٍ فـهـو يسفكُها حـتـى الـمـنـازلُ والأحـداجُ[٤] والإبـلُ

قال أبو الطيب[٥]:

فــمــا أَمُــرُّ بِــرَبْــعٍ لَا أُسَــائِــلُــه ولا بِــذَاتِ خِــمَــارٍ لَا تُــرِيــقُ دَمِــي

جعل أبو تمام كلّ شيءٍ يسفك دمه، وجعل أبو الطيب ذات خمار تريق دمه، فاقتصر على بعض تلك الجملة.

۞ ۞ ۞

قال بشار[٦]:

إذا أنــشَــدَ حَــمَّــادٌ فَــقُــلْ أحْــسَــنَ بَــشَّــارُ

وقال أبو هفّان يهجو ابن أبي طاهر[٧]:

إذا أَنْــشَــدْكُــمُ شِــعْــراً فَــقُــولُــوا أَحْــسَــنَ الــنَّــاسُ

وقال أبو تمام مثله في غير هذا المعنى[٨]:

ومهـما تَكُنْ من وَقْعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِـوَى حَـسَـنٍ مِـمَّـا فَـعَـلْـتَ مُـرَدَّدِ

فقال أبو الطيّب[٩]:

أَجِـزْنـي إذا أُنْـشِـدْتَ شِـعْـراً فـإنـمـا بـشِـعْـري أتـاكَ الـمـادِحُـون مُـرَدَّدَا

۞ ۞ ۞

(١) التبيان (٢: ٢٨١).
(٢) التبيان (٢: ٢٨١).
(٣) ديوانه ص ٢٧٧.
(٤) الأحداج: الهوادج.
(٥) ديوانه (٤: ٣٦)، وفي الديوان:
فــمــا أمــر بــرســم لا أســائــلــه
(٦) التبيان (١: ٢٩١).
(٧) التبيان (١: ٢٩١).
(٨) ديوانه ص ١٠٣، التبيان (١: ٢٩١).
(٩) ديوانه (١: ٢٩١).

وقال أبو تمام[١]:

وكانَتْ ولَيْسَ الصُّبْحُ فيها بأبْيضٍ فأمست[٢] وليْسَ اللَّيلُ فيها بأسْوَدِ

وقال أبو الطيب[٣]:

فاللَّيْل حين قَدِمْتَ فيها أَبْيَضٌ والصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلْتَ عَنها أَسْوَدُ

۞ ۞ ۞

وقال أبو تمام[٤]:

لبِسْتُ سِوَاهُ أقْوَاماً فكانُوا كمَا أَغْنَى التَّيَمُّمُ بالصَّعِيدِ[٥]

قال أبو الطيب[٦]:

وَزَارَكَ بي دُونَ المُلُوكِ تَحَرُّجِي إِذَا عَنَّ بَحْرٌ لَمْ يَجُزْ لِي التَّيَمُّمُ[٧]

۞ ۞ ۞

قال ابن الخياط[٨]:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كفَّهُ أَبْتَغِي الغِنى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الجُودَ مِنْ كفِّهِ يُعْدِي

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الغِنى أفَدْتُ، وأَعْدَانِي فأتْلَفْتُ ما عِنْدِي

قال أبو تمام[٩]:

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكْ

وقال آخر:

لستُ أُضْحِي مصافحاً لسلام إنني إن فعلتُ أتْلَفْتُ مَالِي

فنقله أبو الطيب إلى الزمان، فصار كالمعنى المنفرد، فقال[١٠]:

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزمَانُ بَخِيلَا

وأمّا بخل الزمان فمن قوْل أبي تمام[١١]:

هَيْهَاتَ لا يأتي[١٢] الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

---

(١) ديوانه ص ١٠٣، التبيان (١: ٣٣٤). (٢) في التبيان: «وأوضحت».
(٣) ديوانه (١: ٣٣٤).
(٤) ديوانه ص ١٠٧، التبيان (٤: ٩١).
(٥) الصعيد: وجه الأرض.
(٦) ديوانه (٤: ٩١).
(٧) التحرج: التضييق، والتيمم: القصد. يقول: تحرجي عن قصد غيرك من الملوك حملني على زيارتك، وتركي إياك إلى مدح غيرك كترك الماء مع وجود التراب، وهذا غير جائز.
(٨) التبيان (٣: ٢٣٦).
(٩) التبيان (٣: ٢٢٦).
(١٠) ديوانه (٣: ٢٣٦).
(١١) ديوانه ص ٣٧٥.
(١٢) في التبيان: «أن يسخو».

أبو تمام[١]:

لمَّا انتضَيْتُكَ للخُطُوبِ كَفَيْتَها والسَّيْفُ لا يَكْفِيكَ حتى يُنْتَضَى

أبو الطيب[٢]:

وما الصَّارِمُ الهِنْدِيُّ إلا كَغَيْرِه إذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النِّجَادُ وَغِمْدُهُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

فاضت سَحائبُ من نَعْمائه وكَفَتْ بؤساً على البؤسِ حتى اجتثَّتِ البؤسَا

قال أبو الطيب[٤]:

نِقَمٌ على نِقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا نِعَمٌ على النِّعمِ التي لا تُجْحَدِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

كَتَبْتَ أَوْجُهَهُمْ مَشْقاً ونَمْنَمَةً طَعْناً وَضَرْباً يَفُلُّ الهامَ وَالصُّلُفَا[٦]

قال أبو الطيب[٧]:

وكلُّ فَتًى لِلْحُرْب فَوْقَ جَبينِه مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بالأسِنَّةِ مُعْجَمُ

۞ ۞ ۞

العتَّابي[٨]:

فإنَّ جَسِيمَاتِ المَعَالِي[٩] مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ في بُطُونِ الأَسَاوِدِ

أبو الطيب[١٠]:

تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ المعالي رَخِيصَةً وَلا بُدَّ دونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ النَّحْلِ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه ص ١٨٦. (٢) ديوانه (٢ ـ ٢٩).

(٣) ديوانه ص ١٧١، وروايته في الديوان:

فاضت سحائب من أنعامه فطمت نعماه بالبؤس حتى اجتثت البؤسا

(٤) ديوانه (١ : ٣٣٣).

(٥) ديوانه ص ٢٠٣، التبيان (٣: ٣٥٧). وفي الديوان «يقات». وفي الأصلين:

يفاني الهام والصلعا

(٦) الصلف: جمع صليف؛ وهو عرض العنق.

(٧) ديوانه (٣: ٢٥٧). (٨) التبيان (٣: ٢٩١).

(٩) في التبيان:

فإن جسيمات الأمور مشوبة

(١٠) ديوانه (٤ : ٢٩٠).

قال أبو تمام[١]:

لا يَحْسَبُ الإقْلَالَ عُدْماً بَلْ يَرَى أَنَّ المُقِلَّ مِنَ المُرُوءَةِ مُعْدِمُ

فقال أبو الطيب ـ وهو منقول[٢]:

وَرَبُّ مَالٍ فَقِيراً مِنْ مُرَوَّتِهِ لَمْ يُثْرِ منها كما أَثْرَى مِنَ العَدَمِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

هُم صيَّرُوا تلك البروقَ صواعقا فيهمْ وذاك العفوَ سوطَ عذَاب

قال أبو الطيب[٤]:

ولما سَقى الْغَيْثَ الذي كَفَرُوا به سَقَى غَيْرَهُ في غيرِ تِلْكَ الْبَوَارِق

وقد أَلَمَّ بألفاظِه فقال[٥]:

لَيْتَ الْغَمَامَ الذي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

فأما صريحُ المعنى فمن قول أبي تمام[٦]:

فَلَوْ شَاءَ هذا الدَّهْرُ أَقْصَرَ شَرَّهُ كما قَصُرَتْ عَنَّا لُهَاهُ[٧] وَنَائِلُهْ

۞ ۞ ۞

قال أبو تمام[٨]:

تَلْقَى السُّعودَ بوَجْهِهِ وتجيئه[٩] وعليك مَسْحَةُ بَغْضَةٍ فَتُحَبَّبُ

قال أبو الطيب[١٠]:

فإنَّك ما مرَّ النَّحُوسُ بكَوْكَبٍ وقَابَلْتَه إلا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[١١]:

إنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَرْتَ فيه مُرُورَ الْعَارِضِ[١٢] الْهَطِلِ

---

(١) ديوانه ص ٢٨٤، التبيان (٤: ٤٠).
(٢) ديوانه (٤: ٤٠).
(٣) ديوانه ص ١٩.
(٤) ديوانه (٢: ٣٢٢).
(٥) ديوانه (٣: ٣٧١).
(٦) ديوانه ص ٣٧٧.
(٧) لهاه: عطاياه. نائله: عطاياه.
(٨) ديوانه ص ٣٩.
(٩) في الأصلين: «وتحبه» وهذه رواية الديوان.
(١٠) ديوانه (٢: ٣٠).
(١١) ديوانه ص ٢٥٢.
(١٢) العارض: السحاب، والهطل: المنسكب.

أبو الطيب[١]:

ولَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ ولكِنْ ... يَمُرّ بِها كما مَرَّ الْغَمَامُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٢]:

وأنا الفداءُ إذا الرماحُ تشاجَرَت[٣] ... لك والرماحُ من الرِّماح لكَ الْفِدَا

أبو الطيب[٤]:

ولك الزَّمانُ منَ الزَّمانِ وِقايةٌ ... ولك الحِمَام[٥] من الحِمَامِ فِدَاءُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٦]:

لَبِسَ الشَّجَاعَةَ إنها كانَتْ لَهُ ... قِدْماً نَشُوغاً في الصِّبَا ولَدُودَا[٧]

أبو الطيب[٨]:

أَلِفَ المُرُوَّةَ مُذْ نَشَا فكأنَّما ... سُقِيَ اللِّبَانَ بها صَبيًّا مُرْضَعا

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٩]:

أَيْقَنْتَ أَنَّ مِنَ السَّماحِ شَجَاعَةً ... تُدمِي وأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ[١٠] جُودا

أبو الطيب[١١]:

هُو الشُّجَاعُ يَعُدُّ البُخْلَ منْ جُبْنٍ ... وَهْوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الجُبْنَ من بَخَلِ

وقال في أخرى[١٢]:

فَقُلْتُ: إنَّ الفَتَى شَجَاعَتُه ... تُرِيه في الشُّحِّ صُورةَ الفَرَقِ

وقد لُوحظ في هذه الأبيات قول مسلم؛ إذ بيّن أنَّ الشجاعة جود بالنفس في قوله[١٣]:

---

(١) ديوانه (٤: ٧٣).

(٢) ديوانه ص ١٢٦.

(٣) تشاجرت: تداخلت في بعضها.

(٤) ديوانه (١: ٣١).

(٥) الحمام: الموت.

(٦) ديوانه ص ٨٩.

(٧) النشوغ: السعوط. اللدود: ما يصب بالمسعط من الدواء.

(٨) ديوانه (٢: ٢٦٢).

(٩) ديوانه ٩٠.

(١٠) في الديوان: تدمي وأن من السماحة جودا

(١١) ديوانه (٣: ٣٨).

(١٢) ديوانه (٢: ٣٧٢).

(١٣) التبيان (٢ ـ ٣٧٢)، ديوانه ص ٢٥، وروايته فيه:

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

تَجُودُ بالنَّفْسِ إذْ ضَنَّ الجَوَادُ بها[١] وَالجُودُ بالنَّفْسِ أقْصَى غايَةِ الجُودِ

۞ ۞ ۞

عبد اللّه بن طاهر في السيف[٢]:

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاهُ فِي الرَّوْعِ صَاحِباً وفَوْقَ رِضَاهُ أَنَّني أَنَا صاحِبُهْ

أبو الطيب في الرمح[٣]:

وأَسْمَرَ ذي عِشرينَ تَرْضاهُ وَارِداً ويَرْضاكَ فِي إيرادِهِ[٤] الخَيْلَ ساقِيَا

وأصله من قول موسى بن جابر الحنفي، وهو من خفيّ الأخذ:

فلا أسْلَمَتْنا عند قوم حفيظةٌ ولا نحنُ أغمدنا السيوفَ على وَتْرِ

۞ ۞ ۞

عبد اللّه بن طاهر[٥]:

إنَّ الفُتُوحَ عَلَى قَدْرِ المُلُوكِ وهمّـ ـاتِ الوُلَاةِ وَأَقْدَامِ المَقَادِيرِ[٦]

أبو الطيب[٧]:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تأتي الْعَزَائِمُ وتأتي على قَدْرِ الكِرَامِ المَكارِمُ

۞ ۞ ۞

العباس بن الأحنف[٨]:

بَكَت غيرَ آنِسَةٍ بالبُكَا ترى الدمْعَ فِي مُقْلَتَيْهَا غريبا

أبو الطيب[٩]:

أتتهُنَّ المصائبُ[١٠] غافِلَاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ في دَمْعِ الدَّلَالِ

فزاد وأحسن وملح بذكر الدّلال.

۞ ۞ ۞

منصور بن الفرج[١١]:

حَلَّ في جِسْمِيَ ما كا نَ بعَيْنَيْكَ[١٢] مُقِيما

---

(١) في التبيان: «إذ ضن البخيل بها».
(٢) التبيان (٤: ٢٩٢).
(٣) ديوانه (٤: ٢٩٢).
(٤) في الأصلين: «إيرادك».
(٥) التبيان (٣: ٣٧٨).
(٦) في الأصلين: «وأقدام المقاديم».
(٧) ديوانه (٣: ٣٧٨).
(٨) ديوانه ص ٣١.
(٩) ديوانه (٣: ١٧).
(١٠) في الديوان: أتتهن المصيبة غافلات
(١١) التبيان (٢: ١٧).
(١٢) في أ: «بعينك»، وصوابه من ب والديوان.

البحتري[1]:

وكأنَّ في جسمي الذي ... في ناظرَيْك مِنَ السَّقَمْ

أبو الطيب[2]:

أَعَارَني سُقْمَ جفنَيْهِ[3] وَحَمَّلَني ... مِنَ الهَوَى ثِقْلَ ما تَحْوي مآزِرُه

فاختصر وأحسن وأورد البيت في نصف مِصْراع.

❁ ❁ ❁

أبو عُيَينة[4]:

لَوْ كما[5] تَنْقُصُ تَزْدَا ... دُ إِذَنْ نِلْتَ السَّمَاءَ

فنقله أبو تمام[6]:

أَمَا لَوْ أنَّ جَهْلَكَ كانَ عِلْماً ... إِذَنْ لَنَفَذْتَ في عِلْمِ الغُيُوبِ

أبو الطيب[7]:

ولو نَقَصْتُ كما قد زِدْتَ من كَرَمٍ ... على الوَرَى لَرَأَوْني مِثلَ شَانِيكا[8]

فزاد بقوله: «لرأوني مثل شانيكا».

❁ ❁ ❁

قال جرير[9]:

كأنّ رُؤوسَ القومِ فوقَ رِماحِنا ... غداةَ الْوَغَى تِيجانُ كِسْرى وقَيْصَرا

مسلم[10]:

يكسو السيوفَ نفوسَ النَّاكثينَ به ... ويجعلُ الهَامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُل

وقريب منه قولُ أبي تمام[11]:

أَبْدَلْتَ أرؤُسَهم يوم الكريهة من ... قنا الظُّهورِ قَنَا الخَطِّيِّ مُدَّعَما[12]

---

(١) ديوانه (٢: ٢٢٤)، التبيان (٢: ١١٧).

(٢) ديوانه (٢: ١١٧).

(٣) في الديوان: «سقم عينيه».

(٤) التبيان (٢: ٣٨٠).

(٥) في أ: لو كان كما تنقص تزداد

وصوابه من ب، والتبيان.

(٦) ديوانه ص ٤٨٩.

(٧) ديوانه (٢: ٣٨٠).

(٨) الشانئ: المبغض.

(٩) ديوانه ص ٢٤٢.

(١٠) ديوانه ص ٤٩.

(١١) ديوانه ص ٣٠٣.

(١٢) الخطي: الرمح. مدعماً: مسنداً، وفي الأصلين: «مدغماً» بالغين.

وقد عدّ هذا من سرقاتِ أبي تمام، ولست أراه كذلك؛ لأنه ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا، وهذا معنى مشْتَرك لا يسرق، فأما إبدالُ القنَا بقنا الظهور فلم يَعْرِض له مسلم ولا جرير، وهي ملاحظة بعيدة. وأقرب من ذلك إليه قول أبي تمام[١]:

مِنْ كلِّ ذي لِمّةٍ غَطَّتْ ضَفائرُها صَدْرَ القَنَاةِ فقد كادت تُرَى عَلَمَا[٢]

ومثله قول أبي الطيب[٣]:

مُبَرْقِعي خَيْلِهم بالبِيْضِ مُتَّخِذي هامَ الكُماةِ على أزماحِهم عَذَبا

قال البحتري[٤]:

متسرّعين[٥] إلى الحُتُوفِ كأنها وَفْرٌ بأرضِ عَدُوِّهم يُتَنَهَّبُ

قال أبو الطيب[٦]:

بكلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِماً حتى كأنَّ لهُ في قَتْلِهِ أَرَبا[٧]

وإنما نقل البُحْتُري كلامَ أبي تمام[٨]:

مُسْتَرْسلينَ إلى الحُتُوفِ كأنَّما بَيْنَ الحُتُوفِ وَبَينَهُمْ أَرْحَامُ[٩]

وقال البحتري أيضاً[١٠]:

تسرَّع حتى قال من شَهِدَ الوَغَى لقاء أَعَادٍ أم لقاء حَبائِب

ونحوه قول أبي تمام[١١]:

حَنَّ لِلْمَوْتِ[١٢] حَتى ظَنَّ جَاهِلُهُ بأنَّهُ حَنَّ مُشْتاقاً إِلَى الوَطَنِ

فأخذه أبو الطيب فقال[١٣]:

مُقِيمٌ مِنَ الهَيْجَاءِ في كلِّ مَنْزِلٍ كأنَّكَ مِنْ كلِّ الصَّوارِمِ في أَهْلِ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه ٣٠٣.

(٢) في الأصلين:

صدر القناة فكادت أن ترى علما

(٣) ديوانه (١: ١١٨).

(٤) ديوانه (١: ٦٣)، والتبيان (١: ١٢١).

(٥) في الديوان: «يتسرعون».

(٦) ديوانه (١: ١٢١).

(٧) الأشعث: المتغير من طول السفر. والأرب: الغرض والبغية.

(٨) ديوانه ص ٢٨١.

(٩) الحتوف: جمع حتف، وهو الهلاك.

(١٠) ديوانه (١: ٧٣).

(١١) ديوانه ص ٣٨٨.

(١٢) في الديوان: «حن إلى الموت».

(١٣) ديوانه (٣: ٤٦)،

البحتري[١]:

تَعْنُو لَهُ وُزَراءُ المُلْكِ خاضِعَةً ... وعَادَةُ السَّيْفِ أنْ يَسْتَخْدِمَ الْقَلَمَا

أبو الطيب[٢]:

حتَّى رَجَعْتُ وأقْلَامِي قَوائِلُ لِي ... المَجْدُ لِلسَّيفِ لَيْسَ المَجْدُ لِلْقَلَمِ

أُكْتُبْ بِنَا أبداً بَعْدَ الكِتابِ بِهِ ... فإنَّمَا نحنُ لِلأَسْيَافِ كالْخَدَمِ

۞ ۞ ۞

بعضهم[٣]:

أُحَامِقُه حَتى يَقُولَ سَجِيَّةٌ ... وَلَوْ كانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

أبو الطيب[٤]:

وَخَلَّةٍ في جَلِيسٍ أَتَّقِيهِ بِهَا ... كَيْما يُرَى أنّنا مِثْلَانِ في الْوَهَنِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

نَوَالُكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولاً[٦] ... وأَصْلَحَ بَيْنَ أيَّامِي وبَيْنِي

وله[٧]:

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وقَدْ يُرى[٨] ... بِنَداك وهو إليَّ منها تائِبُ

أبو هفان[٩]:

أصبحَ الدَّهْرُ مسيئاً كلُّه ... ما لَه إلّا ابنُ يحيى حَسَنَهْ

أبو الطيب[١٠]:

أزَالَتْ بِكَ الأيامُ عَتْبِي كأنَّما ... بَنُوها لها ذَنْبٌ وأنتَ لها عُذْر

۞ ۞ ۞

التّمري[١١]:

وَقَفْتُ على حَالَيْكُما فإذا النَّدى ... عَليكَ ـ أميرَ المؤمنين ـ أميرُ

---

(١) ديوانه (٢: ٢٥٨)، التبيان (٤: ١٦٠).
(٢) ديوانه (٤: ١٥٩).
(٣) التبيان (٤: ٢١٢).
(٤) ديوانه (٤: ٢١٢).
(٥) ديوانه ص ٣٢٣.
(٦) فلولا: متفرقين.
(٧) ديوانه ص ٢٩.
(٨) في الأصلين: «فيّ فقد يرى».
(٩) التبيان (٢: ١٥٩).
(١٠) ديوانه (٢: ١٥٩).
(١١) التبيان (١: ٣٦٧).

أبو تمام[1]:

ألا إنَّ النَّدَى أضْحَى أمِيراً على مالِ الأميرِ أبي الحُسَيْن

أبو الطيب[2]:

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عليه النَّدَى جَوَادُ بَخِيلٌ بأنْ لَا يَجُودَا

۞ ۞ ۞

أبو تمام[3]:

وتَزكي سُرْعَةَ الصَّدْرِ[4] اغْتِباطاً يَدُلُّ على مُوَافَقَةِ الوُرُودِ

وقال أيضاً[5]:

هِمَمِي مُعَلَّقَةٌ عليكَ رِقَابُها مَغْلُولَةٌ إن الوَفَاءَ إسَارُ[6]

ألمّ به أبو الطيب فقال وأحسن[7]:

وقَيَّدْتُ نَفسي في ذَرَاكَ محبَّةً ومَنْ وَجَد الإحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا

وقد قال[8]:

وما قيَّدت من صُعْلُوكِ قَوْم بنَيْلِ الرِّزْقِ تُخْرِجه الرِّقاع

۞ ۞ ۞

البحتري[9]:

أضَرَّتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ والْبَدْرُ طالِعٌ وقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَغَيَّبا

وهذا معنى متداوَل، وهو أحسنُ ما جاء فيه، وأشدّ استيفاء واختصاراً.

وقال أبو الطيب فأتى بالمصراع الثاني[10]:

ومَاحاجَةُالأظْعَانِ[11] حَوْلَكَفيالدُّجَى إلى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكَ عادِمُهْ

يزيد بن الطَّثْرِيَة[12]:

ولَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إنْ نَظَرْتُها إلَيْكَ، وكُلاً لَيْسَ مِنْك قَلِيلُ

(١) ديوانه ص ٣٢٣.
(٢) ديوانه (١ : ٣٦٧).
(٣) ديوانه ص ١٠٧.
(٤) الصدر: الرجوع.
(٥) ديوانه ص ١٤٩.
(٦) مغلولة: مقيدة بالغل، وهو طوق من حديد يجعل في العنق. ورواية التبيان:
إن الوفاء إسارها
(٧) ديوانه (١ : ٢٩٢).
(٨) لم نجده في ديوانه.
(٩) ديوانه (١ : ٥٥).
(١٠) ديوانه (٣ : ٣٣٠).
(١١) الأظعان: جمع ظعن، وهم القوم المرتحلون.
(١٢) التبيان (٣: ٣).

إسحاق الموصلي[١]:

إنَّ ما قلَّ مِنْكَ يكْثُرُ عِنْدِي ... وكَثيرٌ من المُحِبّ[٢] القَلِيلُ

أبو الطيب[٣]:

وجُودُكَ بِالْمَقَامِ ولوْ قَلِيلاً ... فَمَا فِيما تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ

۞ ۞ ۞

بعض العرب ـ وهو عروة بن الوَرْد[٤]:

تقولُ سُلَيْمى لو أقَمْتَ بأرْضِنا ... ولَمْ تَدْرِ أنِّي لِلْمُقَامِ أُطَوِّفُ

العَبّاس بن الأحنف[٥]:

سأطْلُبُ بُعْدَ الدارِ عنكم لتَقْرَبوا ... وتَسْكُب عيناي الدموعَ لتَجْمُدَا

أبو تمام[٦]:

أآلِفَةَ النَّحِيبِ كَمِ افْتِرَاقٍ ... ألمَّ فكانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعِ

أبو الطيب[٧]:

لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلاً ... يُعِينُ على الإقامَةِ في ذَرَاكا

۞ ۞ ۞

بعضهم:

غَمضْتُ عيني لا أرى أحداً ... حتى أراهُمْ آخرَ الدَّهْرِ

أبو الطيب[٨]:

فَلَوْ أنّي اسْتَطَعْتُ خَفضْتُ طَرْفِي ... فَلَمْ أُبْصِرْ بِهِ حتى أرَاكا

۞ ۞ ۞

أشجع[٩]:

فَقَدْ كُنتَ تَبْكِي[١٠] وهم جيرةٌ ... فَكَيْفَ تكُون إذَا وَدَّعُوا

---

(١) التبيان (٣: ٣).

(٢) في التبيان: «ممن تحب».

(٣) ديوانه (٣: ٣).

(٤) التبيان (٢: ٣٨٨).

(٥) معاهد التنصيص (١: ٢٠).

(٦) ديوانه ص ١٩٣.

(٧) ديوانه (٢: ٣٨٨).

(٨) ديوانه (٢: ٣٨٨).

(٩) التبيان (٢: ٣٨٩).

(١٠) في التبيان:

فها أنت تبكي وهم جيرة

آخر:

أَبْكي إذا غَضِبَتْ حتى إذا رَضِيَتْ بكيتُ عند الرِّضَا خَوْفاً من الغَضَبِ

آخر[١]:

فتبكي إن نأى شوْقاً إليهِ وتبكي إن دنَا خَوْفَ الفِراقِ[٢]

آخر[٣]:

لقَدْ كنتُ أبكي خِيفةً لفِراقِها[٤] فكيفَ إذَا بَانَ الحبيبُ فَوَدَّعا

أبو الطيب[٥]:

أرَى أسفاً وما سِرْنا شَدِيداً فكيفَ إذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكا[٦]

وله[٧]:

بكَيتُ علَيها خِيفةً في حَياتِهَا وذَاقَ كِلانَا ثُكلَ صاحِبهِ قِدْمَا

وقال في أخرى[٨]:

ولقَدْ بكَيْتُ على الشَّبابِ ولِمّتِي مُسْوَدَّةٌ ولِمَاءِ وجْهِيَ رَوْنَقُ

حَذَراً عليهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِه حتى لَكِدْتُ بماءِ دَمْعِي[٩] أَشْرَقُ

۞ ۞ ۞

بشار[١٠]:

يا أطيبَ الناس ريقاً غير مُخْتَبَرٍ إلّا شهادة أطرافِ المساويك

أبو الطيب[١١]:

ويَمْنَعُ ثَغْرَهُ من كلِّ صَبٍّ ويَمْنَحُهُ البَشَامةَ والأرَاكا[١٢]

۞ ۞ ۞

(١) التبيان (٤: ١٠٣).

(٢) رواية التبيان:

فأبكي إن نأوا شوقاً إليهم وأبكي إن دنوا خوف الفراق

(٣) التبيان (٢: ٣٨٩). (٤) في التبيان: «خيفة لفراقه».

(٥) ديوانه (٢: ٣٨٩).

(٦) الابتراك: السقوط على الركب. وأراد به ههنا سرعة السير.

(٧) ديوانه (٤: ٣٠٣). (٨) ديوانه (٢: ٣٣٦).

(٩) في الديوان: «بماء جفني أشرق». (١٠) ديوانه ص ٧٤.

(١١) ديوانه (٢: ٣٩٢).

(١٢) البشام والأراك: ضربان من الشجر يستاك بفروعهما.

عِمْران بن حِطّان[١]:

أَنكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ آلَفُه[٢] ... ما النَّاسُ بَعْدَكَ يا مِرْداسُ بالنَّاسِ

قال أبو الطيب[٣]:

ومَنْ أَعْتاضُ عَنْكَ إِذَا افْتَرَقْنا ... وكلُّ النَّاسِ زُورٌ ما خَلَاكَا

وله في أخرى[٤]:

إنّما النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ ومَا النَّا ... سُ بِنَاسٍ في مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِ

فتبرّد وبالغ.

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

لَا أَظْلِمُ البَيْنَ[٦] قد كانَتْ خَلَائِقُها ... مِنْ قَبْلِ وَشْكِ النَّوَى عِندِي نَوًى قُذُفَا[٧]

وله[٨]:

فَفِرَاقٌ جَرَعْتُهُ مِنْ فِرَاقٍ ... وفِرَاقٌ جَرَعْتُه مِنْ صُدُودِ[٩]

البحتري[١٠]:

على أنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى ... لَدَيَّ وعِرْفانَ الْمُسيءِ هو العَذلُ

قال أبو الطيب[١١]:

أَبْعَدُ نَأْيِ الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ ... فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلَّفُ الإِبِلُ

فاستوفى المعنى وأكّده في مصراع واحد.

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في هذا المعنى بقوله[١٢]:

وإنَّ مُقِيماتٍ بِمُنْقَطَعِ اللِّوَى ... لأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وهَاتِيكَ دارُهَا

۞ ۞ ۞

(١) التبيان (٣: ٣٩٦).

(٢) في التبيان: «من قد كنت أعرفه».

(٣) ديوانه (٢: ٣٩٦).

(٤) ديوانه (٣: ٢٠١).

(٥) ديوانه ص ٢٠٠.

(٦) في الديوان: «لا أظلم النأي».

(٧) قذف: تقذف بمن يسلكها.

(٨) ديوانه ص ٤٣٩.

(٩) رواية الديوان:

ففراق أصابني من فراق ... وفراق أصابني من صدود

(١٠) ديوانه (٢: ١٦٣).

(١١) ديوانه (٣: ٢٠٩).

(١٢) التبيان (٣: ٢٠٩).

ابن الرومي[1]:

شَكَرَتْ نِعْمَةَ الوَلِيِّ على الوَسْـ ـمِيِّ ثُمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ

فَهْيَ تُثْني على السَّماءِ ثَنَاءً طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعاً في الْبِلَادِ

من نَسيم كأنَّ مَسْرَاه في الأر واحِ[2] مَسْرَى الأرْوَاحِ في الأجْسَادِ

أبو الطيب[3]:

وذَكِيُّ رَائِحَةِ الرِّيَاض كلامُها تَبْغِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ[4]

۞ ۞ ۞

بعضهم[5]:

اعدُدْ ثلاثَ خِلالٍ قد جُمِعْنَ[6] له هل سُبَّ من أحد أو سَبَّ أو بَخِلَا

أبو الطيب[7]:

ولَكِنْ نَفَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمةٍ كَرِيمُ النَّثَا ما سُبَّ قَطُّ ولا سَبَّا

۞ ۞ ۞

أبو تمام[8]:

لقد بثَّ عبدُ اللَّهِ خوفَ انْتِقَامِهِ على الليلِ حتى ما تدبُّ عَقَاربه

فنقله أبو الطيب فقال[9]:

تَصُدُّ الرِّياحُ الهُوجُ عَنها مَخَافَةً وتَفْزَعُ فيها الطَّيْرُ أن تَلْقُطَ الحبَّا

۞ ۞ ۞

محمود الورّاق[10]:

إذا أنْتَ لم تَسْلُ اصْطِباراً وحِسْبةً سَلَوْتَ على الأيّامِ مِثْلَ البهائِمِ

أبو تمام[11]:

أتَصْبِرُ لِلْبَلْوَى عَزَاءً وحِسْبَةً فَتُؤْجرَ أمْ تَسْلُو سُلُوَّ البهائِم

---

(١) ديوانه ص ٧٥. والتبيان (١ : ٢٥٥). (٢) في التبيان: «الخيشوم».

(٣) ديوانه (١ : ٢٥٥).

(٤) قال العكبري في التبيان: وأخذه السري الموصلي فقال:

وكنت كروضة سقيت سحابا فأثنت بالنسيم على السحاب

(٥) التبيان (١ : ٦٩).

(٦) في التبيان: «ثلاث خصال قد عددن له».

(٧) ديوانه (١ : ٦٨).

(٨) ديوانه ص ٤٦، والتبيان (١ : ٦٧).

(٩) ديوانه (١ : ٦٧).

(١٠) التبيان (١ : ٥٥).

(١١) ديوانه ص ٣١٩، والتبيان (١ : ٥٥).

وقال أبو الطيب[١]:

وِلِلْوَاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِن زَفَرَاتِهِ سُكُونُ عَزَاءٍ أو سُكُون لُغُوبِ

۞ ۞ ۞

بعضهم[٢]:

إنّي رَأَيْتُكَ في نَوْمِي تُعَانِقُني كمَا تُعَانِقُ لَامُ الْكاتِبِ الأَلِفَا

ألمَّ به أبو الطيب فقال[٣]:

دُونَ التَّعَانُقِ نَاحِلَيْنِ كَشَكْلَتَيْ نَصْبٍ أدَقَّهُمَا وضَمَّ الشَّاكِلُ

فكأنه معنى مفرد؛ ولئِن أخذه منه كما يزعمون فما عليه مَعْتب؛ لأن التعبَ فيه ونقْلَه لا ينقصُ عن التعب في ابتدائه.

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٤]:

وإنْ نَجِدْ عِلَّةً نُغَمَّ بِهَا حتى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهْ

علي بن الجَهْم[٥]:

وإذا رَابَكُمْ مِنَ الدَّهْرِ رَيْبٌ عَمَّ ما خَصَّكُمْ جَميعَ الأنامِ

أبو هفَّان[٦]:

قالوا اعْتَلَلْتَ فقلتُ كـ ـلّا إنما اعْتَلَّ العِبادُ

أبو الطيب[٧]:

وَمَا أَخُصُّكَ مِنْ بُرْءٍ بتَهْنِئَةٍ إذَا سَلِمْتَ فكلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وله[٨]:

إذا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلةِ اعتَلَّتِ الأرْضُ ومَنْ فَوْقَها والبَأسُ والكَرَمُ المَحْضُ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (١: ٥٥).
(٢) التبيان (٣: ٢٥٣).
(٣) ديوانه (٣: ٢٥٢). الشكلة: ما تكون في الإعراب، وضم الكاتب ما بين الشكلتين؛ إذا قارب ما بينهما.
(٤) ديوانه ص ١٨٩، والتبيان (٢: ٢١٨).
(٥) الأغاني (١٠: ٢٢٦) (طبع دار الكتب).
(٦) التبيان (٢: ٢١٨).
(٧) ديوانه (٣: ٣٧٦).
(٨) ديوانه (٢: ٢١٨).

علي بن الجَهْم ـ في السحاب[١]:

إذَا أُوقِـدَتْ نَـارُهـا بـالـعِـرَاقِ   أَضـاءَ الـحـجَـازَ سَـنَـا نـارِهَـا

نقله أبو الطيب إلى السيف، فقال[٢]:

سَلَّهُ الرَّكْضُ[٣] بَعْدَ وَهْنٍ بنَجْدٍ   فَتَصَدَّى لِلْغَيْثِ أهْلُ الْحِجَازِ

۞ ۞ ۞

يعقوب بن الربيع [يرثي جارية له تسمى ملكا][٤]:

يا مَلْكُ إنْ كُنْتِ تحتَ الأرْضِ بَاليَةً   فإنَّني فَوْقَهَا بَالٍ مِنَ الحَزَنِ

أبو الطيب[٥]:

بِنَا مِنْكَ فوقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ فِي الرَّمْلِ   وهٰذَا الَّذِي يُضْني كَذَاكَ الَّذِي يُبْلِي

۞ ۞ ۞

محمد بن وَهْب[٦]:

وحَارَبَني فيه رَيْبُ الزَّمَانِ   كأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقُ

البحتري[٧]:

قَدْ بَيَّنَ الْبَيْنُ الْمُفَرِّقُ بَيْننا   عِشْقَ النَّوَى لرَبيبِ ذاكَ الرَّبْرَب

أبو الطيب[٨]:

مَلَامُ النَّوَى في ظُلْمِها غايَةُ الظُّلْمِ   لَعَلَّ بِهَا مِثلَ الَّذِي بي مِنَ السُّقْمِ
فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّي لِقَاءَكُمْ   وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فيكُمْ خَصْمِي

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٩]:

أقُولُ وقَدْ قَالُوا اسْتراحَ لِمَوْتِهَا   مِنَ الْكَرْبِ رُوحُ المَوْتِ شَرٌّ مِنَ الكَرْبِ

---

(١) التبيان (٢ : ١٧٧) وقبله:

وقبة ملك كأن النجو   م تصغي إليها بأسرارها

وهو مأخوذ من قول الوائلي:

ما سله أهل الحجاز لحاجة   إلا يبشر بالسحاب الشاما

(٢) ديوانه (٢ : ١٧٧).
(٣) في الأصلين: «الركب».
(٤) التبيان (٣ : ٤٣).
(٥) التبيان (٣ : ٤٣).
(٦) التبيان (٤ : ٤٧).
(٧) ديوانه (٢ : ١٩)، التبيان(٤ : ٤٧).
(٨) ديوانه (٤ : ٤٧).
(٩) ديوانه ص ٣٥٦، والتبيان (٤ : ١٠٥).

وقريب منه قوله[١]:

أجَارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ ... فَاقِرَةٌ نَجّتْكَ مِنْ فَاقِرَهْ

أبو الطيب[٢]:

ولَمْ يُسْلِها إلّا المَنَايَا وإنَّما ... أشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أذْهَبَ السُّقْمَا

۞ ۞ ۞

حاتم[٣]، ويروى لربيعة بن مِرْداس:

مَتَى مَا أتَى يوماً إلى المالِ وَارِثي ... يَجِدْ مِلءَ كَفٍّ غير مَلأى ولا صِفْرِ

يَجِدْ فرساً مِلْءَ العِنَانِ وصَارِماً ... حُسَاماً إذا ما هُزَّ لم يَرْضَ بالهَبْرِ[٤]

وأَسْمَرَ خَطِّيّاً كأنَّ كُعُوبَه ... نَوَى القَسْبِ قَدْ أَرْبَى ذِرَاعاً على العَشْرِ[٥]

امرأة من العرب[٦]:

مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيس مُفَاضَةٍ ... وأبْيَضَ هِنْدِيّا طَويلاً حَمائِلُهْ[٧]

عُرْوَة بن الورد[٨]:

وذي أَمَلٍ يَرْجُو تُرَاثِي وإنَّ مَا ... يَصِيرُ له مِنْه غَداً لَقَلِيلُ

ومَاليَ مال غير دِرْع ومِغْفَرٍ ... وأبيض من ماء الحديد صَقِيلُ

وأسمرُ خَطِّيُّ القناةِ مُثَقَّفٌ ... وأجردُ عُرْيان السَّرَاةِ[٩] طويلُ

---

(١) ديوانه ص ٤٩٧، والتبيان (٤: ١٠٥).

(٢) ديوانه (٤: ١٠٦).

(٣) ديوان حاتم ص ١٢١، وشعراء النصرانية ص ١٣٢.

(٤) في أ: «بالهر»، وصوابه من الديوان، وب.

(٥) رواية الديوان لهذه الأبيات:

متى يأت يوماً وارثي يبتغي الغنى ... يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر

يجد فرساً مثل القناة وصارما ... حساما إذا ما هز لم يرض بالهبر

وأسمر خطيا كأن كعوبه ... نوى القسب قد أرمى ذراعاً على العشر

ورواية العكبري في التبيان:

متى ما يجئ يوماً إلى المال وارثي ... يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر

يجد مهرة مثل القناة قويمة ... نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشر

والقسب: التمر اليابس.

(٦) ديوان الحماسة (٣: ٧٣)، وهي زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد بن الطثرية.

(٧) الدريس: الخلق من الدروع، والمفاضة: الدرع الواسعة.

(٨) العمدة (٢: ٢٩).

(٩) السراة: المتن.

أبو الطيّب[1]:

كـنّـا نَـظُـنُّ دِيَـارَهُ مَـمْـلُـوءَةً ذَهَـبـاً فَـمَـاتَ وكـلُّ دَارٍ بَـلْـقَـعُ
وإذا الـمـكـارِمُ والـصَّـوارِمُ والْـقَـنَـا وبَـنَـاتُ أَعْـوَجَ كـلُّ شـيءٍ يَـجْـمَـعُ

۞ ۞ ۞

الفرزدق:

وهُـمْ قـادوا سَـفِـيـهَـهُـمُ وخـافـوا قـلائـدَ مـثـلَ أَطْـواقِ الـحَـمـامِ

ابن هرْمة[2]:

عَـقَـدْتُ مـن مُـلْـتَـقَـى أوداج لَـبَّـتـه طوقَ الحمامة لا يبْلى على القِدَم

بعضهم:

وهُـنَّ إذا وسـمـتَ بِـهـنَّ قـومـاً كـأَطْـوَاقِ الـحَـمـائـم فـي الـرِّقـاب

أبو الطيب[3]:

أَقـامَـتْ فـي الـرِّقـابِ لَـهُ أَيَـادٍ هـي الأطْـوَاقُ والـنـاسُ الـحَـمَـامُ

وهذا من المبتذل الذي لا يعد سرقة إلا بزيادة تلحقه، وزيادةُ أبي الطيب فيه حسنة بديعة، ولأجلها ذكرتُ الأبيات.

۞ ۞ ۞

محمود [الوراق][4]:

كـفـاكَ بـالـشَّـيْـبِ ذَنْـبـاً عـنـد غـانِـيَـةٍ وبـالـشَّـبـابِ شَـفِـيـعـاً أَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ

أبو نُواس في الشباب:

كـانَ الـمـشـفّـع فـي مَـآربـه عـنـد الـفـتـاة ومُـدْرِك الـقـبـل

النمري[5]:

وإذا تَـوَسَّـلَ بـالـشَّـبـاب أخُـو الْـهَـوَى أَلْـفَـاهُ نِـعْـمَ وَسـيـلـةُ الـمُـتَـوَسِّـل

أبو الطيب[6]:

وغَضْبَى من الإدْلَالِ سَكْرَى من الصِّبا شَـفَـعْـتُ إلـيـهـا مـن شَـبـابـي بـريِّـقِ

والمعنى مبتذل.

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٢: ٢٧٠).
(٢) مهذب الأغاني (٦: ١١١).
(٣) ديوانه (٤: ٧٦).
(٤) التبيان (٢: ٣٠٦).
(٥) التبيان (٢: ٣٠٦).
(٦) ديوانه (٢: ٣٠٥).

بكر بن النطّاح[1]:

ولو لم يَجر في العُمْر قسمٌ لِمَالِكٍ ... وجَازَ لـه الإعْطَاءُ مِنْ حَسَناتِهِ
لجادَ بِهَا من غَيْرِ شِرْكٍ بِرَبِّهِ ... وأشْرَكَنَا في صَوْمِهِ وصَلاتِه

أبو الطيب[2]:

ولَوْ يَمَّمْتَهُمْ فِي الحَشْرِ تَجْدُو ... لأَعْطُوْكَ الَّذِي صَلُّوْا وصَامُوا

وهذا معنى مليح. ولفظ ابن النطاح أحسن، وله زيادة قوله: «من غير شِرْكٍ بربه»، وفيه نفي التهمة في الاستهانة بالأعمال الصالحة، ولأبي الطيّب فضيلة ذكر الحَشْر؛ لأنه خصّ الوقت الذي يظهر فيه الافتقار إلى الحسنات، والضنّ بها؛ وأصلُه لأبي العتاهية، قال[3]:

فمَنْ لي بهذا؟ ليت أني أَصَبْتُهُ ... فقَاسَمْتُه مَا لِي مِنَ الحَسَناتِ

۞ ۞ ۞

أبو خِرَاش:

فإذا وذلك لَيْسَ إلا ذِكْره ... وإذا مضى شيء كأن لم يَفْعَلِ

متمّم بن نويرة[4]:

فَلمَّا تفرَّقْنا كأنّي ومالكاً ... لطولِ اجْتماعٍ لم نَبتْ ليلةً مَعا

عليّ بن جَبَلة:

شبابٌ كأنْ لم يكن ... وشيب كأنْ لم يَزَلْ

وما أملح ما قال البحتري في قريب من هذا المعنى[5]:

فَلَا تَذْكُرَا عَهْدَ التَّصَابي فإنَّهُ ... تَقَضَّى ولم يَشْعُرْ بِهِ ذٰلِكَ العَصْرُ

أبو الطيّب[6]:

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كأنْ لم أَفُزْ بهِ ... وعَيْشاً كأنّي كُنْتُ أقْطَعُهُ وَثْبَا

---

(١) نسبهما العكبري في التبيان إلى أبي تمام، وروايتهما عنده:
ولو لم يجد في قسمة العمر حيلة ... وجاز له الإعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه ... وواساهم من صومه وصلاته
وكذلك هي روايتهما في ديوان أبي تمام ص ٦٣.

(٢) ديوانه (٤ : ٧٧). (٣) التبيان (٤ : ٧٧).

(٤) المفضليات ص ٦٧. التبيان (١ : ٥٩).

(٥) ديوانه (١ : ٢١٧)، التبيان (١ : ٥٩).

(٦) ديوانه (١ : ٥٨).

فأما المصراع الثاني فمن قول الهذلي[١]:

عَجِبْتُ لسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وبينكم[٢] فلمّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

فجعل أبو الطَّيِّب السَّعْيَ وَثْباً.

وقد ملح في اللفظ عليّ بن جَبلة[٣]:

وأرَى اللَّيالي ما طوتْ من قوّتي زَادَتْه في عَقْلِي وفي أفْهَامِي

۞ ۞ ۞

ابن المعتز[٤]:

وما يُنْتَقصْ من شباب الرجال يَزِدْ في نُهاها وألْبابِها

فقلبه أبو الطيب فقال[٥]:

لَيْتَ الحَوَادِثَ باعَتْني الذي أخَذَتْ مِنّي بحِلْمي الَّذِي أعطَتْ وتَجْرِيبي

فما الحدَاثَةُ من حِلْم بمانِعَةٍ قد يُوجَدُ الْحِلْمُ في الشُّبّانِ والشِّيبِ

وقد اقتدى في قوله بأبيّ تمام في قوله[٦]:

حلّمتني زعمتُم وأرَانِي قبل هذا التحليم كنتُ حليما

فجمع هذا المعنى إلى المعنى الأول ببيتيه.

۞ ۞ ۞

عليّ بن جَبَلة:

قمرٌ نمَّ عليه نورُه كيف يُخْفِي الليلُ بدراً طَلَعا

أبو الطيب[٧]:

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجَى الرُّقَباءُ إذْ حَيْثُ كنتِ من الظَّلامِ ضِياءُ

دِعْبل:

تلك المساعي إذا ما أخّرتْ رَجُلاً أحَبَّ للناس عيْباً كالذي عَابَه

كذاك من كان هَدْمُ المجد غايتَه فإنه لبُناةِ المجد سبّابَه

أبو تمام[٨]:

وذُو النَّقْصِ في الدُّنْيا بذِي الْفَضْلِ مُولَعُ

---

(١) الأمالي (١ : ٢٤٨)، التبيان (١ : ٥٨). (٢) في الأمالي: «وبينها».
(٣) التبيان (١ : ١٧٠). (٤) التبيان (١ : ١٧٠).
(٥) ديوانه (١ : ١٧٠). (٦) ديوانه ص ٢٩١، التبيان (١ : ١٧٠).
(٧) ديوانه (١ : ١٢).
(٨) ديوانه ص ١٩. والتبيان (٤ : ٢٠٦).
وصدره:
لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف

مرْوان بن أبي حفصة[١]:

مـا ضَـرَّنِـي حَـسَـدُ الـلِّـئَـامِ ولـم يَـزَلْ ذُو الـفَـضْـل يَـحْـسُـدُهُ ذَوُو الـتَّـقْـصِـيرِ

غيره:

وأجـرأ مَـنْ رأيـتُ بـظـهـر غَـيْـبٍ عـلـى عَـيْـبِ الـرجـال ذوو الـعُـيُـوب

أبو الطيب[٢]:

والْـحُـرُّ مُـمْـتَـحَـنٌ بـأوْلَادِ الـزِّنَـى

ومثله له[٣]:

تُـعَـادِيـنَـا لأَنَّـا غَـيْـرُ لُـكْـنٍ وتُـبْـغِـضُـنـا لأنَّـا غـيـرُ عُـور

ثم نقله وزاد فيه وغيّره فأحسن[٤]:

وإذَا أَتَـتْـكَ مَـذَمَّـتـي مِنْ نَـاقِـصٍ فَـهِـيَ الـشَّـهَـادَةُ لِـي بـأنّـيَ كـامِـل

ومن هذا المعنى قول الطِّرمّاح[٥]:

لَـقَـدْ زَادَنِـي حُـبًّـا لِـنَـفْـسِـي أَنَّـنـي بَـغِـيـضٌ إلى كـلِّ امْـرِئٍ غَـيْـرِ طـائِـل

وأنّـي شَـقِـيٌّ بـالـلِّـئَـامِ ولَـنْ تَـرَى شَـقِـيًّـا بِـهِـمْ إلّا كَـرِيـمَ الـشَّـمـائِـل

۞ ۞ ۞

أبو سعيد المخزومي:

قـوم إذا أخـذوا عـلـيـك ثَـنـيّـة ضـاقـت عـلـيـك سـهـولُـهـا ووعـورُهـا

أبو الطيب[٦]:

أخـذت عـلـى الأرواح كـل ثَـنِـيَّـةٍ من العـيش تعطي ما تشاء وتَمْنَعُ

قد أخرج هذا في سرقاته وما أراه منها؛ لأن أخذ الثنية لفظة مستعملة عند العرب.

۞ ۞ ۞

المخزومي:

أَمَـلـي فـي الـتـاج أَلْـبَـسـه ولـه فـي الـشـعـر آمـال

(١) التبيان: (٤: ٢٠٦).

(٢) ديوانه (٤: ٢٠٦) وصدره:

وانـه الـمـشـيـر عـلـيـك فـي بـضـلـة

(٣) ديوانه (٢: ١٤٤).

(٤) ديوانه (٣: ٢٦٠).

(٥) التبيان (٣: ٢٦٠).

(٦) لم نجده في ديوانه.

أبو الطيب[١]:

وشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي ... بِبَيْعِ الشِّعْرِ في سُوقِ الكَسادِ

۞ ۞ ۞

النمري[٢]:

ومصلتات كأنَّ حِقْداً ... بها على الْهَامِ والرِّقابِ

أبو تمام[٣]:

كأنَّهَا وهي في الأوْدَاجِ والِغَةٌ[٤] ... وفي الكُلَى تجدُ الغَيْظَ الَّذِي تجِدُ

أبو الطيب[٥]:

تَحْمَى السُّيُوفُ على أعْدَائِهِ مَعَهُ ... كأنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُه

۞ ۞ ۞

أبو عطاء السندي[٦]:

عشيةَ قَامَ النائحاتُ وشُقِّقَتْ ... جُيوبٌ بأيْدِي مأْتَم وخُدُود

أبو تمام[٧]:

شقَّ جَيْباً من رجالٍ لو اسْـ ... ـطاعوا لشقُّوا ما وَراءَ الْجُيُوبِ

أبو الطيب[٨]:

عَلَيْنَا لَكَ الإسْعَادُ لَوْ كانَ نَافِعاً ... بِشَقِّ قُلوبٍ لا بِشَقِّ جُيوبِ

۞ ۞ ۞

الفرزدق:

وما وَامَرَتْني النفسُ في رحلة إلى ... جَدًا أَحَدٍ إلا إليك ضميرُها

أبو نواس[٩]:

وإنْ جَرَتِ الألْفَاظُ يَوْماً بِمَدْحَةٍ ... لغَيْرِكَ إِنْسَاناً فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

---

(١) ديوانه (١ : ٣٥٥). (٢) التبيان (٢ : ١٢٠).

(٣) ديوانه: ٩٩، التبيان (٢ : ١٢٠).

(٤) وفي الأصلين:

كأنها وهي في الأرواح والغة

(٥) ديوانه (٢ : ١٢٠). (٦) التبيان (١ : ٥٤).

(٧) ديوانه ص ٣٥٤، والتبيان (١ : ٥٤)، وفي الديوان: «شق جيوبا».

(٨) ديوانه (١ : ٥٤). (٩) التبيان (١ : ٣٦٥).

أبو الطيب[١]:

وظَنُّوني مَدَحْتُهُمُ قَدِيماً وأنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُم مُرَادِي

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٢]:

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ والأمانِي وإنْ قَلِقَتْ رِكابي في الْبِلَادِ

أبو الطيب[٣]:

وإنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَغَادٍ وقَلْبي عَنْ فِنائِكَ غَيْرُ غادِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٤]:

وما سَافَرْتُ في الآفاقِ إلّا وَمِنْ جَدْوَاكَ رَاحِلَتي وزَادي

أبو الطيب[٥]:

مُحِبُّكَ حيثُما اتَّجَهَتْ رِكابي وضَيْفُكَ حيثُ كُنْتُ من البلادِ

وهذا من أقبح ما يكون من السَّرَق، لأنه يدل على نفسه باتفاق المعنى والوزن والقافية، ومثل المصراع الأول لأبي الطيب وهو محتذ قول البحتري[٦]:

متى ما أسيُر في البلاد ركائبي[٧] أجد سائقي يهوى إليك وقائدي

وقد لاحظ أبو تمام قول المثقب:

إلى عَمْرو ومن أثْنى عليه أخى النّجدات والحِلْم الرّزِين

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٨]:

لَهُ مَنْظَرٌ في العَيْنِ أَبْيَضُ ناصِعٌ ولٰكِنَّه فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

أبو الطيب[٩]:

اِبْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لا بَيَاضَ لَهُ لأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (١ : ٣٦٥).
(٢) ديوانه ص ٧٩، التبيان (١ : ٣٦٥).
(٣) ديوانه (١ : ٣٦٥).
(٤) ديوانه ص ٧٩، التبيان (١ : ٣٦٥).
(٥) ديوانه (١ : ٣٦٥).
(٦) ديوانه (١ : ١٣٧).
(٧) في الديوان: «كتائبي».
(٨) ديوانه ص ١٩٠، التبيان (٤ : ٣٥).
(٩) ديوانه (٤ : ٣٥).

أبو دُلَف[١]:

وكلَّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ قد طَلَعَتْ كأنَّمَا طَلَعَتْ في نَاظرِ البَصَر

أبو الطيب[٢]:

إِذَا لَحَظَتْ بَياضَ الشَّيْبِ عَيْني فقد وَجَدْتُهُ منها في السَّوَادِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

أثافٍ كالخُدُودِ لُطِمْنَ حُزْناً ونُؤْيٌ مثلُ ما انْقَصَم السِّوارُ[٤]

أبو الطيب[٥]:

ونُؤْيٍ كأنَّهُنَّ عليهـ ـنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بسُوقٍ خِدَالِ[٦]

نقل اللفظ من السوار إلى الخِدَام، وقد أحسن أبو تمام بقوله: «مثل ما انقصم السوار»؛ لأن النؤي لا تستدير بالبيت إلا وفيه فرج، وربما كان من أحد الجوانب تعريج، فهو كالسوار المنقصم. وقَصّر أبو الطيب عنه في هذا الوجه، وإنما جعلها خُرْسا، وجعل السوق خِدالا؛ لأنها إذا كانت لاصقة بالبيوت، فهي كأنما تضغطها ضغطة الخدمة الساق الخدلة، وإذا كانت كذلك فهي خُرْس، لأنها لا تتحرك فتصوّت؛ وإنما أخذه أبو تمام من قول الأول[٧]:

نُؤْيٌ كما نَقَصَ الهِلَال مَحَاقُهُ أو مِثْلُ ما قَصَمَ السِّوَارَ المِعْصَمُ

۞ ۞ ۞

أحمد بن أبي فنن[٨]:

حَانَ الرَّحِيلُ وقد أَوْلَيْتَنَا حَسَناً والآن أَحْوَجُ ما كُنَّا إلى زَادِ

أبو الطيب[٩]:

وقد نَظَرْتُكَ حتى حَانَ مُرْتَحَلٌ وذَا الوَدَاعُ فَكُن أَهْلاً لِمَا شِيتا

۞ ۞ ۞

---

(١) التبيان (١: ٣٥٦). (٢) ديوانه (١: ٣٥٦).

(٣) ديوانه ص ١٤١، التبيان (٣: ١٩٣).

(٤) الأثافي: حجارة القدر، والنؤي: حفير حول الخيمة يمنع السيل.

(٥) ديوانه (٣: ١٩٢).

(٦) الخدام: جمع خدمة، وأصله السير يشد في رسغ البعير، وبه سمي الخلخال. والخدال: السمان.

(٧) التبيان (٣: ١٩٣). (٨) التبيان (١: ٢٢٣).

(٩) ديوانه (١: ٢٢٣).

أبو تمام[١]:

فَرُدَّتْ علينا الشمسُ واللَّيْلُ راغِمٌ ... بشمسٍ لهمْ من جانبِ الخِدْرِ تطلُع

أبو الطيب[٢]:

رَأَتْ وَجه مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي ... فَقلْنَ نَرَى شَمْساً وما طلَع الفَجْرُ

◎ ◎ ◎

البحتري[٣]:

ولم أَلْقَ في رَنْقِ الصَّرَى[٤] لِي مَورِداً ... فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النِّيلِ عند احْتِفَالِهِ

أبو الطيب[٥]:

قَوَاصِدَ كافُورٍ تَوَارِكَ غيْرِهِ ... وَمَنْ قَصَد البحرَ اسْتَقَلَّ السَّواقيَا

وهذا مصراع نادر، مستوفي المعنى سائر المَثَل.

◎ ◎ ◎

البحتري[٦]:

وأشْهَدُ أنِّي في اخْتِيَارِيكِ دونَهُمْ ... مُؤدًّى إلى حَظِّي ومُتَّبِع رُشْدِي

أبو الطيب[٧]:

وما شِئْتُ إلَّا أنْ أَدُلَّ عواذِلي ... على أنَّ رَأْيِي في هَوَاكَ صَوابُ

وأُعْلِمَ قَوْماً خالَفُوني وشَرَّقوا ... وغَرَّبْتُ أني قَدْ ظَفِرْتُ وخابُوا

◎ ◎ ◎

البحتري[٨]:

إذا سار كفُّ اللَّحْظِ عن كل منظر ... سِواه وغَضّ الطَرْف[٩] عن كل مُسْمع

فلستَ ترى إلا إفاضة شاخصٍ ... إليه بعينٍ أو مشيرٍ بإصْبَع

أبو الطيب[١٠]:

بمَنْ تَشْخَصُ الأبْصَارُ يومَ رُكُوبه ... ويُخَرَّقُ من زَحْم على الرَّجُلِ البُرْدُ

وتُلْقِي وما تَدْرِي البَنَانُ سِلاحَها ... لكَثْرَةِ إيْماءٍ إلَيْهِ إذَا يَبْدُو

---

(١) ديوانه ص ١٨٩، التبيان (٢: ١٢٣).
(٢) ديوانه (٢: ١٢٣).
(٣) ديوانه (٢: ١٧٣)، التبيان (٤: ٢٨٧).
(٤) الصرى: الماء يطول مكثه.
(٥) ديوانه (٤: ٢٨٧).
(٦) ديوانه (١: ١٩٨)، التبيان (١: ١٩٩).
(٧) ديوانه (١: ١٩٩).
(٨) ديوانه (٢: ٧٩).
(٩) في الديوان: «وغض الصوت».
(١٠) ديوانه (٢: ٥). وزحم: مصدر زحم.

فأكّد المعنى وزاد فيه، كأنه اقتبس معنى البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [يوسف: ٣١].

۞ ۞ ۞

البحتريّ[١]:

تَــقَــاذَفُ بِــي بِــلادٌ عَــن بِــلادِ　　　كَــأنــيَ بَــيْــنَــهــا عَــيــرٌ[٢] شَــرودُ

بعضهم:

كَــأنــي قَــذًى فــي عَــيــنِ كــلِّ بِــلادِ

أبو الطيب[٣] ـ وهو منقول إلى معنى آخر كالمفرد:

يُـخَـيَّـل لـي أنَّ الـبِـلادَ مَـسَـامِـعـي　　　وأنــيَ فــيــهــا مــا تَــقُــولُ الْــعَــوَاذِلُ

۞ ۞ ۞

أشجع[٤]:

وعـلـى عَـدُوِّكَ يـا بْـنَ عَـمِّ مُـحـمـدٍ　　　رَصَـدَانِ: ضَـوْءُ الـصُّـبْـحِ والإظْـلَامُ

فـإذا تَـنَـبَّـهَ رُعْـتَـهُ وإذا غَـفـا　　　سَـلَّـتْ عـلـيـه سُـيُـوفَـكَ الأحْـلَامُ

أبو الطيب[٥]:

يَـرَى فـي الـنـوْمِ رُمْـحَـكَ فـي كُـلَاه　　　ويَـخْـشَـى أنْ يَـراهُ فـي الـسُّـهـادِ

فقصّر في ذلك السُّهاد؛ لأنه أراد أن يقابل بها النوم، وبذلك يتم المعنى، وليس كل يقظة سهاداً؛ إنما السُّهاد امتناع الكرى في اللّيل، ولا يسمى المتصرف في حاجاته بالنهار ساهداً وإن كان مستيقظاً، وقد جاء به في بيت آخر فقال[٦]:

وكُـلَّـمَـا حَـلَـمَـت عَـذْرَاءُ عِـنْـدَهُـمُ　　　فـإنـمَـا حَـلَـمَـتْ بـالـسَّـبـي والـجَـمَـلِ

وإنما ذكر الجمل؛ لأن الروم لا تعرفه إلا إذا غزاها المسلمون، فهم أشد شيء فَرَقا منه ونفارا عنه.

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (١: ١٧٢)، التبيان (٣ ـ ١٧٧).

(٢) في الديوان: «حمل».

(٣) ديوانه (٣: ١٧٧).

(٤) خاص الخاص. ص ٨٨، التبيان (١: ٣٦٤).

(٥) ديوانه (١: ٣٦٤).

(٦) ديوانه (٣: ٨٣).

أبو تمام[١]:

شابَ رَأْسِي وما رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ ... أْسِ إلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤَادِ

وهو مما استقبح من استعاراته، وزعموا أنه لما أنشدَ ذلك بحضرة أحمد بن أبي دؤاد قال مَنْ حضر: وكيف يشيب الفؤاد؟ فقال ارتجالا[٢]:

وكذاك القلوب في كل بُؤْسٍ ... ونعيمٍ طلائعُ الأجْسادِ

فقال أبو الطيب[٣] ـ ونقل شيب الفؤاد إلى الكبد:

إلَّا يَشِبْ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ ... شَيْباً إِذَا خَضَّبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلَا[٤]

❁ ❁ ❁

قال أبو نواس[٥]:

ولَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ... أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

وكرّره فقال:

متى تَحُطِّي إليه الرحلَ سَالمةً ... تستجمعي الخَلْق في تمثال إنسان

قال أبو الطيب[٦]:

هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُهْدِيهَا ... إلَّا رَأَيْتُ العِبَادَ فِي رَجُلِ

ثم كرره فقال[٧]:

أَمِ الخَلْقُ في شَخْصٍ حَيٍّ أُعِيدَا

ومثل قوله[٨]:

وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الخَلَائِقُ

وكرر وزاد فقال[٩]:

وَلَقِيتُ كلَّ الْفَاضِلِينَ كأَنَّمَا ... رَدَّ الإلٰهُ نُفُوسَهُمْ والأعْصُرَا

---

(١) ديوانه ص ٧٥، التبيان (٣: ١٦٤)، أخبار أبي تمام للصولي ص ١٤٨.
(٢) ديوانه (١: ٧٥). (٣) ديوانه (٣: ٤٦١).
(٤) النصول: ذهاب الخضاب. (٥) ديوانه ص ٨٧؛ التبيان (١: ٣٦٦).
(٦) ديوانه (٣: ١٧٣).
(٧) ديوانه (١: ٣٦٦). وصدره:
أحلماً نرى أم زماناً جديداً
(٨) ديوانه (٢: ٣٥٠)، وصدره:
هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى
(٩) ديوانه (٢: ١٧٠).

ومن مليح ما يشاكل هذا قوله[١]:

نُسِقُوا لنَا نَسْقَ الحساب مُقَدَّما وأتى فذلكَ إذ أتيتَ مُؤَخَّرَا[٢]

فعلّل وشبه، وأوضح المعنى بذكر الحساب واجتماع أعداده في الفَذْلَكة، وهو قريب من قوله في أخرى:

مَضَى وبَنُوه وانفَرَدْتَ بفضلهم وألْفٌ إذَا ما جُمِّعَتْ واحدٌ فَرْدُ

فجعل الألف واحداً فرداً، يجمع ما تحته من الأعداد، كجمع هذا فضائل آبائه وهو فرد، كجمع الفَذْلكة ما تقدمها من تفصيل الحساب.

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

أَفِي الحَقِّ أَنْ يُضْحِي بِقَلْبِيَ مَأْتَمٌ من الشَّوْقِ والْبَلْوَى وعَيْنِيَ في عُرْسِ

أبو الطيب[٤]:

حَشَايَ على جَمْرٍ ذَكِيّ من الهَوَى وعَيْنَاي في رَوْضٍ من الحُسْنِ تَرْتَعُ

وهو نحو قول العباس بن الأحنف:

إذا زرت شمساً تستضيء بِشَمْسِه فقلبك مغبونٌ وطَرْفُكَ رَابحُ

ومن هذا قول أبي الطيب، وقد أَحْسَنَ[٥]:

فإني قد وَصَلْتُ إلى مَكَانٍ عَلَيهِ تَحْسُدُ الحَدَقَ القُلُوبُ

۞ ۞ ۞

البحتري[٦]:

سُلِبوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمُ مُحْمَرَّةً فكأنَّهُمْ لم يُسْلَبُوا

---

(١) في الأصلين: «ومن مليح ما يشاكل هذا قول البحتري». وهو خطأ، فهذا البيت للمتنبي: والثاني له أيضاً (٢: ١٧١).

(٢) قال الواحدي في معنى هذا البيت:
«جمع لنا الفضلاء في الزمان؛ ومضوا متتابعين متقدمين عليك، فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضل ما كان فيهم؛ مثل الحساب؛ يذكر تفاصيله أولا؛ ثم تجمع تلك التفاصيل، فيكتب في آخر الحساب: فذلك كذا وكذا».

(٣) ديوانه ص ٤٧٧، والتبيان (٢: ٢٣٦)، وروايته في الديوان:
أسكن قلباً هائماً فيه مأتم من الشوق إلا أن عيني في عرس

(٤) ديوانه (٢: ٢٣٥). (٥) ديوانه (١: ٧٥).

(٦) ديوانه (١: ٦٣)، التبيان (١: ٣٣٧).

وهو من قول بعض العرب[١]:

وفَرَّقْتُ بَيْنَ ابني هُشَيمٍ بِطَعْنَةٍ   لها عائِدٌ يَكْسو السَّلِيبَ إزَارَا

فنقله أبو الطيب إلى السيف، فقال[٢]:

يَبسَ النَّجيعُ[٣] عَلَيْهِ وهْوَ مُجَرَّدٌ   مِنْ غِمْدِهِ فكأنَّمَا هُوَ مُغْمَدُ

❁ ❁ ❁

البحتري[٤] ـ وهو معنى مبتذل كثير:

ولو أنّ الجِبَالَ فَقَدْنَ إلْفاً   لأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

أبو الطيب[٥]:

ولو لقيتْ[٦] صُمُّ الجبالِ الَّذِي بَنا   غَدَاةَ افْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ

❁ ❁ ❁

البحتري[٧]:

لا يتمطّى كما احْتَاجَ الْبَخِيلُ ولا   يُحب من مالِه إلّا الَّذِي يَهَبُ

أبو الطيب[٨]:

إذَا حَازَ مَالاً فَقَدْ حَازَهُ   فَتًى لا يُسَرُّ بِمَا لا يَهَبْ

❁ ❁ ❁

البحتري[٩]:

وإذا اجْتَدَاه المُجْتَدُون فإنَّه   يَهَبُ الْعُلَا في نَيْلِهِ المَوْهُوبِ

أبو الطيب[١٠]:

إذَا كَسَبَ النَّاسُ المَعَالِي بالنَّدَى   فَإنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ المَعَالِيَا

❁ ❁ ❁

---

(١) التبيان (١ : ٣٣٧).
(٢) ديوانه (١ : ٣٣٧).
(٣) النجيع: الدم.
(٤) ديوانه (١ : ٢٦)، التبيان (٢ : ٢٣٧).
(٥) ديوانه (٢ : ٢٣٦).
(٦) في الديوان: «ولو حملت».
(٧) ديوانه (١ : ٦٥)، التبيان (١ : ٩٩) ورواية العكبري:
لا يحرمنك كما احتج البخيل ولا   يحب من ماله إلا الذي يهب
(٨) ديوانه (١ : ٩٩).
(٩) ديوانه (١ : ٥٧)، التبيان (٤ : ٢٩٠).
(١٠) ديوانه (٤ : ٢٩٠).

البحتري[1]:

مَلِكٌ له في كلِّ يومِ كَرِيهةٍ إقْدَامُ غِرٍّ واعْتِزَامُ مجرِّبِ

أبو تمام[2]:

ومُجَرَّبُونَ سَقَاهُمُ من بَأْسِهِ فإذَا لُقُوا فكأنهم أَغْمَارُ

وله[3]:

كَهْلُ الأَنَاةِ فَتَى الشَّذَاةِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كانَ الْمَاجِدَ الْغِطْرِيفَا[4]

أبو الطيب[5]:

تَدْبِيرُ ذِي حُنَكٍ يُفَكِّر في غَدٍ وهُجُومُ غِرٍّ لا يَخَافُ عَوَاقِبَا[6]

وقد قالوا: إن الأصل فيه قول قَطري بن الفُجَاءة[7]:

ثم انثنيت وقد أُصِبْتُ ولم أُصِبْ جَذَعَ البصيرةِ قارحَ الإقدام

وليس هو عندي كذلك؛ لأن قَطريا زعم أن إقدامه إقدامُ قارح، وبصيرَته بصيرة جَذَع، والقارح أتم سناً من الجَذَع. وهؤلاء زعموا أن إقدامهم إقدام غِرّ، وتجاربَهم تجارب كَهْلٍ مُحَنَّك؛ فهو ضد ذلك المعنى، اللهم إلّا أن يقال قَلْبه؛ فلا يبعد ذلك عن الصواب.

۞ ۞ ۞

أبو نواس[8]:

جُدْتَ بالأَمْوَالِ حَتَّى قِيلَ مَا هَذَا صَحِيحُ

وقال[9]:

جَادَ بالأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسُ حُمْقَا[10]

---

(١) ديوانه (١: ٢٠)، التبيان (١: ١٣٣)، ونسبه لحبيب خطأ.

(٢) ديوانه ١٤٨، التبيان (١: ١٣٢).

(٣) ديوانه ص ٢٠٧، التبيان (١: ١٣٢)، ورواية الديوان:

إذا عدا للحرب كان القشعم الغطريفا

(٤) الأناة: الحلم، والشذاة: بقية القوة. وعدا: أسرع. والقشعم: الأسد. والغطريف: السيد الشريف.

(٥) ديوانه (١: ١٣٢).

(٦) الحنك: جمع حنكة؛ وهي التجربة. والغر: الذي لم يجرب الأمور.

(٧) شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٥٠. قال في شرحه: «جذع البصيرة؛ أي فتى الاستبصار، أي وأنا على بصيرتي الأولى. وقارح الإقدام؛ أي مقرح الإقدام».

(٨) ديوانه ص ٧٠، التبيان (٤: ٣٣). (٩) ديوانه ص ١٢١، التبيان (٤: ٣٣).

(١٠) رواية الديوان:

جاد إبراهيم حتى جعلوه الناس حمقا

أبو تمام(١):

مـا زَالَ يَـهْـذِي بِـالْـمَـكَـارِمِ والـنَّـدَى ... حَـتـى ظَـنَـنَّـا أَنَّـهُ مَـحْـمُـومُ

فتناول معنى بارداً، وغرضاً فاسداً، فأكده وأضاف إلى الحمى الهذيان. وقال البحتري:

إذا معشر صابوا السماح تعسَّفت ... به همةٌ مجنونة في ابتذالها

وقال آخر في قريب من هذا المعنى:

بطل تَناذره الكُماة كأنه ... مما يدلّ على الفوارس أحْمقُ

وأصله من قول العنبري(٢):

ما كَانَ يُعْطِي مثلَها في مِثْلِه ... إلَّا كَرِيمُ الخِيمِ أوْ مَجْنُونُ

فقال أبو الطيب(٣):

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ ما ذَا عَاقِلاً ... ويقُولَ بَيْتُ المَالِ مَا ذَا مُسْلِمَا(٤)

❁ ❁ ❁

قال أبو العتاهية(٥):

وإنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ ... فَمَعْرُوفُهُ أَبَداً يَبْتَغِينَا

أبو تمام(٦):

تكادُ مغانيه تهشّ عِرَاصُها ... فتركبُ من شوقٍ إلى كلِّ راكبِ

وله(٧):

وفَدَتْ إلَى الآفَاقِ مِنْ نَفَحاتِه ... نِعَمٌ تسائِلُ عَنْ ذَوِي الإقْتَار

وله(٨):

فإن لَمْ يَفِدْ يَوْماً إلَيْهِنَّ طَالِبٌ ... وَفَدْنَ إلَى كُلِّ امْرِئٍ غير طَالِبِ

---

(١) ديوانه ص ٣٠٠، شرح ديوان أبي نواس ص ٧٠، التبيان (٤: ٣٣) ورواية الديوان:

ما زال يهذي بالمكارم والعلا

(٢) التبيان (٤: ٣٣).

(٣) ديوانه (٤: ٣٢).

(٤) قال الواحدي في معنى البيت: «يقول: هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ويقول بيت المال: ما هذا مسلما؛ لأنه فرق بيوت أموال المسلمين، ولم يدع فيها شيئاً».

(٥) التبيان (٣: ١٦٦).

(٦) ديوانه ص ٤١، والعراص: جمع عرصة، وهي كل بقعة بين الدور، واسعة ليس فيها بناء.

(٧) التبيان (٣: ١٦٧).

(٨) التبيان (٣: ١٦٧).

أبو الطيب[١]:

قَيْلٌ بِمَنْبِجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ ... فِي الأُفُقِ يسأَلُ عَمَّنْ غَيْرَهُ سَأَلَا[٢]

ثم كرره فقال[٣]:

وَأَنْفُسُهم مَبْذُولَةٌ لِوُفُودِهِمْ ... وأَمْوَالُهُمْ في دَارِ مَنْ لَم يَفِدْ وَفْدُ

ثم كرره فزاد وأحسن، فقال[٤]:

وَعَطاءُ مَالٍ لو عَدَاهُ طالِبٌ ... أَنْفَقْتَهُ في أَنْ تُلَاقِي طالِبا

❁ ❁ ❁

لبعضهم[٥] في طاهر بن الحسين:

عَجِبْتُ لحرَّاقِةِ ابْنِ الحُسَيْـ ... ـنِ لا غرقت كيفَ لا تَغْرَقُ

وبَحْرَانِ: مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ ... وآخرُ من تحتِها مُطْبِقُ

وأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عِيدَانُها ... وقَدْ مَسَّها كَيْفَ لا تُورِقُ

قال أبو الطيب[٦]:

وَعَجِبْتُ من أرضٍ سَحَابُ أَكُفِّهِمْ ... من فوقِها وصُخُورُها لا تُورِقُ

وأصله من قول أبي صَخْر الهُذَلِي[٧]، وإن كان في النسيب:

تكادُ يدي تَندى إذا ما لمستها ... ويَنْبُتُ من أطرافها الوَرَقُ النَّضْرُ[٨]

❁ ❁ ❁

بشار:

أو كَبَدْرِ السَّماء غير قريب ... حين يُوفي والضوءُ منه قريب

أبو عيينة[٩]:

وقُلْتُ لأصحابي هيَ الشمسُ ضَوْؤها ... قريبٌ ولكنْ في تَنَاوُلِها بُعْدُ

---

(١) ديوانه (٣: ١٦٦).

(٢) القيل: الملك العظيم، ومنبج: بلد بالشام يبعد عن الفرات مرحلة، والمثوى: المنزلة.

(٣) ديوانه (٢: ٧).

(٤) ديوانه (١: ١٣٢).

(٥) نسبه صاحب المواهب الفتحية (٢: ١٣٤) لمقدس بن صيفي.

(٦) ديوانه (٢: ٣٣٧).

(٧) الأمالي لأبي على القالي (١: ١٤٩).

(٨) رواية الأمالي:

وينبت في أوراقها الورق النضر

(٩) التبيان (١: ١١١).

الطِّرِمَّاح[١]:

أَنَا الشمسُ لمَّا أنْ تَغَيَّبَ لَيْلُها ... وغارَتْ فما تَبْدُو لعَيْنٍ نجُومُها

تراها عُيُونُ النَّاظِرِينَ إذا بَدَتْ ... قَرِيباً ولا يَسْطِيعُها مَنْ يَرُومُها

أبو الطيب[٢]:

كأنَّها الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قابِضِها ... شُعَاعُها وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي المَحلِّ كأنَّهُ ... هِلَالٌ قَرِيبُ النُّورِ نَاءٍ مَنَازِلُه

البحتري[٤]:

كالْبَدْرِ أَفْرَطَ في العُلُوِّ وضَوْؤُهُ ... لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

أبو الطيب[٥]:

كالشَّمْسِ في كَبد السَّماءِ وضَوْؤُهَا ... يَغْشَى البلادَ مَشَارِقاً ومَغَارِبَا

۞ ۞ ۞

العباس بن الأحنف[٦]:

نِعْمَةٌ كالشَّمْسِ لمَّا طلعَتْ ... بَثَّتِ الإشْرَاقَ في كلِّ بَلَد

البحتري[٧]:

عَطَاءٌ كضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرِبٌ ... يَكُونُ سَواءً في سَنَاهُ وَمَشْرِقُ

أبو الطيب[٨]:

كالْبَدْرِ من حيثُ الْتَفَتَّ رَأَيْتَه ... يُهْدِي إلَى عَيْنَيْكَ نُوراً ثَاقِبَا

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٩]:

مَضَوْا وكأن المكرُمَاتِ لَدَيْهِمُ ... لِكَثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ

---

(١) التبيان (١ : ١١١).
(٢) ديوانه (١ : ١١١).
(٣) التبيان (١ : ١٣٠)، ورواه:

قريب إلى العليا قريب منازله

(٤) ديوانه (١ : ٥٨).
(٥) ديوانه (١ : ١٣٠).
(٦) التبيان (١ : ١٣٠).
(٧) ديوانه (١ : ١٣٨)، التبيان (١ : ١٣٠).
(٨) ديوانه (١: ١٣٠).
(٩) التبيان (١ : ٣٥٩).

ثم قلبه فقال[١]:

جــودٌ تَــدِيــن بــحُــلْــوِهِ وبــمُــرّه ... فــكــأنّــه جُــزءٌ مــن الــتَّــوْحِــيــدِ

أبو الطيب[٢]:

كــأنَّ ســخَــاءَك الإسْــلَامُ تَــخْــشَــى ... مَــتَــى مَــا حُــلْــتَ عَــاقِــبَــةَ ارْتِــدَادِ[٣]

۞ ۞ ۞

العوام بن شوذب الشيباني[٤]:

ولــو أنّــهــا عُــصْــفــورة لــحــسِــبْــتَــهــا ... مُــســوَّمــةً تَــدْعــو عُــبَــيْــداً وأزْنَــمــا

جرير[٥]:

مــا زال يَــحْــسِــبُ كــلَّ شــيءٍ بَــعْــدَهُــمْ ... خَــيْــلاً تَــكُــرُّ عَــلَــيْــهِــمُ ورِجَــالَا

عُروة بن عُتْبة الكِلابي:

إذ تــحــسِــب الــشَّــجْــرَاءَ خَــلْــف ظــهــورنــا ... خَــيْــلاً وأن أمــامــنــا الــصَّــحْــراءَ

أبو نُوَاس في غير هذا المعنى:

فــكــلُّ كــفٌ رآهــا ظــنــهــا قَــدَحــاً ... وكــل شَــخْــصٍ رآه ظَــنَّــهُ الــســاقــي

أبو الطيب[٦]:

وضَــاقَــتِ الأَرْضُ حَــتَّــى كَــانَ هَــارِبُــهُــمْ ... إذَا رَأَى غَــيْــرَ شَــيْءٍ ظَــنَّــهُ رَجُــلَا

فبالغ حتى أحال وأفسد المعنى.

۞ ۞ ۞

البحتري[٧]:

جَــلَّ عَــنْ مَــذْهَــبِ الــمَــدِيــحِ فَــقَــدْ كَــا ... دَ يَــكُــونُ الــمَــدِيــحُ فِــيــهِ هِــجَــاء

المتنبي[٨]:

تَــجَــاوَزَ قَــدْرَ الــمَــدْحِ حَــتَّــى كَــأَنَّــهُ ... بــأَحْــسَــنِ مــا يُــثْــنَــى عَــلَــيْــهِ يُــعَــابُ

(١) التبيان (١: ٣٥٩).
(٢) ديوانه (١: ٣٥٩).
(٣) يقول: أنت تقوم على سخائك وتتعهده؛ كما يتحفظ الإنسان دينه؛ أي أنت تعتقد سخاءك اعتقاد الدين، وتخاف ـ إذا تحولت ـ عاقبة الردة، وهو القتل ودخول النار.
(٤) أيام العرب في الجاهلية ص ١٩٥، شرح شواهد المغني (٢: ٢٢٦)، ونسبه لجرير، ومسومة: أي خيلا مسومة، وعبيد وأزلم: قبيلتان من بني يربوع، اللسان ـ مادة زنم.
(٥) ديوانه ص ٤٥١.
(٦) ديوانه (٣: ١٦٨).
(٧) ديوانه (١: ٢).
(٨) ديوانه (١: ١٩٤).

ونحوه له[١]:

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الآفَاقِ أَوْهَمَني ... أَنّي بقلَّةِ ما أَثْنَيْتُ أَهْجُوكَا

وكَرَّره فقال[٢]:

وكَانَ مَنْ عَدَّدَ إِحْسَانَهُ ... كأَنَّهُ أَسْرَفَ فِي سَبِّهِ

❁ ❁ ❁

بعضهم ـ في وصف عَقْعَق[٣]:

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ في رَأْسِهِ ... كأَنَّهُمَا قَطْرَتَا زِئْبَقِ

أبو الطيب[٤]:

أَدَرْنَ عُيُوناً حَائِرَاتٍ كأَنَّها ... مُرَكَّبَةٌ أَحْدَاقُهَا فَوْقَ زِئْبَقِ

❁ ❁ ❁

الفرزدق[٥]:

جُعِلْتَ لأَهلِ الأَرْضِ عَدْلاً وَرَحْمَةً ... وبُرْءًا لآثارِ الجُرُوحِ الكَوَالِمِ

كما بَعَثَ اللَّهُ النبيَّ مُحَمَّداً ... على فَتْرةٍ والنَّاسُ مِثْلُ البَهَائِمِ

أبو الطيب[٦]:

مِثْلَ ما أَحْدَثَ النُّبُوَّةَ في العَا ... لَمِ والبَعْثَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهْ

❁ ❁ ❁

البحتري[٧]:

في[٨] كلِّ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ ... وتُرَابُها مِسْكٌ يُشَابُ بعَنْبَرِ

أبو الطيب[٩]:

وَلَيْلاً تَوَسَّدْنَا الثَّوِيَّةَ[١٠] تَحْتَه ... كأَنَّ ثَرَاهَا عَنْبَرٌ في المَفَارِقِ

بِلادٌ إذا زَارَ الحِسَانَ بغَيْرِها ... حَصَى تُرْبِهَا ثَقَّبْنَه للمَخَانِقِ[١١]

❁ ❁ ❁

(١) ديوانه (٢ : ٣٧٩).

(٢) ديوانه (١ : ٢١٤)، ورواه: أفرط في سبه.

(٣) العقعق: طائر أبيض بسواد وبياض؛ يشبه صوته العين والقاف: القاموس مادة ـ عقق.

(٤) ديوانه (٢ : ٣٠٨). (٥) النقائض (٢ : ٥٤).

(٦) ديوانه (٢ : ٥٦). (٧) ديوانه (١ : ٢١٣).

(٨) في ديوانه: «في رأس مشرفة». (٩) ديوانه (٢ : ٣١٧).

(١٠) الثوية: موضع بالكوفة؛ على ثلاثة أميال منها.

(١١) المخانق: العقود؛ واحدها مخنق.

البحتري[١]:

مَـلِـكٌ بـعَـالِـيَـةِ الْـعِـرَاقِ قِـبـابُـه ... يَقْرِي الْبُدورَ بِهَا ونَحْنُ ضُيُوفهُ

المتنبي[٢]:

ومَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَنِي ... مَنْ يَنْحَرُ البِدَرَ الْعِشَارَ لِمَنْ قَرَى[٣]

❁ ❁ ❁

عمر بن أبي ربيعة:

ألْقَى عصاه وأرْخَى من عِمَامَته ... وقال: ضيف، فقلت: الشيبُ؟قال: أجَلْ

آخر في الشيب[٤]:

أَهْلاً وَسَهْلاً بضَيْفٍ نَزَلْ ... وأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ إِلْفاً رَحَلْ

أبو الطيب ـ وهو مبتذل[٥]:

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ ... والسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ باللِّمَمِ

والمصراع الثاني من قول البحتري[٦]:

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ يَوْمَ لَقِينَني ... مَكانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حَلَّ بمَفْرِقِي

❁ ❁ ❁

عبد اللَّه بن محمد المهلّبي[٧]:

يا ذَا اليَمِينينِ لم أَزُرْكَ ولم ... أَصحَبْك من خَلَّة ولا عَدَمِ

زَارَتْك بي هِمَّةٌ منازِعَةٌ ... إلى جَسيمٍ من غاية الهِمَمِ

أبو تمام[٨]:

ونادبٌ[٩] رِفْعَةٌ قد كنتُ آملُها ... لديك لا فضةٌ أبكي ولا ذهبَا

وقال يزيد بن محمد المهلّبي في معناه وأحسن[١٠]:

لم تزرني أبا عليّ سِنُو الجَدْ ... بِ وعندي بعدَ الكَفَاف فضُولُ

---

(١) ديوانه (٢ : ١١٤).

(٢) ديوانه (٢ : ١٧٠).

(٣) العشار: جمع عشراء، وهي التي أتى لحملها عشرة أشهر، والبدر: جمع بدرة، وهي عشرة آلاف. والنضار: الذهب.

(٤) التبيان (٤ : ٣٤). (٥) ديوانه (٤ : ٣٤).

(٦) ديوانه (٢ : ١٢٢). والتبيان (٤ : ٣٤). (٧) التبيان (٢ : ٣٠).

(٨) ديوانه ص ٢٢، التبيان (٢ : ٣٠).

(٩) رواية الديوان:

ونادب رفع قدر كنت آمله

(١٠) التبيان (٢ : ٣٠).

غيرَ أني باغِي الجَليلِ من الأمْـ ـر وعند الجليل يُبْغَى الجليلُ

أبو تمام[١]:

ومَنْ خَدَمَ الأقْوَام يَرْجُو نَوَالَهُمْ فإنيَ لم أَخْدُمْك إلّا لأُخْدَمَا

أبو الطيب[٢]:

وما رَغْبَتِي في عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُه ولكنها في مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّه

وله[٣]:

فسِرْتُ إليكَ في طَلَبِ المعالِي وسار سِوايَ في طَلَبِ المَعَاشِ

۞ ۞ ۞

عبد اللّه بن المهلّب[٤]:

فَهَلْ لكَ في الإذْنِ لي راضياً فإني أَرَى الإِذْنَ غُنْماً كَبيرَا

أبو الطيب[٥]:

إذْنُ الأمِيرِ بأَنْ تَسِيرَ إلَيْهِمُ صِلَةٌ تَسِيرُ بِذِكْرِهَا الأشْعَارُ

۞ ۞ ۞

العباس بن الأحنف:

فما بكيتُ ليومٍ منك أسْخَطَنِي إلا بكيتُ عليه بَعْدَ ما ذَهبا

عبد اللّه المهلّبي:

وكم مُدرِكٍ أمنيّةً كان داؤه بإدراكها والغيبُ عنه مُحجَّب

نحوه لغيره:

رُبَّ يَوْمٍ بكيتُ مِنْهُ فَلَمَّا صِرْتُ في غيرِهِ بكيتُ عَلَيْهِ

أبو الطيّب[٦]:

فكيف أَذُمُّ اليومَ ما كُنْتُ أشْتَهي وأَدْعُو بمَا أَشْكُوهُ حِينَ أُجَابُ

۞ ۞ ۞

الجُلَاح:

وَلَلْمَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ مُكَدَّر

أبو الطيب[٧]، وهو معنى مشهور كثير:

أَبَداً تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْـ ـيا، فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كانَ بُخْلَا!

---

(١) ديوانه ص ٢٦٤، التبيان (٢: ٣٠).
(٢) ديوانه (٢: ٣٠).
(٣) ديوانه (٢: ٢١٦).
(٤) التبيان (٢: ٨٨).
(٥) ديوانه (٢: ٨٨).
(٦) ديوانه (١: ١٨٩).
(٧) ديوانه (٣: ١٣٠).

وهو مستوفى زائد. وقريب من قوله هذا قول عليّ بن جَبَلة:

وما صاحبُ الأيام إلا دريةٌ على أنها تَغْذُوهُ وهو لها أكل

◈ ◈ ◈

ذو الرّمة[١]:

لِنِي[٢] وَلْيَةً تُمْرِعْ جَنَابي فإنني لِمَا نِلْتُ مِنْ وَسْمِيّ[٣] نَيْلَكِ شَاكِرُ

أبو الطيب:

أَمُنْعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظَّبْيَةُ الَّتي بِغَيْرِ وَلِيٍّ كانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِيّ

وهذا من الألفاظ التي يصح فيها الأخذ.

◈ ◈ ◈

ابن المعتز[٤]:

وأرى الثُّرَيَّا في السَّمَاءِ كأَنَّها خُرُدٌ تَبَدَّتْ في ثِيَابِ حِدَادِ

أبو الطيب[٥]:

كأَنَّ بَنَاتِ نَعْشٍ في دُجَاها خَرَائِدُ سَافِرَاتٌ في حِدَادِ[٦]

◈ ◈ ◈

الراعي[٧]:

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكُّرَ إخْوَتي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بِوَهْبَيْنِ[٨] مَالِيا

البحتري[٩]:

ومِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبي وأَكْسَبَنِي سُلُوًّا عن بِلَادِي

---

(١) التبيان (٤: ٤٨)، واللسان مادة ـ ولى.

(٢) لني: فعل أمر من الولي، والولي: المطر الذي يأتي بعد المطر، أي أمطرني ولية منك، أي معروفا بعد معروف.

(٣) الوسمي: مطر أول الربيع، أي إني شكرت لك أول معروفك.

(٤) التبيان (١: ٣٥٤).

(٥) ديوانه (١: ٣٥٤).

(٦) بنات نعش: سبع كواكب. والخرائد: جمع خريدة؛ وهي الجارية الحيية.

(٧) التبيان (٢: ٢٥٧)، ومعجم البلدان (٨: ٤٣٦)، وقبله:

وقد قادني الجيران قدما وقدتهم وفارقت حتى ما تحن جماليا

(٨) وهبين، بالفتح ثم السكون: جبل من جبال الدهناء.

(٩) ديوانه (١: ١٣٩)، التبيان (٢: ٢٥٧).

أبو الطيب ـ وأساء غاية الإساءة[١]:

أَمُنْسِيَّ السكُونَ وَحَضْرَ مَوْتاً ... ووَالِدَتي وكِنْدَةَ والسَّبِيعَا[٢]

ونحوه له ـ وقد أحسن[٣]:

لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبُحَيْرَةَ وَالْـ ... ـغَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَبِمُ[٤]

۞ ۞ ۞

البحتري[٥]:

أَرَى الْحِلْمَ بُؤْساً في المعيشة لِلْفَتَى ... ولَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ

المتنبي[٦]:

ذُو العَقْلِ يَشْقَى في النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الجَهَالَة في الشَّقاوة يَنْعَمُ

وله[٧]:

تَصْفُو الحَيَاةُ لجاهلٍ أَوْ غَافِلٍ ... عمَّا مَضَى مِنْهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ

۞ ۞ ۞

ومثله له[٨]: يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الفِطَنِ

۞ ۞ ۞

البحتري[٩]:

يُذَكِّرُنَا رَيَّا الأَحِبَّةِ كُلَّمَا ... تَنَفَّسَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدُ

نقله أبو الطيب وأحسن[١٠]:

إِذَا كَانَ شَمُّ الرَّوْحِ أَدْنَى إِلَيْكُمُ ... فَلَا بَرِحَتْنِي رَوْضَةٌ وَقَبُولُ[١١]

وفي هذا المعنى كلام.

---

(١) ديوانه (٢: ٢٥٧).
(٢) السكون وحضرموت وكندة والسبيع: مواضع بالكوفة.
(٣) ديوانه (٤: ٦٦).
(٤) البحيرة: هي بحيرة طبرية بالشام، والغور: موضع هناك أيضاً، والشبم: البارد.
(٥) ديوانه (٢: ١٦٤)، التبيان (٤: ١٢٤).
(٦) ديوانه (٤: ١٢٤). (٧) ديوانه (٢: ٢٦٩).
(٨) ديوانه (٤: ٢٠٩)، وصدره:
أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
(٩) ديوانه (١: ١٣٦)، والتبيان (٣: ٩٦). (١٠) ديوانه (٣: ٩٦).
(١١) الروح: نسيم الريح، وأدنى: أشد إدناء، فبنى «أفعل» من المزيد، وبرحتني: فارقتني. والقبول: ريح الصبا. قال اليازجي: «يقول: إذا كان تشمم النسيم يدنيني إليكم بأن يذكرني منازلكم فلا فارقتني روضة طيبة، وريح لينة تحمل إلي روائحها».

البحتري[١]:

سَمَاحاً وبَأْساً كالصَّواعِقِ والْحَيَا إِذَا اجْتَمَعا في العَارِضِ المتراكِم

أبو الطيب[٢]:

فَتًى كالسّحَابِ الجُونِ يُرْجَى ويُتَّقَى يُرَجَّى الحَيَا مِنْهُ وتُخْشَى الصَّوَاعِقُ

❁ ❁ ❁

البحتري[٣]:

وحَاوَلْنَ كِتْمانَ التَّرَحُّلِ في الدُّجَى فَبَاحَ بِهِنَّ المِسْكُ حين تَضَوَّعا

أبو الطيب[٤]:

قَلَقُ[٥] الْمَلِيحة وَهِيَ مِسْكٌ هَتْكُها[٦]

❁ ❁ ❁

البحتري[٧]:

نَزَلُوا بأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ وجانَبُوا أَرْضاً تَرِبُ الشِّيحَ والقَيْصُومَا

أبو الطيب[٨]:

تَرَكَتْ دُخَانَ الرِّمْثِ في أوْطَانِهَا طَلَباً لقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا[٩]

❁ ❁ ❁

البحتري ـ في وصف الأسد[١٠]:

شَارَكْتَه فِي الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَلْتَهُ بِالجُودِ مَخْقُوقاً بِذَاك زَعِيما

---

(١) ديوانه (٢ : ٢٥٣). التبيان (٢ : ٣٤٦). (٢) ديوانه (٢ : ٣٤٦).

(٣) ديوانه (٢ : ٩٧). (٤) ديوانه (١ : ١٣).

(٥) يريد بالقلق: الحيرة.

(٦) وعجز البيت:

ومسيرها في الليل وهي ذكاء

ومثله قول أبي المطاع بن ناصر الدولة:

ثلاثة منعتها من زيارتنا وقد دجا الليل خوف الكاشح الحنق

ضوء الجبيب ووسواس الحلي وما يفوح من عرق كالعنبر العبق

هب الجبيب بفضل الكم تستره والحلي تنزعه ما الشأن في العرق!

(٧) ديوانه (٢ : ٢٤٣)، التبيان (٢ : ١٦٩).

(٨) ديوانه (٢ : ١٦٩).

(٩) الرمث: نبت يوقد به. يقول: تركت الأعراب ووقودهم من هذا النابت، وأتت قوما وقودهم العنبر.

(١٠) التبيان (٣ : ٣٤٠).

قال أبو الطيب[١]:

فَتَشَابَه الْخُلُقَانِ في إقْدَامِهِ وَتَخَالَفَا في بَذْلِكَ المأكُولَا

۞ ۞ ۞

حاتم[٢]:

إِذَا كَانَ بَعْضُ المال رَبًّا لأَهْلِهِ فَإِنِّي بحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدُ

حُطائط بن يَعْفر[٣]:

ذَرِيني أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا وَلَا يَكُنْ لِيَ المَالُ رَبًّا تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا

أبو نواس[٤]:

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكْتَهُ وإذَا أَنْفَقْتَهُ فَالْمَالُ لَكْ

أبو تمام:

فَلَمالُك العبدُ المذل إذا غدَوْا وهُمُ لمالهِم المصونِ عبيدُ

ونحوه قول المخزومي[٥]:

إِنَّ رَبَّ المال آكِلُه وَهْوَ لِلْبُخَّال أَكَّالُ

أبو الطيب[٦]:

هُمُ لأمْوَالِهِمْ ولَيْسَ لَهُمْ والْعَارُ يَبْقَى والْجُرْحُ يَلْتَئِمُ

۞ ۞ ۞

حاتم[٧]:

لَحَى اللَّهُ صُعْلُوكاً مُنَاه وهَمُّه مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى لَبُوساً وَمَطْعَمَا

آخر[٨]:

وليسَ فَتى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ واغْتَدَى لِشُرْبِ صَبوح أو لِشُرْبِ غَبُوقِ

والأصل قول امرئ القيس[٩]:

فلو أنَّ ما أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي ـ ولَمْ أَطْلُبْ ـ قَلِيلٌ من المالِ

ولَكِنَّما أَسْعَى لمجْدٍ مُؤَثَّلٍ وقَدْ يُدْرِكُ المجْدَ المؤَثَّلَ أمْثَالي

فأخذه خُفَاف بن غُصَيْن البُرْجُمي فقال[١٠]:

فلو أنَّ ما أَسْعَى لِنَفْسِيَ وحْدَهَا لزادٍ يسيرٍ أو ثياب على جِلْدِي

(١) ديوانه (٣: ٢٤٠).
(٢) ديوانه ص ٦.
(٣) التبيان (٤: ٦٠).
(٤) التبيان (٤: ٦٠).
(٥) التبيان (٤: ٦٠).
(٦) ديوانه (٤: ٦٠).
(٧) ديوانه ص ٢٢.
(٨) التبيان (١: ١٧٤).
(٩) ديوانه ص ٧١.
(١٠) معجم الشعراء ص ١٠٨.

لأبتُ على نَفْسِي وبَلَّغَ حَاجَتِي ... من المالِ مالٌ دون مَالِي الذي عنْدي
ولكنما أسعى لمجد مُؤَثَّل ... وكان أبي نال المكارمِ عن جَدِّي

ثم أكثر الناس فيه. وقال أبو الطيب[1]:

تَهْوَى بِمُنْجَرِدٍ[2] لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ ... لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأْكُولٍ ومَشْرُوبِ

وقال[3]:

وفي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بمَيْسُورِ عَيْشِهِ ... ومَرْكُوبُه رِجْلَاهُ والثَّوْبُ جِلْدُهُ
ولكنَّ نفساً بينَ جَنْبَيَّ مَالَها ... مَدًى يَنْتَهي بي في مُرَادٍ أَحُدُّهُ

قوله: «والثوب جلده» من قول أبي هَفَّان:

وما شعاري الدَّهْرَ غير جِلْدي

۞ ۞ ۞

مُسْلِم[4]:

قُتِلَتْ وعالجها المُدِيرُ ولم تُقَدْ ... فإذا بهِ قَدْ صيرتُه قتيلا

ديك الجن ـ ونقله إلى غرض آخر:

تظل بأيدينا نتعتعُ رُوحَها ... وتأخذ من أَقْدَامنا الراح ثارَها

أبو تمام[5]:

وكأسٍ كَمَغْسُولِ الأَمَانِي شَرِبْتُها ... ولكِنَّها أَجْلَتْ وقد شَرِبَتْ عَقْلِي

وله[6]:

أَفِيكُمْ فَتًى حَيٌّ فَيُخْبِرَكم عَنِّي ... بمَا شَرِبَتْ مَشْرُوبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْني

أبو الطيب[7]:

نَالَ الَّذِي نِلْتُ مِنْهُ مِنِّي ... لِلَّهِ مَا تَصْنَعُ الخُمُورُ

۞ ۞ ۞

الأفوه الأوْدِي[8]:

وتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا ... رَأَى عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارْ[9]

---

(١) ديوانه (١: ١٧٤).
(٢) المنجرد: الرجل الماضي في الأمور؛ الجاد فيها.
(٣) ديوانه (٢: ٢٣).
(٤) لم نعثر عليه في الديوان.
(٥) ديوانه ص ٣٧٥، التبيان (٢: ١٣٨).
(٦) ديوانه ص ٣٣٩، التبيان (٢: ١٣٨)، وفي الديوان «فيخبرني».
(٧) ديوانه (٢: ١٣٨).
(٨) التبيان (٢: ٣٣٩).
(٩) تمار: تعطي الميرة بما تجد من لحوم القتلى.

النابغة[١]:

إِذَا مَا غَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ[٢]

حُمَيْد بن ثَوْر:

إذا ما غدا يوماً رأيتَ غمامةً من الطير يَنْظُرْنَ الذي هو صَانِع

أبو نواس[٣]:

تَتَأَبَّى الطَّيْرُ غُدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ[٤]

أبو تمام[٥]:

وقَدْ ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّها مِنَ الجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَم تُقَاتِلِ

زعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله: «إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ» فهو المتقدّم، وأحسنُ من هذه الزيادة عندي قوله: «في الدماء نواهل» وإقامتها مقام الرايات، وبذلك يتم حسنُ قوله: «إلا أنَّها لم تقاتل»، على أن الأَفْوَه الأَوْدِيّ قد فضلَ الجماعةَ بأمور: منها السبق وهي الفضيلةُ العظمى، والآخر قوله: «رأىَ عينٍ» فخبر عن قُرْبها لأنها إذا بعُدت تُخيِّلَتْ ولم تُر، وإنما يكون قُربُها متوقّعاً للفريسة، وهذا يؤيد المعنى، ثم قال: «ثقة أن سَتُمار» فجعلها واثقة بالميرَة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيرُه، فأما أبو نُوَاس فإنه نقل اللّفظ ولم يزد فَيُفَضَّلُ.

وقال أبو الطيب[٦]:

سَحَابٌ من العِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَها سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْها صَوَارِمُهْ

فزاد إِذ جعلها سحابتين، وجعل السحابَة السُّفلى تَسْقِي ما فوقها، وهذا غريب، وقد يَعيبُه المتكلّفون في هذا البيت بأمرين: أحدُهما أَنَّ السحاب لا يسقي ما فوقه، والآخرُ أنْ العِقْبان والطير لا تَسْتَسْقِي، وإنما تَسْتَطْعِم، فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أَغْرَب به، ولم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه، وإنما أقامه مَقامَ السحاب من وَجْهين لتزاحمه وكثافته، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها، وأما أنه يَسْتَسقي كاستسقاء السحاب فلأنه لمَّا سماه سحاباً جعله يستسقي.

وقد قال أبو تمام في صفة المنجنيق:

أرض علـى سمـائهـا درور

---

(١) ديوانه ص ٤.

(٢) العصائب: الجماعات.

(٣) ديوانه ص ٦٨، رغبة الأمل (٤: ١٢١).

(٤) تتأبى: تتعمد، والجزر: قطع اللحم.

(٥) ديوانه والتبيان (٢: ٢٣٩).

(٦) ديوانه (٣: ٣٣٨).

مع أن الطير لا تُصيبُ فرائسَها وهي في الجو، وإنما تهبط إلى الأرض فهي تستسقي والسحاب الساقي عال عليها، وأما استسقاء الطير فجار على عادة العرب في استعارة هذه اللفظة في كل طلب، تعظيماً لقدْر الماءِ، ولذلك قال عَلْقمة[١]:

وفي كلِّ حي قد خَبَطْتَ بنعمة　　فحُقَّ لشأسٍ من نَداكَ ذَنُوب[٢]

وقال رؤبة[٣]:

يا أيها المائح دَلْوي دُونَكا

وهما لم يستسقيا ماء، وإنما طلب أحدهما مالاً واستطلق الآخر أسيرا. ولذلك سموا المجتدي والسائل مستميحين، وإنما الميح جمع المائح الماء في الدلو، والمائح الرجل الذي ينزل في البئر يملأ الدلاء، وقد تلغ سباع الطير الدماء. ولذلك قال أبو تمام:

بِعِقْبَانِ طَيْرٍ في الدِّمَاءِ نواهِل

وإنما النَّهَل في الشراب. وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فغيّره، ولَطُفَ فجاء كالمعنى المخترع فقال[٤]:

يُفَدّي أَتَمُّ الطَّيْرِ عُمْراً سِلَاحَهُ　　نُسُورُ المَلَا أَحْدَاثُها والقَشَاعِمُ[٥]

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ　　وقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُه وَالْقَوَائِمُ[٦]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٧]:

تَعَوَّد بَسْطَ الكَفِّ حتى لَوَ أنَّهُ　　ثَنَاها لِقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أَنَامِلُه

أبو الطيب ـ ونقله إلى البأس[٨]:

وفِي الحَرْبِ حَتى لَوْ أَرَادَ تَأَخُّراً　　لأَخَّرَهُ الطَّبْعُ الْكَرِيمُ إلى الْقُدْمِ[٩]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه ص ٥.

(٢) الحي: القبيلة، وخبطت بنعمة: أي أنعمت وتفضلت. وشأس أخو الشاعر، والذنوب: الدلو العظيم.

(٣) اللسان ـ مادة ماح، وتمامه:

إني رأيت الناس يحمدونكا

(٤) ديوانه (٣: ٣٧٩).

(٥) الملا: وجه الأرض، والقشاعم: النسور الطويلات العمر، ومنه سميت المنية أم قشعم.

(٦) المخالب: جمع مخلب؛ وهو الظفر لسباع الطير، والقوائم: جمع قائم، وهو قائم السيف.

(٧) ديوانه ص ٢٣٢.　　(٨) ديوانه (٤: ٥٥).

(٩) القدم: الإقدام.

أبو تمام[١]:

عَطَاءٌ لو اسْطَاعَ الذي يَسْتَمِيحُه ... لأصبح ما بَيْنَ الْوَرَى وهو عَاذِلُهْ

أبو الطيب[٢]:

وكنتُ أعيبُ عَذْلاً في سَماحٍ ... فها أنا في السَّماح له عَذُول

⁂

البحتري[٣]:

وأَحَبُّ أَقْطَار البَلادِ إلى الفَتى ... أَرْضٌ يَنالُ بها كريم المَطْلَبِ

أبو الطيب[٤]:

وكلّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ

⁂

أبو تمام[٥]:

وليس يَعْرِفُ طيبَ الوصل[٦] صاحبُه ... حتى يصابَ بنَأْيٍ أَوْ بِهِجْرَانِ

وله[٧]:

والحادثاتُ وإنْ أصابَك بُؤْسُها ... فهو الذي أَنْبَاك كيف نعيمُها

وله[٨]:

قد علمت ما رزئتْ إنّما ... يُعْرَفُ فَقْدُ الشمس عند المغيب

وله[٩]:

سَمُجَت ونبَّهنَا على اسْتِسْمَاجِها ... ما حولها من نُضرةٍ وجَمال

وكذاك لم تفرط كآبةُ عاطل ... حتى يجاورها الزمانُ بِحَال

وله[١٠]:

بَيَّن البينُ بَيْنَهَا[١١] قلَّما تَعْـ ... ـرِف فقْداً للشمس حتى تَغِيبا

---

(١) ديوانه ص ٢٣٢. (٢) ديوانه ص ٦٦٩ (شرح اليازجي).

(٣) ديوانه (١ : ٦٠)، والتبيان (١ : ١٨٣).

(٤) ديوانه (١ : ١٨٣)، وصدره:

وكل امرئ يولي الجميل محبب

(٥) ديوانه ص ٣٢٤، التبيان (١ : ٢٣). (٦) في ديوانه: «كنه الوصل».

(٧) ديوانه ص ٣١٠، والتبيان (١ : ٢٤). (٨) ديوانه ص ٣٥٤.

(٩) ديوانه ص ٢٦٠، والتبيان (١ : ٢٤). (١٠) ديوانه ص ٢٥.

(١١) في ديوانه: «فقدها».

البحتري[١]:

وقد زادها إفراط حسنٍ جِوارُها خلائق أضداد من المجد غُيَّبِ[٢]
وحسن دراريّ الكواكب أنْ تُرَى طوالع في داجٍ من اللَّيلِ غَيْهَبِ

وقد مَلُح بشار في هذا المعنى بقوله[٣]:

وكُنَّ جَوارِي الحيِّ ما دُمْتِ فيهمُ قِباحاً فلما غِبْتِ صِرنَ مِلَاحاً

وقال أبو الطيب[٤]:

ونَذَمّهم[٥] وبِهِمْ عَرَفْنَا فضْلَه وبضدِّها تَتَبَيَّنُ الأشْيَاءُ

فصرّح بالمعنى، وبين أن المضادة هي التي تُثْبِتُ حُسْنَ الشيء وقُبْحَه، ثم أخفاه فقال[٦]:

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الجَمْعِ بَيْنَنَا غَفَلْنَا فلم نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبِ

وهذا قلب بيت أبي تمام[٧]. الأول:

ما إنْ تَرَى شيئاً لشيءٍ مُحِيياً حَتى تُلَاقِيه لآخر قاتِلَا

أبو الطيب[٨]:

بذَا قَضتِ الأيَّامُ ما بَيْن أَهْلِها مَصَائِبُ قَوْمٍ عند قَوْمٍ فَوَائِدُ

❁ ❁ ❁

وله[٩]:

ومَوَالٍ تُحْيِيهِمُ مِنْ يَدَيْهِ نِعَمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ

وهذا البيت كأنه من قول النابغة[١٠]:

يَريشُ قوماً ويبري آخرين بهم لله من رائشٍ عمرو ومن بَارِي

❁ ❁ ❁

الحُصَيْن بن الحُمَام[١١]:

يَطَأْنَ مِنَ الْقَتْلَى ومِنْ قِصَدِ الْقَنَا خَبَاراً[١٢] فَمَا يَجْرِينَ إلا تَجشُّما

---

(١) ديوانه (١: ٥٠)، التبيان (١: ٢٤).
(٢) رواية الديوان والتبيان: خلائق أصفار من المجد خيب
(٣) التبيان (١: ٢٤). (٤) ديوانه (١: ٢٢).
(٥) رواية الديوان: «نذيمهم» وهي بمعنى نذمهم.
(٦) ديوانه (١: ٥٢). (٧) التبيان (١: ٢٧٦).
(٨) ديوانه (١: ٢٧٦). (٩) ديوانه (٣: ١٥٤).
(١٠) ديوانه ص ٤٦.
(١١) الأغاني (١١: ٨٧)، مهذب الأغاني (٢: ٢)؛ التبيان (٣: ٣٥٣).
(١٢) الخبار: ما لان من الأرض واسترخى، وفي الأصل والتبيان: خيارا، وما أثبتناه عن مهذب الأغاني.

أبو الطيب[١]:

يَطَأْنَ مِنَ الأبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلْنَهُ ... ومِنْ قِصَدِ المُرَّانِ مَا لا يُقَوَّمُ[٢]

۞ ۞ ۞

قيس بن ذَريح[٣]:

ومَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتي ... بكَفَّيَّ إلَّا أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ

دِعْبل[٤]:

لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتي أَحَداً ... قَلْبِي وطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

أبو الطَّيب[٥]:

وأَنَا الَّذِي اجْتَلَبَ المَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فَمَنِ المُطَالَبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ؟

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٦]:

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ يُرَى ... بِنَدَاك وهْوَ إلَيَّ مِنهَا تَائِبُ

أبو الطيب[٧]:

حَالٌ متى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا ... جَاءَ الزَّمَانُ إلَيَّ مِنْهَا تَائِبَا

۞ ۞ ۞

ابن وهيب:

لَبِسَا البِلَى فكأنَّما وَجَدا ... بعد الأحبة مثلَ ما أَجِدُ

أبو الطَّيِّب[٨]:

ما زَالَ كلُّ هَزِيمِ الوَدْقِ يُنْحِلُها ... والسُّقْمُ يُنْحِلُني حتى حكَتْ جَسدِي[٩]

---

(١) ديوانه (٣: ٣٥٣).

(٢) أراد: من ما حملنه؛ لأن «لا» لا تدخل على الماضي إلا مكررة، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ. والقصد: القطع. والمران: الرماح اللينة جمع مارن؛ أي أن خيله تطأ الأبطال الذين لم تحملهم؛ يعني أبطال العدو، وتدوس قطع الرماح التي لا يحاول أحد تقويمها لتكسرها. شرح اليازجي (١ : ٣١٠).

(٣) الأغاني (٩: ١٨٥) (طبعة الدار)، التبيان (٣: ٢٥٠).

(٤) العقد الفريد (٤ : ٢)، عصر المأمون، (٣: ٢٥٩)، التبيان (٣: ٢٥٠).

(٥) ديوانه (٣: ٢٥٠).

(٦) ديوانه ٢٩. التبيان (١ : ١٢٥).

(٧) ديوانه (١: ١٢٥).

(٨) ديوانه (١ : ٣٤٩).

(٩) أراد سحابا هزيم الودق، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم. والضمير في ينحلها يعود على البيت قبله:

ولا الديار التي كان الحبيب بها ... تشكو إلي ولا أشكو إلى أحد

وله نحوه، وقد زاد في المصراع الأول[١]:

أَثَافٍ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى ... ورَسْمٌ كَجِسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمُ[٢]

❁ ❁ ❁

عَقِيل بن عُلَّفة:

طويلُ نِجَادِ السَّيفِ وهو كأنَّما ... تَصُول إذا اسْتَنْجَدْتَه بِقَبيل

أبو تمام[٣]:

ثَبْتُ[٤] المقام يرى القبيلة واحداً ... ويُرَى فيحسبُه القَبيلُ قَبيلا[٥]

أبو الطيب[٦]:

بَقِيَتْ جُمُوعُهُمُ كأنَّكَ كُلُّها ... وبَقِيتَ بَيْنَهُمُ كأنَّكَ مُفْرَدُ[٧]

❁ ❁ ❁

أبو تمام[٨]:

فرأيتُ أَكْثَر ما حَبَوْتَ من اللُّهى[٩] ... نَزْراً وأَصْغَرَ ما شكَرْتَ جَزِيلَا

أبو الطيب[١٠]:

يَسْتَصْغِر الخَطَر العَظِيم لِوَفْدِه ... ويَظُنُّ دجْلَةَ ليس تَكْفِي شَارِبَا

❁ ❁ ❁

أبو تمام[١١]:

يَوَدُّ ودادا أن أعضاء جسمه ... إذا أنشدت شوقا إليها المسامع

---

(١) ديوانه (٤: ٨٣).

(٢) الأثافي: جمع أثفية، وهي التي تنصب تحت القدر. والصلى: الاصطلاء بالنار. والرسم: ما بقي من آثار الديار.

(٣) ديوانه ص ٢٤٤.

(٤) الثبت: الثابت.

(٥) القبيل الأول العريف؛ والثاني الجماعة.

(٦) ديوانه (١: ٣٣٦).

(٧) قال العكبري: هو مثل قول أبي نواس.

ليس على اللّه بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

(٨) ديوانه ص ٢٤٤.

(٩) اللهى: جمع اللهية؛ وهي العطية.

(١٠) ديوانه (١: ١٢٥).

(١١) ديوانه ص ٤٨٠.

غيره:

غَـنَّتْ فـلـم تـبـق فـيّ جـارحـه ... إلا تَـمَـنَّـتْ بِـأَنَّـهـا أُذُنُ

أبو تمام في غير هذا المعنى:

تـرى صِـلّا تـخـال بـكـل عـضـو ... لـه مـن شـدة الـحـركـات قَـلْـبَـا

أبو الطيب[١]:

حـتـى كـأنَّ لِـكُـلِّ عَـظْـمٍ رَنَّـةً[٢] ... فـي جِـلْـدِهِ ولـكُـلِّ عِـرْقٍ مَـدْمَـعَـا

۞ ۞ ۞

بشار[٣]:

صـحِـبْـتـه فـي الـمـلـك أو سـوقـة ... فـزاد فـي كَـثْـرَة حُـسَّـادِي

أبو نواس[٤]:

دَعِـيـنـي أكَـثِّـرْ حَـاسِـدِيـكِ بِـرِحْـلَـةٍ ... إلـى بَـلَـدٍ فـيـه الـخَـصِـيـبُ أمِـيـرُ

البحتري[٥]:

وأَلْبَسْتَني النُّعْمى الّتى غَيّرَتْ أَخِي ... عـلـيّ فـأَمْـسَـىٰ نَـازِحَ الـوُدِّ[٦] أَجْـنَـبَـا

أبو الطيب[٧]:

أَزِلْ حَـسَـدَ الـحُـسَّـادِ عَـنّي بِكَبْتِهم ... فـأَنْـتَ الَّـذِي صَـيَّـرْتَـهُـمْ لِـيَ حُـسَّـدَا

وأصله لأبي جُوَيرية العبديّ، وهو أحسن ما قيل فيه[٨]:

ومـا زال يُـعْـطِـيـنـي ومَـا لِـيَ حَـاسِـدٌ ... من الناس حتى صِرْتُ أُرْجَى وأُحْسَدُ

۞ ۞ ۞

بشار[٩]:

خُـلِـقُـوا سَـادَةً فَـكـانُـوا سَـوَاءً ... كَـكُـعُـوبِ الْـقَـنَـاةِ تَـحْـتَ الـسِّـنَـانِ

البحتري[١٠]:

كـالـرُّمْـحِ فِـيـهِ بِـضْـعَ عَـشْـرَةَ فَـقْـرَةً ... مُـنْـقَـادَةً تَـحْـتَ الـسِّـنَـانِ الأَصْـيَـدِ

---

(١) ديوانه (١: ٢٥٩).
(٢) الرنة: من الرنين، وهو صوت الباكي.
(٣) التبيان (١: ٢٩٠).
(٤) ديوانه ص ٩٩، التبيان (١: ٢٩٠).
(٥) ديوانه (١: ٥٦)، التبيان (١: ٢٩٠).
(٦) رواية الديوان: «نازح الدار».
(٧) ديوانه (١: ٢٨٩).
(٨) التبيان (١: ٢٩٠).
(٩) التبيان (٣: ١٢١).
(١٠) ديوانه (١: ١٧٠). التبيان (٣: ١٢١).

أبو الطيب[١]:

وكُلُّ أَنَابِيبِ الْقَنَا مَدَدٌ لَهُ ... ومَا تَنْكُتُ الْفُرْسَانَ إلَّا الْعَوَامِلُ[٢]

۞ ۞ ۞

معاوية بن مالك بن جعفر بن كِلاب[٣]:

رأيت الصَّدْع من كَعْب جميعا ... وكان الصَّدْعُ لا يَعْدُو ارتيابا

فأمسى كعبُها كَعْباً وكانت ... من الشنآن قد دعيت كِعَابا

أبو الطيب[٤]:

وعَمْروٌ في مَيَامِنِهِمْ عُمُورٌ ... وكَعْبٌ في مَيَاسِرِهِمْ كِعَابُ[٥]

۞ ۞ ۞

وقال ذؤيب بن كعب التَّيمِي[٦]:

جَانِيك مَنْ يجني عليكَ وقدْ ... تُعْدى الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُرْبِ

آخر:

الحرب يلحقُ فيها الكارهون كما ... تدنو الصِّحاح إلى الجَرْبَى[٧] فَتُعْدِيها

ومثله قول الآخر[٨]:

إنَّ الفَتى بابْنِ عمِّ السُّوء مَأْخُوذُ[٩]

---

(١) ديوانه (٣: ١٢١).

(٢) النكت: الوخز. والأنابيب: جمع أنبوب، وهي العقدة الناشزة في القنا. والعوامل: جمع عامل؛ وهو صدر الرمح مما يلي السنان. قال الواحدي: «هذا مثل؛ يريد أن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله؛ وإذا لم يعاون بعض الرمح بعضاً لا يحصل الطعن؛ ولكن العوامل هي التي تصيب الإنسان؛ لأن السنان فيها؛ فكذلك القبائل كلهم مدد لك والعمل منك، فأنت فيهم كالعامل من الرمح».

(٣) التبيان (١: ٧٧)، ورواه بيتاً واحداً، ونسبه إلى كعب بن مالك وروايته:

رأيت الصدع من كعب وكانوا ... من الشنآن قد صاروا كعابا

(٤) ديوانه (١: ٧٧).

(٥) يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا، فصارت عمرو، وهي قبيلة من بني كلاب، عمورا؛ يدعي كل قوم لتفرقهم عمرا، وكذلك كعب.

(٦) العقد الفريد (٣: ٢٢١).

(٧) الجربى: جمع جرباء.

(٨) التبيان (١: ٨٢).

(٩) صدره:

جنى ابن عمك ذنبا فابتليت به

البحتري[١]:

نَـصُـدُّ حـيـاءً أن نَـرَاك بـأعْـيُـنٍ[٢] أَتَى الذنبَ عاصيها فلِيمَ مُطِيعها

أبو الطيب[٣]:

وجُـرْمٍ جَـرَّه سُـفَـهـاءُ قَـوْمٍ وحَـلَّ بِـغَـيْـرِ جَـارِمِـهِ الْـعَـذَابُ

كأنما اقتبسه من قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[٤] [الأعراف: ١٥٥].

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

فِـي عُـصْـبَـةٍ[٦] إِنْ سَـرَوْا فَـجِـنٌّ أَوْ يَـمَّـمُـوا شُـقَّـةً فَـطَـيْـرُ

أبو الطيب[٧]:

نَحْنُ رَكْبٌ مِلْجِنٍّ[٨] فِي زِيِّ نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الجِمَالِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٩]:

إذا أنـا لَـمْ أَلُـمْ عـثـراتِ دَهْـرٍ أُصِـبْـتُ بـه الـغـدَاةَ فَـمَـنْ أَلُـومُ

أبو الطيب[١٠] فأحسن وزاد:

إذا أتـتِ الإسـاءة مِـنْ وَضِـيـعٍ ولـم أَلُـمِ الـمـسـيءَ فـمـنْ أَلُـومُ!

۞ ۞ ۞

أبو تمام[١١]:

طَلَعَتْ عَلَى الأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعٍ وعَـدَتْ عـلـى الآمـالِ وهِـيَ سُـعُـودُ

أبو الطيب[١٢]:

فـأَنْـجُـمُ أَمْـوَالِـهِ فـي الـنُّـحُـوسِ وأَنْـجُـمُ سُـؤَّالِـهِ فـي الـسُّـعُـودِ

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه (٢: ٣١٩). التبيان (١: ٨٢).

(٢) في الأصلين: «بأوجه».

(٣) ديوانه (١: ٨١).

(٤) وقال العكبري: هو منقول من قوله تعالى: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾**.

(٥) التبيان (١: ١٩٤).

(٦) رواية العكبري: «في ثبة».

(٧) ديوانه (٣: ١٩٤).

(٨) ملجن: من الجن.

(٩) التبيان (٤: ١٥٢).

(١٠) ديوانه (٤: ١٥٢).

(١١) التبيان (١: ٣٤٣).

(١٢) ديوانه (١: ٣٤٣).

أبو تمام[١]:

تُبَشِّرُهُ خُدَّامُه بِعُفَاتِهِ ... كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهْ

أبو الطيب[٢]:

يُعطِي المُبَشِّرَ بالقُصَّادِ قَبْلَهُمُ ... كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانَا

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

لقد خَابَ مَنْ يهدي سُوَيْدَاءَ قَلْبِه ... لِحَدِّ سِنَان فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلُهْ

أبو الطيب[٤]:

عَلَى عَاتِقِ المُلْكِ الأغَرِّ نِجَادُهُ ... وَفي يَدِ جَبَّارِ السَّمٰوَاتِ قَائِمُهْ

وله[٥]:

فأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ واللَّهُ ضَارِبٌ ... وأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ واللَّهُ عَاقِدُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٦]:

فَحَاطَ له الإقْرَارُ بالذَّنْبِ رُوحَه ... وجُثْمَانَهُ إذْ لَمْ تَحُطْهُ قنابِلُه[٧]

أبو الطيب[٨]:

أَعَدُّوا رِمَاحاً مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا ... بِهَا الجَيْشَ حتى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ[٩]

۞ ۞ ۞

بعض العرب[١٠]:

ما قَصَّر الجودُ عَنْكُم يا بَنِي مَطرٍ ... ولا تَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودِ

يَحُلُّ حيثُ حَلَلْتُمْ لَا يُفَارِقُكُمْ ... ما عَاقَبَ الدَّهْرُ بَيْنَ البِيضِ والسُّودِ

الكُمَيْت:

يَصِيرُ أَبَانُ قَرِيعَ السَّمَا ... حِ والمكرُمات معا حيث صارا

---

(١) التبيان (٤: ٢٢٧).
(٢) ديوانه (٤: ٢٢٧).
(٣) ديوانه ص ٢٠٥، التبيان (٣: ٣٤١).
(٤) ديوانه (٣: ٣٤١).
(٥) ديوانه (١: ٢٧٧).
(٦) ديوانه ص ٢٠٥، التبيان (٢: ٣٣١).
(٧) القنابل: جمع قنبل، وهو الطائفة من الناس أو الخيل من الخمسين فصاعداً.
(٨) ديوانه (٢: ٣٣١).
(٩) غرب كل شيء: حده، والفيالق: جمع فيلق؛ وهي الكتيبة الكثيرة السلاح.
(١٠) التبيان (٢: ٢٩٠).

أبو نُواس[١]:

فَمَا جازه جُودٌ ولا حَلَّ دُونَه ولكن يَصِيرُ الجودُ حيثُ يَصِير

أشْجَع[٢]:

فما خَلْفَه لامرئٍ مَطْمَعٌ ولا دُونَه لامْرِئٍ مَقْنَعُ

أبو تمَّام[٣]:

إلَيْكَ تَنَاهَى الجودُ من كلِّ وِجْهَة يَصِيرُ فَمَا يَعْدُوكَ حَيْثُ تَصِيرُ

أبو الطيّب[٤]:

ولَسْتَ بِدُونٍ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَه ولا مُنْتَهَى الْجُودِ الذي خَلْفَه خَلْفُ

فأساء وجاوز حتى قارب الهذيان.

❁ ❁ ❁

مَنْصُور النمريّ[٥]:

الجُودُ أَخْشَنُ مَسًّا يا بَني مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبُزَّكُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلِبِ

مَا أَعْرَفَ النَّاسَ أَنَّ الجودَ مدفعة للذم لكِنَّهُ يَأْتِي على النَّشَبِ[٦]

أبو الطيب[٧]:

لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الجودُ يُفْقِرُ وَالإقْدَامُ قَتَّالُ

فزاد بقوله: «الإقدامُ قَتَّال».

❁ ❁ ❁

أشجع[٨]:

ولَيْسَ بأَوْسَعِهِم فِي الغِنَى ولَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

أبو الطيب[٩]:

بِمِصرَ مُلُوكٌ لَهُمْ مَا لَهُ ولَكِنَّهُمْ ما لَهُمْ هَمُّهُ

وأصله قول الأعرابي[١٠]:

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتْيَانِ مَالاً ولٰكِنْ كانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

---

(١) ديوانه ص ٩٩. (٢) التبيان (٢: ٢٩٠).

(٣) ديوانه ص ١٤٣، التبيان (٢: ٢٩٠). (٤) ديوانه (٢: ٢٩٠).

(٥) التبيان ٣: ٢٨٧.

(٦) رواية العكبري:

ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للمجد لكنه يأتي على النشب

(٧) ديوانه (٣: ٢٨٧). (٨) التبيان (٤: ١٥٣).

(٩) ديوانه (٤: ١٥٣). (١٠) التبيان (٤: ١٥٣).

أبو تمام[١]:

وقد يَكْهَمُ السَّيْفُ المسمَّى مَنِيَّةً ... وقد يرجعُ النَّجْدُ المظَفَّرُ خَائِبا
فـآفَـةُ ذا ألّا يُـصـادف مَـضـربـاً ... وآفـة ذا ألّا يـصـادِف ضَـاربـا[٢]

البحتري[٣]:

رَمى كَلَبَ الأعْداء عن حَدِّ نَجدَةٍ ... بها قطعت تحت العَجَاج مَناصِلُهْ
وما السَّيْفُ إلّا بَزُّ غادٍ لِزينَةٍ ... إذَا لم يكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهْ

أبو الطيب[٤]:

إنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ ... كقُلُوبِهِنَّ إذَا الْتَقَى الجمْعَانِ
تَلْقَى الحُسَامَ على جَرَاءَةِ حَدِّهِ ... مِثْلَ الجبَانَ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ

ثم نقله وغيّره[٥]:

إِذَا ضربَتْ بالسَّيفِ في الحرب كَفُّهُ ... تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيفَ بالكَّفِ يضربُ

ومثل هذا البيت قول البحتري[٦]:

فلا تَغْلِبَنْ بالسَّيفِ كلَّ غَلَائِهِ ... ليمضي فإنّ الكَفَّ لا السيفَ يَقْطَع

وقد أعاد المتنبي، فقال[٧]:

إذا الهِنْدُ سَوَّتْ بَيْنَ سَيْفَيْ كَرِيهَةٍ ... فَسَيْفُكَ في كَفٍّ تُزِيلُ التَّسَاوِيَا

ثم نقله إلى الخيل فقال[٨]:

فما تَنْفَعُ الخيْلُ الْكِرَامُ ولا الْقَنَا ... إذا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٩]:

فَهَلْ كُنْتُ إلّا مُذْنِباً يومَ أَنْتَحِي ... سِوَاك بآمَالِي فجئْتُكَ تَائِبَا

أبو الطيب[١٠]:

وتَعْذُلُني فِيكَ الْقَوَافِي وهِمَّتي ... كأنّي بمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ

---

(١) ديوانه ص ٢٣.
(٢) رواية الديوان:
وقد يكهم السيف المسمى منية ... وقد يرجع السهم المظفر خائبا
فآفة ذا ألا يصادف راميا ... وآفة ذا ألا يصادف ضاربا
(٣) ديوانه (٢: ١٦٣)، التبيان (٤: ١٨٤).
(٤) ديوانه (٤: ١٨٤).
(٥) ديوانه (١: ١٨٢).
(٦) ديوانه (٢: ٨٦).
(٧) ديوانه (٤: ٢٩٣).
(٨) ديوانه (٣: ٣٩٤).
(٩) ديوانه ص ٢٤.
(١٠) ديوانه (١: ١٨٧).

أبو تمام[١]:

فَغَرَّبْتُ حتى لم أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وشرَّقْتُ حتى قَدْ نَسِيتُ المَغَارِبا

البحتري[٢]:

فأَكُون طَوْراً مَشْرِقاً للمشرق الـ ـأَقْصَى وطوراً مَغْرِباً للمغرب

أبو الطيب[٣]:

فَشَرَّقَ حَتَّى لَيْسَ للشَّرْقِ مَشْرِقٌ وغَرَّبَ حتى لَيْسَ للغَرْبِ مَغْرِبُ

۞ ۞ ۞

بعض العرب:

تخالُه مُسْتَقْبِلاً أَقْعَدا[٤] وهو إذا استَدْبَرْتَ مَكْبُوب

عليّ بن جَبَلة[٥]:

تحْسِبُه أَقْعَدَ في اسْتِقْبَالِهِ حَتى إذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قُلْتَ أَكَبّ

المتنبي[٦]:

إنْ أَدْبَرَتْ قُلْتَ لا تَليلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ[٧]

وهو مأخوذ من قول أُقَيْشر الأسدي لما سُئل عن أكرم الخيل، فقال: هو الذي إذا استقبلته أقْعَى، وإذا استدبرته جَثَا، وإذا استعرضته استوى.

۞ ۞ ۞

يحيى بن مالك[٨]:

أحقًّا فما وَجْدِي عليك بهيِّنٍ ولا الصَّبْرُ إنْ أُعْطِيتُه بجَميلِ

العتبي[٩]:

والصَّبْرُ يَحْسنُ في المواقِفِ كلِّها إلّا عَلَيْكَ فَإنَّه مَذْمُومُ

أبو تمام[١٠]:

وقد كان يُدْعَى لَابسُ الصَّبْرِ حازماً فأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِماً حين يَجْزَعْ

---

(١) ديوانه ص ١٧.
(٢) ديوانه (١: ٢٠).
(٣) ديوانه (١: ١٨٧).
(٤) يقال: فرس أقعد؛ أي في وظيفي رجله استرخاء.
(٥) التبيان (٣: ٢١٤).
(٦) ديوانه (٣: ٢١٤).
(٧) التليل: العنق، والكفل: الردف.
(٨) التبيان (١: ٢٤٦).
(٩) التبيان (١: ١٤٦).
(١٠) ديوانه ٣٣٣، التبيان (١: ٢٤٦).

وله[١]:

لا تُنكِرنَّ مع الفراقِ تَبلُّدِي[٢] فبراعةُ المشتاقِ أن يَتَبلَّدا

أبو الطيب[٣]:

وجَلَا الوَدَاعُ مِنَ الحَبِيبِ مَحَاسِناً حُسْنُ العَزَاء وقد جُلِينَ قَبِيحُ[٤]

وقال[٥]:

أَجِدُ الجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً والصَّبْرَ إِلَّا فِي نَواكِ جَمِيلَا

⁂

العباس بن الأحنف[٦]:

لو[٧] قَسَّمَ اللَّهُ جُزْءاً من محاسِنِهَا في النَّاسِ طُرًّا لتمّ الحُسْنُ في النَّاسِ

أبو تمام[٨]:

لو اقْتُسِمَتْ أَخْلَاقُه الغُرُّ لَمْ تَجِدْ مَعِيباً ولا خَلْقاً من الناسِ عائِبَا

وقلبه فقال[٩]:

لو أنَّ عُشْرَ الذي أمسى وظلَّ به بالعالمين من البلوى إذاً فَسَدُوا

منصور الفقيه[١٠]:

لو أنَّ ما فيهِ من جُودٍ تَقَسَّمَه أَوْلَادُ آدمَ عَادُوا كلُّهم سمَحَا[١١]

أبو الطيب[١٢]:

لو فَرَّقَ الكَرَمَ المُفَرِّقَ مَالَه في النَّاسِ لم يَكُ في الزَّمَانِ شَحيحُ

---

(١) ديوانه ص ١١٢، التبيان (١: ٢٤٦).

(٢) التبلد: نقيض التجلد. ورواية الديوان:

لم تنكرن مع الفراق تبلدي

(٣) ديوانه (١: ٢٤٦).

(٤) فصل بين المبتدأ والخبر بجملة فعلية، والتقدير: حسن العزاء قبيح وقد جلين؛ أي المحاسن. والمعنى: لما برز الحبيب للوداع، وانجلت محاسنه تركت حسن الصبر عنها قبيحا.

(٥) ديوانه (٣: ٢٣٣).

(٦) ديوانه ص ٩١، مختارات البارودي (١: ٢٠٣)، التبيان (١: ٢٥٠).

(٧) في مختارات البارودي وفي الديوان: «لو يقسم».

(٨) ديوانه ص ٢٣، التبيان (١: ٢٥٠). (٩) ديوانه ص ٤٤٣.

(١٠) التبيان (١: ٢٥٠).

(١١) قبله:

أقول إذ سألوني عن سماحته ولست ممن يطيل القول إن مدحا

(١٢) ديوانه (١: ٢٥٠).

ابن المعذَّل[١]:

بَاكَرَتْهُ الْحُمَّى وراحتْ عَلَيْهِ فَكَسَتْهُ حمَّى الرَّوَاحِ بَهَارَا[٢]
لم تَشِنْهُ لَمَّا ألحَّتْ وَلَكِنْ بَدَّلَتْهُ بالاحْمِرَارِ اصْفِرَارَا

أبو تمام[٣]:

لَهُمْ مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ الْتِدَامُ[٤] يُعِيدُ بَنَفْسَجاً وَرْدَ الخُدُودِ

أبو الطيب[٥]:

وَقَدْ صَارَتِ الأجْفَانُ قَرْحَى من البُكَا وصَارَ بَهَاراً في الخدُودِ الشَّقَائِقُ[٦]

البحتري[٧]:

إذا ما الجُرْحُ رُمَّ على فَسَاد تبيَّنَ فيهِ تَفْرِيطُ الطَّبِيبِ

أبو الطيب[٨]:

فإنَّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إذَا كَانَ البِنَاءُ على فَسَادِ

۞ ۞ ۞

نصر بن سيار[٩]:

وإن النَّارَ بالزَّنْدَيْنِ تُورَى وإنَّ الفِعْلَ يَقْدُمُه الكَلَامُ[١٠]

أبو الطيب[١١]:

وإنَّ الماءَ يجْري مِنْ جَمَادِ وإنَّ النَّارَ تُقْدَحُ من زِنَادِ

۞ ۞ ۞

---

(١) التبيان (٢ : ٣٤٢).
(٢) البهار: نبت طيب الريح، زهرته صفراء.
(٣) ديوانه ص ٩٤، والتبيان (٢ : ٣٤٢).
(٤) الالتدام: الاضطراب.
(٥) ديوانه (٢ : ٣٤٢).
(٦) الشقائق: جمع شقيقة؛ وهي زهر أحمر ينسب إلى النعمان، وقرحى: جمع قريح.
(٧) ديوانه (١ : ٨٤)، التبيان (١ : ٣٦٣).
(٨) ديوانه (١ : ٣٦٣).
(٩) الأخبار الطوال ص ٣٤٠، التبيان (١ : ٣٦٤).
(١٠) رواية الأخبار الطوال:

فإن النار بالعودين تذكى وإن الشر مبدؤه الكلام

وقبله:

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام

(١١) ديوانه (١ : ٣٦٤).

النابغة الذُّبياني[١]:

قد عَيّرتني بَنُو ذُبيان رَهْبَتَهُ وهَلْ عَلَيَّ بأَنْ أَخْشَاهُ من عار

شَمْعَلَة بن قائد[٢]:

وإن أَمِيرَ المُؤمِنِينَ وفِعْلَه لكالدَّهْرِ لا عارٌ بما فَعَل الدَّهْرُ

أبو تمام[٣]:

خَضَعُوا لصوْلَتِك الَّتِي هي عِنْدَهُمْ كالموت يأتِي ليس فيهِ عَارُ

أبو الطيب[٤]:

وما في سَطْوَةِ الأَرْبَابِ عَيْبٌ ولا في ذِلَّةِ العِبْدَانِ عَارُ

وكل ما تقدمه أحسن منه. وقد أحْسَن يزيد بن محمد المهلّبي: في قوله:

لا عار إن ضَامَك دَهر أو مَلِك

ومثل هذا الأخذ هو الذي يَرْحَضُ[٥] العار عن صاحبه.

۞ ۞ ۞

عنترة[٦]:

وأَنَا المَنِيَّةُ في المَوَاقِفِ كُلِّها والطَّعْنُ منِّي سَابِقُ الآجالِ

أبو تمام[٧]:

يَكَادُ حينَ يُلَاقِي القِرْنَ مِنْ حَنَقٍ قَبْلَ السِّنَانِ عَلَى حَوْبَائِه يَرِدُ

أبو الطيب[٨]:

يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَايَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ

ثم قلبه وغيّره فقال[٩]:

يَكادُ مِنْ طَاعةِ الحِمام له يَقْتُل مَنْ مَا دَنا لَهُ أَجَلُ[١٠]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه ص ٤٤، التبيان (٢: ١١٣). (٢) التبيان (٢: ١١٣).

(٣) ديوانه ص ١٣٠. (٤) ديوانه (٢: ١١٣).

(٥) يرحض (في الأصل) يغسل، ويريد: يدفع.

(٦) ديوانه ص ١٠٩، التبيان (٤: ١٩١).

(٧) ديوانه ص ٨٩، التبيان (٤: ١٩٠). (٨) ديوانه (٤: ١٩٠).

(٩) ديوانه (٣: ٢١٣).

(١٠) يقول: إن الموت طائع لأمره، فلو أراد أن يقتل من لم يتم أجله لساعده على ذلك لطاعته إياه.

ذو الرُّمة[١]:

كأنّها فضّةٌ قد مسّها ذَهَبُ

أبو الطَّيِّب[٢]:

لَوْنِي كما صَبَغَ اللجينَ العَسْجَدُ

۞ ۞ ۞

أبو نُواس[٣]:

إليكَ أَبَا العبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الحضْرَمِيَّ المُلَسَّنَا[٤]

قَلَائِصَ لم تَعْرِفْ حنيناً إلَى طَلا ولم تَدْرِ ما قَرْعُ الفَنِيقِ ولا الهِنَا[٥]

أراد بالحَضْرَمِيّ المُلَسَّن النعال فجعلها قلائص تمتطى وتركب، وتبعه أبو الطيب فغير الوصف فقال[٦]:

لا نَاقَتي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أُجْهِدُهَا[٧]

شِرَاكُهَا كُورُهَا ومِشْفَرُهَا زِمَامُهَا والشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا[٨]

ثم أكمل المعنى ونقله إلى ذكر الخُفّ فقال:

وحُبِيتُ من خُوصِ الرِّكابِ بأَسْوَدٍ من دَارِشٍ[٩] فغَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبَا[١٠]

وأظنهما لاحظا قول بعض المفسرين لبيت عنترة[١١]:

وابن النَّعَامَةِ يوم ذلك مركبي

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٣٦٢، وصدره:
كحلاء في دعج صفراء في برج

(٢) ديوانه (١ : ٣٢٩)، وصدره:
فمضت وقد صبغ الحياء بياضها

(٣) ديوانه ص ٧٦.

(٤) الحضرمي الملسن: النعل فيه طول كهيئة اللسان، يريد بها نعله.

(٥) القلائص (في الأصل): جمع قلوص، ويريد بها نعله؛ وهي الإبل الشابة، والفنيق: فحل الإبل، والهنا: القطران.

(٦) ديوانه (١ : ٣٠١).

(٧) الرديف: ما يرتدف خلف الراكب، والرهان: السباق، والناقة هاهنا: نعله.

(٨) الشراك: سير النعل. والكور: رحل الناقة، والمشفر من الناقة بمنزلة الشفة من الإنسان، وزمام النعل: ما تشد عليه سيورها، والمقود: الحبل الذي تقاد به الدابة.
قال العكبري: ومثله قول الآخر:
رواحلنا ست ونحن ثلاثة نجنبهن الماء في كل منهل

(٩) ديوانه (١ : ١٢٥).

(١٠) الخوص: جمع خوصاء؛ وهي الناقة الغائرة العينين من الجهد والإعياء، والدارش: نوع من الجلود.

(١١) ديوانه ص ٢٠، والتبيان (١ : ٣٠٢) وصدره:
ويكون مركبك القعود ورحله

فإنه زعم أن ابن النعامة عِرْق في باطن القدم؛ لأن معنى البيت أنه راكب أخْمَصَهُ ماشياً. وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] أنهم التمسوا نعالاً. ومثله ما روي عنه ﷺ أنه قال: «المُنْتَعِل رَاكِب».

❁ ❁ ❁

بعض العرب:

أَنَخْتُ قَلُوصي واكْتَلأْتُ بِعَيْنِهَا ... وأَمَّرْتُ نفسي أَيَّ أَمْرَيَّ أفْعَلُ

أبو الطيب[١]:

وَعَيْنِي إلى أُذْنَيْ أَغَرَّ كأنَّه ... مِنَ اللَّيْلِ باقٍ بين عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ[٢]

فنقل العين إلى الأذن واكتلائها.

❁ ❁ ❁

قال عنترة[٣]:

وإذَا صَحَوْتُ فمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى ... وكما عَلِمْتِ شَمَائِلي وَتَكَرُّمِي

وأجود منه قول زهير[٤]:

أَخُو ثِقَةٍ لا تُهْلِكُ الخَمْرُ مالَهُ ... ولكنه قد يُهْلِكُ المال نائلُهْ

وقول أبي نواس[٥]:

فتًى لا يذيبُ[٦] الخمرُ شَحْمَةَ مالِهِ ... ولكِنْ أيادٍ عُوَّدٍ وبَوادِي

أبو الطيب[٧]:

لَا تَجِدُ الخَمْرُ في مكَارِمِه ... إِذَا انْتَشَى خَلَّةً تَلَافَاهَا[٨]

بعض العرب[٩]:

تُغْضِي العُيونُ إذَا تبدَّى هَيْبَةً ... ويُنَكِّسُ النظَّارُ لحظَ النَّاظِرِ

---

(١) ديوانه (١: ١٧٩).

(٢) قال العكبري: إنه كان ينظر إلى أذني فرسه، وذلك أن الفرس أبصر شيئاً، فإذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه، فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً، ثم وصف فرسه فقال: كأنه قطعة ليل في وجهه كوكب.

(٣) المعلقات للزوزني ص ١٨٦.

(٤) ديوانه ص ٣١، التبيان (٤: ٢٧٦).

(٥) ديوانه ص ٧٤، التبيان (٤: ٢٧٦).

(٦) رواية الديوان: «لا تلوك».

(٧) ديوانه (٤: ٢٧٦).

(٨) يقول: هو قبل شرب الخمر كريم؛ يتكرم بالبذل والعطاء، فلا يزيد تكرمه بشربها، وليس في مكارمه خلة يتلافاها الخمر.

(٩) التبيان (١: ١١٣).

الحزين الدُّؤَلي[(١)]:

يُغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى من مهَابَتِهِ فلا يُكلَّمُ إلَّا حِينَ يبْتَسِمُ

أبو نُواس[(٢)]:

إنَّ العُيُونَ حُجِبْنَ عنك بِهَيْبَةٍ فإذا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكِّسَ ناظِرُ

أبو الطيِّب[(٣)]:

إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيبَتُه وليس يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إذَا احْتَجَبَا

والمصراع الثاني مثل قوله[(٤)]:

أصْبَحْتَ تأمرُ بالحجاب بِخَلْوَةٍ هيهات لستَ على الحجاب بقادر

من كان ضوءُ جبينه ونوالُه لم يُحْجَبا لم يَحْتَجِبْ عن ناظر

فإذا احتَجَبْتَ فأنتَ غيرُ مُحَجَّب وإذا بَطَنْتَ فأنتَ عينُ الظَّاهِر

أما ذكره الجود؛ فمن قول أبي تمام[(٥)]:

يا أيُّها المُغرِضُ النَّائِي برؤيته وجودُه لمراعي جودِه كَثَبُ

وقد كرَّره أبو الطيب فقال[(٦)]:

حتَّى وَصَلْتُ إلى نَفْسٍ محَجَّبَةٍ تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوبِ

وأما ضوء جبينه، فمن قول قَيْس بن الخَطِيم[(٧)]:

قَضَى لها اللَّه حين صَوَّرَها الـ ـخالِقَ أن لا يُكنَّها[(٨)] سَدَف

ومن هذا المعنى أخذ أبو تمام[(٩)]:

فَنَعِمْتِ من شَمْسٍ إذا حُجِبَتْ بَدَتْ من خِدْرِهَا فكأنَّها لم تُحْجَبِ

---

(١) الأغاني (١٤: ٧٥) (طبعة الساسي)، ونسبه العكبري إلى الفرزدق، وقبله:

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

قال أبو الفرج: «والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين بن أبي طالب؛ وهو غلط، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل علي بن الحسين».

(٢) ديوانه ص ١١٣.

(٣) ديوانه (١: ١١٣).

(٤) ديوانه (٢: ١٣٧).

(٥) ديوانه ص ٢٧، التبيان (١: ١١٣).

(٦) ديوانه (١: ١٧٥).

(٧) الأغاني (٣: ٢٣، طبعة دار الكتب)، التبيان (٢: ١٣٧).

(٨) السدف: الظلمة، والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة.

(٩) ديوانه ص ١٢، التبيان (٢: ١٣٨).

وقول أبي نواس في الخمر[١]:

تَرى ضَوْءَها في باطن الكأسِ ظَاهِراً عليك ولو غَطَّيتَها بغِطاء

۞۞۞

أوس بن حَجَر[٢]:

الألْمَعيّ الّذي يَظُنُّ بكَ الظَّـ ـنَّ كأَنْ قَدْ رَأَى وقَدْ سَمِعَا

أبو تمام[٣]:

ولِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ عِلْمٌ وفي بَعْضِ القُلُوبِ عُيُونُ

وقد أكثر الناس فيه.

أبو الطيب[٤]:

مَاضِي الجَنَانِ يُرِيهِ الحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْد غَدِ

وكرّره فقال[٥]:

ذَكِيٌّ تَظَنِّيه طَلِيعَةُ عَيْنِه يَرَى قَلْبُه في يَوْمِه ما يَرَى غَدَا

وأعاده فقال[٦]:

ويَعْرِفُ الأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدَمُ

وقال أيضاً[٧]:

مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُوِّنَا

وهذا المعنى الآخر يقرب من قول أبي نواس:

ما تَنْطَوي منه القلوبُ بِعُجْرَةٍ إلا تكلّمه بِهِ العينانِ

علي بن الخليل.

كَلَّمني لحظُكَ عَنْكَ لَمَّا أضْمَرهُ قَلْبُكَ مِنْ غَدْرِ

الخَليع:

أما تقرأ في عيـ ـنيّ عُنوان الذي عِندِي

وقد سبق إليه المتقدمون، قال الثقفي[٨]:

تخبِّرني العينانِ ما القلبُ كاتِمٌ وما جَنَّ بالبَغْضَاء والنَّظَرِ الشَّزْرِ

---

(١) التبيان (٢: ١٣٧).

(٢) لسان العرب مادة ـ لمع، التبيان (١: ١٣٥).

(٣) ديوانه ص ٣٢٩، التبيان (١: ٣٥١). (٤) ديوانه (١: ٣٥١).

(٥) ديوانه (١: ٢٨٢). (٦) ديوانه (٤: ٦٢).

(٧) ديوانه (٤: ٢٠١). (٨) التبيان (١: ٢٥٣)، ونسبه إلى ابن الرومي.

آخر[(١)]:

تُكَاشِرُنِي كُرْهاً كأنَّك ناصِحٌ ... وعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي

أبو الطيب[(٢)]:

كأنَّكَ ناظرٌ في كلِّ قَلْبٍ ... فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحلُّ غَاشِ

وله[(٣)]:

لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكُتْبَا

ومثله له[(٤)]:

وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالأَسْرَارِ فانْكَشَفَتْ ... لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ والجَبَلِ

وهذا المعنى هو الأول، وإنما فرق ما بينهما أنّ ذاك في العواقب، وهذا في الأسرار والضمائر، والمراد منهما صحة الحَدْس وجَوْدة الظن، ومثل قول الثَّقَفِيّ:

تُخَبِّرني العَيْنَانِ مَا القَلْبُ كَاتِمٌ

قول أبو الطيب[(٥)]:

يُخْفِي العَدَاوَةَ وهْيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ ... نَظَرُ العَدُوِّ بِمـا أَسرَّ يَبُوحُ

۞ ۞ ۞

علاثة بن عربي[(٦)]:

وكُنْتُمْ قَدِيماً في الحُرُوبِ وغَيْرِها ... مَيَامينَ في الأدْنَى لأعْدَائِكم نكدُ

لبيد[(٧)]:

مُمْقِرٌ[(٨)] مُرٌّ على أَعْدَائِهِ ... وعلى الأدْنَيْنَ حُلْوٌ كالْعَسَلْ

وهو معنى قد تُدُوول بأمثلة مختلفة، منها قول المسيَّب بن عَلَس[(٩)]:

هُم الرَّبيعُ عَلَى مَنْ ضَافَ أَرْحُلَهم ... وفي العَدُوّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِيمُ

وقال كعب بن الأجْذَم[(١٠)]:

بنو رَافِع قومٌ مَشَائِيمُ للعِدَا ... ميامينُ للمَوْلَى وللمُتَحَرِّمِ

---

(١) التبيان (١: ٢٥٣).
(٢) ديوانه (٢: ٢١١).
(٣) ديوانه (١: ٦٢)؛ وصدره:
عليم بأسرار الديانات واللغى
(٤) ديوانه (٣: ٣٨).
(٥) ديوانه (١: ٢٥٣).
(٦) التبيان (١: ٢٥).
(٧) التبيان (١: ٢٥)، لسان العرب (مادة ـ مقر).
(٨) ممقر: مر.
(٩) التبيان (١: ٢٥).
(١٠) التبيان (١: ٢٥).

وقال أبو دُؤاد[١]:

فَهُمْ لِلْمُلَايِنِينَ أَنَاةٌ ... وعُرَامٌ إِذَا يُرَادُ عُرَامُ

وأخذه بشّار فزاد فيه وشبّه وأحسن فقال[٢]:

يَلِينُ حيناً وحِيناً فيهِ شِدَّتُهُ ... كالدَّهْرِ يَخْلِطُ إيسَاراً بإعْسَارِ

وتبعه أبو نواس فقال[٣]:

حَذَرَ امْرِئٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَى العِدَا ... كالدَّهْرِ فِيهِ شَرَاسَةٌ ولِيَانُ

وأخذه أبو الشِّيص فأحسن ما شاء، ونقل التشبيه من الدهر إلى السيف فقال[٤]:

وكالسَّيفِ إنْ لَايَنْتَه لَان مَتْنُه ... وحَدَّاهُ إنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

فقال أبو الطيب[٥]:

أَنْتَ طَوْراً أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ السُّـ ... ـمِّ وطَوْراً أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ

وهو بيت لبيد لفظاً ومعنى، وقد قَصَّرَ عنه؛ لأن لَبيداً فصّل الحالين بين الأعداء والأدنين، وأجمل أبو الطيب القول، ثم أعاده فأخفاه وأجاد فقال[٦]:

مُتَفرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى ... فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ والضَّرَّاءُ[٧]

وكأَنَّهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتُه ... مُتَمَثِّلاً لِوُفُودِهِ ما شَاؤُوا

۞۞۞

البحتري[٨]:

وإذاً ما تَنَكَّرتْ لِي بِلَادٌ ... أَوْ صَدِيقٌ[٩] فإنَّنِي بالخِيَارِ

وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين، وقد جمع هذا البيت طرافة. وقال ابن المعذّل فأحسن وأوجز؛ لكنه اقتصر على البَلَد[١٠]:

إذَا وَطَنٌ رَابَنِي ... فكُلُّ بلادٍ وَطَنْ

وقد أجاد البحتري في قوله[١١]:

فالأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ والنَّاسُ مِنْ رَجُلِ

---

(١) التبيان (٣: ٢٠١). (٢) التبيان (٣: ٢٠١).
(٣) ديوانه ص ٦٠، التبيان (٣: ٢٠١). (٤) التبيان (٣: ٢٠١).
(٥) ديوانه (٣: ٢٠١). (٦) ديوانه (١: ٢٥).
(٧) يريد أنه إنسان واحد؛ قواه مجتمعة غير متفرقة، وفيه حلاوة لأوليائه، ومرارة لأعدائه.
(٨) ديوانه (٢: ٢٤)، التبيان (٢: ٢١٢).
(٩) في الديوان: «أو خليل». (١٠) التبيان (٣: ٢١٢).
(١١) ديوانه (٢: ١٧٧)، التبيان (٣: ٢١٢)؛ وصدره:
ولا تقل أمم شتى ولا فرق

وقال أبو الطيب[1] واحتذى مثالَ البحتري وأجاد، وللبحتري الفضل:

إذَا صَديقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعْيِني فِي فِرَاقِهِ الْحِيَلُ
فِي سَعَةِ الخافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ وفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ

۞ ۞ ۞

البحتري[2]:

إذَا شِئْتَ ألَّا تَعْذِلَ الدَّهْرَ عَاشِقاً على كَمَدٍ من لَوْعَةِ البَيْنِ فاعْشَقِ

أبو الطَّيب[3]:

لا تَعْذِلِ المُشتَاق في أَشْوَاقِهِ حتَّى يَكُونَ حَشَاكَ من أَحْشَائِهِ

۞ ۞ ۞

أوْس - مِنْ مرثيَّة[4]:

أبا دُلَيْجَةَ مَنْ تُوصِي بِأَرْمَلَةٍ أمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي هِدْمَيْنِ مِمْحَال[5]

أبو الطيب[6] في مثله:

وَمَنِ اتَّخَذْتَ على الضُّيوفِ خَلِيفَةً؟ ضَاعُوا ومِثْلُكَ لا يَكَادُ يُضَيِّعُ

فزاد المصراع الثاني زيادة صالحة.

۞ ۞ ۞

أوْس:

وَأَفْضَلْتَ في كلِّ شيءٍ فما تناول سعيُك مِنْ طَالِب

أبو نُوَاس:

كأنَّما أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

أبو الطيب[7]:

يُدِلُّ بمَعْنًى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وقَدْ جَمَعَ الرَّحْمٰنُ فِيكَ المَعَانِيَا

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه (٣: ٢١١).
(٢) ديوانه (٢: ١٢٣)، التبيان (٣: ٢١٢).
(٣) ديوانه (١: ٦).
(٤) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ص٣٤٢.
(٥) الأشعث: المتغير اللون من الجوع والهزال. الهدم: الثوب الخلق. والممحال: المجدب المحتاج.
(٦) ديوانه (٢: ٢٧٥).
(٧) ديوانه (٤: ٢٨٩).

بعضهم[١]:

إذا أَسْلَفَتْهُنَّ المَلَاحِمُ مغنماً دعاهنَّ مِنْ كَسْبِ المكارِمِ مَغْرَمُ

أبو تمام[٢]:

إذَا ما أَغارو واحْتَوَوْا مال معشر أَغَارَتْ عليهِمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

أبو الطيب[٣]:

فالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مَالِهِ بِنَوَالِهِ ما تَجْبُرُ الهَيْجَاءُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٤]:

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا في فَضْل سُؤْدُدِه في الدِّينِ لم يَخْتَلِف في المِلَّةِ اثْنَانِ

البحتري[٥]:

أرَى النَاسَ مُجْمِعِينَ عَلَى فَضْـ ـلِكَ من بَيْنِ سَيِّدٍ ومَسودِ

أبو الطيب[٦]:

جَرَى الخُلْفُ إلَّا فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ وأَنَّكَ لَيْثٌ والملوكُ ذِئَابُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٧]:

فتًى لا يَرَى أَنَّ الفريصةَ[٨] مَقْتَلٌ وَلكِنْ يَرى أنَّ العُيُوبَ المَقَاتِلُ

أبو الطيب[٩]:

يرى أنّ مَا مَا بانَ منك لِضَارِبٍ بأقْتَلَ مِمّا بانَ مِنْكَ لِعَائِبِ[١٠]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[١١]:

ولولا خِلالٌ سنَّها الشِّعْرُ ما دَرَى بغاةُ العُلَا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي المَكَارِمُ

---

(١) التبيان (١ : ٢٤).
(٢) التبيان (١ : ٢٥).
(٣) ديوانه (١ : ٢٥).
(٤) ديوانه ص٣٢٤.
(٥) ديوانه ص٢٨٨، التبيان (١ : ١٩٩).
(٦) ديوانه (١ : ١٩٩).
(٧) ديوانه ص٢٥٨، التبيان (١ : ١٥٨).
(٨) الفريصة: ودج العنق.
(٩) ديوانه (١ : ١٥٨).
(١٠) قال ابن القطاع: ما الأولى بمعنى ليس، والثانية بمعنى الذي. قال العكبري: «يريد أنه ما الذي بان منك لضارب بأقتل من الذي لعائب يعيبك»؛ يريد أن العيب أشد من القتل.
(١١) ديوانه ص٢٨٧.

أبو الطيب[١]:

وعَلَّمُوا الناسَ مِنْكَ المَجْدَ وَاقْتَدَرُوا   على دَقِيقِ المَعَانِي من مَعَانِيكا

والمصراع الثاني من قول أبي تمام[٢]:

تُغرى العيونُ به فَيُفْلِقُ شاعر   في نعته وصْفاً وليس بِمُفْلق

ونحوه، وهو كالمحتوي على معنى البيتين قول أبي العتاهية:

شِيَمٌ فَتَّحَتْ مِنَ المَجْدِ مَا قَدْ   كَانَ مُسْتَغْلِقاً عَلَى المُدَّاحِ

وقول ابن أبي فَنَن[٣]:

يُعَلِّمُنَا الفَتْحُ المَدِيحَ بجُودِهِ   ويُحْسِنُ حتى يُحْسِنَ القَوْلَ قَائِلُه

ومثله لأبي الطيب[٤]:

أَحْيَيْتَ لِلشُّعَرَاءِ الشِّعْرَ فَامْتَدَحُوا   جَمِيعَ من مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَا

❁ ❁ ❁

علي بن جَبَلة:

يَأْسُو الَّذِي يَجْرَحُ أَعْدَاؤُه   ومَا لِمَا يَجْرَحُهُ آسِ

أشجع[٥]:

فما يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّهُ   ولا يَضَعُ النَّاسُ مَنْ يَرْفَعُ

أبو تمام[٦]:

فإنْ أفسَدْتَ شيئاً فليس بصالحٍ   وإن أصْلَحْتَ شيئاً فليس بفاسدِ

أبو الطيب[٧]:

فلا تَرتُقِ الأيامُ ما أنتَ فاتقٌ   ولا تَفْتُقُ الأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِق

❁ ❁ ❁

أبو تمام في القلم[٨]:

أَحَدُّ اللَّفْظِ يَنْطِق عَنْ سِوَاهُ   فَيُفْهِمُ وهْوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعِ

أبو الطيب في مثله[٩]:

ويُفْهِمُ عمَّنْ قَالَ ما لَيْسَ يَسْمَعُ

---

(١) ديوانه (٢: ٣٧٨).
(٢) ديوانه ص٢١٢.
(٣) التبيان (٢: ٣٧٨).
(٤) ديوانه (٢: ٣٧٨).
(٥) التبيان (٢: ٣٤٩).
(٦) التبيان (٢: ٢٤٩)، مهذب الأغاني (٨: ٢٢٥).
(٧) ديوانه (٢: ٣٤٩).
(٨) ديوانه (٢: ٢٤٤).
(٩) ديوانه (٢: ٢٤٤)، وصدره:

يمج ظلاماً في نهار لسانه

أبو العتاهية[١]:

إنَّ المطايا تَشْتَكِيكَ لأنَّها ... قَطَعَتْ إلَيْكَ سَبَاسِباً ورِمَالَا

أبو الطيب[٢]:

قُصِدْتَ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبهَا ... حتى اشْتَكَتْكَ الرِّكابُ والسُّبُلُ

فزاد السبل.

۞ ۞ ۞

وقال جرير[٣]:

إنْ كانَ شَأْنُكُمُ الدَّلالَ فإنَّه ... حَسَنٌ دَلَالُكِ يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ

أبو الطّيب[٤]:

وأَرَى تَدَلُّلَكَ الْكَثِيرَ مُحَبَّباً ... وأَرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولَا

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

لو سَعَتْ بُقْعَةٌ لإعْظَامِ أُخْرَى ... لَسَعَى نَحْوَهَا المَكَانُ الجَدِيبُ

البحتري[٦]:

ولَوْ أنَّ مُشْتَاقاً تَكَلَّفَ فَوقَ مَا ... فِي وُسْعِه لَسَعَى إلَيْكَ المِنْبَرُ

أبو الطَّيِّب[٧]:

تحاسَدَتِ البُلْدَانُ حتى لَو أنَّهَا ... نُفوسٌ لسارَ الشَّرقُ والغَرْبُ نَحْوَكا

۞ ۞ ۞

لبعض العرب، ويُنْسَبُ إلى المَجْنون[٨]:

ولا شوق حتَّى يَلْصَقَ الْجِلْدُ بالحَشَا ... وتَضْمُتَ حتَّى لا تُجيبَ المُنَادِيَا

وقال قَيس بن ذَريح[٩]:

ومَا هُوَ إلَّا أنْ أرَاهَا فُجَاءَةً ... فَأُبْهَتَ حَتى مَا أكَادُ أُجِيبُ

---

(١) التبيان (٣: ٢١٧).
(٢) ديوانه (٣: ٢١٧).
(٣) ديوانه ص٤٧٢.
(٤) ديوانه (٣: ٢٣٢).
(٥) التبيان (٢: ٣٨٢).
(٦) ديوانه (٢: ٢١٢)، التبيان (٢: ٣٨٢).
(٧) ديوانه (٢: ٣٨٢).
(٨) التبيان (٤: ١٩٥)، ديوان المجنون ص١٦٨ ورواية الديوان:
فقلت شفاء الحب أن تلصق الحشا ... بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليا
(٩) التبيان (٤: ١٩٥).

أبو الطيب[(١)]:

الـحُـبُّ مَـا مَـنَـعَ الْـكَـلَامَ الأَلْـسُـنَـا ... وأَلَـذُّ شَـكْـوَى عَـاشِـقٍ مَـا أَعْـلَـنَـا

فأمّا المصراع الثاني فمن قول أبي نواس[(٢)]:

ولَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

❁ ❁ ❁

بعضهم:

الـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ أنـي لـسـتُ أذكـره ... وكـيـفَ يَـذْكُـرُهُ مَـنْ لـيـس يَـنْـسَـاهُ

نقله أبو الطيب فقال[(٣)]:

نـيـطَـتْ حَـمَـائِـلُـه بـعَـاتِـقِ مِـحْـرَبٍ ... مَـا كَرَّ قَـطُّ وهَـلْ يَـكُـرُّ ومَـا انْـثَـنَى[(٤)]

❁ ❁ ❁

بعضهم[(٥)]:

وإذا جَـهِـلْـتَ مِـنِ امْـرِئٍ أَعْـرَاقَـهُ ... وَأُصُـولَـهُ فـانْـظُـرْ إِلَـى مـا يَـصْـنَـعُ

أبو تمام[(٦)]:

فُـــرُوعٌ لَا تَــرِفُ عَـــلَـــيْـــكَ إِلَّا ... شَـهِـدْتَ لَـهَـا عـلـى طِـيـبِ الأُرُومِ[(٧)]

أبو الطيب[(٨)]:

أَفْـعَـالُـه نَـسَـبٌ لَـوْ لَـمْ يَـقُـلْ مَـعَـهـا ... جَدِّي الخَصِيبُ عَرَفْنَا العِرْقَ بالْغُصْنِ

❁ ❁ ❁

أبو تمام[(٩)]:

أَغَـارُ مِـنَ الْـقَـمِـيـصِ إِذَا عَـلَاهُ ... مَـخَـافَـةَ أَنْ يُـلَامِـسَـهُ الْـقَـمِـيـصُ

الخُبْزَأَرْزِي[(١٠)]:

مِـنْ لُـطْـفِ إِشْـفَـاقِـي وَدِقَّـةِ غَـيْـرَتِـي ... أَنِّـي أَغَـارُ عَـلَـيْـكَ مِـنْ مَـلَـكَـيْـكـا

---

(١) ديوانه (٤: ١٩٥).

(٢) ديوانه ص٢٧٣، التبيان (٤: ١٩٥)، وصدره:

فـبـح بـاسـم مـن أهـوى ودعـني مـن الـكـنـى

(٣) ديوانه (٤: ١٩٩).

(٤) نيطت: علقت. والعانق: أصل العنق من الإنسان. والمحرب: صاحب الحرب الممارس لها. والكر: خلاف الفر، وما انثنى؛ أي عما يريد.

(٥) التبيان (٤: ٢١٦).

(٦) ديوانه ص٢٨٩؛ التبيان (٤: ٢١٦).

(٧) الأروم: الأصول.

(٨) التبيان (٤: ٢١٦).

(٩) التبيان (٤: ١٩٤).

(١٠) التبيان (٤: ١٩٣).

ولو اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لَفْظَكَ غَيْرَةً ... أَنّـي أَرَاهُ مُـقَـبِّـلاً شَـفَـتَـيْـكَـا

أبو الطيب[١]:

أَغَـارُ مِـنَ الـزُّجَاجَـةِ وهْـيَ تَـجْـرِي ... عـلـى شَـفَـةِ الأمِـيـرِ أَبِـي الـحُـسَـيْـنِ

فأساء؛ لأن هذه الغيرة إنما تكون بين المُحِبِّ ومحبوبه؛ فأمّا الأمراءُ والملوك فلا يُغارُ على شِفَاهِهما.

❁ ❁ ❁

أبو تمام[٢]:

قَـوْمٌ إِذَا اسْـوَدَّ الـزَّمَـانُ تَـوَضَّـحُـوا ... فِـيـهِ وغُـودِرَ وَهْـوَ مِـنْـهُـمْ أَبْـلَـقُ

أبو الطيب[٣]:

أَفَـاعِـيـلُ الْـوَرَى مِـنْ قَـبْـلُ دُهْـمٌ ... وفِـعْـلُـكَ فِـي فِـعَـالِـهِـمُ شِـيَـاتُ[٤]

❁ ❁ ❁

أبو تمام[٥]:

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلاً يَوْمَ الْوَغَى لغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ[٦]

أبو الطيب[٧]:

الـجَـيْـشُ جَـيْـشُـكَ غَـيْـرَ أَنَّـكَ جَـيْـشُـهُ ... فِـي قَـلْـبِـهِ[٨] وَيَـمِـيـنِـهِ وشِـمَـالِـهِ

❁ ❁ ❁

أبو تمام[٩]:

وكَـأَنَّ الأَنَـامِـلَ اعْـتَـصَـرَتْـهَـا ... بَـعْـدَ كَـدٍّ مِـنْ مَـاءِ وَجْـهِ الْـبَـخِـيـلِ

أبو الطيب[١٠]:

وعُـمْـرٌ مِـثْـلُ مـا يَـهَـبُ الـلِّـئَـامُ[١١]

❁ ❁ ❁

(١) ديوانه (٤: ١٩٣).
(٢) التبيان (١: ٢٢٤).
(٣) ديوانه (١: ٢٢٤).
(٤) الشية في الألوان: ما خالف معظمه.
(٥) ديوانه ص٩؛ التبيان (٣: ٦٤).
(٦) لجب: أي ذو لجب.
(٧) ديوانه (٣: ٦٤).
(٨) يريد بالقلب قلب الجيش.
(٩) التبيان (٤: ٦٩).
(١٠) ديوانه (٤: ٦٩).
(١١) صدره:

فـؤاد مـا تُـسَـلِّـيـه الـمُـدامُ

أبو تمام[١]:

إِلَيْكَ تجرَّعْنَا دُجَى كحِدَاقِنَا

أبو الطيب[٢]:

لَقَى لَيْلٍ كَعَيْنِ الظَّبْيِ لَوْناً وَهَمٌّ كالحُميَّا فِي المُشَاشِ[٣]

وأما المصراع الثاني فكثير؛ منه قول الأُبَيْرد[٤]:

عَسَاكِرُ تَغْشَى النَّفسَ حتَّى كأَنَّنِي أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِه الخَمْرُ

۞ ۞ ۞

الناشئ الأكبر[٥]:

ولو لم يَبُحْ بالشُّكْرِ لَفْظِي لخبَّرَتْ يميني بما أَوْلَيْتَنِي وشِمالِيَا

أبو الطيب[٦]:

أَقَرَّ جِلْدِي بها[٧] عَلَيَّ فَمَا أَقْدِرُ حَتَّى المماتِ أَجْحَدُهَا

وأصله من قول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ الآية [فصلت: ٢١]. وهو كثير للمتقدمين ومن بعدهم.

۞ ۞ ۞

مُسْلِم[٨]:

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الحَرْبِ مُبْتَسِماً إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ البَطَلِ

أبو الطيب[٩]:

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمةً ووجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِمُ

وله[١٠]:

بكُلِّ أَشْعَثَ[١١] يَلْقَى المَوْتَ مُبْتَسِماً حَتَّى كأَنَّ لَهُ في قَتْلِهِ أَرَبَا

۞ ۞ ۞

---

(١) التبيان (٢: ٢٠٧). (٢) ديوانه (٢: ٢٠٧).

(٣) اللقى: الشيء الملقى؛ وعين الظبي يضرب بها المثل في السواد. والحميا: من أسماء الخمر. والمشاش: رؤوس العظام النخرة.

(٤) التبيان (٢: ٢٠٧). (٥) التبيان (١: ٣١٢).

(٦) ديوانه (١: ٣١٢).

(٧) الضمير يعود على المكرمات في البيت قبله:

ومكرمات مشت على قدم البـ ـر إلى منزلي ترددها

(٨) ديوانه ص٥٩. (٩) ديوانه (٤: ٣٨٧).

(١٠) ديوانه (١: ١٢١)، (١١) الأشعث: المتغير من طول السفر والحروب.

دِعْبِل:

وقد علمتُ وما أصبحتُ مرتيبا … أن التي أدركتني حِرْفَةُ الأَدَبِ

الحمدوني[١]:

إن المُقَدَّمَ في حِذْقٍ بصَنْعَتِهِ … أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهْوَ مَحْرُومُ

أبو الطيب[٢]:

وما الجمْعُ بَيْنَ المَاءِ والنَّارِ في يَدِي … بأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الجَدَّ والفَهْمَا

فزاد وأكّد.

۞ ۞ ۞

البحتري[٣]:

وإِذَا تألَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلامُه الـ … ـمَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

أبو الطيب[٤]:

كأَنَّ أَلسُنَهُم فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ … عَلَى رِمَاحِهِم فِي الطَّعْنِ خُرْصَانَا[٥]

۞ ۞ ۞

أوْس بن حَجَر[٦]:

وإنّا وجَدْنا الحِلم أَنفَسَ سَاعَةً … إلى الصَّوْنِ من رَيْط يَمانٍ مُسَهَّمِ[٧]

فقد تداوله الشعراء فأكثروا؛ فقال سالم بن وَابصَة[٨]:

إنَّ مِنَ الحِلْمِ ذُلاً أَنْتَ عَارِفُهُ … والْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ

وقال الخُرَيْمِيّ ففصّل مَعْنَيَيْه، وتبع سالماً[٩]:

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ المَوَاطِنِ ذِلَّةً … وفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ صَاحِبَه

أبو الطيب[١٠]:

إذا قِيلَ مَهْلاً قَال لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ … وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

---

(١) التبيان (٤: ١٠٨). (٢) ديوانه (٤: ١٠٨).

(٣) ديوانه (١: ٦٨)، التبيان (٤: ٢٢٨) (٤) ديوانه (٤: ٢٢٨).

(٥) الخرصان: جمع خرص، ويريد هنا السنان.

(٦) لسان العرب ـ مادة سهم، وروايته فيه:

فإنا رأينا العرض أحوج ساعة

(٧) الريط: جمع ريطة، وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد، والمسهم: البرد المخطط.

(٨) التبيان (٣: ١٨٧). (٩) التبيان (٣: ١٨٧)

(١٠) ديوانه (٣: ١٨٧).

ونحوه له[1]:

فَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بالعُلَا مُضِرٌ كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى

وله في مثله[2]:

إنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بي كَرَمٌ وَلَا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بي جُبُنُ

وله في معنى قول الخُرَيْمِيّ[3]:

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارِ حُجَّةٌ لَاجِئٌ إِلَيْهَا اللِّئَامُ

فبيَّنَ العلة، ونحوه له[4]:

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَه إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرْقُ المَظَالِمِ

❁ ❁ ❁

امرؤ القيس[5]:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وجدتُ بها طِيباً وإن لَمْ تَطَيَّبِ

فأخذه الناس بعده وأكثروا فيه.

أبو الطيب[6]:

أَتَتْ زَائِراً[7] ما خَامَرَ الطِّيبُ ثَوْبَهَا وكالْمِسْكِ مِنْ أَرْدَانِهَا يَتَضَوَّعُ

❁ ❁ ❁

أبو نُواس[8]:

سُنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكِنِ

بعض المحدثين:

كُنْ إذا أَحْبَبْتَ عَبْداً لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعَا

أبو الطيب[9]:

تَذَلَّلْ لها واخْضَعْ على الْقُرْبِ والنَّوَى فما عَاشِقٌ مَنْ لا يَذِلُّ ويَخْضَعُ

❁ ❁ ❁

بشّار[10]:

خَلَقْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُومِهَا سُيُوفاً ونَقْعاً يَقْبِضُ الطَّرْفَ أَقْتَمَا

---

(١) ديوانه (١: ٢٨٨).
(٢) ديوانه (٤: ٢٣٧).
(٣) ديوانه (٤: ٩٣).
(٤) ديوانه (٤: ١١٢).
(٥) ديوانه ص٧٣.
(٦) زائراً: نعت لمحذوف؛ أي أتت خيالاً زائراً؛ وذكره لأنه أراد الطيف.
(٧) التبيان (٢: ٢٣٨).
(٨) التبيان (٢: ٢٣٨).
(٩) ديوانه (٢: ٢٣٨).
(١٠) التبيان (١: ١٠٧).

ومثله لبشّار[١]:

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ[٢] فوقَ رُؤُوسِنا وأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَواكِبُه

بعضهم[٣]:

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سماءً فَوْقَنَا جَعَلَتْ أَسِنَّتَنَا نجومَ سَمَائِهَا

أبو الطيب[٤]:

يَزُورُ الأَعَادِي في سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسِنَّتُهَا في جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ

۞ ۞ ۞

البحتري[٥]:

مُلُوكٌ يَعُدُّونَ الرماحَ مَخَاصِراً[٦] إِذَا زَعْزَعُوهَا والدُّرُوعَ غَلَائلا

ثم أعاده[٧] فقال:

مُتَعَوِّداً لُبْسَ الدُّرُوعِ يَخَالُهَا فِي البَرْدِ خَزًّا والهَوَاجِرِ لَاذَا[٨]

ففصّل ما أجمل البحتري في قوله: «والدروع غلائلا»، وقصر في اللفظ، وسلم للبحتري بقية بيته، وحسن لفظه.

۞ ۞ ۞

أمية[٩] - ويروى لغيره:

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لامْرِئٍ إِنْ أَصَبْتَه[١٠] بخَيْرٍ وما كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ

وَلَيْسَ بِعَارٍ لامْرِئٍ بَذْلُ وَجْهِهِ إِلَيْكَ كَمَا بَعْضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

فتبعه فيه الشعراء وأكثروا.

وقال أبو الطيب فسفسف[١١]:

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وقَبْضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامُ[١٢]

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه ص١٠١، التبيان (١: ١٠٧). (٢) النقع: الغبار.
(٣) التبيان (١: ١٠٧). (٤) ديوانه (١: ١٠٧).
(٥) ديوانه (٢: ٢١٢).
(٦) المخاصر: جمع مخصرة، وهو ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه.
(٧) الضمير يعود على أبي الطيب. ديوانه (٢: ٨٥).
(٨) اللاذ: ثوب رقيق يعمل من الكتان يلاذ به من الحر.
(٩) هو أمية بن أبي الصلت. شعراء النصرانية ص٢٢١، التبيان (٤: ٧٥).
(١٠) في شعراء النصرانية: «حبوته». (١١) ديوانه (٤: ٧٥).
(١٢) الذام: المذمة والعيب.

أبو تمام[١]:

وَقَفْتُ وَأَحْشَائِي مَنَازِلُ لِلأَسى ... بِهِ وَهْوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهْ

أبو الطيب[٢]:

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ ... أَقْفَرْتِ أَنْتِ وهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ

۞ ۞ ۞

أبو نواس:

قَالَتْ لقد أَبْعَدَ المَسْرَى فقلت لها ... مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لم يستبعد الدَّارَا

نقله أبو تمام فقال[٣]:

هيهات لم يعلمْ بأنك لو ثَوَى ... بالصين لَمْ تَبعد عليك الصين

ابن النَّاصر:

مَنْ لم يُزَرْ زِيرَ إنَّ الشوق راحِلَةٌ ... تُدْنِي البعيدَ وتَطْوي السَّبْسَبَ العافي

العباس[٤]:

يُقَرِّب الشَّوْقُ داراً وهِيَ نازحةٌ ... مَنْ عالج الشوق لم يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

وأصله قول الأعرابي:

بَعِيدٌ على كسلَان أو ذِي مَلالةٍ ... فأمّا على ذي حاجةٍ فقريبُ

أبو الطيب[٥]:

نَضَحْتُ[٦] بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا ... فَسَارَتْ وطولُ الأرضِ في عَيْنِهَا شِبْرُ

وله[٧]:

يَرمي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظَفَّرٌ ... كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانِي

وله[٨]:

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوفَةٌ ... دونَ اللِّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ[٩]

۞ ۞ ۞

مسلم[١٠]:

بارَزْتُهُ وسِلَاحُه خَلْخَالُهُ ... حتَّى فَضَضْتُ بكَفِّيَ الْخَلْخَالَا[١١]

---

(١) ديوانه ص٢٢٩.

(٢) ديوانه (٣: ٢٤٩).

(٣) ديوانه ص٣٢٨.

(٤) خاص الخاص للثعالبي ص٩٣.

(٥) ديوانه (٢: ١٢٤).

(٦) نضحت الشيء بالماء: رششته عليه.

(٧) ديوانه (٤: ١٧٧).

(٨) ديوانه (٢: ٨٨).

(٩) التنوفة: الفلاة البعيدة. ويشط: يبعد.

(١٠) التبيان (٣: ٢٥٢).

(١١) الخلخال: مايكون من ذهب أو فضة في الساق.

أبو الطيب[١]:

مِنْ طَاعِنِي ثُغَرَ الرِّجَالِ جَآذِرٌ ... ومِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ وخَلَاخِلُ[٢]

والغرض غير الأول؛ لكنهما جعلا الْخَلْخَال سلاحاً.

❁ ❁ ❁

أبو تمام[٣]:

ويَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ[٤] ... كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِن أُنسِهَا جُمَعُ

أبو الطيب[٥]:

لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى ... كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ

فزاد وأحسن؛ على أن أبا تمام لم يقصّر.

❁ ❁ ❁

بعض العرب[٦]:

إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وأَنْتَ أَمَامَنَا ... كَفَى لِمَطَايَانَا بِرَيَّاكَ هَادِيَا

نقله أبو العتاهية إلى المدح فقال[٧]:

ولو أَنَّ رَكْباً يَمَّمُوكَ لَقَادَهُمْ ... نَسِيمُكَ حتَّى يَسْتَدِلَّ به الرَّكْبُ

وتبعه أبو الطيب فقال[٨]:

أَدِلَّتُهَا رِيَاحُ المِسْكِ فيه ... إذا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا انْتِشَاقَا

❁ ❁ ❁

الخنساء[٩]:

وَمَا بَلَغَ المُهْدُون نَحْوَكَ مِدْحَةً ... وإنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فيكَ أَفْضَلُ

أبو نواس[١٠]:

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ ... فأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

---

(١) ديوانه (٣: ٢٥٢).

(٢) الثغرة: نقرة النحر بين الترقوتين. والجؤذر: ولد البقرة الوحشية. والدملج: ما يكون على العضد. قال أبو الفتح: «نساء مثل الجآذر بحليهن؛ يفعلن ما يفعل الطاعن بالرمح».

(٣) ديوانه ص٣٧٢، التبيان (٤: ٨٠).

(٤) الغطارفة: السادات، وفي الديوان:
كأن أيامهم من حسنها جمع

(٥) ديوانه (٤: ٨٠).

(٦) التبيان (٢: ٢٩٧)، ونسبه إلى سحيم.

(٧) التبيان (٢: ٢٩٧).

(٨) ديوانه (٢: ٢٩٧).

(٩) التبيان (٢: ٢٢٧).

(١٠) ديوانه ص٦٦، التبيان (٢: ٢٨٨).

أشجع:

وَمَا تركَ المُدَّاحُ فيك مقالةً ولا قال إلا دون ما فيك قائلُ

أبو الطّيب[1]:

ويَبْقَى ضِعْفُ ما قَدْ قِيلَ فِيهِ إذَا لَمْ يَتَّرِكْ أَحَدٌ مَقَالَا[2]

۞ ۞ ۞

إياس الكِلَابيّ:

فَإِنْ تَكُ في عديدِكُمُ قَليلُ فإنّا في عَدُوِّكُمُ كَثيرُ

أبو الطيب[3]:

كَثيرٍ إذا شَدُّوا قَليلٍ إذا عُدُّوا[4]

۞ ۞ ۞

خالد الكاتب[5]:

صَبًّا كَئيباً يَتَشَكَّى الْهَوَى كما اشْتَكَى نِصْفُكَ مِنْ نِصْفِكا

أبو الطيب[6]:

ظَلُومٌ كَمَتْنَيْهَا لِصَبٍّ كَخَصْرِهَا ضَعِيفُ الْقُوَى مِنْ فِعْلِها يَتَظَلَّمُ

فأما المصراع الثاني فمشهور متداول.

۞ ۞ ۞

عبد اللّه بن الحسن العَلَوي، وهو متداول[7]:

يُحْسَبْنَ من لِين الْكَلَامِ زَوَانِياً ويَصُدُّهُنَّ عن الخَنَا الإسْلَامُ

أبو الطيب[8]:

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فيما تَحْتَ حُلَّتِها وعَزَّ ذلِكَ مَطْلُوباً إذَا طُلِبَا

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٣: ٢٢٧).

(٢) يقول: إذا بالغ الناس في مدحه، ولم يتركوا مقالاً يصلون إليه؛ فقد خفي عنهم ضعف ما فيه من المحاسن التي لم يهتد إليه الواصفون.

(٣) ديوانه ص٣٧٣.

(٤) صدره: ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا

(٥) التبيان (٤: ٨٢)، ورواه: كما اشتكى خصرك من ردفكا

(٦) ديوانه (٤: ٨٢). (٧) التبيان (١: ١١١).

(٨) ديوانه (١: ١١١).

بشار[١]:

وقد عركت بتَدْمُر[٢] خيلُ قيس وكان لتدمُرٍ فيها دَمَار

أبو الطيب[٣]:

ولَيْسَ بغيرِ تَدْمُرَ مُسْتَغَاثٌ وتَدمُرُ كاسْمِها لَهُمْ دَمَارُ

۞ ۞ ۞

أبو العتاهية[٤]:

فَمَا آفةُ الآجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَغَى وَلَا آفَةُ الأَمْوَالِ غَيْرُ حِبَائِكا

أبو الطيب[٥]:

وَلَا مَوْتَ إلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلَا رِزْقَ إلَّا مِنْ يَمينِكَ يُقْسَمُ

۞ ۞ ۞

أبو العتاهية[٦]:

بَدَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الخُطَى تُجَاهِدُ بالمَشْي أَكْفَالَهَا

أبو الطيب[٧]:

بَانُوا بخُرْعُوبَةٍ[٨] لَهَا كَفَلٌ يَكادُ عِنْدَ القِيَامِ يُقْعِدُها[٩]

۞ ۞ ۞

أبو نواس[١٠]:

ألا يابْنَ الذين فَنُوا وبادوا أما واللّه ما بادوا لتبقى

---

(١) ديوانه ص٦٥. (٢) تدمر: موضع بالشام.

(٣) ديوانه (٢: ١٠٦).

(٤) التبيان (١: ٣٦١).

(٥) ديوانه (٣: ٣٦١).

(٦) مهذب الأغاني (٥: ٤٦)، ورواه:

مشت بين حور قصار الخطا تجاذب في المشي أكفالها

(٧) ديوانه (١: ٢٩٧).

(٨) الخرعوبة: الغصن الغض.

(٩) قال العكبري في التبيان: هو منقول من قول أبي دلامة:

وقد حاولت نحوي القيام لحاجة فأثقلها عن ذلك الكفل النهد

وأصله لعمر بن أبي ربيعة المخزومي:

تنوء بأخراها فتأبى قيامها وتمشي الهوينى عن قريب فتبهر

(١٠) ديوانه ص١٩٨.

أبو الطيب[1]:

نَحْنُ بَنُو المَوْتَى فما بالُنَا نَعَافُ ما لا بدَّ من شُرْبِهِ

وأصله لِمُتمِّم بن نويرَة[2]:

فَعَدَدْتُ آبائي إلى عِرْقِ الثَّرَى فَدَعَوْتُهُمْ فعلمتُ أَنْ لَمْ يَسْمَعُوا

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا مَحَالَة أنَّنِي لِلْحَادِثَاتِ فَهَلْ تَرَيْنِي أَجْزَعُ

❁ ❁ ❁

بعض العرب:

وإنما القَرْمُ من الأَفِيلِ وسُحُقُ النَّخْلِ من الفَسِيلِ[3]

أبو الطيب[4]:

فَأَوَّلُ قُرَّحِ الخَيْلِ المِهَارُ[5]

❁ ❁ ❁

أبو نُوَاس[6]:

تَبْكِي فَتُذْرِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَّابِ

ابن الرُّومي[7]:

كأنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدًى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدِ

أبو الطيب[8]:

وتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بالْعَنَمِ[9]

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوانه (١: ٢١١). (٢) المفضليات (١: ٥٢).

(٣) القرم: الفحل من الإبل الذي يترك من الركوب والعمل. والأفيل: الفصيل وسحق جمع سحوق؛ وهي النخلة الطويلة. والفسيل: جمع فسيلة؛ وهي الصغيرة من النخل.

(٤) ديوانه (٢: ١١٢).

(٥) صدره:

لعل بنيهم لبنيك جند

والقرح: التي قد استوت وصار لها خمس سنين، والمهار جمع مهر، وهو الصغير من الخيل.

(٦) ديوانه ص٣٦١.

(٧) ديوانه ص٤٣١.

(٨) ديوانه (٤: ٣٧).

(٩) صدره:

ترنو إلي بعين الظبي مجهشة

مجهشة: قد تحير وجهها للبكاء ولم تبك. وترنو: تنظر. والعنم: نبت في الرمل أحمر.

أبو نواس[١]:

فَهيَ إذا سُمِّيَتْ فقد وُصِفَتْ[٢] فيَجْمَعُ الإِسْمُ مَعْنَيَيْنِ مَعَا

فقلبه أبو الطيب فقال[٣]:

وَمَنْ يَصِفْكَ فَقَد سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ[٤]

۞ ۞ ۞

منصور النَّمَري[٥]:

مِنْ كلِّ سَمْحِ الخُطَى وكلِّ يَعْمَلةٍ خُرْطُومها باللُّغَامِ الجَعْدِ مُلْتَفِعُ[٦]

أبو الطيب[٧]:

وَهَلْ أَرْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتٍ[٨] مُحَلَّاةِ المَقَاوِدِ باللُّغَامِ

۞ ۞ ۞

الخُرَيْمِيّ[٩]:

شَفَعَتْ مَكارِمُه لَهُم فكَفتْهُمُ جُهْدَ السُّؤَالِ ولُطْفَ قَوْلِ المَادحِ

أبو تمام[١٠]:

طَوَى شِيماً كَانَتْ تَرُوحُ وتَغْتَدِي وسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عليهِ وَسَائِلُهْ

أبو الطيب[١١]:

إِذَا عَرَضَتْ حاجٌ إليه فَنَفْسُه إلى نَفْسِهِ فيها شَفِيعٌ مُشَفَّعُ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه ص٣٨٣.

(٢) في التبيان (١ ـ ٨٦): أنميت. والمثبت في الديوان أيضاً.

(٣) ديوانه (١: ٨٦).

(٤) صدره:

أجل قدرك أن تسمى مؤبنة

(٥) التبيان (٤: ١٤٧)، ورواه:

ويقطع اليد منها كل يعملة خرطومها باللغام الجعد ملتفع

(٦) اليعملة: الناقة السريعة. واللغام: الزبد يخرج من فم البعير.

(٧) ديوانه (٤: ١٤٧).

(٨) الراقصات: الإبل تسير الرقص؛ وهو نوع من السير.

(٩) التبيان (٢: ٢٤٣).

(١٠) ديوانه ص٣٧٨، التبيان (٢: ٢٤٣).

(١١) ديوانه (٢: ٢٤٣).

الخُرَيْمِيّ[(١)]:

صَبَرْتُ فَكانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَغَبَّةٍ وهَلْ جَزَعٌ أَجْدَى عَلَيَّ فَأَجْزَعُ!

أبو الطيب[(٢)]:

وَهَانَ فَمَا أُبَالِي بالرَّزَايَا لِأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي

۞ ۞ ۞

العباس[(٣)]:

لا تَحْسَبَنِّي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعُ

أبو الطيب[(٤)]:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

۞ ۞ ۞

أحمد بن طاهر:

وأبوهم أبو الصنائع عِنْدِي حين أعتدّ بالصنائع عندي

أبو الطيب[(٥)]:

فَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلِّلَةٍ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا

فأخذ الولادة وزاد فيه «ربيتها» وهو حسن.

۞ ۞ ۞

أبو تمام[(٦)]:

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

وهو كثير مشهور.

أبو الطيب[(٦)]:

نَصِيبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

۞ ۞ ۞

أبو طاهر[(٧)]:

خَلَائِقُكُم لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ تَنَاهى إليها كلُّ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ

---

(١) التبيان (٣: ١٠).

(٢) ديوانه (٣: ١٠).

(٣) التبيان (٣: ٢٢).

(٤) ديوانه (٣: ٢٢).

(٥) ديوانه (٢: ٣١١).

(٦) ديوانه (٣: ٩).

(٧) التبيان (١: ١٨٦).

نقله أبو الطيب فقال[١]:

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى المَكْرُمَاتُ وتُنْسَبُ

۞ ۞ ۞

أبو هفّان[٢]:

وَزَادَهَا عَجَباً أَنْ رُحْتُ في سَمَلٍ وما دَرَتْ دُرُّ أَنَّ الدُّرَّ فِي الصَّدَفِ

نقله أبو الطيب فقال[٣]:

لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنْقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ

۞ ۞ ۞

أبو العتاهية:

هب لي أمينَ اللّه من بَعْضِ ما مَلَّكَكَ الرَّحْمٰنُ مِنْ نَفْسِي

أبو الطيب[٤]:

فَاغْفِرْ فِدًى لَكَ واحْبُنِي مِنْ بَعْدِهَا لِتَخُصَّنِي بعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا[٥]

ونحوه[٦]:

لَهُ أَيَادٍ إِلَيَّ سَابِقَةٌ أُعَدُّ مِنْهَا ولَا أُعَدِّدُهَا

۞ ۞ ۞

البحتري وهو كثير مشهور[٧]:

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِي الهُمومَ وَتَبْعَثُ الشَّوْ قَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ في الأَحْشَاءِ

أبو الطيب[٨]:

رَأَيْتُ المُدَامَةَ غَلَّابَةً تُهَيِّجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ

۞ ۞ ۞

البحتري[٩]:

كُلُّ الَّذِي تَبْغِي الرِّجَالُ تُصِيبُهُ حَتَّى تُبَغِّي أَنْ تَرَى شَرْوَاهُ[١٠]

---

(١) ديوانه (١: ١٨٦).

(٢) التبيان (٢: ٢٨١).

(٣) ديوانه (٢: ٢٨١).

(٤) ديوانه (٤: ٢٠٤).

(٥) يقول: فاغفر لي ذنبي الذي جنيته، فدى لك نفسي وأهلي ومالي، وأعطني بعد عفوك عني عطية تكون نفسي منها؛ لأنك إذا عفوت عني وأعطيتني كنت قد خصصتني بعطية هي نفسي، لأنها قد سلمت بسلامتها منك، فهي الآن من عطيتك.

(٦) ديوانه (١: ٣٠٤).

(٧) ديوانه (١: ٤).

(٨) ديوانه (٢: ٣٥٠).

(٩) ديوانه (٢: ٣٢٣).

(١٠) الشروى: المثل.

وله مثله[١]:

ولَـئِـن طَـلَـبْـتُ شَـبـيـهَـهُ إنّـي إذاً ... لَـمُـكَـلِّـفٌ طَـلَـبَ الـمُـحَـالِ رِكـابـي

نقله أبو الطيب فقال[٢]:

وَمَـا عَـزَّهُ فِـيـهَـا مُـرَادٌ أَرَادَهُ ... وإِنْ عَـزَّ إِلَّا أَنْ يَـكُـونَ لَـهُ مِـثْـلُ

فزاد؛ لأنه بيّنَ وَجْهين من المدح: أحدُهما وصفُهُ بالاقتدار والتمكُّن من المراد، والثاني انْفرادُه بالفضل عن الأمثال، وقد قال مقتصراً على المعنى الأول[٣]:

أَمُـرِيـدَ مِـثْـلَ مُـحَـمَّـدٍ فـي عَـصْـرِهِ ... لا تَـبْـلُـنَـا بِـطِـلابِ مَـا لَا يُـلْـحَـقُ

۞ ۞ ۞

البحتري[٤]:

يَـتَـعَـثَّـرْنَ فـي الـنُّـحُـورِ وَفِـي الأَوْ ... جُـهِ شُـكْـراً لَـمَّـا شَـرِبْـنَ الـدِّمَـاءَ

أبو الطيب[٥]:

تَـمِـيـلُ كـأنَّ فـي الأَبْـطَـالِ خَـمْـراً ... عُـلِـلْـنَ بِـهَـا اصْـطِـبَـاحـاً واغْـتِـبَـاقـا

ثم نقله إلى الخيل فقال[٦]:

مـا زَالَ طِـرْفُـكَ يَـجْـرِي فـي دِمَـائِـهِـم ... حَتَّى مَشَى بِكَ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ[٧]

۞ ۞ ۞

ابن المعتز، وهو معنى مشهور، وهذا من مليح ما قيل فيه[٨]:

إنّـا عـلـى الـبِـعَـاد والـتَّـفَـرُّقِ ... لَـنَـلْـتَـقِـي بـالـذِّكْـرِ إنْ لَـمْ نَـلْـتَـقِ

أبو الطيب[٩]:

لـنـا ولأهْـلِـهِ أبـداً قُـلُـوبٌ ... تَـلَاقَـى فـي جُـسُـومٍ مـا تَـلَاقَـى

وله نحوه[١٠]:

قَـرُبَ الـمَـزَارُ ولَا مَـزَارَ وإنَّـمَـا ... يَـغْـدُو الـجَـنَـانُ فَـنَـلْـتَـقِـي ويَـرُوحُ

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه (١: ١٧).

(٢) ديوانه (٣: ١٨٩).

(٣) ديوانه (١: ٣٣٨).

(٤) ديوانه (١: ٣).

(٥) ديوانه (١: ٣٠١).

(٦) ديوانه (٣: ٤١).

(٧) الطرف: الفرس الكريم، والثمل: السكران.

(٨) التبيان (٢: ٢٩٤).

(٩) ديوانه (٢: ٢٩٤).

(١٠) ديوانه (١: ٢٤٥).

البحتري[1]:

وأَصْفَحُ لِلْبلَى عَنْ ضَوْءِ وَجْهٍ ... غَنِيتُ يَرُوعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

أبو الطيب[2]:

وَبَالٍ كَانَ يُفْكِرُ فِي الْهُزَالِ[3]

❁ ❁ ❁

أبو تمام[4]:

هُمْ رَهْطُ مَنْ أَمْسَى بعيداً رَهْطُه ... وبَنُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِ

أبو الطيب[5]:

إِذَا تَرَكَ الإِنْسَانُ أَهْلاً وَرَاءَهُ ... وَيَمَّمَ كافُوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ

وأصله قول الأول:

وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ في المَحْلِ أَنَّهُمُ ... لا يعلم الجارُ فيهم أنّه جارٌ

مثله:

ومَا زَالَ بي إِكْرَامُهم وافْتِقَادُهُمْ ... وإلطافهمْ حتى حَسِبْتُهُمُ أَهْلِي

❁ ❁ ❁

أبو تمام[6]:

فلَقبلُ أَظْهَرَ صَقْلُ سَيْفٍ أَثْرَه[7] ... فَبَدَا وهَذَّبَتِ النُّفُوسَ هُمُومُهَا

أبو الطيب[8]:

ويَبْقَى عَلَى مَرِّ الحَوَادِثِ صَبْرُهُ ... وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ

❁ ❁ ❁

أبو تمّام[9]:

لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وعَهِدْتُها ... لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الجَوَانِحِ والْقَلْبِ

أبو الطيب[10]:

فإِنْ تَكُ فِي قَبْرٍ فَإِنَّكَ فِي الحَشَا[11]

---

(١) ديوانه (١: ٢٥)، التبيان (٣: ١٩).

(٢) ديوانه (٣: ١٩).

(٣) صدره: ومغض كان لا يغضي لخطب

(٤) ديوانه ص١٤.

(٥) ديوانه (١: ١٨١).

(٦) ديوانه ص٣١٠.

(٧) أثر السيف: فرنده.

(٨) ديوانه (٣: ٤٧).

(٩) ديوانه ص٣٥٦.

(١٠) ديوانه (٣: ٤٤).

(١١) بقية البيت: وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل

أبو تمام[١]:

قَد قَلَّصَتْ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيظَتِهِ ... فَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّعْبِيسِ مُبْتَسِما

أبو الطيب[٢]:

إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بارِزَةً ... فلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ

❁ ❁ ❁

البَعِيث[٣]:

وَإِنَّا لَنُعْطِي المَشْرَفيَّةَ[٤] حَقَّهَا ... فَتَقْطَعُ في أيْمانِنَا وتَقَطَّعُ

أبو تمام[٥]:

وما كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَاقَى ضَرِيبةً ... فقَطَّعَها ثم انْثَنَى فَتَقَطَّعا

المتنبي[٦]:

وهَوْلٍ كَشَفْتَ ونَصْلٍ قَصَفْتَ ... وَرُمْحٍ تَرَكْتَ مُباداً مُبِيدا[٧]

ثم أعاده فقال[٨]:

فَتُسْفِرُ[٩] عنهُ والسُّيُوفُ كأنَّما ... مَضَارِبُهَا مِمَّا انْفَلَلْنَ ضَرَائِبُ[١٠]

ثم أعاد وزاد؛ إذ جعل الحديد مقتولاً فقال[١١]:

قَتَلْتَ نُفُوسَ العِدَا بالحدِيـ ... ـدِ حتى قَتَلْتَ بِهِنَّ الحَدِيدَا

وكأنه ألمَّ في استعارة القتل للحديد بقول أبي تمام[١٢]:

وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ ... منَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليهِ القَنَا[١٣] السُّمْرُ

ثم كرره وزاد إذْ جعله مقتولاً في جسم القتيل، وجعل للسيوف آجالاً فقال[١٤]:

الْقَاتِلُ السَّيْفَ في جِسْمِ القَتِيلِ بهِ ... ولِلسُّيُوفِ كما لِلنَّاسِ آجالُ

---

(١) ديوانه ص٣٠٣.

(٢) ديوانه (١ : ٣٦٨).

(٣) التبيان (١ : ٣٦٨).

(٤) المشرفية: السيوف؛ منسوبة إلى مشارف الشام.

(٥) ديوانه ص٣٧٥.

(٦) ديوانه (١ : ٣٦٨)

(٧) مباداً ومبيداً؛ حالان من الرمح؛ أي تركته مهلكاً في حال إبادتك إياه، وطعنك العدو به.

(٨) ديوانه (١ : ١٠٧).

(٩) في الأصلين «فتصدر»؛ والتصحيح ما أثبتناه عن الديوان.

(١٠) المضارب: جمع مضرب؛ وهو حد السيف، والضرائب جمع ضريبة؛ وهي الشيء المضروب بالسيف.

(١١) ديوانه (١ : ٣٧٠).

(١٢) ديوانه ص٣٦٩.

(١٣) القنا: الرماح.

(١٤) ديوانه (٣: ٢٨٠).

ثم أعاد وزاد تشبيهاً فقال[١]:

وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ ... تَوَارِي الضَّبِّ خَافَ مِنِ اخْتِرَاشِ[٢]

وَكَأَنَّهُ اقْتَدَى في تَرْكِ السَّيْفِ في جِسْم القتيل بقول الحُصَين بن الحُمام[٣]:

نُطَارِدُهم نَسْتَنْفِذُ الجُرْدَ كالْقَنَا ... وَيَسْتَنْفِذُون السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّمَا[٤]

قيل في تفسير قوله:

ويستنفِذُون السَّمهريَّ المقوما

إنا نطعنهم فتبقى الرِّماحُ أوْ عَواليها فيهم إذا أعْجَلُونا بِرَكْضِ الخيل عن انتزاعِها؛ وقيل غير ذلك. وقد قالت امرأة من بني عامر:

تعرفكم جزر الجزور رماحُنا ... ويُمْسِكْنَ بالأكْبَادِ مُنكسرات

وقد قيل في تفسيره: إن الرماح تنكسر فتعلق بالأكباد عواليها.

۞ ۞ ۞

وقد قال أبو الطيب[٥]:

نُصَرِّفُه للطَّعْنِ فَوْقَ حَوَاذِرٍ ... قَدِ انْقَصَفَتْ فيهنَّ منهُ كِعَابُ[٦]

وقال[٧]، وقد زاد كأنه اخترع المعنى وإن كان يلاحظ بيت أبي تمام:

ونالتْ ثارها الأكبادُ منه ... فأوْلَتْه اندقاقاً أو صُدوعا[٨]

۞ ۞ ۞

سعيد بن حُميد:

جلَّت يَدُ الدَّهْر عندي في اجتماعهما ... وإن أساء بنا في كلِّ ما صنعا

---

(١) ديوانه (٢: ٢٠٩).

(٢) المنعفر: الذي يتلطخ بالعفر، وهو التراب. والاحتراش: صيد الضب. يقول: إن السيف قد غاب وتوارى في هذا المنعفر مثل تواري الضب في جحره؛ خوفاً من الصائد. شرح العكبري.

(٣) المفضليات (١: ٦٣).

(٤) الجرد: الخيل القصيرة الشعر. والسمهري: الرمح. قال ابن الأنباري: «يقول: نغنم منهم خيلهم ونترك في أجسادهم رماحنا إذا طعناهم، فهم يحاولون إخراجها».

(٥) ديوانه (١: ١٩٣).

(٦) نصرفه؛ الضمير يعود على القنا في البيت قبله:

تركنا لأطراف القنا كل شهوة ... فليس لنا إلا بهن لعاب

والحواذر: الخيل التي تحذر الطعن. والكعاب: النواشز في أطراف الأنابيب.

(٧) ديوانه (٢: ٢٥٥).

(٨) يقول: لشدة الطعن اندقت الرماح في الأكباد؛ فكأن الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً.

أبو الطيب[١]:

يَدٌ لـلـزَّمَـانِ الـجَـمْـعُ بَيْنـي وبَيْنَـه   لِتَفْرِيقـهِ بَيْنـي وبَيْـنَ الـنَّـوائِـبِ

وقد نقله إلى معنى آخر فقال[٢]:

ولَوْلَا أيادي الدَّهْر في الجَمْعِ بَيننَا   غَفَلْـنَا فلـم نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُـوبِ

وكأنه ألَمَّ في هذا المعنى بقول البحتري[٣] ـ وإن كان في الغرضين بعض الاختلاف:

تَنْسَـى أيادِي الزَّمَـانِ فِينَـا فَمَـا   نَـذْكُرُ شيئاً مِنْهُ سِوى نُوَبِـهْ

۞ ۞ ۞

الكُمَيْت:

وكـائِنٍ في المَعَـاشِر مِنْ أُنَاسٍ   أَخُوهُمْ فَوْقَهُمْ وهُمْ كِـرَامُ

أبو الطيب[٤]:

كُـلُّ آخَائِـهِ كِرَامُ بَنِـي الـدُّنْـ   ـيَا ولكِنَّـهُ كَرِيـمُ الْكِـرَامِ[٥]

أبو تمام[٦]:

مَضَى طاهرَ الأخلاق لم يبقَ بقعةٌ   منَ الأرض إلا واشْتَهَتْ أنَّها قَبْرُ

أبو الطيب[٧]:

وتَغْبِط الأرْضُ مِنْهَا حيثُ حَلَّ بِهِ   وتَحْسُدُ الخَيْلُ مِنها أيُّها رَكِبا[٨]

۞ ۞ ۞

غيره[٩]:

إنْ أَجْرَمَتْ لَمْ تَنَصَّلْ[١٠] مِنْ جَرَائِمِهَا   وإنْ أَسَاءَتْ إلَى الأقْوَامِ لَمْ تُلَمِ

---

(١) ديوانه (١: ١٥٧). (٢) ديوانه (١: ٥٢).

(٣) ديوانه (١: ٤١)، وروايته:

ننسى أيادي الزمان فينا فما   نذكر من دهرنا سوى ثوبه

(٤) ديوانه (٣: ٣٧٨).

(٥) الآخاء: جمع أخ. يقول: كل كرام بني الدنيا أخوته؛ لأنهم يوافقونه في رأيه؛ لكنه المقدم فيهم؛ لأنه أكرمهم.

(٦) ديوانه ص٣٧٠، وروايته هناك وفي التبيان:

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة   غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

(٧) ديوانه (١: ١١٥).

(٨) يريد: أن الأرض يغبط بعضها بعضاً لحلوله فيها، وكذلك الخيل يحسد بعضها بعضاً لركوبه.

(٩) هو أبو تمام ديوانه ص٢٧٠. (١٠) تنصل: تتبرأ.

أبو الطيب[١]:

وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الحُسَيْنَ كَجَدِّهِ   على كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيًّا مِنَ الإِثْمِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٢]:

مُسْتَبْسِلُونَ كأنما مُهَجَاتُهُمْ   ليست لهم إلا غداةَ تَسِيلُ

أَلِفُوا الْمَنَايَا فالْقَتِيلُ لَدَيْهِم   مَنْ لَمْ يُخَلِّ العيش[٣] وهوَ قَتِيلُ

ونحو هذا اللفظ قول أبي الطيب[٤]:

وكَقَتْلِهِ أَلَّا يَمُوتَ قَتِيلَا

۞ ۞ ۞

ومثله[٥]:

لا يَيْأَسُون من الدُّنْيا إِذَا قُتِلُوا

أبو الطيب[٦]:

ضَرَبْتَهُ[٧] بصُدُورِ الخَيْلِ حَامِلَةً   قَوْماً إِذَا تَلِفُوا قُدْماً فقَدْ سَلِمُوا[٨]

۞ ۞ ۞

وله[٩]:

وَفَوَارِسٍ يُحْيِي الحِمَامُ نُفُوسَها   فكأنَّها لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوان

وأنا أرى أن هذا المعنى منقول من قول زُهَير[١٠]:

تَرَاهُ إِذَا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً   كأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

---

(١) ديوانه (٤: ٥٤). (٢) ديوانه ص٣٧٧.

(٣) في ديوانه: الحرب.

(٤) ديوانه (٣: ٢٤٣)، وصدره:

وأمر مما فر منه فراره

(٥) هو أبو تمام؛ ديوانه ص٢٢٩، وصدره:

يستعذبون مناياهم كأنهم

(٦) ديوانه (٤: ٢١).

(٧) الضمير يعود على نهر أرسناس في البيت قبله:

وجاوزوا أرسناساً معصمين به   وكيف يعصمهم ما ليس ينعصم

(٨) يقول: ضربت هذا النهر بصدر خيل حاملة فرساناً، يرون سلامتهم في تلفهم حيثما يقدمون على العدو.

(٩) ديوانه (٤: ١٨١). (١٠) ديوانه ص٣١.

لأن زُهيراً جعله يُسَر بالبذل حتى كأنه أخذ، وجعله هذا يسرع إلى القتل حتى كأنه حياة، فالمعنيان واحد في التحصيل، وقد قال أبو الطيب[١] في معنى قول زهير:

من القاسمين الشُّكْرَ بيني وبينهمْ ... لأنهم يُسْدَى إلَيْهِمْ بأنْ يُسْدُوا

❁ ❁ ❁

أبو تمام[٢]:

وَيَهْتَزُّ مثلَ السيفِ لَوْ لَمْ تَسُلَّهُ ... يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاه مِنَ الْغِمْدِ

أبو الطيب[٣]:

وتَكادُ الظُّبَى لِمَا عوَّدُوهَا ... تَنْتَضِي نَفْسَها إلى الأعْنَاقِ

❁ ❁ ❁

زيد الخيل[٤]:

وأَسْمَرَ مرفوعٍ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ ... بَصِيرٍ إذا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ[٥]

أبو تمام[٦]:

مِن كل أزْرَق نَظَّارٍ بِلَا نَظَرٍ ... إلَى الْمَقَاتِلِ مَا في مَتْنِهِ أَوَدُ[٧]

أبو الطيب[٨]:

يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ ... إذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي[٩]

وقد زعموا أن قوله[١٠]:

وقد صُغْتَ الأَسِنَّةَ من هُمُوم ... فما يَخْطُرْنَ إلَّا في فُؤَادِ

مأخوذ من هذا، ومن قول أبي تمام:

يَظَلُّ فُؤاداً لِلْفُؤاد سنانُه

---

(١) ديوانه (٢: ٧).

(٢) ديوانه ص١١٦، وروايته هناك:

ونبهن مثل السيف لو لم تسله

والظبى: حد السيف، والغمد: القراب.

(٣) ديوانه (٢: ٣٦٧).

(٤) التبيان (٤: ١٩١).

(٥) يريد: إذا هيأته نحو العدو.

(٦) ديوانه ٧٥، التبيان (٤ ـ ١٩١).

(٧) الأزرق: سنان الرمح. والأود: الاعوجاج.

(٨) ديوانه (٤: ١٩١).

(٩) الضمير في حده للسيف، والهبوة: الغبرة.

(١٠) ديوانه ١ ـ ٣٦٠.

ولا أبعد أن يكون قد لاحظه؛ لكنّه قد أبرَّ به على كل مخترع وسابِق ومنفرد. والأقربُ عندي أن يكون مأخوذاً من قول أبي تمام(١):

كأَنَّهُ كانَ تِرْبَ(٢) الحُبِّ مُذْ زمنٍ فليس يَحْجُبُه قَلْبٌ ولا كَبِدُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام(٣):

تَجاوز غاياتِ العُقُولِ رَغائِبٌ تَكادُ بها لولا العِيَان يُكَذِّبُ

البحتري:

وحَدِيثُ مَجْدٍ عنكَ أَفْرَطَ حُسْنُه حَتَّى ظَنَنَّا أنه مَوْضُوعُ

وأصله قول بعض العرب:

أحدّث من لاقيتُ يوماً بلاءه وهم يحسبون أنني غيرُ صادق

أبو الطيب(٤):

كَرَماً فلو حَدَّثْتَه عَنْ نَفْسِه بعظيم ما صَنَعتْ لظَنَّكَ كاذِبَا

فأساء؛ لأنه جعله يستعظم فعله، وإنما الجيّد قوله(٥):

يَسْتَصْغِرُ الخَطَر العظيمَ لِوَفْدِهِ ويظُنُّ دِجْلَةَ ليس تَكْفِي شَارِبَا

۞ ۞ ۞

أبو نواس في الكؤوس(٦):

طالعاتٌ مع السُّقَاةِ علينا فإذا ما غرَّبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

أبو الطيب في السيوف(٧):

طَلَعْنَ شُمُوساً والغمودُ مَشَارِقٌ لهُنَّ وهَامَاتُ الرِّجالِ مَغَارِبُ

فأما جعل السيوف شموساً فكثير.

۞ ۞ ۞

النابغة(٨):

لَمَا أغْفَلْتُ شكْرَكَ فانتَصِحْني فكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلُّ مَالِي

ثم فسر فقال(٩):

وإنَّ تِلَادِي إنْ نَظَرْتُ وشِكَّتي ومُهْرِي وما ضَمَّتْ إليَّ الأنَامِلُ(١٠)

---

(١) التبيان: ١ ـ ٣٦٠.
(٢) ترب الحب: ولد معه.
(٣) التبيان (١: ١٢٦).
(٤) ديوانه (١: ١٢٦).
(٥) ديوانه (١: ١٢٥).
(٦) ديوانه ص٣٣٩.
(٧) ديوانه (١: ١٠٧)
(٨) ديوانه ص٦٥.
(٩) ديوانه ص٦٥.
(١٠) التلاد: المال القليل، والشكة: السلاح. وأراد بالمهر الفرس.

حِبَاؤُكَ والعِيسُ العِتَاقُ كأنَّها هِجَانُ المَهَى تُحْدَى عَليها الرَّحَائِلُ[١]

❂ ❂ ❂

أبو نواس:

وكلُّ خَيرٍ عِنْدَهُم مِنْ عِنْدِهِ

وفسر أبو الطيب وشَرَح ومَلَّح[٢]:

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ في ثِيَابِهِ على طِرْفِهِ مِنْ دَارِهِ بِحُسَامِهِ[٣]
ومَا مَطَرَتْنِيه من الْبِيضِ والْقَنَا وَرُومِ العِبِدَّى هَاطِلَاتُ غَمامِهِ[٤]

❂ ❂ ❂

حاتم[٥]:

ومن يَبْتَدِعْ ما ليسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْه وَيَغْلِبْهُ على النَّفْسِ خِيمُها

وقال الأعور الشَّنِّي[٦]:

ومن يقترفْ خُلْقاً سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وتَغْلِبْه عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ

إبراهيم بن المهدي[٧]:

من تحلَّى شِيمةً لَيْسَتْ لَهُ فارقَتْه وأَقَامَتْ شِيمَتُه

أبو الطيب[٨]:

وأسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعلْتَ تغيُّراً تَكلُّفُ شيء في طباعكَ ضِدُّهُ

وهذا المعنى متداول، وقد أكثرَ الناسُ فيه، وأشبهه بقول أبي الطيب قولُ الأعور الشَّنِّي[٩]:

وأَدْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى ما نَشَا بِهِ وأقصَرُ أَفْعَالِ الرجالِ البَدَائِعُ

المصراع الثاني هو بيت أبي الطيب بكماله.

❂ ❂ ❂

(١) حباؤك: هبتك. والعيس: الإبل البيض. وهجان المهى: بيضها. وتحدى: تساق.
(٢) ديوانه (٤: ٣).
(٣) الإقطاع: ما أقطعه من البلاد. والطرف: الفرس. والحسام: السيف القاطع.
(٤) البيض: السيوف. والقنا: الرماح. والروم: جمع رومي. والعبدى: العبيد. والغمام: السحاب. والهاطل: المنسكب.
(٥) التبيان (٢: ٢٠).
(٦) التبيان (٢: ١٩).
(٧) التبيان (٢: ٢٠).
(٨) ديوانه (٢: ١٩).
(٩) التبيان (٢: ٢٠).

طُفَيْل[١]:

وما أَنَا بِالْمُسْتَنْكِرِ الْبَيْنِ إِنَّنِي بِذِي لَطَفِ الْجِيرَانِ قِدْماً مُفَجَّعُ

أبو الطيّب[٢]:

وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ وَلَا عَلَّمَتْنِي غَيْرَ ما الْقَلْبُ عَالِمُهْ

المصراع الثاني من قول عديّ بن الرّقاع[٣]:

وعَرَفْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِماً عَنْ حَرْفِ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أَزْدَادَهَا

ومن قوله الأَعْوَر:

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَا أَحْتَاجُ فِيمَا بَلَوْتُ مِنَ الأُمُورِ إِلَى السُّؤَال

وقد كرره أبو الطيب فقال[٤]:

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا

۞ ۞ ۞

أبو الطيب[٥]:

فَلَا يَتَّهِمْنِي الْكَاشِحُونَ فإنَّنِي رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ لِي عَلَاقِمُهْ

وهو من قول الآخر[٦]:

وفَارَقْتُ حتَّى مَا أَحِنُّ إِلَى هَوًى وإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَيَّ كِرَامُ

وقَدْ جَعَلَتْ نفسي على النّأي تَنْطَوي وعَيْنِي على فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ

وهو معنى قوله: «حتى حلت لي علاقمه».

ومثله قول المؤرّج بن عَمْرو[٧]:

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ لَهُ وبالتَّفَرُّقِ مِنْ أَهْلِي وجِيرَانِي

أو قول الْخُرَيْمِيّ[٨]:

لَقَدْ وَقَرَتْنِي الْحَادِثَاتُ فَمَا أَرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَيْبِها أَتَوَجَّعُ

---

(١) التبيان (٣: ٢٣٢). (٢) ديوانه (٣: ٣٣٢).

(٣) مهذب الأغاني (٣: ١٠٣)، وروايته هناك:

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها

(٤) ديوانه (٤: ١٠٤). (٥) ديوانه (٣: ٣٣٢).

(٦) التبيان (٣: ١٠)، وروايتهما هناك:

وقد جعلت نفسي على البين تنطوي وعيني على فقد الحبيب تنام

وفارقت حتى ما أبالي من النوى وإن بان جيران علي كرام

(٧) ذيل الأمالي ص١١٣، التبيان (٣: ٣٣٣).

(٨) التبيان (٣: ٣٣٣).

وقد بسطه أبو الطيب وشرحه وزاد فيه تمثيلاً حسناً فقال[(١)]:

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

وقد تقدم ما يقارب هذا المعنى، وإن كنا أعدناه لتمييز أحدهما عن الآخر.

۞ ۞ ۞

الطِّرِمَّاح[(٢)]:

يفرِّق منَّا مَنْ نُحِبّ اجْتِمَاعَه ... ويجمع منَّا بينَ أَهْلِ الضَّغَائِن

آخر[(٣)]:

عَجِبْتُ لِتَطْويح النَّوَى من أُحِبُّه ... وإدْنَاءِ من لا يُستلذُّ لَهُ قُرْبُ

وهو كثير، وأصله لمضرِّس بن ربعي من قوله[(٤)]:

لَعَمْرُكَ إِنِّي بالخَليلِ الذي له ... عليَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لمفجَّعُ
وإنِّيَ بالمولَى الذي ليسَ نافِعِي ... ولا ضائِري ما ساءه لَمُمَتَّعُ

نقله أبو الطيب فأحسن وأطاب[(٥)]:

أَمَا تَغْلَطُ الأيامُ فيَّ بأَنْ أَرَى ... بَغِيضاً تُنَائي أو حَبِيباً تُقَرِّبُ

۞ ۞ ۞

يزيد المهلّبي، وهو معنى مشهور[(٦)]:

إنْ يُعجز الدَّهْرُ كَفِّي عَنْ جَزائِكُمُ ... فإنَّني بالْهَوَى والشُّكْرِ مُجْتَهِدُ

أبو الطيب[(٧)]:

لا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ ... فَلْيُسْعِدِ النطقُ إن لم يسعدِ الْحَالُ

وأصله قول الأول:

يَجْزِيك أو يُثْني عليك وإنَّ مَنْ ... أَثْنَى عليك بما فَعَلْتَ كمَنْ جَزَى

۞ ۞ ۞

أبو العَمَيْثَل الأعرابي:

اصْدُقْ وعِفَّ وبرّ واصْبِر واحْتَمِلْ ... واصْفَحْ ودَارِ وكافِ[(٨)] وابْذُل واشْجُع

(١) ديوانه (٣: ٨).
(٢) التبيان (١: ١٧٧).
(٣) التبيان (١: ١٧٧).
(٤) التبيان (١: ١٧٧).
(٥) التبيان (١: ١٧٧).
(٦) التبيان (٣: ٢٧٧).
(٧) ديوانه (٣: ٢٧٦).
(٨) كاف: من المكافأة.

أبو الطيب[١]:

أَقِلْ أَنِلْ أَنْ صنِ احمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سرَّ صِلِ

فزاد، وأصل هذه الطريقة قول امرئ القيس[٢]:

أَفَـادَ وجَـادَ وسَـادَ وزَادَ وَقَـادَ فـذاد وَعَـادَ وأَفْـضَـل

❁ ❁ ❁

الحُصين بن الحمام[٣]:

تأخرتُ أَسْتَبْقِي الحياةَ فلم أجِدْ لنفسي حياةً مثلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

أبو الطيب[٤]:

فحبُّ الجَبَانِ النَّفسَ أَوْرَدَهُ التُّقَى وحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبَا

❁ ❁ ❁

سعيد بن حُميد:

يا ليلُ لو تلقى الذي ألقى به أو تجِدُ

قَصَّرَ من طولِك أو أضعفَ مِنك الجَلَدُ

نقله أبو الطيب فقال[٥]:

كأنَّ الليل[٦] قَاسَى ما أُقَاسِي فصارَ سَوَادُه فيهِ شُحُوبَا

❁ ❁ ❁

علي بن محمد البسّامي:

مَنْ كان في الدنيا له شارةٌ فنحن من نَظَّارة الدنيا

نَرْمُقُها من كَثَبٍ حَسْرَةً كأنَّنا لفظ بلا معنى

أبو الطيب[٧]:

والدَّهْرُ لَفْظٌ وأَنْتَ مَعْنَاهُ[٨]

بعضهم[٩]:

وأُسَرُّ فِي الدُّنْيَا بكلِّ زِيادةٍ وزِيَادَتي فيها هُوَ النَّقْصُ

---

(١) ديوانه (٣: ٨٩).

(٢) شعراء النصرانية ص٦٢، العمدة (٢: ٢٥).

(٣) ديوان الحماسة (١: ١٩٢)، عيون الأخبار (١: ١٢٥).

(٤) ديوانه (١: ٦٥).

(٥) ديوانه (١: ١٣٩).

(٦) في الديوان: كأن الجو.

(٧) ديوانه (٤: ٢٦٣).

(٨) صدره: الناس ما لم يروك أشباه

(٩) التبيان (٢: ٢٨٣).

أبو الطيب[١]:

زِيَادَةُ شَيْبٍ وهي نَقْصُ زِيَادَتي ... وقُوَّةُ عِشْقٍ وهِيَ مِنْ قُوَّتي ضَعْفُ[٢]

ومثله له[٣]:

مَتَى ما ازْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التناهي ... فَقَدْ وقع انْتِقَاصِي في ازْدِيَاد

۞ ۞ ۞

علي بن الجَهْم في صفة الشعر، وهو معنى مشهور[٤]:

فسار مَسِيرَ الشَّمْسِ في كل بلدةٍ ... وهبَّ هُبوبَ الرِّيح في البَرِّ والبَحْرِ

أبو الطّيب[٥]:

قَوَافٍ إذا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي ... وثَبْنَ الجِبَال وخُضْنَ البِحَارَا

وله مثله[٦]:

إذا قُلْتُه لم يَمْتَنِعْ من وُصُولِه ... جِدَارٌ مُعَلّى أو خِبَاءٌ مُطَنَّبُ

وأصله قول عنترة بن الأخْرَس[٧]:

أَلَمْ تر أنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي ... وشِعْرَكَ حَوْلَ بيتِك ما يَسِيرُ

۞ ۞ ۞

ابن الرومي[٨]:

وما ازْدادَ فضلٌ فيكَ بالمَدْحِ شُهْرَةً ... بَلَى؛ كانَ مثلَ المِسْك صَادَفَ مِخْوضا[٩]

أبو الطيب[١٠]:

وذاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كانَ مِسْكاً ... وهَذَا الشِّعْرُ فِهْرِي والمَدَاكَا[١١]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٢: ٢٨٣).

(٢) زيادة خبر مبتدأ محذوف تقديره: حال. وقوة: عطف عليها؛ يقول: حالي زيادة شيب وهي في الحقيقة نقص زيادتي، وكلما قوي العشق ضعف البدن، وضعفت قوته. (شرح العكبري).

(٣) ديوانه (١: ٣٥٦).

(٤) التبيان (٢: ٩٥).

(٥) ديوانه (٢: ٩٥).

(٦) ديوانه (١: ١٨٧).

(٧) التبيان (٢: ٩٦).

(٨) التبيان (٢: ٢٩٣).

(٩) المخوض: الذي يحرك به الطيب؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلاً؛ بل يظهر رائحته؛ كذلك الشعر يظهر فضائل الممدوح للناس، ولا يزيده فضلاً.

(١٠) ديوانه (٢: ٣٩٣).

(١١) النشر: الرائحة الطيبة. والفهر: الحجر الذي يسحق به الطيب. والمداك: الصلابة التي يدك عليها. والدوك: الدق والسحق.

الحادرة[١]:

فـأَثْـنُـوا عَـلَـيْـنَـا لا أَبَـا لأَبِـيـكُـمُ بـأَحْسَـابِنَـا[٢] إن الـثَّـنَـاء هـو الـخُـلْـدُ

غيره[٣]:

ردَّتْ صَـنَـائِـعُـه عـلـيـهِ حَـيـاتَـه فـكـأَنَّـهُ مـن نَـشْـرِهَـا مَـنْـشُـورُ

أبو تمام[٤]:

سَـلَـفُـوا يَـرَوْنَ الـذِّكْـرَ عَـيْـشـاً[٥] ثَـانِـيـاً وَمَـضَـوْا يَـعُـدُّونَ الـثَّـنَـاءَ خُـلُـودَا

أبو الطيب[٦]:

كَـفَـلَ الـثَّـنَـاءُ لَـهُ بِـرَدِّ حَـيَـاتِـهِ لـمَّـا انْـطَـوَى فـكـأَنَّـهُ مَـنْـشُـورُ

وكـأَنـمـا عِـيـسَـى ابـنُ مَـرْيَـمَ ذِكْـرُهُ وكـأن عَـازَرَ شَـخْـصُـهُ الـمَـقْـبُـورُ[٧]

وكرره فقال[٨]:

فَـإِنَّ لَـهُ بِـبَـطْـنِ الأَرْضِ شَـخْـصـاً جَـدِيـداً ذِكْـرُ نَـاهُ وَهْـوَ بَـالِـي

۞ ۞ ۞

بعض العرب[٩]:

وقـاسَـمَـنِـي دَهْـرِي بَـنِـيَّ بـشَـطْـرِهِ فلما تَقَضَّى شَطْرُهُ عَادَ في شَطْرِي

أبو الطيب[١٠]:

قد كانَ قاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُما وعَـاشَ دُرُّهُـمَـا الـمَـفْـدِيُّ بـالـذَّهَـبِ

وعَـادَ فـي طَـلَـبِ الـمَـتْـرُوكِ تَـارِكُـهُ إِنَّـا لَـنَـغْـفُـلُ والأَيَّـامُ فـي الـطَّـلَـبِ

ومثل المصراع الأخير قولُ النَّمِر بن تَوْلَب:

تـدارك مـا قـبـلَ الـشـبـاب وبـعـدَه حـوادث أيـام تَـمُـرُّ وأغْـفُـلُ

۞ ۞ ۞

---

(١) مهذب الأغاني (١: ٢٣٠)، التبيان (٢: ١٣١).

(٢) في مهذب الأغاني: بإحساننا.

(٣) ديوان الحماسة (٣: ٦)، ونسبه إلى التيميّ في منصور بن زياد. قال التبريزي: التيمي هو عبد الله بن أيوب.

(٤) ديوانه ص٩٠، التبيان (٢: ١٣٢).

(٥) رواية الديوان: سـلـفـوا يـرون الـذكـر عـقـبـاً صـالـحـاً

(٦) ديوانه (٢: ١٣١).

(٧) يقول: ذكره في الثناء يحييه، كما أحيا عيسى بعد ما مات.

(٨) ديوانه (٣: ١٢). (٩) التبيان (١: ٩٣).

(١٠) ديوانه (١: ٩٣).

بعض المُحْدَثين[١]:

ومَا فَسَدَتْ لِي يَشْهَدُ اللّهُ نِيَّةٌ ... عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتَنِي فاتَّهَمْتَنِي

أبو الطيب وأحسن غاية الإحسان[٢]:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ المَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونه ... وصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

وعَادَى مُحِبّيه بقَوْلِ عُدَاتِهِ ... وأصْبَحَ في لَيْلٍ من الشَّكّ مُظْلِمِ

۞ ۞ ۞

بعض العرب[٣]:

لَمّا رأوْهُمْ لم يُحِسُّوا مُدْرِكاً ... وضعوا أناملَهُمْ على الأكباد

أبو الطيب[٤]:

ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَبِدٍ ... نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِها يَدُها[٥]

۞ ۞ ۞

يحيى بن زياد[٦]:

دَفَعْنَا بِكَ الأَيَّامَ حتى إِذَا أَتَتْ ... تُرِيدُكَ لم تَسْطِع لها عنك مدفعا

أبو الطيّب[٧]:

ما زِلْتَ تَدْفَعُ كلَّ أمرٍ فَادِحٍ ... حتَّى أَتَى الأَمرُ الَّذِي لا يُدْفَع

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٨]:

مَحَاسِنُ من مَجْدٍ متى يَقْرِنُوا بهَا ... مَنَاقبَ[٩] أَقْوَامٍ تكُنْ كالمَعَايِبِ

أبو الطيب[١٠]:

شَادُوا مَنَاقِبَهم وشِدْتَ مناقبَا ... وُجِدَتْ مَنَاقِبُهم بِهِنَّ مَثَالِبَا

۞ ۞ ۞

الحطيئة[١١]:

قَوْمٌ هُمُ الأنفُ والأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَوِّي بأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبا!

---

(١) التبيان (٤ : ١٣٥).
(٢) ديوانه (٤ : ١٣٥).
(٣) التبيان (١ : ٢٩٥).
(٤) ديوانه (١ : ٢٩٥).
(٥) الخلب: غشاء القلب الرقيق. قال العكبري: «وجعل اليد نضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعها على الكبد، فأنضجتها بما فيها من الحرارة».
(٦) التبيان (٤ : ٢٧٣).
(٧) ديوانه (٤ : ٢٧٣).
(٨) ديوانه ص٤٢، التبيان (١ : ١٣١).
(٩) في الديوان: «محاسن أقوام».
(١٠) ديوانه (١ : ١٣١).
(١١) ديوانه ص٦.

المتنبي[١]:

قَصَدْتُكَ والرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمُ كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كالذَّنْبِ الأنُفُ

❁ ❁ ❁

الحُصين بن الحمام[٢]:

ولما رأيت الوُدَّ ليس بنافعي عَمَدْتُ إلى الأمْر الَّذي كَانَ أَحْزَما

أبو الطيب[٣]:

إذَا لم تُجزْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةٌ أَجازَ الْقَنَا والخَوْفُ خَيْرٌ من الوُدِّ[٤]

والعرب تقول: رَهَبُوت خيرٌ من رَحَمُوت؛ أي أن تُرْهِب خير من أن تَرْحَم.

❁ ❁ ❁

بعض العرب[٥]:

ولا خَيْرَ في حُسْنِ الجُسُومِ ونُبْلِها إذَا لَم تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ

عَمْرو بن مَعْدِي كَرِب[٦]:

لَيْسَ الجمالُ بِمِئْزَرٍ فاعْلَمْ وإنْ رُدِّيتَ بُرْدَا

إنَّ الجَمالَ مَعادِنٌ ومَناقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدا

العباس بن مِرْداس؛ ويروى لربيعة بن ثابت الرّقي[٧]:

فما عِظَمُ الرِّجالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ولَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخيرُ

أبو الطيب[٨]:

ومَا الحُسْنُ في وَجْهِ الْفَتَى شَرَفاً له إذَا لَمْ يَكُنْ في فِعْلِه والخَلائِقِ[٩]

ومثله له في وصف الخيل[١٠]:

إذا لم تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا وأَعْضَائِهَا فالحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ

وقريب منه قوله[١١]:

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ[١٢]

---

(١) ديوانه (٢: ٢٨٩).
(٢) ديوان الحماسة (١: ٣٦٣).
(٣) ديوانه (٢: ٦٢).
(٤) قال ابن فورجة: إذا بلغوا في أسفارهم منازل قوم لم يكن بينهم وبين سكانها مودة أجازتهم رماحهم فلم يخافوا أهل الناحية.
(٥) التبيان (٢: ٣٢٠)، ونسبه إلى الفرزدق.
(٦) ديوان الحماسة (١: ١٧٠)، عيون الأخبار (١: ٣٠٠).
(٧) ديوان الحماسة (٣: ١٥٣)، التبيان (٣: ٣٢٠).
(٨) ديوانه (٢: ٣٢٠).
(٩) الخلائق: الخصال.
(١٠) ديوانه: (١: ١٨٠).
(١١) ديوانه (٤: ١٤٤).
(١٢) الوسام: الوسامة؛ وهي الحسن.

بعض العرب:

ولستُ وإن أحْببتُ مَنْ يَسْكُنِ الغَضَا ... بـأولِ راجٍ حـاجـةً لا يـنـالُـهـا

أبو الطيب[١]:

ولَـيْـسَ بـأوَّلِ ذِي هِـمَّـةٍ ... دَعَـتْـهُ لِـمَـا لَـيْـسَ بـالـنَّـائِـلِ

۞ ۞ ۞

جابر بن حيّان[٢]:

وإنْ يَقْتَسِمْ مَالِي بَنِيَّ ونِسْوَتِي[٣] ... فلم يَقْسِمُوا خُلُقِي الكريمَ ولا فِعْلِي

أبو تمام[٤]:

وانْفَحْ لَنا من طيب خِيمِك نَفْحَة ... إن كانَتِ الأَخْلَاقُ مِمَّا يُوهَبُ[٥]

أبو الطيب[٦]:

إِذَا طَلَبُوا جَدْوَاكَ أُعْطُوا وحُكِّمُوا ... وإنْ طَلَبُوا المَجْدَ الَّذِي فيكَ خُيِّبُوا

ولـو جـازَ أَنْ يَحْوُوا عُلَاكَ وَهَبْتَها ... ولَكِنْ مِنَ الأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ

۞ ۞ ۞

بعض العرب[٧]:

لا أُمْسِكُ الـمَـالَ إِلَّا رَيْـثَ أُتْلِفُـهُ ... ولا تُـغَـيِّـرُنِـي حَـالٌ إِلَـى حَـالِ

أشجع:

تُـغَـيِّـرُ الأيـامُ حـالاتِـهِ ... وجـودُه بـاقٍ عـلـى حـالِ

أبو الطيب[٨]:

وحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى ... وحَالُكَ وَاحِدٌ في كُلِّ حَالِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٩]:

هِـمَّـةٌ تَـنْـطَـحُ الـنُّـجُـومَ وجَـدٌّ ... آنِفٌ للحَضِيضِ[١٠] فهو حَضِيضُ

---

(١) ديوانه (٣: ٣٠).

(٢) ديوان الحماسة (٤: ٢٣٧)، عيون الأخبار (١: ٣٤٣)؛ وقال: هو جابر بن حبان (بالباء المشددة) وفي الأصلين: «حباب».

(٣) في ديوان الحماسة: «وإخوتي».

(٤) ديوانه ص٤٠، التبيان (١: ١٨٤).

(٥) انفح: اعط. وخيمك: طبعك.

(٦) ديوانه (١: ١٨٤).

(٧) التبيان (٣: ٢٠).

(٨) ديوانه (٣: ٢٠).

(٩) ديوانه ص١٨١.

(١٠) الحضيض: المنخفض.

أبو الطّيب[١]:

أَبَـداً أَقْـطَـعُ الْـبِـلَادَ ونَـجْـمِـي　　فـي نُـحُـوسٍ وهِـمّـتـي فـي سُـعُـودِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٢]:

ومَـا زَالَ مَـنْـشُـوراً عـلـيَّ نَـوَالُـهُ　　وعِـنْـدِيَ حتى قَدْ بَقِيتُ بِلا عِنْدِ

أبو الطيب[٣]:

ويَـمْـنَـعُـني مِـمَّـنْ سِـوَى ابْـنِ مُـحَـمَّـدٍ　　أَيَـادٍ لَـهُ عِـنْـدِي يَـضِـيـقُ بِـهَـا عِـنْـدُ[٤]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

يـمُـدُّونَ بـالْـبِـيـضِ الْـقَـوَاطِـعِ أَيْـدِيـاً　　وَهُـنَّ سَـوَاءٌ والـسُّـيُـوفُ الـقَـوَاطِـعُ

نقله أبو الطيب فقال[٦]:

هُـمَـامٌ إِذَا مَـا فَـارَقَ الـسَّـيْـفُ غِـمْـدَهُ　　وعَـايَـنْـتَـهُ لَـمْ تَـدْرِ أَيُّـهـمَـا الـنَّـصْـلُ

۞ ۞ ۞

أبو تمام وهو كثير[٧]:

قَدْ نَبَذُوا الحَجَفَ المحبوكَ من زُؤُدٍ　　وصَيَّرُوا هامهم بل صُيِّرَتْ حَجَفَا[٨]

أبو الطيب[٩]:

تَـقِـي جَـبَـهَـاتُـهُـمْ مَـا فِـي ذُرَاهُـمْ　　إِذَا بِـشِـفَـارِهَـا حَـمِـيَ الـلِّـطَـامُ[١٠]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[١١]:

وَلَـكَـمْ عَـدُوٌّ قـال لـي مُـتَـمَـثِّـلاً　　وكَـمْ مِـنْ ودودٍ لـيـس بـالـمـودودِ

---

(١) ديوانه (١: ٣٢٠).　(٢) ديوانه ص١١٦.

(٣) ديوانه (١: ٣٧٧).

(٤) رفع عند، وهي لا تستعمل إلا ظرفاً، لأنه حمل الكلام على المعنى؛ فكأنه قال: يضيق بها المكان.

(٥) ديوانه ص٤٨٠.　(٦) ديوانه (٣: ١٨٦).

(٧) ديوانه ص٢٠٢.

(٨) الحجف، بالفتح: جمع حجفة، ضرب من التروس؛ قيل؛ هي من الجلود خاصة. والزؤد: الفزع.

(٩) ديوانه (٤: ٧٧).

(١٠) الذرى: العلو. والشفا: السيوف. واللطام: المصادمة بها.

(١١) ديوانه ص٨٣.

أبو الطيب(١):

هـو الـحـبـيـبُ ولَـكِـنّـي أَعُـوذُ بِـهِ ... مـن أَنْ أَكُـونَ مُـحـبًّا غَـيْـرَ مَـحْـبُـوبِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام(٢):

مَلْقى الرَّجَاء ومَلْقى الرَّحْلِ في نفرٍ ... الـجـودُ عِـنْـدهُـمُ قَـوْلٌ بـلا عَـمَـل

وله(٣):

وأَقَـلُّ الأَشْـيَـاءِ مَـحْـصـولَ نَـفْـعٍ ... صـحـةُ الـقَـوْل والـفَـعَـالُ مَـرِيـضُ

وهو كثير. قال أبو الطيب(٤):

جُودُ الـرِّجَالِ من الأيدِي وجُـودُهُـمُ ... مـن الـلِّـسَانِ فـلا كـانُـوا وَلا الـجُـودُ

وقال في أخرى(٥):

ونُـعْـمَـى الـنَّـاسِ أَقْـوَالُ(٦)

وقال في أخرى(٧):

أَرَى أُنَاساً ومَحْصُولِي على غَنَمٍ ... وذِكْرَ جُودٍ ومَحْصُولِي على الْكَلِمِ(٨)

وقد يزعم بعضُ مَنْ يذهب عن تمييز السَّرَق أن المِصْراع الأول مأخوذٌ من قولهم: فلان بهيمة وحمار. ومن قول النَّمري:

شَـاءٌ مـن الـنـاس راتـع هـامِـلُ(٩)

ومن قول السَّيِّد(١٠):

قَـدْ ضَـيَّـعَ الـلَّـهُ مَـا جَـمَّـعْـتُ مِنْ أَدَبٍ ... بَـيْـنَ الْـحَـمِـيرِ وَبَـيْـنَ الـشَّـاءِ والْـبَـقَـرِ

قال أبو الحسن: وهذا البيت يروى للمخيم الراسبي. قال: والجماعة اعْتَمَدَتْ

(١) ديوانه (١: ١٧٦).
(٢) ديوانه ص٢٥٠.
(٣) التبيان (٢: ٤٢).
(٤) ديوانه (٢: ٤٢).
(٥) ديوانه (٣: ٢٧٧).
(٦) البيت بتمامه:

واجـز الأمـيـر الـذي نـعـمـاه فـاجـئـة ... بـغـيـر قـول ونـعـمـى الـنـاس أقـوال

(٧) ديوانه (٤: ٣٩).
(٨) «المحصول: مصدر بمعنى الحصول. وقوله: «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام؛ أي وأسمع ذكر جود. يقول: أرى صور أناس كالغنم لا عقل لهم، وأسمع ذكر الجود ولكن لا أحصل منه إلا على المواعيد». (شرح الديوان لليازجي).
(٩) الهامل: التي ترعى ولا راعي لها.
(١٠) التبيان (٤: ٤٠).

فيه على قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، وهذا كما زعم الصولي أن قول البحتري[١]:

عليّ نَحْتُ القَوَافِي من مَقاطِعها ... وما عليَّ إذا لم تفهم البَقرُ[٢]

مأخوذ من قول أبي تمام[٣]:

لا يَدْهَمَنَّكَ من دهمائهم نَفر ... فإنَّ جلَّهُمُ بل كلُّهُم بقرُ[٤]

هذا مع اتساعه في الدعاوى، وتحققه عند نفسه بنَقْد الشعر، وادعائه أن أحداً لم يسبقه إلى هذا العلم، وأنه طريق لم تُسْلَكْ قبلَه، وباب لم يزلْ مستغلقاً حتى افتتحه؛ كأَنْ لم يعلم أن العقلاء منذ كانوا يسمُّون البليدَ الغبي حماراً أو بقرة.

وإذا استبْعدوا ذهن مخاطَب واستخفوا فطنة منازع قالوا: هذا ثور وتَيْس؛ حتى شاع ذلك على أفواه العامة وألْسن النِّساء والصبيان. وكيف يُدّعى في هذا السَّرق! ومَنْ جعل بعضَ الناس أولى به من بعض وهم فيه شَرَعٌ واحد! وأي ذهن يغيب عنه ذلك حتى يفتقر إلى الاعتماد فيه على غيره والاستمداد مِمَّنْ تقدم قبله! وإنما يصحّ في مثل هذا الأخذ إذا أُضيفتْ إليه صنعةُ لفظ، أو وُصِل بزيادة معنى، كبيت البحتري فإنَّه لم يرض أن يقول: القوم بقر وبهائم؛ كما قال أبو تمام حتى قال:

عليّ نحتُ القوافي من مَقاطعها

أي عليّ أن أجيد وأبدِعَ وأتأنَّق في شعري، وما عليَّ إفهام البقر؛ فهذه زيادة يصح فيها نَقد وسرِقة، وأما بيتُ أبي الطيب فليس إلا صريح التمثيل المتداول الَّذي عرفناك انتفاء هذه الدعوى عنه.

❁ ❁ ❁

أبو تمام[٥]:

وكأنَّمَا نَافَسْتَ قَدْرَك حَظَّهُ ... وحَسَدْتَ نَفْسَك حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

أبو الطيب[٦]:

يُحَدِّثُ عَنْ قَلْبِه مُكْرَهاً ... كأَنَّ لَهُ مِنْهُ قَلْباً حَسُودَا

---

(١) ديوانه (١: ٤٣).

(٢) رواية الديوان:

وما علي لهم أن تفهم البقر

(٣) ديوانه ص١٥٠.

(٤) رواية الديوان:

فإن جلهم أو كلهم بقر

(٥) ديوانه ص١١٣.

(٦) ديوانه (١: ٣٦٧).

إن كان فيه أخذٌ ففي اللّفظ، ومثله قد يؤخذ؛ فأما المعنيان فمختلفان، لأن أبا تمام أراد أنك نافستَ قدرَك، وحَسَدْتَ نفسَك، فَطفِقْتَ تُنَاهِي في شرف الفعل، وتَزِيد على كلِّ غاية تصلُ إليها، وإنْ كنتَ فيها منقطعَ القرين فائت الشأو، وأبو الطيب يقول: كأن قلبك يحسُدُك على فضائلك فهو يكره أن يستقبل بذكرها. وهذا نوع آخر من المديح وفي غير المذهب الأول؛ لكنهما اجتمعا في حَسَدِ النفس والقلب.

۞ ۞ ۞

أبو تمام[١]:

خَابَ امرؤٌ بَخِسَ الحَوَادِثُ سَعْيَه[٢] فـأَقَـامَ عَـنـكَ وأَنْـتَ سَـعْـدُ الأَسْـعُـدِ

أبو الطيب[٣]:

عَـــجـــزٌ بِـــحُـــرٌ فـــاقَـــةٌ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الإِلْـهِ وبَـابُـكَ الـمَـفْـتُـوح[٤]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٥]:

فَـالْـمَـشْـيُ هَـمْـسٌ والـنِّـدَاءُ إِشَـارَةٌ خَوْفَ انتقامِكَ والحديثُ سِرَارُ[٦]

أبو الطيب واقتصر على ذكر المشي فقال[٧]:

قَصَرَتْ مَخَافَتَهُ الْخُطَى فكأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمِيُّ جَوَادَهُ مَشْكُولَا[٨]

ونحوه له[٩]:

فلم يَسْرَحْ لهم في الصُّبْحِ مَالٌ[١٠] ولـم تُـوقَـدْ لَـهُـمْ بـالـلَّـيـلِ نَـارُ

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه ص١١٣.

(٢) رواية الديوان:

حـارب امـرؤ نـحـس الـزمـان لـسـعـيـه

(٣) ديوانه (١ : ٢٥٤).

(٤) الفاقة؛ الفقر. ووراءه: قدامه؛ وهو من الأضداد. يقول: إن من العجز أن يقاسي الحر فاقة ولا يطلب الرزق من الله أو يقصد بابك الذي لا يحجب عنه أحد.

(٥) ديوانه ص١٤٦.

(٦) الهمس: الصوت الخفي. والسرار: السر.

(٧) ديوانه (٣: ٢٣٩).

(٨) البيت في وصف الأسد. القصر: ضد التطويل. والخطى: جمع خطوة. والكمي: لابس السلاح. والجواد: الفرس. والمشكول: المقيد بالشكال. يقول: إن خوفه تمكن من القلوب فأحجمت به قوائم الخيل؛ وقصرت خطاها، حتى كأن الشجاع ركب الفرس بشكاله.

(٩) ديوانه (٢: ١٠٩).

(١٠) المال: الإبل.

الحُصَين بن الحِمام[١]:

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بذلَّةٍ ولا مُرْتَقٍ من خَشية الموت سُلَّما

تأبّط شرًّا[٢]:

هُمَا خُطَّتَا إمَّا إسَارٌ وذِلَّةٌ وإمَّا دَمٌ، والقَتْلُ بالحرِّ أَجْمَلُ

بشار:

ولَلمَوْتُ خيرٌ من حياة على أذى يضيمُك فيها صاحبٌ وتُراقِبُه

وقد أكثر الناس وتصرفوا في أمثلته.

أبو الطيب[٣]:

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمَامُ

وله[٤]:

عِشْ كَرِيماً أو مُتْ وأنْتَ عَزِيزٌ بين طَعْنِ الْقَنَا وخَفْقِ البُنُودِ[٥]

وقد أعاده فزاد وأحسن فقال[٦]:

تَغُرُّ حَلَاوَاتُ النُّفُوسِ قُلُوبَهَا فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهْوَ حِمَامُ

وشَرُّ الحِمَامَيْنِ الزُّؤَامَيْنِ عِيشَةٌ يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا ويُضَامُ

ونحوه له[٧]:

وأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ وكَقَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلَا

والمصراع الثاني من قول أبي تمام ـ وقد قدمناه[٨]:

أَلِفُوا المَنَايَا فَالْقَتِيلُ لَدَيْهُمُ مَنْ لَمْ يُخَلِّ الْعَيْشَ وَهْوَ قَتِيلُ

ونحوه قول المتنبي[٩]:

فاطْلُبِ العزَّ في لَظَى وذَرِ الذ لّ وَلَوْ كَانَ في جِنَانِ الخُلُودِ

وهو من قول الناس: النار ولا العار.

---

(١) ديوان الحماسة (١: ٣٦٤).

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطي ص٣٣٠، وروايته هناك:

هما خطتا إما إسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجدر

ورواه في مهذب الأغاني ١: ٢٢٠:

لكم خصلة إما إسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجدر

(٣) ديوانه (٤: ٩٣).

(٤) ديوانه (١: ٣٢١).

(٥) البنود: الأعلام الكبار.

(٦) ديوانه (٣: ٣٩٥).

(٧) ديوانه (٣: ٢٤٣).

(٨) ديوانه ص٣٧٧.

(٩) ديوانه (١: ٣٢٢).

ومثل الأول قوله(١):

لقيتُ القَنا عَنْهُ بِنَفْسٍ كريمةٍ ... إلى الموت في الهيجا من العار تَهْرُب

❁ ❁ ❁

الأهتم بن سِنَان:

وَمَا كلُّ مَنْ يَغْشَى القِتَالَ بِمَيِّتٍ ... وَلَا كلُّ مَنْ يَرْجُو الإِيَابَ بِسَالِم

زياد الأعْجَم(٢):

مات المغيرةُ(٣) بعد طُولِ تَعَرُّضٍ ... للقتل بين أسِنَّةٍ وصفائِح

والقَتْلُ ليس إلى القِتَالِ ولا أرَى ... سَبَباً يؤخِّرُ للشَّفِيق الناصح

أبو الطيب(٤):

وَقَدْ يَتْرُك النَّفْسَ الَّتِي لا تَهَابُه ... ويَخْتَرمُ النَّفْسَ التي تَتَهَيَّبُ

وله(٥):

يُقْتَل العَاجِزُ الجَبَانُ وَقَدْ يَعْـ ... ـجِزُ عَنْ قَطْعِ بُخْنُقِ(٦) الْمَوْلُودِ

ويُوَقَّى الْفَتَى المِخَشُّ وَقَدْ خَوَّ ... ضَ في مَاءِ لَبَّةِ الصِّنْدِيدِ(٧)

❁ ❁ ❁

بعض العرب(٨):

إني لأسْتُر ما ذُو الْعَقْلِ سَاتِرُهُ ... من حاجةٍ وأُمِيتُ السِّرَّ كِتْمَانَا

عِمْران بن حِطّان(٩):

وكُنْتُ أَجُنَّ السِّرَّ حتى أُمِيتَه ... وقد كان عندي للأمانَةِ مَوْضِعُ

أبو الطيب(١٠):

وسِرُّكُمْ في الحَشَا مَيِّتٌ ... إذا أُنْشِرَ السِّرُّ لَا يُنْشَرُ

❁ ❁ ❁

(١) ديوانه ص١٨٥.

(٢) ذيل الأمالي ص٩، وفيات الأعيان (٢: ١٤٧).

(٣) هو المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، والبيتان من قصيدة طويلة في رثائه.

(٤) ديوانه (١: ١٨٥). (٥) ديوانه (١: ٣٢٢).

(٦) البخنق: ما يجعل على رأس الصبي.

(٧) المخش: الرجل الجريء. وخوض: بالغ في الخوض. واللبة: أعلى الصدر؛ والمراد بمائها دمها. والصنديد: السيد الشجاع.

(٨) التبيان (٢: ٩٢). (٩) التبيان (٢: ٩٢).

(١٠) ديوانه (٢: ٩٢).

الأعور الشنيّ ـ وهو كثير[1]:

إذا صَبّحتْني من أُناسٍ ثَعالبٌ ... لأدْفَع ما قالُوا منحتُهُمُ حَقْرا

أبو الطيب[2]:

ويَحْتَقِرُ الحُسَّادَ عَنْ ذِكْرِهِ لهُمْ ... كأَنَّهُمُ في الخَلْقِ ما خُلِقُوا بَعْدُ

وله[3]:

أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُني ... فَلَا أُعَاتِبُهُ صَفْحاً وإهْوَانَا

المصراع الثاني هو المعنى الأول، وقد كثر حتى خرج عن باب السّرق.

۞ ۞ ۞

زياد الأعجم[4]:

إنَّ السَّماحة والمُروءةَ ضُمِّنَا ... قَبْراً بمَرْوَ على الطّرِيقِ الوَاضِحِ

أبو الطيب[5]:

فِيهِ الفَصَاحَةُ والسَّماحَةُ والتُّقَى ... والبَأْسُ أَجْمَعُ والحِجَا والخِيرُ

۞ ۞ ۞

المؤرج التَّغْلِبي.

يَغْتَابُ عِرْضِي خَالِياً ... وإذَا تَلَاقَيْنَا اقْشَعَرَّا

يُبْدِي كلاماً لَيِّناً ... عِنْدِي ويُخْفِي مُسْتَسِرَّا

سُوَيْد بن أبي كاهل[6]:

ويُحَيِّيني إذَا لَاقَيْتُهُ ... وإذا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعْ

ولأبي الطيب[7]:

مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ على أَثَرِي[8]

۞ ۞ ۞

الخُرَيْميّ وهو مشهور وهذا من أملحه[9]:

زَادَ مَعْرُوفُكَ عِنْدِي عِظَماً ... أَنَّهُ عِنْدَكَ محقورٌ صغيرُ

---

(١) التبيان (١: ٣٨٠).

(٢) ديوانه (١: ٣٨٠).

(٣) ديوانه (٤: ٢٥٣).

(٤) ذيل الأمالي ص٩، وفيات الأعيان (٢: ١٤٧).

(٥) ديوانه (٢: ١٣٠).

(٦) المفضليات: (١: ١٩٦).

(٧) ديوانه (٤٠: ٢٢٣).

(٨) صدر بيت عجزه: ألقى الكمي ويلقاني إذا حانا

(٩) التبيان (٤: ٦٥).

تَـتَـنَـاسَـاهُ كـأنْ لَـمْ تَـأْتِـهِ وهْـوَ فـي الـعـالـم مَـشـهـورٌ كَـثِـيـرُ

قال أبو الطيب ـ وأحسن وتناهى في الإحسان[١]:

تَـظُـنُّ مِـنْ فَـقْـدِك اعْـتِـدَادَهُـمُ أَنَّـهُـمْ أَنْـعَـمُـوا ومـا عَـلِـمُـوا

۞ ۞ ۞

ذو الإصبع العذواني ـ وهو كثير[٢]:

أطَـافَ بِـنَـا رَيْـبُ الـزَّمَـانِ فـداسـنـا لَـهُ طَـائِـفٌ بـالـصَّـالِـحِـيـنَ بَـصِـيـرُ

البحتري[٣]:

أَلَـمْ تَـرَ لـلـنـوائـب كَـيْـفَ تَـسْـمُـو إِلَـى أَهْـلِ الـنَّـوَافِـلِ والـفُـضُـولِ

أبو الطيب[٤]:

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ[٥]

ومثل هذا قوله[٦]:

أُعِـيـذُكُـمْ مِـنْ صُـرُوفِ دَهْـرِكُـمُ فَـإِنَّـهُ فـي الْـكِـرَامِ مُـتَّـهَـمُ

ومن هذا المعنى قول أبي تمام[٧]:

إِنْ يَنْتَحِلْ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ ويُسْلِمُ النَّاسَ بَيْنَ الحَوْضِ والْعَطَنِ[٨]

فَالْمَاءُ لَيْسَ عَجِيباً أَنَّ أَطْيَبَهُ يَفْنى ويَمْتَدُّ عُمْرُ الآجِنِ الأسِنِ[٩]

وهو ما روي عن النبي ﷺ من قوله: «أَعْظَمُ الناس بلاءً الأَمْثَلُ فالأمثل».

۞ ۞ ۞

مُزاحم العُقَيْلي[١٠]:

وجوهٌ لو أَنَّ الـمُدْلجين اعْتَشَوْا بها قَطَعْنَ[١١] الدجى حتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلي

أشجع[١٢]:

مَـلِـكٌ بِـنُـورِ جَـبِـيـنِـهِ يَـسْـري ويَـخْـرُ الـلَّـيـلِ طَـامِ

---

(١) ديوانه (٤: ٦٥).
(٢) التبيان (٤: ٦٥).
(٣) ديوانه (٢: ١٦١).
(٤) ديوانه (٤: ١٩٩).
(٥) صدر بيت؛ بقيته:

يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(٦) ديوانه (٤: ٦٩).
(٧) ديوانه ص٣٨٨.
(٨) ينتحل: ينسب نفسه، والعطن: مبرك الإبل حول الحوض.
(٩) الآجن والآسن: المتغير.
(١٠) التبيان (٢: ٣٤٤).
(١١) رواية العكبري: «صدعن».
(١٢) التبيان (٢: ٣٤٤).

أبو الطيب[(١)]:

فما زَالَ لولا نُورُ وَجْهِك جُنْحُه ... ولا جابَها الرُّكْبَانُ لولا الأَيانِقُ[(٢)]

۞ ۞ ۞

المرَّار بن سعيد، وقد وصف فَلاةً ودليلها، وهو كثير عن العرب. وهذا من مليح ما جاء فيه:

يَسْري الدليلُ بها خيفةً ... وما بكآبته من خفاءِ

إذا هو أنكر أسماءَها ... وعيّ وحُقّ له بالعياء

له نظرتان فمرفوعَةٌ ... وأخرى تأمّل ما في السِّقاء

وثالثةٌ بعد طول الصمات ... إليَّ وفي حلقه كالبُكاءِ

هُذْبة[(٣)]:

يظلُّ بها الهَادِي يقلِّبُ طَرْفَه ... مِنَ الهَوْلِ يَدْعُو وَيْلَهُ وهو خائفُ

آخر[(٤)]:

إذا اجْتَازَهَا الخرِّيتُ قال لِنَفْسِهِ ... أتاك برجلي حائن كلُّ حَائِن

أبو الطيب[(٥)]:

يتلوَّنُ الخِرِّيتُ من خَوْفِ التَّوَى ... فِيهَا كما تَتَلوَّنُ الحِرْبَاءُ[(٦)]

وملح في قوله[(٧)]:

كَمْ مَهْمَهٍ قُذُفٍ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ ... قَلْبُ المُحِبِّ قَضَانِي بَعْدَمَا مَطَلا

ومن هذا المعنى قول دِعْبِل:

إذا أُقْحِمَ الرَّكبانُ فيها تبتَّلُوا ... فمستغفرٌ من ذنبه ومُسَبِّحُ

۞ ۞ ۞

عبد الرحمن بن دَارَة وهو كَثِيرٌ عن العرب[(٨)]:

فإن أنْتُم لمْ تقتلوا بأخِيكُم ... فكونوا بَغَايا للخَلُوق وللكحل

---

(١) ديوانه (٢: ٣٤٤).

(٢) جنح الليل: طائفة منه. وجاب: قطع. والأيانق: جمع ناقة. يقول: لولا نور وجهك لما زال جنح الظلام، ولا قطعنا الأرض البعيدة لولا الأيانق.

(٣) التبيان (١: ١٧). (٤) التبيان (١: ١٧)، ونسبه إلى الطرماح.

(٥) ديوانه (١: ١٧).

(٦) الخريت: الدليل. والتوى: الهلاك. والحرباء: دابة تدور مع الشمس كيفما دارت.

(٧) ديوانه (٣: ١٧٠). (٨) الأغاني (٢١: ٥٦، طبعة الساسي).

وبيعوا الرُّدَيْنِيَّاتِ بالحُلْي واقعُدوا ... على الذلّ وابتاعوا المغازلَ بالنَّبْل

أبو الطّيب[1]:

إذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعيشَ بِذِلَّةٍ ... فَلَا تَسْتَعِدَّنَّ الحُسَّامَ الْيَمَانِيَا

ولَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ ... ولا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِتَاقَ المَذَاكِيَا[2]

❁ ❁ ❁

أبو تمام[3]:

كم نِعْمَةٍ لِلَّهِ كانَتْ عِنْدَهُ ... فكأَنَّهَا في غُرْبَةٍ وإسَار

آخر[4]:

لَا يليقُ الغِنى بوَجْهِ أَبِي يَعْـ ... ـلَى ولا نُورُ بَهْجَةِ الإسلامِ

أبو الطيب[5]:

والْغِنَى في يَدِ اللَّئيمِ قَبِيحٌ ... قَدْرَ قُبْحِ الْكَرِيمِ في الإمْلَاقِ

❁ ❁ ❁

أبو جُويرية العَبْدِيّ:

وبدأة مجدٍ لم تَكُنْ فافترعْتها ... إلى كل أُفْق تَحْتَويها القَصَائِدُ

البحتري[6]:

وغرائبٌ في المجد[7] تعلم أنّها ... من شاعرٍ أو عالمٍ أو كاتبِ

وهو من قول أبي تمام[8]:

وأرى سماحك يا بن وهب شاعراً ... يلقى المديح من الندى بنقائص

أبو الطيب[9]:

شَاعِرُ المَجْدِ خِدْنُه شَاعِرُ اللَّفْـ ... ـظِ كِلَانَا رَبُّ المَعَانِي الدِّقَاقِ

ومثل هذا المعنى بعينه قول أبي تمام[10]:

غَرُبَتْ خَلَائِقُهُ وَأَغْرَب شَاعِرٌ ... فيه فأحْسَنَ مُغْرِبٌ في مُغْرِبِ[11]

---

(١) ديوانه (٤: ٢٨٢).

(٢) العتاق: الأفراس الكريمة؛ والمذاكي: الخيل التي قد تمت أسنانها.

(٣) التبيان (٢: ٣٧٠).

(٤) التبيان (٢: ٣٧٠)، ونسبه للعطوي.

(٥) ديوانه (٢: ٣٧٠).

(٦) ديوانه (١: ٦٧).

(٧) في ديوانه: «في الجود».

(٨) لم نجد هذا البيت في ديوان أبي تمام الذي بين أيدينا.

(٩) ديوانه (٢: ٣٧١).

(١٠) ديوانه ص١٥.

(١١) يقول: إن طبائعه غريبة عن طبائع الناس؛ فهي أرفع منها. وأغرب: أتى بالغريب الذي يتعالى عن غيره من الشعراء.

وقد كرره أبو الطيب وخالف بين أمثلته فقال[١]:

تَرَفَّعَ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُه ... فما يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إلَّا عَذارِيَا[٢]

وقال[٣]:

يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبَهُ ... في مَجْدِهِ كَيْفَ يُخْلَقُ النَّسَمُ[٤]

فزاد في البيتين معاً وقال[٥]:

يَمْشِي الْكِرَامُ على آثارِ غيرِهُمُ ... وأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وتَبْتَدِعُ

۞ ۞ ۞

بعض المحدثين[٦]:

شَخَصَ الأَنَامُ إِلى جمالك فاسْتَعِذْ ... مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِم بِعَيْبٍ وَاحِدِ

مثله[٧]:

قد قلتُ حينَ تكامَلَتْ وغَدَتْ ... أَفْعَالُهُ زَيْناً من الزَّيْنِ

ما كانَ أَحْوَجَ ذا الكمالَ إلى ... عيْبٍ يُوَقِّيهِ من العَيْنِ

أبو الطّيب[٨]:

كأَنَّ الرَّدَى عَادٍ على كلِّ مَاجِدٍ ... إِذَا لم يُعَوِّذْ مَجْدَه بِعُيُوبِ

ومثله[٩]:

فقل له[١٠] لَسْتَ خَيْرَ ما نَثَرَتْ ... وإِنَّمَا عَوَّذَتْ بِكَ الْكَرَمَا

خَوْفاً مِنَ الْعَيْنِ أَنْ تُصَابَ بها ... أَصَابَ عَيْناً بِهَا يُعَانُ عَمَى

۞ ۞ ۞

ذو الرّمة[١١]:

رَجِيعَةُ[١٢] أَسْفَارٍ كأَنَّ زِمَامَها ... شُجاعٌ لَدَى يُسْرَى الذِّرَاعَيْنِ مُطْرِقُ

---

(١) ديوانه (٤: ٢٨٨).

(٢) العون: جمع عوان؛ وهي خلاف البكر. والعذارى: جمع عذراء؛ وهي البكر التي لم يمسها بعل. يقول: إن قدره جليل فلا يفعل شيئاً إلا ابتكاراً.

(٣) ديوانه (٤: ٦٣).

(٤) النسم: جمع نسمة؛ وهي الروح.

(٥) ديوانه (٢: ٢٣١).

(٦) التبيان (١: ٥٢).

(٧) التبيان (١: ٥٢)، وذكر الثعالبي البيت الثاني في فقه اللغة ص٧، ونسبه إلى كشاجم.

(٨) ديوانه (١: ٥٢).

(٩) ديوانه (٤: ١٦٥).

(١٠) الضمير في له يرجع إلى البيت قبله:

فليرنا الورد إن شكا يده ... أحسن منه من جوده سلما

(١١) لسان العرب مادة ـ رجع.

(١٢) الرجيع من الدواب: ما رجعته من سفر إلى سفر؛ وهو الكالّ، والأنثى رجيعة.

أبو الطيب[١]:

تُجاذبُ فُرسانَ الصَّباحِ أَعِنَّةً كأَنَّ عَلَى الأعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا[٢]

وفي هذا البيت معنى يُخرجه عن اتباع البيت الأول، لأن ذا الرُّمة لم يَزِدْ على التشبيه وليس هو الذي قصده أبو الطيب، وإن كان قد جرى في غَرض بيته، وإنما أراد أنها لا تترك الأعنة تستقر في أيدي فرسانها، لما يزعجها من سَوْرة المَرَح، وحسن البقية بعد طول السُّرى؛ فكأنما الأعنة أفاعي تلدغ أعناقها إذا باشرتها، فيجاذبها الفارس فرسَه وهي تجاذبه إياها. وهذا غرض آخر ومقصد لم يتعرض له ذو الرُّمة.

۞ ۞ ۞

بكر بن النَّطّاح[٣]:

كأنك عِنْدَ الكَرِّ فِي حَوْمَةِ الوَغَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَا

أبو الطيب[٤]:

فَكَأَنَّهُ والطَّعْنُ مِنْ قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا

۞ ۞ ۞

بَكْرٍ [ابن النَّطاح][٥]:

كأَنَّ المَنَايَا ليس يَجْرِينَ في الوَغَى إِذَا الْتَقَتِ الأَبْطَالُ إِلَّا بِرأيِه

أبو الطيب[٦]:

تَغْدُو المَنَايا فما تَنْفَكُّ واقفةً حَتَّى يقولَ لها عُودِي فتَنْدَفِعُ

۞ ۞ ۞

أبو نواس[٧]:

وقَدْ غَلَبَتْهَا عَبْرَةٌ فدُمُوعُهَا عَلَى خَدِّهَا حُمْرٌ وفِي نَحْرِهَا صُفْرُ

أبو الطَّيب[٨]:

تَبُلُّ الثَّرَى سُوداً مِنَ المِسْكِ وَحْدَهُ وقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعَرِ الجَثْلِ[٩]

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٤: ٢٨٦).

(٢) فرسان الصباح: فرسان الغارة التي تغير عند الصباح؛ لأن الغارة عادة تكون في ذلك الوقت. والأفاعي: جمع أفعى؛ وهو الذكر من الحيات.

(٣) التبيان (٤: ١٩٩).

(٤) ديوانه (٤: ١٩٩).

(٥) التبيان (١: ٢٧٣).

(٦) ديوانه ص٢٢٩.

(٧) التبيان (٣: ٤٤).

(٨) ديوانه (٣؛ ٤٤).

(٩) الجثل: الشعر الكثير الملتف.

أبو تمام[١]:

فَغَرَّبْتُ حتَّى لم أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وغرَّبَ حتَّى قد نَسِيتُ المغَاربَا

أبو الطيب[٢]:

فَشَرَّقَ حتى ليس للشَّرْقِ مَشْرِقٌ وغرَّبَ حتى ليس للغَرْبِ مَغْرِبُ

❁ ❁ ❁

البحتري[٣]:

لـمَّا أَتَاكَ يَقُودُ جَيْشاً أرْعَنا يَمْشِي عَلَيْهِ كَثَافَةً وجُمُوعَا

فنقله أبو الطيب إلى كثافة الرَّهج[٤] فقال[٥]:

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَراً لَوْ تَبْتَغِي عَنَقاً عليه لأمْكَنَا[٦]

وقال ابن الرُّومي مثلَ هذا[٧]:

فَلَوْ حَصَبْتَهُمْ بالفَضَاءِ سَحَابَةٌ لظَلَّ عَلَيْهِمْ حَصْبُهَا يَتَدَحْرَجُ

وتبعه أبو الطيب فقال[٨]:

يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الأَسَلُ[٩]

❁ ❁ ❁

مُسْلم[١٠]:

في عَسْكَرٍ تشرقُ الأرْضُ الفَضَاءُ بِهِ كالليلِ أَنْجُمُه القُضْبَانُ والأَسَلُ

أبو الطيب[١١]:

وكأنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهِ دُجَى ليلٍ وأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا

وقد نقله إلى مثال آخر فقال[١٢]:

يَزُور الأعادي في سماء عَجَاجةٍ أسنَّتُه في جانبَيْها الكواكبُ

وقد ذكرنا أصله فيما تقدم.

---

(١) ديوانه ص١٧.

(٢) ديوانه (١: ١٨٧).

(٣) ديوانه (٢: ٨٥).

(٤) الرهج: الغبار.

(٥) ديوانه (٤: ٢٠٤).

(٦) السنابك: جمع سنبك؛ وهو طرف مقدم الحافر، والعثير: الغبار. والعنق: ضرب من السير شديد.

(٧) ديوانه ص٢٨٨، ورواه في التبيان (٣: ٢١٥):

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظلت على هاماتهم تتدحرج

(٨) ديوانه (٣: ٢١٥).

(٩) الأسل: رماح تصنع من شجر الأسل.

(١٠) ديوانه ص٧١.

(١١) ديوانه (١: ١٢٨).

(١٢) ديوانه (١: ١٠٧).

الحصين بن الحِمام[١]:

يَطَأْنَ مِنَ الْقَتْلَى وَمِن قِصَد الْقَنَا خَبَاراً فَمَا يَجْرِينَ إلَّا تَجَشُّمَا[٢]

أبو الطيب[٣]:

يَطَأْنَ مِنَ الأَبْطَال مَنْ لَا حَمَلْنَهُ ومِنْ قِصَدِ المُرَّانِ مَا لَا يُقَوَّمُ[٤]

وقد أخذ الشعراءُ هذا المعنى فتداولوه، ومنه قول أبي تمام:

حَوافِرُها مَخْضُوبَةٌ بِدِمَائِه ومن غُنْمِها تيجانُه وخَلاخِلُه

ونحو هذا البيت قول أبي الطيب[٥]:

أَجِلَّتُهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ ومَوْطِئُها مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهْ[٦]

وكرر المعنى فقال[٧]:

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ المُلُوكِ فَبَاشَرَتْ سَنَابِكُها هَامَاتِهِمْ والمَغَانِيَا

ثم أعاد وزاد وأحسن فقال[٨]:

حَتَّى انْتَهَى الفَرَسُ الجَارِي وما وَقَعَتْ في الأرْضِ من جِيَفِ الْقَتْلَى حَوَافِرُهْ

❁ ❁ ❁

البحتري[٩]:

ولم أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتَتْ لَدَى المَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بواحِدِ

أبو الطيب[١٠]:

لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بها وبالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ

❁ ❁ ❁

البحتري[١١]:

وإنَّ مُقَامِي حَيْثُ خَيَّمْتَ مِحْنَةٌ تُخَبِّرُ عَنْ فَهْمِ الكِرَامِ الأَجَاوِدِ[١٢]

---

(١) المفضليات (١: ٦٤).

(٢) قصد القنا: القطع المتكسرة من الرماح. والخبار: الأرض اللينة، والتجشم: حمل النفس على المشقة وما تكره.

(٣) ديوانه (٣: ٣٥٣).

(٤) المران: الرماح.

(٥) ديوانه (٣: ١٣٧).

(٦) الملاغم ما حول الفم. يقول: إن أجلة خيله ثياب من طغى عليه وخالفه، وموطئها من كل من بغى عليه وجهه.

(٧) ديوانه (٤: ٢٩٣).

(٨) ديوانه (١: ١٢١).

(٩) ديوانه (١: ١٣٦).

(١٠) ديوانه (١: ٣٥٠)، وروايته هناك:

لما وزنت بك الدنيا رجحت بها

(١١) ديوانه (١: ١٣٦).

(١٢) في ديوانه: «الأماجد».

أبو الطيب[١]:

أَنَـا الَّـذِي بَـيَّـنَ الإِلٰـهُ لـه الـ ـأقْدَارَ والـمَـرْءُ حَـيْـثُـمَـا جَـعَـلَـهْ

❁ ❁ ❁

البحتري وهو كثير[٢]:

صَـحَـا واهْـتَـزَّ لِـلْـمَـعْـرُو فِ حَـتَّـى قِـيـلَ نَـشْـوَانُ

أبو الطيب[٣]:

وَجَـادَ فَـلَـوْلَا جُـودُهُ غَـيْـرَ شَـارِبٍ لَـقِـيـلَ كَـرِيـمٌ هيَّجَتْـهُ ابْـنَـةُ الْـكَـرْمِ

❁ ❁ ❁

عُمَيْر بن جُعَيْل:

يُثِيرانِ من نَسْجِ التراب قَميـ ـصَيْنِ أسْمالاً ويَرْتديان

عديّ بن الرِّقاع[٤]:

يَـتَـعَـاوَرَانِ مِـنَ الـغُـبَـارِ مُـلَاءَةً هَـدْبَـاءَ سَـابِـغَـةً هُـمَـا نَـسَـجَـاهَـا

أبو الطيب[٥]:

خَـافِـيَـاتِ الأَلْـوَانِ قَـدْ نَـسَـجَ النَّـقْـ ـعُ عَـلَـيْـهَـا بَـرَاقِـعـاً وَجِـلَالًا[٦]

❁ ❁ ❁

البحتريّ في السيف:

مُصْغٍ إلى حكم الردى فإذا مضى لـم يلتفتْ وإذا قَضى لـم يَعْدِلِ

أبو الطيب ومثله كثير[٧]:

لَـمَّـا تَـحَـكَّـمَـتِ الأَسِـنَّـةُ فِـيـهِـمُ جَـارَتْ وَهُـنَّ يَـجُـرْنَ فِـي الأَحْـكَـامِ

❁ ❁ ❁

أعشى باهلة[٨]:

لا يأْمَنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحه من كل أوْبٍ وإنْ لم يأتِ يُنْتَظَرُ

خُزَز بن لوذان:

ودعوتَ جَيْشاً بالثغور محلُّهم والجيشُ باسم أبيهمْ يُسْتَهْزَمُ

---

(١) ديوانه (٣: ٢٦٨).
(٢) ديوانه (٢: ٢٧٣).
(٣) ديوانه (٤: ٥٦).
(٤) التبيان (٣: ١٣٥).
(٥) ديوانه (٣: ١٣٥).
(٦) الجلال: جمع جل؛ وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج.
(٧) ديوانه (٤: ١٢).
(٨) الكامل للمبرد (٨: ١١٢).

ومثله قول الفرزدق:

لقوا مثلهم فاسْتَهْزَموهُ بدعوةٍ ... دَعَوْهَا وكيعاً والجيادُ بهم تجري

يقول: إذا انتموا فَرِق القوم منهم فانْهزمُوا.

وقد أكثر الناس في الرّعب، وتصرفوا. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بالرعب».

قال أشجع:

كأنّ عليها من مخافة جَعْفَرٍ ... كتائبهُ مبثوثة وجَحَافِله

العكَوّك:

غَدَا مجتمِع العزم ... له جُنْدٌ من الرُّعْبِ

أبو تمام[1]:

إلّا تكُنْ حُصِرَتْ فقد أضحى لها ... من خوف قارِعة[2] الحِصار حِصارُ

وله[3]:

لو لَمْ يُزَاحِفْهُم لَزَاحَفَهم لَهُ ... ما في صدورهُمُ من الأوْجَالِ

أبو الطيب[4]:

إذا ما لَمْ تُسِرْ جَيْشاً إليهم ... أَسَرْتَ إلى قُلوبهمُ الهُلُوعَا

وله[5]:

بَعثُوا الرُّعْبَ في قُلوبِ الأعَادِي ... فكأنَّ القتالَ قبل التَّلاقِ

وله[6]:

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الخَوْفِ وَاصْطَنَعَتْ ... لَكَ المَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعَ البُهَمُ[7]

وله[8]:

أَبْصَرُوا الطَّعْنَ في الْقُلُوبِ دِرَاكاً ... قَبْلَ أَنْ يُبْصِروا الرِّمَاحَ خَيَالَا[9]

وله[10]:

فَهُمُ لاتِّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْ ... مِ نِزَالٍ ولَيْسَ يَوْمَ نِزَالِ[11]

وله[12]:

صِيَامٌ[13] بأَبْوَابِ القِبَابِ جِيَادُهُمْ ... وأَشْخَاصُها في قَلْبِ خائِفهم تَعْدُو

---

(١) ديوانه ص١٤٥.
(٢) القارعة: الداهية.
(٣) ديوانه ص٢٦.
(٤) ديوانه (٢: ٢٥٧).
(٥) ديوانه (٢: ٣٦٦).
(٦) ديوانه (٣: ٣٦٥).
(٧) البهم: جمع بهمة وهو البطل.
(٨) ديوانه (٣: ١٤١).
(٩) الدراك: التتابع.
(١٠) ديوانه (٣: ١٩٨).
(١١) النزال: المحاربة.
(١٢) ديوانه (٢: ٧).
(١٣) يقال: صام الفرس إذا قام.

وله[1]:

تُغِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ ... ومَا لَهُ بأَقَاصِي الْبَرِّ إهْمَالُ

❁ ❁ ❁

عمرو بن الأهتم:

إذا المرءُ لم يُخْبِبْكَ إلّا تكرُّها ... يَدُلُّكَ من أَخْلَاقِه ما يغَالِبُ

وأصله قول زهير[2]:

ومَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرِئٍ مِنْ خليقةٍ ... وإن خَالَها تَخْفَى على النَّاس تُعْلَمِ

أبو الطيب[3]:

ولِلنَّفسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَتَى ... أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيَا

أبو تمام:

مَفَازَةُ صَدْرٍ لو تطرّق لم يكن ... ليسلُكها فردا سُلَيكُ المقانِب

وله[4]:

ورُحْبَ صَدْرٍ لوَ اَنَّ الأرض وَاسِعةٌ ... كوُسْعِهِ لم يَضِقْ عن أَهْلِهِ بَلَدُ

البحتري[5]:

كريمٌ إذا ضاقَ الزَّمانُ فإنّه ... يضلُّ الفضاءُ الرَّحبُ في صَدْرِه الرَّحْبِ

وله:

ليسَ الَّذِي ضلت تميمٌ وسطَها الد ... هْنَاءَ لا بلْ صدرُك الدَّهْنَا

أبو الطيب[6]:

شِيَمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكِّكَ نَاقتي ... صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أم البَيْدَاء

وله[7]:

تَضِيقُ عن جَيْشه الدُّنيَا ولو رَحُبَتْ ... كصَدْرِهِ لم تَبِنْ فيها عَسَاكِرُه[8]

وله ـ وقد أساء[9]:

وأنّك في ثَوْبٍ وصَدْرُكَ[10] فيكما ... على أنّه من ساحةِ الأرْضِ أَوْسَعُ

---

(١) ديوانه (٣: ٢٨٠).

(٢) ديوانه ص١٥.

(٣) ديوانه (٤: ٢٨٤).

(٤) التبيان (١: ١٦).

(٥) ديوانه (١: ٥٣)، وروايته هناك:

كريم إذا ضاق اللئام فإنه ... يضيق الفضاء الرحب في صدره الرحب

(٦) ديوانه (١: ١٦).

(٧) ديوانه (٢: ١٢٠).

(٨) يقول: صدره واسع كأنه لسعته فوق سعة الدنيا.

(٩) ديوانه (٢: ٢٤٧).

(١٠) وصدرك: مرفوع على الاستئناف؛ أي صدرك في الثوب وفي جسدك مع أنه أوسع من =

وقَلْبُك في الدُّنيا ولو دخَلَتْ بنا ... وبالجِنِّ فيه ما دَرَتْ كيف تَرْجِعُ[(١)]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[(٢)]:

لما نَطَقْتُ نَطَقْتُ فيكَ بمنْطِقٍ ... حَقٌّ فلم آثَمْ ولَمْ أَتَحَوَّبِ[(٣)]

ولو امتدحتُ سِواكَ كنتُ متى تَضِقْ ... عنّي لَهُ صِدْقُ المَقالَةِ أَكْذِبِ

أبو الطيب[(٤)]:

وإنّ مَديحَ الناسِ حَقٌّ وبَاطِلٌ ... ومَدْحُكَ حَقٌّ ليس فِيهِ كِذَابُ[(٥)]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[(٦)]:

ولَمْ أَمْدَحْكَ تَفْخِيماً لشعْري ... وَلَكِنّي مَدَحْتُ بِكَ المَدِيحَا

أبو الطيب[(٧)]:

إذَا خَلَعْتُ على عِرْضٍ لَهُ حُلَلا ... وجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَبْهَى مِنَ الْحُلَلِ

۞ ۞ ۞

مطرز بن سبح[(٨)]:

فما أدرك الساعون فينا بِوتْرِهِمْ ... ولا فاتَنا مِنْ سائرِ الناسِ واتِرٌ

الطِّرِمّاح[(٩)]:

إن نأخذ الناس لا تُدْرَكْ أَخِيذَتُنا ... أو نَطَّلِبْ نتعدى الحق في الطّلب

وهو كثير في شعر العرب؛ نقله أبو الطيب إلى الدهر فقال[(١٠)]:

تُفِيتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ ... وهُنَّ لِمَا يَأْخُذْنَ مِنْكَ غَوَارِمُ[(١١)]

۞ ۞ ۞

= وجه الأرض. قال العكبري: ومثله قول ابن الرومي:

كضمير الفؤاد يلتهم الدنـ ... ـيا وتحويه دفتا حيزوم

وقول ابن المعتصم:

يا واسع المعروف على وسع الثرى ... في الأرض صدرك وهو منها أوسع

(١) يقول: قلبك قد أحاطت به الدنيا، ولو دخلت الدنيا بالإنس والجن لضلت فيه.

(٢) ديوانه ص١٥.

(٣) لم أتحوب: لم أتجنب الذنب.

(٤) ديوانه (١: ٢٠٠).

(٥) الكذاب: الكذب؛ وهو مصدر.

(٦) ديوانه ص٧١.

(٧) ديوانه (٣: ٤٠).

(٨) التبيان (٣: ٣٨٢).

(٩) التبيان (٣: ٣٨٢).

(١٠) ديوانه (٣: ٣٨٢).

(١١) تفيت: تفعل من الفوت. والغوارم: جمع غارمة.

أبو تمام[١]:

قَفَا سِنْدِبَايَا والمنايا مُشِيحَةٌ   تُهَدَّى إلى رُوحِ الكميِّ فتَهْتَدِي[٢]

أبو الطيب[٣]:

هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الجيوشِ كأنها   تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الكُمَاةِ وتَنْتَقِي[٤]

وهذا المعنى هو الذي سبقت إليه العرب، فقال عبد يغوث بن صَلاءة[٥]:

ولكنّني أحمي ذِمار أبيكم[٦]   وكان الرماحُ يختطفن المُحَاميَا

فقالت امرأة من العرب:

وقالُوا ماجداً منكم قَتَلْنا   كذاك الرمح يكْلَفُ بالكَرِيم

❁ ❁ ❁

أشْجع:

فما وجه يَحْيَى وحدَه غاب عنهمُ   ولكنَّ يَحْيَى غاب بالخير أجمعا

أبو الطيب[٧]:

غاب الأميرُ فغاب الخيرُ عن بلدٍ   كادت لفَقْدِ اسمهِ تبكي مَنَابِرُهُ

فأما بكاء المنابر فمن قوله:

بَكتِ المنابرُ من فَزَارَةَ شَجْوَها   فاليومَ من قَيْسٍ تَضِجّ وتجزع

وقد قال موسى شهوات[٨]:

بَكَتِ المنابرُ يوم ماتَ وإنَّمَا   أبكَى المنابرَ فَقْدُ فَارِسِهِنَّهْ

ونحوه قول أبي الطيب[٩]:

وأصبَحَ مِصْرٌ لا تَكُونُ أميرَه   ولو أنَّه ذو مُقْلةٍ وفم بَكَى

❁ ❁ ❁

أشجع[١٠]:

شَدَّ الخِطَامَ بأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ   حَتَّى اسْتَقَامَ له الذي لم يُخْطَمِ

---

(١) ديوانه ص١٠١، التبيان (٢: ٣٠٩).   (٢) قفا: تتبع. ومشيحة: مجدة.
(٣) ديوانه (٢: ٣٠٩).   (٤) الكماة: جمع كمي، والأملاك: جمع ملك.
(٥) خزانة الأدب (١: ٣٧٤)، أيام العرب ص١٣٠.
(٦) الذمار: ما يجب على الرجل حفظه.
(٧) ديوانه (٢: ١١٨).
(٨) التبيان (٢: ١٨٨).
(٩) ديوانه (٣: ٣٨٢).   (١٠) مهذب الأغاني (٨: ٢٢٣).

أبو الطيب[١]:

وقد عايَنُوه في سِوَاهُمْ ورُبَّما   أَرَى مارِقاً[٢] في الحَرْبِ مَصْرَعَ مَارق

ونحوه له[٣]:

فَهُمْ حِزَقٌ[٤] على الخَابُور صَرْعَى   بِهِمْ مِنْ شُرْبِ غيرِهِمُ خُمَارُ

ونحوه له[٥]:

تَلَفُ الَّذي اتَّخَذَ الجَرَاءَةَ خُلَّةً   وَعَظَ الَّذي اتَّخَذَ الفِرَارَ خَلِيلَا

۞ ۞ ۞

أشجع:

وتَنَالُ منكَ بِحَدِّ مُقْلَتِها   ما لا يُنَالُ بحدة النَّصلِ

وهو كثير مشهور:

أبو الطيب[٦]:

نَفَذَتْ عَلَيَّ السَّابِرِيَّ وَرُبَّمَا   تَنْدَقُّ فيه الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ[٧]

۞ ۞ ۞

أشجع[٨]:

يَسْبِقُ الرَّعْدَ بالنَّوَالِ كَمَا يَسْـ   ـبِقُ بَرْقَ الغُيوثِ صَوْبُ الْغَمَامِ

أبو الطيب[٩]:

وحَالَتْ عَطايَا كَفِّه دُونَ وعدِه   فَلَيْسَ لَهُ إنْجَازُ وَعْدٍ ولا مَطْلُ

ونحوه له[١٠]:

لقد حالَ بالسَّيْفِ دونَ الوَعيدِ   وحالَتْ عَطاياهُ دونَ الوُعُودِ

ونحوه له[١١]:

واجْزِ الأمِيرَ الَّذي نُعْمَاهُ فاجِئَةٌ   بغَيْرِ قَوْلٍ ونُعْمَى النَّاسِ أَقْوَال

وقد سبقه إلى هذا اللفظ يزيد المهلَّبي في قوله[١٢]:

---

(١) ديوانه (٢: ٢٣٠).
(٢) المارق: الذي يمرق من الطاعة.
(٣) ديوانه (٢: ١٠٩).
(٤) الحزق: الجماعات.
(٥) ديوانه (٣: ٢٤٣).
(٦) ديوانه (١: ١٥).
(٧) السابري: الدرع العظيم التي لا ينفذها شيء. والصعدة: القناة. يقول: إن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته؛ وربما كان الرمح يندق دون الوصول إليه.
(٨) التبيان (٣: ١٨٨).
(٩) ديوانه (٣: ١٨٨).
(١٠) ديوانه (١: ٣٤٣).
(١١) التبيان (٣: ٢٧٧).
(١٢) التبيان (٣: ٢٧٧).

وكَـمْ لَـكَ نَـائِـلاً لَـمْ أَحْـتَـسِـبْـهُ كَـمَـا يُـلْـقَـى مُـفـاجـأةً حَـبِـيـبُ

۞ ۞ ۞

أشجع[(١)]:

يُـعْـطِـي زِمـامَ الـطَّـوعِ إخْـوَانَـه ويَـلْـتَـوي بـالـمـلِـكِ الـقَـادِرِ

أبو تمام[(٢)]:

جَلِيدٌ على عَتْبِ الخُطُوبِ إذَا عَرَتْ وليس على عَتْبِ الأخِلَّاء بالجَلْدِ

أبو الطيب[(٣)]:

إنـي لأَجْـبُـنُ عَـنْ فِـرَاقِ أحـبَّـتـي وتُـحسُّ نَـفـسي بِـالـحـمامِ فـأَشْجُعُ

ويـزيـدُني غـضـبُ الأعَـادِي قـسـوةً ويُـلِـمُّ بـي عَـتْـبُ الـصَّـدِيـقِ فـأَجْـزَعُ

۞ ۞ ۞

الخريمي، وقد تقدمه فيه جماعة من الشعراء[(٤)]:

إذا أنْـتَ لـم تَـحْـمِ الـقـديـمَ بـحـادثٍ من المجدِ لم يَنْفَعْك ما كانَ مِنْ قَبْلُ

البحتري[(٥)]:

ولـسـتُ أعـتـدُّ لـلـفـتـى حَـسَـبـاً حـتـى يُـرَى فـي فـعـالـه حَـسَـبُـه

أبو الطيب[(٦)]:

إذا لـم تَـكُـنْ نفسُ الـنسيبِ كـأصْـلِهِ فـمـاذا الَّـذِي يُـغْـنـى كِـرَامُ الـمـنـاصِـبِ

ومثله كثير؛ وله أمثلة؛ ومن قديم ما جاء فيه [قول] المتوكل الليثيّ:

لَـسْـنَـا وإن كَـرُمَـتْ أوائِـلُـنَـا يـومـاً عـلـى الأحْـسـاب نَـتَّـكـلُ

نَـبْـنِـي كـمـا كـانـت أوائـلُـنـا تـبـنـي ونـفـعـلُ مـثـل مـا فـعـلـوا

ومثل هذا قول أبي الطيب[(٧)]:

ولَـسْـتُ بِـقَـانـعٍ مِـنْ كـلِّ فَـضْـلٍ بـأَنْ أُعْـزَى إلَـى جَـدٍّ هُـمَـامِ

وقريب منهم قول بعضهم:

أَبُـوكَ أَبٌ حُـرٌّ وأُمُّـكَ حُـرَّةٌ وقَـدْ يَـلِـدُ الـحُـرَّانِ غَـيْـرَ نـجـيـبِ

وقول الآخر:

لـئِـنْ فَـخَـرْت بـآبَـاءٍ لَـهُـمْ شَـرَفٌ لَـقَـدْ صَـدَقْـتَ ولَـكِـنْ بـئـس مـا وَلَـدُوا

(١) التبيان (٢: ٢٦٩).
(٢) ديوانه ص١٢٨.
(٣) ديوانه (٢: ٢٦٩).
(٤) التبيان (١: ١٥٥).
(٥) ديوانه (١: ٣٣).
(٦) ديوانه (٣: ١٥٥).
(٧) ديوانه (٤: ١٤٥).

أبو الطيب[١]:

أَرَى الأَجْدَادَ يَغْلِبُهَا كَثِيرٌ عَلَى الأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللِّئَامِ

۞ ۞ ۞

الخُرَيمي[٢]:

كأنَّ عليه الشُّكرَ في كلِّ نِعْمةٍ يُقَلِّدُنِيها بَاديا ويُعِيدُهَا

أبو الطيب[٣]:

مِنَ القَاسِمينَ الشُّكْرَ بيني وبينهم لأنَّهم يُسْدَى إليهمْ بأنْ يُسْدُوا

فشُكْرِي لهم شُكْرَانِ: شُكْرٌ على النَدَى وشُكْرٌ على الشُّكْرِ الَّذِي وهَبُوا بَعْدُ

وله[٤]:

إذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمُ عَلَيْهِ وَإنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ السُّؤَالَا

۞ ۞ ۞

علي بن جَبلة ـ وقد جاء مثله في شعر العرب:

ومَا يَشْفِي صُدَاعَ الرَّأْ سِ مِثْلُ الصارم العَضْبِ

أبو الطيب[٥]:

إذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً بِثَغْرٍ سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوَالِ

۞ ۞ ۞

علي بن جَبَلة[٦]:

بهِ عَلِمَ الإعطَاءَ كلُّ مُبَخَّلٍ وأَقْدَمَ يومَ الرَّوْعِ كلُّ جَبَانِ

أبو الطيب[٧]:

فيا أَجْبَنَ الفُرْسَانِ صاحِبُهُ تَجْتَرِئ ويا أَشْجَع الشُّجْعان فارقْهُ تَفْرَق

وله[٨]:

أَضْرَتْ[٩] شَجَاعَتُه أَقْصَى كَتَائِبِه على الحِمَامِ فما موتٌ بمَرْهُوبِ

۞ ۞ ۞

---

(١) ديوانه (٤: ١٤٤).
(٢) التبيان (٢: ٧).
(٣) ديوانه (٢: ٧).
(٤) ديوانه (٣: ٢٣٠).
(٥) ديوانه (٣: ١٦).
(٦) التبيان (٣: ٢١٥).
(٧) ديوانه (١: ٢١٥).
(٨) ديوانه (١: ١٧٢).
(٩) أضرت: جرأت.

علي بن جَبلة[١]:

فَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَا فَتَجَزَّأَتْ ... لكانَتْ لَكَ الْعَيْنَانِ والأُذْنانِ

أبو الطيب ـ وقد زاد وأحسن[٢]:

الْجُودُ عَيْنٌ وفيكَ نَاظِرُهَا ... والْبَأْسُ باعٌ وأَنْتَ يُمْنَاهُ

۞ ۞ ۞

علي بن جَبلة[٣]:

كأَنَّهُمْ والرِّمَاحُ شابكةٌ ... أُسْدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الأَجَمُ

أبو تمام[٤]:

آسَادُ غِيلٍ مُخْدَرَاتٌ[٥] مَا لَهَا ... إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا آجَامُ

وله[٦]:

أُسْدُ الْعَرِينِ إِذَا ما الرَّوْعُ صَبَّحَهَا ... أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابُهَا الأَسَلُ

أبو الطيب[٧]:

بَنُو الْعَفَرْنَى مَحَطَّةَ الأَسَدِ الْـ ... أُسْدُ ولٰكِنْ رِمَاحُهَا الأَجَمُ[٨]

۞ ۞ ۞

ابن جبلة:

وما سوّدَتْ عِجْلاً مآثرُ عزمِهِمْ ... ولكنْ بهم سادت على غيرها عِجْل

وهذا معنى سوء يقصّر بالممدوح، ويغُضُّ من حَسَبه، ويحقِّر من شأن سَلَفه، وإنما طريقةُ المدح أن يجعلَ الممدوحُ يشرُف بآبائه، والآباء تزداد شرفاً به، فيجعل لكل منهم في الفخر حظًّا، وفي المدح نصيباً؛ فإذا حصَلت الحقائق كان النصيبان مقسومين عليهم؛ بل كان لكل فريق منهم، لأن شرف الوالد جزء من ميراثه، ومنتقل إلى ولده كانتقال ماله؛ فإن رُوعي وحُرِس ثبت وازداد، وإن أهمل وأضيع هلك وباد،

(١) التبيان (٤ : ٢٦٤).
(٢) ديوانه (٤ : ٢٦٤).
(٣) التبيان (٤ : ٦٤).
(٤) ديوانه ص٣٨١.
(٥) مخدرات: داخلات الخدر؛ وهو بيت الأسد.
(٦) التبيان (٤ : ٦٤).
(٧) ديوانه (٤ : ٦٣).
(٨) بنو العفرنى: مبتدأ خبره الأسد، والعفرنى: من صفات الأسد؛ ومعناه الشديد. ومحطة: اسم جد الممدوح في القصيدة، وهو علي بن إبراهيم التنوخي، والأسد: نعت لمحطة باعتبار ما فيه من معنى الشجاعة. والأجم: الغاب. يقول: إن بني محطة الذي هو أسد أسود مثله؛ ولكن غاباتهم الرماح لا الشجر كعادة الأسود.

وكذلك شرف الولد يعمّ القبيلة، وللوالد منه القِسْم الأوفر، ولو اقتصر على قوله: «بهم سادت على غيرها عِجْل» لوجد العُذر إليه مسلكاً، ولأمكن أن يقال: إن عِجْلاً تسود بهم وبأفعالها أيضاً فقد تسود القبيلة، وقد يجتمع للإنسان وجوه من الشرف كلها تقدّمه وتَشيد مجدَه وتُسوِّده، فكأنهم مفاخر عِجْل التي تسود بها؛ لكنَّه وغَرَ هذه الطريقة بقوله: «وما سوّدت عجلاً مآثر عزمهم» فجعل الرجل خارجيًّا بائناً، لا حظّ له في حسب آبائه وشرفهم. وإنما الجيد ما قال زهير[1]:

وَمَا يكُ مِنْ خيرٍ أتوه فإنَّمَا ... توارثَه آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ

وقد تجاوز هذا، فجعل الأبَ أوْلَى بالشرف فقال[2]:

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَيْنِ قَدَّمَا حسناً ... نالا الملوكَ وبذَّا هذِه السّوَقا[3]

هو الجوادُ فإن يلْحَقْ بشأوِهِما ... على تكاليفه فمثلُه لَحِقا[4]

أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ ... فمثل ما قَدَّما من صالح سَبَقا[5]

وجرى أبو الطيب على منهاج ابن جَبَلة فقال[6]:

ما بقَومِي شَرُفْتُ بل شَرُفوا بي ... وبنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي

فختم القول بأنهُ لا شرف له بآبائه. وهذا هَجْوٌ صريح، وقد رأيتُ من يعتذر به فيزعم أنه أراد: ما شرفت فقط بآبائي، أي لي مفاخر غير الأبوة، وفيّ مناقبُ سوى الحسب. وباب التأويل واسع، والمقاصد مغيّبة، وإنما يُستشهد بالظاهر، ويتبع موقع اللفظ. فأما قوله:

وبنفسي فخرت لا بجدودي

فهو صالح؛ لأنه لم يَنْفِ أن يكون له فيهم وبهم رتبة في الفخر، لكنه قال: أكتفي في افتخاري عليكم بنفسي فأفضُلكم ولا أفتقر إلى مفاخر جدودي وأتركها وادعة موفورة؛ وقد صرح بهذا في قوله[7]:

وإنَّما يَذْكرُ الجُدُودَ لَهُمْ ... مَنْ نَفَرُوهُ وأَنْفَدُوا حِيَلَهْ[8]

---

(١) ديوانه ص٢٣. (٢) ديوانه ص٣٩.

(٣) الشأو: الغاية. وأراد بالمرأين أبا هرم بن سنان وجده. والمراد بقوله: «نالا الملوك» أنهما نالا بأفعالهما أفعال الملوك. والسوق: أوساط الناس.

(٤) يقول: هو بمنزلة الجواد من الخيل في مسابقة أبويه؛ فإن لحق بهما وساواهما على ما يتكلف من الشدة فمثله لحق ذلك لكرمه.

(٥) المهل: التقدم. يقول: إن سبق الممدوح أبواه في الشرف فهو معذور؛ لأن مثل فعلهما وما قدماه من صالح سعيهما سبق من جاراهما.

(٦) ديوانه (١: ٣٢٢). (٧) ديوانه (٣: ٢٦٧).

(٨) نفروه: غلبوه بالفخر. يقول: إنما يذكر الأجداد والآباء للمفاخرين من غلبوه ولم يجد حيلة، فافتخر بالآباء؛ إذ لم يجد لنفسه فضيلة يفتخر بها.

هُدْبة بن خَشْرَم[١]:

وإنـي لأُخْـلِـي لـلـفـتـاةِ فِـرَاشَـهـا وأصْـرِمُ ذَاتَ الـدلِّ والـقـلـبُ آلِـفُ

ومثله كثير.

أبو الطيب[٢]:

يَـرُدُّ يَـداً عَـنْ ثَـوْبِـهـا وهْـوَ قـادِرٌ ويَعْصِي الهوَى في طَيْفِها وهْوَ رَاقِدُ

۞ ۞ ۞

أشجع:

فأصْبَح في لَحْدٍ من الأرض ميتاً وكانت به حياً تَضِيق الصَّحَاصِح[٣]

أبو الطيب[٤]:

ومَـنْ ضَـاقَـتِ الأرْضُ عَـنْ نَـفْـسِـه حَـرًى[٥] أنْ يَـضِـيـقَ بِـهَـا جِـسْـمُـهُ

۞ ۞ ۞

أبو عيينة[٦]:

تَـطَـيَّـبُ دُنْـيـانـا إذا مـا تَـنَـفَّـسَـتْ كـأنّ فتيتَ الـمِسْـكِ في دُورِنـا هَبَّا

أبو الطيب[٧]:

تَنَفَّسُ والعَوَاصِمُ[٨] منك عَشْرٌ فـيُـعْـرَفُ طِـيـبُ ذَلـكَ فـي الـهَـوَاء

۞ ۞ ۞

حَسَّان[٩]:

إذا مـا نـضَـيْـنـا بـأسْـيـافـنـا جـعـلْـنـا الـجـمـاجـمَ أغْـمـادَهـا

وقد أكثر الناس فيه بعده. ومن مليحه قولُ الحماسي[١٠]:

مَـنـابِـرُهـنَّ بـطـون الأكـ ـفِّ وأغـمـادُهـنَّ رؤوسُ الـمُـلـوك

وقال أبو الطيب[١١]:

لـعِـلْـمِـهـا أنـهـا تَـصـيـرُ دمـاً وأنَّـه فـي الـرِّقـاب يُـغْـمِـدُهـا

---

(١) التبيان (١: ٢٦٨). (٢) ديوانه (١: ٢٦٨).

(٣) الصحاصح: جمع صحصح؛ وهو ما استوى من الأرض.

(٤) ديوانه (٤: ١٥٤). (٥) حرىً: الحقيق والخليق والمناسب.

(٦) التبيان (١: ٤٥). (٧) ديوانه (١: ٤٥).

(٨) العواصم: ثغور معروفة تعصم أهلها بما عليها.

(٩) ديوانه (١: ٣٠٩). (١٠) التبيان (١: ١٠٩).

(١١) التبيان (١: ٣٠٩).

صالح بن عبد القدوس[١]:

عُدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّـ ـدِيقِ الْوَامِقِ الأَحْمَقِ

أبو الطيب[٢]:

ومِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنالُكَ نَفْعُهُ ومِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضرُّ ويُؤلِمُ

۞ ۞ ۞

أمية بن أبي الصَّلْت[٣]:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَك الحَيَاءُ

إذَا أَثْنَى عليك المَرْءُ يَوْماً كَفَاهُ مِنْ تَعرُّضِهِ الثَّنَاءُ

أبو بكر الخوارزمي[٤]:

وإذَا طَلَبْتَ إلى كريم حاجةً فلِقاؤُه يَكْفِيكَ والتَّسْلِيمُ

وإذَا رآك مُسَلِّماً عرَفَ الَّذِي حمَّلْتَه فكأَنَّه مَلْزُومُ

أبو الطيب[٥]:

وفي النَّفْسِ حاجاتٌ وفيكَ فَطانةٌ سُكُوتِي بيانٌ عِنْدَها وخِطَابُ

۞ ۞ ۞

عُرْوة بن الوَرْد[٦]:

أُقَسِّمُ جِسْمِي في جُسومٍ كثيرة وأحسو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ

ألمّ به أبو الطيب فقال[٧]:

مَنافِعُها مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا تَغَذَّى وتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وأَنْ تَظْمَا[٨]

۞ ۞ ۞

خداش بن زُهَيْر[٩]:

ولَا أَكُونُ كمَنْ أَلْقَى رِحَالَته على الحمارِ وخلّى صَهْوَةَ الفَرَس

نقله أبو الطيب فزاد وأحسن فقال:

---

(١) التبيان (٤: ١٣٠).
(٢) ديوانه (٤: ١٣٠).
(٣) شعراء النصرانية ص٢٢٠.
(٤) التبيان (١: ١٩٨).
(٥) ديوانه (١: ١٩٨).
(٦) شعراء النصرانية ص٨٨٧.
(٧) ديوانه (٤: ١٠٣).
(٨) الضمير في «منافعها» للجدة المرثية، يعني أنها كانت قليلة المطعم تؤثر بطعامها على نفسها وتجوع لينتفع غيرها.
(٩) التبيان (١: ٩٨).

مَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الجَوَادِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ والغَبَبْ[١]

۞ ۞ ۞

بعضهم:

ورُخْتُ لَا تحمِلُني أعواد سَرْجِيَ مُسْرَجا

أبو الطيب[٢]:

قُحٌ يَكادُ صَهيلُ الخيلِ يَقْذِفُه مِنْ سَرْجِهِ مَرَحا بالعِزّ أَو طَرَبَا[٣]

۞ ۞ ۞

علي بن جَبَلة:

أَعْطَيْتَني يا وليّ الحمدِ مُبْتَدِيا عَطِيَّةً كافأت مَدْحِي ولمْ تَرَنِي

ما شِمْتُ برقَك حتى نلتُ رَيِّقَهُ كأنما كنتَ بالجدْوى تبادِرُني

وهذا من جيده وجيِّد شعرِ المحدثين، وهو واقع في كل اختيار عرَض له أبو الطيب، فقال ـ وهو معنى متداول[٤]:

تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمي عَلَيْهِ وأَلْقَى كِيسَهُ[٥] قَبْلَ الوِسَادِ

۞ ۞ ۞

أبو تمّام[٦]:

كأَنَّ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبْن تَحْتَها حَبِيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ[٧]

محمد بن أبي زَرْعة[٨]:

كأن صَبّيْنِ بَاتَا طُولَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا المُقَلَا

أبو الطيب[٩]:

وكَأَنَّ كُلَّ سَحَابَةٍ وكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بعَيْنِي عُرْوَةَ بْنِ حِزَام[١٠]

۞ ۞ ۞

---

(١) الغبب: ما تدلى تحت حنك الثور. قال الخطيب: ذكر الركوب هنا فيه جفاء، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا.

(٢) ديوانه (١ : ١٢١).

(٣) القح: الخالص من كل شيء. نعت لأشعث في البيت قبله:

بكل أشعث يلقى الموت مبتسماً حتى كأن له في قتله أربا

(٤) ديوانه (١ : ٢٥٨).

(٥) في الديوان «ماله».

(٦) ديوانه ص٢٨٧.

(٧) الغر: البيض. وترقأ: تجف.

(٨) التبيان (٤ : ٧).

(٩) ديوانه (٤ : ٧).

(١٠) عروة بن حزام: أحد عشاق العرب المشهورين.

أشجع[١]:

إنَّ خُـرَاسَـانَ وإنْ أَصْـبَـحَـتْ تَـرْفَـعُ مِـنْ ذِي الـهِـمَّـةِ الـشَّـانَـا
لـم يَـخْـبُ هَـارُونَ بِـهَـا جَـعْـفَـراً لَـكِـنَّـهُ حَـابَـى خُـرَاسَـانَـا

غيره:

والـلَّـه مـا فـجـعُـوكَ بـالـدِّيـوان إذ صرفُـوك بـل فَجَعُـوا بك الـدِّيـوانـا

أبو الطيب[٢]:

نُـهَـنِّـي بِـصُـورٍ أَمْ نُـهـنِّـئُـهـا بِـكـا وقُـلْ لِـلَّـذِي صُـورٌ وأَنْـتَ لـه لَـكَـا
ومـا صـغُـرَ الأَرْدُنّ والـسَّـاحِـلُ الَّـذِي حُـبِـيـتَ بـهِ إلا إلـى جَـنْـبِ قَـدْرِكَـا

❁ ❁ ❁

بعضهم[٣]:

أَتَـيْـتُ فُـؤَادَهَـا أَشْـكُـو إِلَـيْـهِ فَـلَـمْ أَخْـلُـصْ إِلَـيْـهِ مِـنَ الـزِّحَـامِ

أبو الطيب وهو منقول إلى معنى آخر[٤]:

أَبِـنْـتَ الـدَّهْـرِ عِـنْـدِي كـلُّ بِـنْـتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ[٥]

❁ ❁ ❁

عنترة بن الأخرس[٦]:

إذا أَبْـصَـرْتَـنـي أَعْـرَضْـتَ عـنـي كـأنَّ الـشـمـسَ من قِـبَـلِـي تـدُورُ

أبو الطيّب ـ وهو منقول عن غَرَضه[٧]:

كـأنّ شُـعَـاعَ عَـيْـنِ الـشَّـمْـسِ فـيـه فَـفِـي أَبْـصَـارِنَـا عَـنْـهُ انْـكِـسَـارُ

زياد العَبْدي:

صـفّـان مـخـتـلـفـانِ حيـن تـلاقـيـا آبـا بـوجـهِ مـطـلِّـق أو نـاكـح

مسلم:

إذَا ما نكحْنا الحربَ بالبيضِ والْقَنَا جـعـلـنـا الـمـنـايا والـدماء طـلاقَـهـا

سَلْم الخاسر:

يرمـي الـعَـجاج بـهـا أغرّ مـحـجّـلٌ جـعـل الـسـيـوفَ مـنـاكـحـاً وطـلاقـا

---

(١) التبيان (٢: ٣٨١).
(٢) ديوانه (٢: ٣٨١).
(٣) التبيان (٤: ١٤٧).
(٤) ديوانه (٤: ١٤٧).
(٥) بنت الدهر: الحمى. وبنات الدهر: شدائده.
(٦) سمط اللآلئ ص٤٥٢.
(٧) ديوانه (٢: ١١٠).

أبو الطيب[1]:

يُجَنِّبُهَا مَنْ حَتْفُهُ عنه عَاقِلٌ ... ويَصْلَى بِهَا مَنْ نَفْسُه مِنْه طَالِق

وهذه الأبيات مختلفة المعاني، وبيت أبي الطيب بمعزل عنها؛ وإنما استعار منها لفظة الطلاق فقط.

۞ ۞ ۞

مسلم[2]:

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِيثَاقٌ يُخَلِّدُنَا ... إلَى المَشِيبِ انْتَظَرْنَا سَلْوةَ الْكِبَرِ

ألمَّ به أبو الطيب فقال[3]:

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي كَمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا ... وصَيَّرْتُ ثُلْثَيْهَا انْتِظَارَكَ فَاعْلَمِ

۞ ۞ ۞

أبو تمام[4]:

ثَوَى مالُهُ نَهْبَ المَعَالِي وأَوْجَبَتْ ... عليهِ زَكَاةُ الجُودِ ما لَيْسَ وَاجِباً

أبو الطيب[5]:

وَيَدٌ كأنَّ نَوَالَهَا وقِتَالَها ... فَرْضٌ يَحِقُّ عَلَيكَ وهُوَ تَبَرُّعُ

۞ ۞ ۞

حَمْزة بن بِيض[6]:

وهَمُّك فيها جِسامُ الأُمُورِ ... وَهَمُّ لِدَاتِك أنْ يَلْعَبُوا

أبو الطيِّب[7]:

وهَمُّها في الْعُلَا والمَجْدِ نَاشِئَةً ... وهَمُّ أَتْرَابِهَا في اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ

۞ ۞ ۞

ابن الرُّومي[8]:

وما الشُّكْرُ إلَّا تَوأَمُ الحِقْدِ في الْفَتى ... وبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَمِين إلى بَعْضِ

أبو الطّيب[9]:

جَزَاك رَبُّكَ بالإحْسَانِ مَغْفِرَةً ... فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الغَضَبِ

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه (٢: ٣٤٧).
(٢) التبيان (٤: ١٤٢).
(٣) ديوانه (٤: ١٤٢)
(٤) ديوانه (٤: ١٨).
(٥) ديوانه (٢: ٢٧٣).
(٦) التبيان (١: ٨٩).
(٧) ديوانه (١: ٨٩).
(٨) ديوانه ص١٦٣.
(٩) ديوانه (١: ٩٤).

غيره[١]:

فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هَلْكُ واحِدٍ ولكنَّه بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

ابن المقفع[٢]:

وتَقْتُلني فَتَقْتُل بي كريماً يموت بموته بَشَرٌ كَثِيرُ

أبو الطيب[٣]:

غَدَرْتَ يا موتُ كَمْ أَفْنَيْتَ من عددٍ بِمَنْ أَصَبْتَ وكم أَسْكَتَّ من لَجَب

والبيت الذي بعده:

وكَمْ صَحِبْتَ أَخَاهَا في مُنَازَلَةٍ وكَمْ سَأَلْتَ فَلَمْ يَبْخَلْ ولم تَخِبِ

ومثل قول البحتري[٤]:

تَرى البيض لم تعرفهمُ حين واجهتْ وجوهَهم في المأزِق المتجهِّم
ولم تتذكرْ ريَّها بأكفِّهم إذا أوردُوها تحت أغْبرَ أقتمِ

❁ ❁ ❁

البحتري[٥]:

لَعَمْرُكَ مَا المَكْرُوهُ إلّا ارتِقَابُه وأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

أبو الطيب[٦]:

كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ في الأنْـ ـفُسِ سَهْلٌ فيها إِذَا هُوَ كَانَا

❁ ❁ ❁

قال:

فلسنا على الأعقاب تَدْمِي كُلومنا ولكنْ على أقدامنا يُقطرُ الدمُ

أبو الطيب[٧]:

رَمَوْا بنَوَاصِيها القِسِيَّ فجِئْنَها دَوَامِي الْهَوَادِي سَالِمَاتِ الجَوَانِبِ[٨]

❁ ❁ ❁

قال:

والعينُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وتفقده وناظر القلب لا يَخْلُو من البَصَر

(١) العقد الفريد (١ : ١٦٦).
(٢) التبيان (١ : ٨٧).
(٣) ديوانه (١ : ٨٧).
(٤) ديوانه (٢ : ٢٥٦).
(٥) ديوانه (٢ : ٨٧).
(٦) ديوانه (٤ : ٢٤١).
(٧) ديوانه (١ : ١٥٣).
(٨) القسي: جمع قوس. والهوادي: الأعناق. والنواصي: جمع ناصية؛ وهو مقدم شعر الرأس.

وهو معنى متداول.

بعض المحدثين:

ولا هممتُ بشربِ الماء من عطشٍ إلا رأيتُ خيالاً منك في الماء

أبو الطيب[١]:

مُمَثَّلَةٌ حتَّى كأنْ لَمْ تُفَارِقِي وحتَّى كأنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكِ الْوَعْدُ

ومن هذا المعنى قول ابن المعتز[٢]:

إنَّا على البِعاد والتفرّق لَنَلْتقي بالذكر إنْ لَمْ نَلْتقِ

وقول أبي الطيب[٣]:

لَنَا ولأَهْلِهِ أَبَداً قُلُوبٌ تَلَاقَى في جُسُوم ما تَلَاقَى

۞ ۞ ۞

حسّان[٤]:

إذا قال لم يَتْرُكْ مقالاً لقائِلٍ بملتقطَاتٍ[٥] لا تَرى بَيْنَها فَضْلا

أبو الطيّب[٦]:

إِذَا صُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكٍ وإنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ

۞ ۞ ۞

الطرمي في رطازاته[٧]:

ورَأْسِيَ مَرْفُوعٌ لنجمٍ كأنَّما قَفَاي إلى صُلْبي بخيطٍ مخيّطِ

فتبعه بعض الرطّازين:

ورأسِيَ مرفوعٌ إليه كأنّما بِرأسِيَ مسمار إلى النجم مُوتَدُ

أبو الطيب ـ وهو من فرائده[٨]:

بَعِيدَةُ ما بَيْنَ الجُفُونِ كأنَّما عَقَدْتُم أَعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحَاجِبِ

وقريب منه قول بشار:

كأن جفونَها عنها قصار

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه (٢: ٣).
(٢) ديوانه ص١٢٤.
(٣) ديوانه (٢: ٢٩٤).
(٤) ديوانه ص٢٨٧.
(٥) الملتقطات: قطع الذهب الملتقطة.
(٦) ديوانه (٤: ١١٢).
(٧) التبيان (١: ١٤٨) قال في اللسان: الرطز: الشعر الضعيف.
(٨) ديوانه (١: ١٤٨).

أبو تمام[١]:

فـإنْ يَـكُ مـن بـنـي أُدَدٍ جَـنـاحِـي ... فـإنَّ أثـيـثَ ريـشـي فـي إيـادِ

أبو الطيب وهو منقول[٢]:

فإن يَـكُ سيـفَ دَوْلَـةِ غـيـرِ قَـيْـسٍ ... فَـمِـنْـهُ جلُـودُ قَـيْـسٍ والـثِّـيَـابُ

۞ ۞ ۞

ابن المعتز:

فكرّتْ كنصل السيفِ تَتْلُو لواقِحاً ... كأن حصى الصمّان من وقعها رَمْلُ

أبو الطيب[٣]:

إذا وَطِـئَـتْ بـأيْـديـهـا صُـخُـوراً ... يَـفِـئْـنَ لـوطء أَرْجُـلِـهـا رِمَـالَا

وقد أحسن في قوله: «يفئن لوطء أرجلها»، وزاد بأن جعل للأيدِي ما جعله الأول لجملة القوائم؛ وللأول من الفضل أنه خصّ الحصى وهو أشدُّ من الصخر وأصلب وهذا المعنى كثير مُبْتذل؛ وإنما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظاً ومعنى.

۞ ۞ ۞

البحتري[٤]:

وَمَـا أَنَـا إلَّا عَـبْـدُ نِـعْـمَـتِـكَ الَّـتِـي ... نُسِبْتُ إِلَيْهَا دُونَ رَهْطِي ومَعْشَرِي

نقله أبو الطيب فقال[٥]:

دُعِيتُ بتقريظيكَ في كلِّ مَجْلِسٍ ... وظَنَّ الَّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْك اسْمِي[٦]

۞ ۞ ۞

البحتري[٧]:

ومُـظَـفَّـرٍ بـالْـمَـجْـدِ إدْرَاكـاتُـهُ ... فِـي الـحَـظِّ زَائِـدَةٌ عَـلَـى أَوْطَـارِهِ

أبو الطيب ـ وقد فسر ما أغفله البحتري[٨]:

تُـمْسي الأَمَانيُّ صَرْعَى دُونَ مَبْلغِه ... فَـمَـا يَـقُـولُ لـشَـيءٍ لَـيْـتَ ذَلِـكَ لِـي

۞ ۞ ۞

(١) ديوانه: ٦١.
(٢) ديوانه (١: ٨٢).
(٣) ديوانه (٣: ٢٢٩).
(٤) التبيان (٢: ١٦١).
(٥) ديوانه (٢: ١٦٠).
(٦) التقريظ: مدح الرجل حيا. يقول: قد عرفت بالثناء عليك؛ حتى كأنه اسم لي.
(٧) ديوانه (٢: ٩).
(٨) ديوانه (٣: ٨١).

زياد الأعجم:

تَرَى الطِّفْلَ منهم يبتغي المجد شيمةً ... وليس بِمُنْسِيهِ ابتناءٌ على الهَرَمِ

وإن هو وفَّى العمر تسعين حجة ... هذى بقِرَى الأضْيَافِ والجار والذِّمَمِ

الرواية: «ينسيه بناء مجده العدم».

البحتري[١]:

عَرِيقُونَ في الإِفْضَالِ يُؤْتَنَفُ النَّدَى ... لِنَاشِئِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَنَفُ الْعُمْرُ

أبو الطيب[٢]:

كأنَّما يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ ... لا صِغَرٌ عاذِرٌ ولَا هَرِمُ

❁ ❁ ❁

عَلْقَمة بن أصوى:

فما إنْ رأوْا ناراً تُشَبُّ لدى الوَغَى ... ولكنْ رأوْا بها ورق الدم

زُفَر بن الحارث[٣]:

سَقَيْنَاهُمُ كأساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا ... ولكنَّهمْ كانُوا على الموتِ أَصْبَرَا

أبو الطيب[٤]:

وما عَدِمَ اللَّاقُوكَ بأساً وشِدَّةً ... ولَكِنَّ مَنْ لَاقَوْا أَشَدُّ وأَنْجَبُ

❁ ❁ ❁

عبد اللّه بن معاوية، ويروى لإسحاق الموصلي[٥]:

أَرَى نَفْسي تَتُوقُ إلى أُمور ... يُقَصِّرُ دونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

فلا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي ببُخْلٍ ... ولا مَالِي يبلِّغُنِي فَعَالي

وهو من قول الأول:

ذَرِينِي أطوِّف في البلاد لعلَّني ... أصيبُ غنى فيه لذي الحق محمَلُ

أليس عجيباً أن تلمَّ مُلمَّة ... وليس علينا في الخطوب مُعَوَّل

ومثله قول الآخر:

وتقصرُ أموالُ الفتى دون هَمِّه ... وقد كانَ لولا القلُّ طلاعَ أنْجُدِ

ونحوه قول إبراهيم الموصليّ:

فَعالي فعالُ المكثرين توسّعاً ... ومالي كما قد تعلمين قليلُ

---

(١) ديوانه (١: ١٠).

(٢) ديوانه (٤: ٦٥).

(٣) التبيان (١: ١٨٥).

(٤) ديوانه (١: ١٨٥).

(٥) ديوانه (٢: ٢٢).

وحكي عن بعض الحكماء أنه سُئِل عن أسوأ الناس حالاً فقال: مَنْ قويت شهوتُه وبعدت هِمَّتُه، واتسعت معرفته، وضاقت مقدرته.

أبو الطيب[١]:

وأَتعَبُ خَلْق اللَّهِ مَنْ زَادَ همُّهُ — وقصَّر عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسَ وُجْدُه[٢]

ونحوه قوله[٣]:

لَحَا اللَّهُ ذي الدُّنْيَا مُنَاخاً لرَاكِبٍ — فكلُّ بعيدِ الهَمِّ فيها مُعَذَّبُ

والأبيات التي تلي هذا البيت متصلة به وهي قوله[٤]:

فلا يَنْحَلِلْ فِي المَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ — فينحَلَّ مجدٌ كان بالمال عَقْدُهُ

ودَبِّرْهُ تَدْبِيرَ الَّذِي المَجْدُ كَفُّهُ — إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ والمالُ زَنْدُهُ

فلا مَجْدَ في الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ — ولا مالَ في الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُه

وكأنها مجموعة من معاني أبيات قديمة وحديثة، منها قول أُحَيْحة بن الجُلَاح[٥]:

ولا أزال على الزّوار أَعْمُرها — إنّ الكريم على الإخوان ذو المال

وإنْ أَرَدْتَ مُسَامَاةً تَقَاعَدُ بِي — عَمَّا يُنَوِّهُ باسْمِي رِقَّةُ الحالِ

وقول ابن المعتز:

يا رُبَّ جُودٍ جَرَّ فقرَ امرِئٍ — فقام في الناسِ مَقامَ الذَّليل

وحكى الجاحظ عن بعض الحكماء أنه كان يقول في دعائه: اللهم ارزقني حمداً ومجداً؛ فإنه لا حمد إلا بفعَال، ولا مجد إلا بمال.

۞ ۞ ۞

بكر بن النّطاح:

هذا أبو دُلَف الذي لسيوفه — ورماحه تتعبّد الأقدارُ

علي بن جَبَلة ـ ويروى لخلف بن مَرْزوق:

أنت الذي تُنزِل الأيامَ منزلَها — وتنقل الدهرَ من حال إلى حال

أبو الطيب[٦]:

نَفَذَ القَضَاءُ بما أَرَدْتَ كأنَّهُ — لَكَ كُلَّما أَزْمَعْتَ[٧] شيئاً أَزْمَعَا

---

(١) ديوانه (٢: ٢٢).
(٢) الوجد: السقه.
(٣) ديوانه (١: ٨٠).
(٤) ديوانه (٢: ٢٢).
(٥) البيت الأول في مهذب الأغاني (١: ١١٤)، والبيت الثاني في التبيان (٢: ٢٢) ونسبه إلى الخليل بن أحمد.
(٦) ديوانه (٢: ٢٦٤).
(٧) أزمعت على أمر؛ إذا ثبت عزمك عليه.

وأَطَاعَكَ الدَّهْرُ العَصِيُّ كأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعَا

ونحوه له[١]:

مَلِكٌ تكوّن[٢] كيفَ شاء كأَنَّمَا يَجْرِي بِفَضْلِ قَضَائِه المَقْدُورُ

وأما المصراع الأول فقد قدمنا ذكر أمثاله ونحوه له[٣]:

وَأَرَاكَ دَهْرُكَ ما تحَاوِلُ في الْعِدَى حَتَّى كأَنَّ صُرُوفَه أَنْصَارُ

وله[٤]:

وأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ المِقْدَارُ

۞ ۞ ۞

يزيد المهلبيّ[٥]:

سَعَيْتُمْ فأَدْرَكْتُمْ بِصَالح سَعْيِكُمْ وأَدْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالمَقَادِرِ

وله[٦]:

إِذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْماً عَلَى الْهَوَى فإِنَّكُمُ قُدِّمْتُمُ بِالْمَنَاقِبِ

أبو الطيب[٧]:

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ المَجْدَ بِالمُنَى ولَكِنْ بأَيَّامٍ أَشَبْنَ النَّوَاصِيَا

واللفظ من قول نُفَيْع بن صفار:

أيا مالِكاً لا يُرْتَجَى المُلْكُ بالمُنَى

ونحوه له[٨]:

لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلْقٌ سَادَ هَذَا الأَنَامَ بِاسْتِحْقَاقِ

۞ ۞ ۞

قال بعضُهم[٩]:

وخبرني البَوَّابُ أَنَّكَ نَائِمٌ وأنت إذا استيقظت أيْضاً فنائمُ

---

(١) ديوانه (٢: ١٣٦).
(٢) في الديوان «ملك تصور».
(٣) ديوان (٢: ٨٦).
(٤) ديوانه (٢: ٨٦) وصدره:

سر حيث شئت يحله النوار

(٥) التبيان (٤: ٢٩١).
(٦) التبيان (٤: ٢٩١).
(٧) ديوانه (٤: ٢٩١). قال العكبري: وأصله للبحتري في قوله:

فتى هز القنا فحوى سناء بها لا بالأحاظي والجدود

(٨) ديوانه (٢: ٢٦٤).
(٩) التبيان (١: ٤٣).

أبو الطيب[1]:

ونامُ الخُوَيْدِمُ عن لَيْلِنَا ... وقدْ نام قبلُ عمًى لا كَرَى[2]

❁ ❁ ❁

حسّان بن ثابت[3]:

لا عَيْبَ بالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ ومِنْ قِصَرٍ ... جِسْمُ البِغَالِ وأَحْلَامُ العصَافيرِ

العباس بن مِرداس[4] ويروى لربيعة الرّقي:

فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بفَخْرٍ ... وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخِيرُ

ومثله كثير:

أبو الطيب[5]:

ودَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ ... وإنْ كانَتْ لَهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ

❁ ❁ ❁

أبو جُوَيرية العَبْدي ـ وقد تقدمه غيره[6]:

تَزِينُ الحَلْيَ إنْ لَبِسَتْ سُلَيْمى ... وتَحْسُنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيَابُ

وأكثر المحدثين فيه فقال بعضهم[7]:

وإذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ ... كانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا

وتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً ... أَنْ تَمَسِّيهِ؛ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا!

أبو الطيّب، وتعسّف اللّفظ[8]:

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ ... والماءُ أَنْت إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

وتقدير الكلام: الطِّيب أنْتَ طيبُه إذا أصابك، والماء أنت الغاسلُ له إذا اغتسلت به.

❁ ❁ ❁

---

(١) ديوانه (١: ٤١).

(٢) يريد بالخويدم كافوراً. يقول: غفل كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده؛ وكان قبل ذلك نائماً غفلة وعمى؛ ولم يكن نائماً كرى.

(٣) ديوانه ص١٧٥؛ وروايته هناك:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم ... جسم البغال وأحلام العصافير

(٤) ديوان الحماسة (٣: ١٥٣).

(٥) ديوانه (٤: ٧٠).

(٦) التبيان (٣: ٢٦١).

(٧) التبيان (٣: ٢٦١).

(٨) ديوانه (٣: ٢٦١).

زياد الأعجم وهو كثير مشهور[١]:

لِــلَّــه دَرُّ مَــنــيَّــةٍ فــاتَــتْ بِــه ... فَلَـقَـدْ أراهُ يـردُّ غَـرْب الـجـامِـحِ

ولَــقَــدْ أراهُ مُــجــفِّــفــاً أفــراسَــهُ ... يَـغْـشَـى الأسِـنَّـة فـوق نَـهْـدٍ قـارِح

لـو عـنـد ذلـك هَـايَـجَـتْـهُ مـنـيـة ... بَـرَح الخفاء وَضُمَّ سَرْح السَّارِحِ[٢]

يزيد المهلّبي[٣]:

جـاءَتْ مـنِـيَّـتُـه والـعَـيْـنُ هَـاجِـعَـةٌ ... هَـلَّا أَتَـتْـهُ الـمـنَـايَـا والْـقَـنَـا قـصـد

أبو الطيب[٤]:

أَتَـتْـهُ الـمَـنَـايَـا فـي طَـرِيـقٍ خَـفِـيَّـةٍ ... عـلـى كُـلِّ سَـمْـعٍ حَـوْلَـهُ وَعِـيَـانِ

وَلَـوْ سَـلَـكَـتْ طُـرْقَ الـسِّـلَاحِ لَـرَدَّهَـا ... بِـطُـولِ يَـمِـيـنٍ وَاتِّـسَـاعِ جَـنَـانِ

ومقلوب هذا قول الآخر[٥]:

دَفَـعْـنَـا بِـكَ الأَيَّـامَ حـتـى إِذَا أَتَـتْ ... تُـرِيـدُكَ لم نَـسْـطِعْ لَـهَـا عَـنْـكَ مَـدْفَـعَـا

ومثله لأبي الطيب[٦]:

مـا زِلْـتَ تَـدْفَـعُ كـلَّ أَمْـرٍ فَـادِحٍ ... حَـتَّـى أَتَـى الأَمْـرُ الَّـذِي لَا يُـدْفَـعُ

وَظَـلِـلْـتَ تَـنْـظُـرُ لا رِمَـاحُـكَ شُـرَّعٌ ... فـيـمـا عَـرَاكَ ولا سُـيُـوفُـكَ قُـطَّـعُ

وهو مثل قول عمران بن حِطّان؛ على أنه كثير مبتذل:

ولم يُغْنِ عنه الموتُ يا حَمْز ـ إذ أتى ... رجـالٌ بـأيـديـهـمْ سـيـوفٌ قـواضِـبُ

ومن هذا المعنى قول الآخر:

أخِـلَّاي لـو غـيرُ الـحِـمام أصابكـمْ ... عتبتُ ولكن ما على الموتِ مَعْتَبُ

ومثله لأبي الطيب[٧]:

هبيني أَخَذْتُ الثأر فيك من العِدَى ... فكيف بأخذ الثأر فيكِ من الحُمَّى

۞ ۞ ۞

الأعور الشّني:

وعـوراءَ جـاءت مـن أخ فـرددْتُـهـا ... بـسـالـمـة الـعـيـنـين طـالـبـة عُـذْرا

---

(١) ذيل الأمالي ص٩؛ من قصيدة في رثاء المغيرة بن المهلب، مطلعها:

يـا مـن بـمـغـدى الـشـمـس أو بـمـراحـهـا ... أو مـن يـكـون بـقـرنـهـا الـمـتـنـازح

(٢) رواية الأمالي:

لـو عـنـد ذلـك قـارعـتـه مـنـيـة ... قـرع الـحـواء وضـم سـرح الـسـارح

(٣) التبيان (٤: ٢٤٤).

(٤) ديوانه (٤: ٢٤٤).

(٥) التبيان (٢: ٢٣٧).

(٦) ديوانه (٢: ٢٣٧).

(٧) ديوانه (٤: ١٠٦).

وأغضيْت عنه وانتظرت به غدا ... لعل غداً يبدي لمنتظرٍ أمرا

سالم بن وابصة[١]:

وكاشِحٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ ... يَقْتَاتُ لَحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمِ

دَاوَيْتُ صَدْراً طَويلاً غِمْرُه حَقِداً ... مِنْهُ، وقَلَّمْتُ أظفاراً بِلَا جَلَمِ

وقد أكثر الشعراء فيه.

أبو الطيب[٢]:

وأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وأَعْلَم أَنَّنِي ... مَتَى أَجْزِهِ حِلْماً عَلَى الجَهْلِ يَنْدَمِ

۞ ۞ ۞

امرؤ القيس[٣]:

فللزَّجْرِ أُلْهُوبٌ وللسّاق درَّةٌ ... وللسوط أخرى غَرْبُهَا يَتَدَفَّعُ

ثم أكثر الناس فيه.

أبو الطيّب[٤]:

رِجْلَاهُ فِي الرَّكْضِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ ... وفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ والْقَدَمُ

المصراع الأول نحو قول رؤبة:

يَهْوِين شَتَّى ويقعن وَقْعا

۞ ۞ ۞

الطِّرِمَّاح:

تحييها الكُماة بكلّ يوم ... مريضِ الشمسِ محمَرّ الخوافي

أبو الطيب[٥]:

تمر عليه الشمس وهي ضعيفةٌ

۞ ۞ ۞

بعض المحدثين[٦]:

خَبَرِي خُذِيهِ عن الضَّنَى وعن الأَسَى ... لَيْسَ اللِّسَانُ وإن تَلِفْتُ بِمُخْبِرِ

(١) التبيان (٤: ١٣٦). (٢) ديوانه (٤: ١٣٦).

(٣) لم نجد هذا البيت في ديوان امرئ القيس؛ والذي روي هناك:

فللسوق ألهوب وللسوط درة ... وللزجر منه وقع أهوج متعب

(٤) ديوانه (٣: ٣٦٨). (٥) التبيان (٢: ١٦١).

(٦) ديوانه (٢: ١٦٠).

أبو الطيب[١]:

أَمـرَ الـفُـؤَادُ لِـسَـانَـهُ وجُـفُـونَـه فكَـتْـمْنَه وكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرَا

وهو معنى قوله[٢]:

بَـادٍ هَـوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَـمْ تَـصْبِـرَا[٣] وبُكَـاكَ إنْ لـم يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى

۞ ۞ ۞

أبو نواس[٤]:

يَـزِيـدُكَ وَجْـهُـه حُـسْـنـاً إذَا مـا زِدْتَـه نَـظَـرَا

أبو الطيب[٥]:

وهـو الـمـضَـاعَـفُ حُسْنُه إِنْ كُرِّرَا[٦]

۞ ۞ ۞

الجلاح ابن عبد اللّه السَّدُوسي[٧]:

مَـدَدْتِ حَبْـلَ غُـرور غـيـرَ مُـؤْيِـسَـةٍ فَـوْتَ الأَكُـفّ فَـلَا جـودٌ ولا بَـخَـلُ

والـصَّـرْمُ أَرْوَحُ مـن غَـيْـثٍ يُطَمِّعُنَا فـيـهِ مَخَـايـلُ ما يُـلْـفَـى بـهـا بَـلَـلُ

ونحوه لابن الرّقيات ولم يصرح باختيار أحدهما[٨]:

تَـرَكْـتَـنِـي واقـفـاً عـلـى الـشَّـكِّ لَـمْ أَصْـدُرْ بـيَـأس مـنـكُـمْ ولَـمْ أَرِدِ

ومثله قول ابن أبي زرعة الدِّمَشْقي[٩]:

وكـأنـي بَـيْـنَ الـوِصَـالِ وبـيـن الـ ـهَـجْـرِ مِـمَّـنْ مَـقَـامَـهُ الأَعْـرَافُ

فـي مَـحـلٍّ بَـيْـنَ الـجَـانِ وَبَـيْـنَ الـنَّـا ر طَـوراً أرجـو وَطَـوراً أخـاف

وقال أبو حفص الشطرنْجي، فاختار ضد ما اختار الأول[١٠]:

وأَحَـسَـنُ أَيَّـامِ الـهَـوَى يَـوْمُـكَ الَّـذِي تُـهَـدَّد بـالـتَّـحْـرِيش فـيـهِ وبـالـعَـتْـبِ

إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الحُبِّ سُخْطٌ ولا رِضى فـأَيْـنَ حَـلَاوَاتُ الـرَّسَـائـلِ والـكُـتْـبِ

---

(١) ديوانه (٢: ١٦٠).

(٢) أراد: تصبرن (بنون التوكيد الحقيقة)؛ فلما وقف عليها أبدلها ألفاً.

(٣) التبيان (٢: ١٦٧). (٤) ديوانه ص١٦٧.

(٥) صدره:

فـهـو الـمـشـيـع بـالـمـسـامـع إن مـضـى

(٦) التبيان (٢: ٣٠٥) (٧) التبيان (٢: ٣٠٥).

(٨) التبيان (٢: ٣٠٥). (٩) التبيان (٢: ٣٠٥).

(١٠) التبيان (٢: ٣٠٥)، ونسبه إلى العباس بن الأحنف.

وتبعه أبو الطيب[١]:

وأَحْلَى الهَوَى مَا شَكَّ في الوَصْلِ رَبُّه ... وفي الهَجْرِ فهُوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي

وقد لاحَظ في هذا قول الخليع[٢]:

وجَدْتُ أَلَذَّ العَيْشِ فيما بَلَوْتُه ... تَرَقُّبَ مُشْتَاقٍ زِيَارَةَ شَائقِ

لأنه أيضاً يرجو ويتقي ويخاف ويأمل. وقد أكثر الناس فيه على المعنيين معاً

❁ ❁ ❁

أبو نواس[٣]:

يَسْبِقُ طَرْفَ العَينِ في الْتِهابِهِ

وهو معنى عامي مبتذل.

أبو الطيب[٤]:

يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كلِّ سَابِحَةٍ ... أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِها تَصِلُ

❁ ❁ ❁

أبو تمّام[٥]:

فَهْوَ غَضُّ الإِبَاءِ والرَّأْيِ غَضُّ الـ ... ـحزم غَضُّ النَّوَالِ غَضُّ الشَّبَابِ

أبو الطيب[٦]:

حَدِيدُ اللسان حَدِيدُ الجنَان ... حَدِيدُ الحُسَامِ حديد السنان

❁ ❁ ❁

بعض العرب[٧]:

كأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا ... طَرِيدَانِ والرِّجْلَانِ طَالِبَتَا وِتْرِ

رُؤبة:

يداه بالضَّبْعين يشدوانه ... ورجلا أحرج يحدوانه

أبو الطيب[٨]:

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيها بأَرْجُلِها ... حَتَّى مَرَقْنَ بِنَا مِنْ جَوْشَ والْعَلَمِ[٩]

❁ ❁ ❁

(١) ديوانه (٢: ٣٠٥).
(٢) التبيان (٢: ٣٠٢).
(٣) التبيان (٣: ٢١٤).
(٤) ديوانه (٣: ٢١٣).
(٥) ديوانه ص٣٥٤.
(٦) ديوانه (٤: ١٩٠).
(٧) التبيان (٤: ١٥٦).
(٨) ديوانه (٤: ١٥٦).
(٩) جوش والعلم: موضعان.

بعض رجال العرب[١]:

إنـي إذا مـا الـقـوم كـانـوا أنـجـيَـهْ ... واضـطـرب القـوم اضـطـراب الأرْشِيَهْ

وشـد فـوق بـعـضـهـم بـالأدويـه ... هـنـاكَ أوصِيـنـي ولا تُـوصِـي بـيـهْ

وقال الأصمعي وغيره يصف قوماً أتعبهم السير والسهر: فرقدُوا على ركابهم، واضطربوا كاضطراب أرشية الدِّلاء، وشَدَّ بعضهم على ناقته حِذار سقوطه عنها. وقال بعضهم: إنما ضربه مثلاً لنزول الأمر الملمّ؛ إذْ جعل القومَ يضطربون فيه فلا يستقرُّون كاضطراب الحبال، وبعضهم يشد على البعير للهرب به. قال: ولذلك كانوا أنجية؛ وهو جمع نجيّ[٢] والنيام لا يكونون أنجية، وعلى المذهب الأول احتذى أبو الطيب في قوله[٣]:

وهَـزٌّ أطـارَ الـنَّـوْمَ حـتَّـى كـأَنَّـنِـي ... مِن السُّكْرِ في الغَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شُبَارِقُ[٤]

۞ ۞ ۞

تميم بن مُقبل:

ولـو كُـحِـلَـتْ حـواجبُ خيل قـيس ... بِـتَـغْـلِـبَ بـعـدَ كـلْـبٍ مـا قُـذِيـنـا

أبو الطيب[٥]:

فَـبَـعْـدَهُ وَإلـى ذَا الْـيَـوْمِ لـو رَكَـضَـتْ ... بـالـخَيْلِ في لَهَوَاتِ الطِّفْلِ ما سَعَلَا

۞ ۞ ۞

رؤبة[٦]:

قـد رفـع الـعَـجَّاجُ بـاسْـمِـي فـادْعُـنِـي ... بـاسمي إذَا الأَنْسَـابُ طالَتْ يكْفِني

وإنما أخذه من قول النَّسَّابة البكْرِيّ لما أتاه فقال له: من أنت؟ فقال: رُؤْبة بن العجاج. قال: قصرت وعرَّفت.

أبو الطيب[٧]:

يـا أيُّهـا الـمَـلِـك الـغَـانِي[٨] بِـتَـسْـمِـيَـةٍ ... في الشَّرْقِ والْغَرْبِ عن وَصْفٍ وتَلْقِيبِ

۞ ۞ ۞

---

(١) اللسان (مادة ـ نجا). (٢) النجي: المتناجون.

(٣) التبيان (٢: ٣٤٤).

(٤) الهز: التحريك. وأراد بالسكر النعاس. والغرز: ركاب من خشب للإبل خاصة. وثوب شبارق: مقطع قديم.

(٥) ديوانه (٣: ١٦٩). (٦) التبيان (١: ١٧٦).

(٧) ديوانه (١: ١٧٦). (٨) الغاني: المستغني.

دِعْبل[١]:

هِيَ النَّفْسُ ما حَسَّنْتَهُ فمُحَسَّنٌ لَدَيْهَا ومَا قَبَّحْتَهُ فمُقَبَّحُ

أبو الطيب[٢]:

فَمَا الخَوْف إلّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَمَا الأَمْنُ إلّا مَا رَآهُ الْفَتَى أمْنا

وهو قريب من قول لَبيد:

اكذب النَّفسَ إذَا حَدَّثْتَهَا إنَّ صِدْقَ النَّفسِ يُزْرِي بالأَمل

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

تَرَى قَسَماتِنا[٤] تَسَوَدُّ فِيها وَمَا أَخْلَاقُنَا فِيهَا بِسُودِ

أبو الطيب[٥]:

تُسَوِّدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلَا تُسَوِّدُ بِيضَ العُذْرِ واللِّمَمِ[٦]

۞ ۞ ۞

[قال[٧]:

وليسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءَهَا ولكنَّها رُوحِي تذوبُ فتَقْطُرُ]

أبو الطيب[٨]:

أَرْوَاحُنَا انهَمَلَتْ وعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَى الأَقْدَامِ

۞ ۞ ۞

ابن المعتز[٩]:

تَخَالُ آخِرَه في الشَّدِّ أَوَّلَه وفيه عَدْوٌ وراءَ السَّبْقِ مذْخُورُ

أبو الطيب[١٠]:

وأَصْرَعُ أيَّ الوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

۞ ۞ ۞

---

(١) التبيان (٤ : ١٦٩).
(٢) ديوانه (٤ : ١٩٦).
(٣) ديوانه ص١٠٥.
(٤) قسماتنا: وجوهنا.
(٥) ديوانه (٤ : ١٥٥)
(٦) العذر: جمع عذار، وهو الشعر النابت على الخد، واللمم جمع لمة؛ وهو الشعر الذي يلم بالمنكب.
(٧) التبيان (٤ : ٨).
(٨) ديوانه (٤ : ٨).
(٩) التبيان (١ : ١٨٠).
(١٠) ديوانه (١ : ١٨٠).

النابغة الجَعْدِي[١]:

وَنُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا ... مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الوَرْدَ أَشْقَرَا

أبو الطيب[٢]:

جَفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا ... وأَطْعَنَهمْ والشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْم

۞ ۞ ۞

أبو تمام[٣]:

وما نَفْعُ مَنْ قد ماتَ بالأَمْسِ صَادِيا ... إذا ما سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهِمَارُهَا

وأظنه أخذه من قول طَرَفة ـ وإن كان غامضاً[٤]:

فَسَقَى دِيَارَكِ غَيْرَ مُفْسِدِهَا ... صوبُ الرَّبِيعِ وديمةٌ تَهْمِي

البحتري[٥]:

واعْلَمْ بأَنَّ الْغَيْثَ ليس بنافِعٍ ... للناسِ ما لم يأتِ في إبَّانِه

أبو الطيب[٦]:

سَبَقْتَ إِلَيهم مَنَايَاهُمْ ... ومنفعة الغَوْثِ قبلَ الْعَطَبْ

۞ ۞ ۞

أبو نُوَاس[٧]:

وإذَا المَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً ... فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

أبو الطيب[٨]:

وتَعَذُّرُ الأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهْرَهَا ... إلَّا إِلَيْكَ عَلَيَّ فَرْجَ حَرَامِ[٩]

۞ ۞ ۞

قال زهير[١٠]:

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ... ثمانين حَوْلاً لا أبا لك يَسْأَمِ

---

(١) التبيان (٤: ٥٠).
(٢) ديوانه (٤: ٥٠).
(٣) التبيان (١: ١٠٢).
(٤) ديوانه ص٦٢.
(٥) ديوانه (٢: ٣١٥).
(٦) ديوانه (١: ١٠٢).
(٧) ديوانه ص٦٤.
(٨) ديوانه (٤: ٩).
(٩) قال العكبري: «المعنى: تعذر وجود الأحرار وقلتهم صير ظهر هذه الناقة علي في ركوبها إلى قصد سواك حراماً عليّ، كركوب الفرج الحرام ـ يريد الزنا».
(١٠) ديوانه ص١٢.

قال العلماء بالشعر: إنما سئم تكاليف الحياة لا الحياة، فهو أصح معنى من قول لَبيد إذ يقول[١]:

ولقدْ سَئِمْتُ من الحياةِ وطولِها ومقال[٢] هذا الناس كيف لَبِيد

فقال أبو الطيب[٣]:

وإذَا الشَّيْخُ قَالَ أُفٍّ فَمَا مَـ ـلَّ حَيَاةً وإنَّمَا الضَّعْفَ مَلَّا

❁ ❁ ❁

البحتري[٤]:

وطَيُّكَ سِرًّا لَوْ تَكَلَّفَ طَيَّه دُجَى اللَّيْلِ عَنَّا لَمْ تَسَعْهُ ضَمَائِرُهْ

فنقله أبو الطيب، وغيَّر معناه فقال وأحسن ما شاء[٥]:

وكُنْتُ إذا يَمَّمْتُ أرضاً بَعِيدَةً سَرَيْتُ فَكُنْتُ السِّرَّ واللَّيْلُ كاتِمُهْ

❁ ❁ ❁

البُحتريّ:

غَدَا قَسْمُهُ عَدْلاً فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وفِي سِرِّ نَبْهَان بْنِ عَمْرٍو مَآثِرُهْ

أبو الطيب[٦]:

تَفَرَّدَ الْعُرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمَحْتِدِهِ وشَارَكَ الْعُرْبَ في إحْسَانِهِ الْعَجَمُ

❁ ❁ ❁

البُحتريّ[٧]:

وما اخترتُ داراً غير دَارِك من قِلًى وأين ترى قَصْدِي ومِنْ دُونِيَ الْبَحْرُ

أبو الطيب[٨]:

أَأَطْرَحُ المَجْدَ عن كِتْفِي وأَطْلُبُه وأَتْرُكُ الغَيْثَ فِي غِمْدِي وأَنْتَجِعُ

❁ ❁ ❁

أنشد الجاحظ لبعضهم:

غزا ابنُ عميرٍ غَزْوةً تركت لها ثناءً كريح الجَوْرَبِ المتمزق

---

(١) مهذب الأغاني (٢: ٦٢).
(٢) في مهذب الأغاني: «وسؤال هذا الناس».
(٣) ديوانه (٣: ١٣٠).
(٤) ديوانه (١: ١٢).
(٥) ديوانه (٣: ٣٤٠).
(٦) ديوانه (١: ١٣).
(٧) ديوانه (٣: ٣٧٦).
(٨) ديوانه (٢: ٢٢٢).

أبو الطّيب[١]:

تـسـتـغـرِقُ الـكـفُّ فَـوْدَيْـهِ وأَخْـدَعَـه وتَكْتَسِي منه ريحَ الجورَبِ العَرِقِ[٢]

۞ ۞ ۞

بعضُهم[٣]:

بِتْنَا وباتَ جَلِيدُ اللَّيْلِ يَضْرِبُنَا بيـن الـبيوت قِرَانَا نبْحُ دِرْواسِ[٤]

أبو الطّيب[٥]:

ولا تُنْكِرَا عَصْفَ الرياح فإنَّهَا قِرَى كُلِّ ضَيْفٍ باتَ عِنْدَ سِوَارِ[٦]

۞ ۞ ۞

أبو نواس في وصف كلب[٧]:

يـجـمـع قـطـريـه مـن انْـضِـمـاره

أبو الطيّب[٨]:

يَكَادُ فِي الْعَدْوِ مِنَ التَّفَتُّلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ والْكَلْكَلِ

وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الأَسْفَلِ

أنشد الأصمعي لبعض باهلة:

تُباهِي به الأرض السماء إذا مشت عليها وتحيي نسمة المتماوت

أبو الطيّب[٩]:

أَكَارِمٌ حَسَدَ الأَرْضَ السماءُ بِهِمْ وقصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسِ

۞ ۞ ۞

البحتري[١٠]:

سماحاً وبأساً كالصواعِق والحَيَا إذا اجتمعا في العارض المُتَرَاكِمِ

---

(١) ديوانه (٢: ٣٦٠).

(٢) يقول: هو دميم صغير القدر يصفع، فتستغرق أكف الصافعين هذه المواضع منه، وهو نتن الرائحة، يكتسى الكف نتن رائحة من جسده.

(٣) اللسان ـ مادة درس؛ وروايته هناك:

بتنا وبات سقيط الطل بضربنا عند النزول قرانا نبح درواس

(٤) قال في اللسان: الدرواس: الغليظ العنق من الكلاب أو الغليظ الرأس.

(٥) ديوانه (٢: ١١٤).

(٦) سوار: هو الذي يهجوه المتنبي في هذه المقطوعة.

(٧) ديوانه ص٢١١.

(٨) ديوانه (٣: ٢٠٥).

(٩) ديوانه (٢: ١٩٠).

(١٠) ديوانه (٢: ٢٥٣).

أبو الطيّب[(١)]:

فَتًى كالسَّحَابِ الجُونِ يُخْشَى ويُتَّقى يُرَجَّى الحَيَا مِنْهُ وتُخْشَى الصَّوَاعِقُ

۞ ۞ ۞

عبد اللّه بن الزَّبير الأسَدِي:

لو شددنا من أَخْدَعَيْهِ قليلا لَبَنَيْنا من الرُّؤوس منارا

أبو الطيب ـ وهو غامض[(٢)]:

تَعَوَّدَ أَن لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ العَلَائِقِ[(٣)]

۞ ۞ ۞

ثابت بن قُطْنَة العتكي[(٤)]:

هَدَانَا اللَّهُ بِالقَتْلَى نَرَاها[(٥)] مُصَلَّبَةً كأفواهِ الشِّعَابِ

أبو الطيب[(٦)]:

إذا سَلَكَ السَّمَاوَةَ غَيْرُ هادٍ فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ مَنَارُ

۞ ۞ ۞

أنشد الأصمعي لبعض العرب ـ وهو معروف عندهم[(٧)]:

رِدِي رِدِي وِرْدَ قَطَاةٍ صَمَّا[(٨)] كُدْرِيَّةٍ أعجبها بردُ الْمَا

أبو الطيب[(٩)]:

وُرُودَ قَطاً صُمٍّ تَشايَخْنَ في وِرْدِ[(١٠)]

---

(١) ديوانه (٢: ٣٤٦). (٢) ديوانه (٢: ٣٣٠).

(٣) القضم: أكل الدابة الشعير. والعلائق: جمع عليقة وهي المخلاة. وجنوبها: نواحيها. وجيوبها: ما فتح من أعلاها. وجيب المخلاة: فمها.
قال أبو الفتح: سألته عن معنى البيت فقال. الفرس إذا علق عليه المخلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل، فخيله إذا أعطيت عليقها رفعته على هام الرجال القتلى لكثرتهم حولها، وقد تعودت خيله ذلك.

(٤) التبيان (٢: ١٠٨).

(٥) في شرح العكبري: هدانا اللّه بالقتلى تراهم

(٦) ديوانه (٢: ١٠٨).

(٧) اللسان: مادة ـ صمم.

(٨) قال في اللسان: «يقال للقطاة صماء لصممها إذا عطشت».

(٩) ديوانه (٢: ٦٥).

(١٠) صدره: وتلقى نواحيها المنايا مشيحة
أشاح: أسرع. يقول: أسرعن إلى لقاء المنايا كما تسرع القطا إلى ورود الماء.

مزرّد[١]:

مِنَ الـمُلْسِ هِنْدِيٌّ مَتَى يَعْلُ حَدُّهُ ذُرَى الْبَيْضِ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ الكَوَاهِلُ

أبو الطيب[٢]:

إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ[٣]

❁ ❁ ❁

أبو تمام:

البين أكثر من شوقي وأحزاني

أبو الطيّب[٤]:

دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الهُمُومُ عَلَيَّ فِي عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللُّوَّامِ[٥]

❁ ❁ ❁

بعض العرب[٦]:

زُرْقٌ تصايحْنَ في المَتُونِ كما هاجَ دَجاجَ المدينَةِ السَّحَرُ

آخر[٧]:

تصيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فينا وفيهِمُ صياحَ بَنَاتِ الماءِ أمْسَيْن جُوَّعَا

أبو الطيب[٨]:

نَاشُوا الرماح وكانتْ غير ناطقة فعَلَّموها صياحَ الطَّيْرِ في البُهَمِ[٩]

❁ ❁ ❁

---

(١) التبيان (٣: ٣٠). (٢) ديوانه (٣: ٣٠).

(٣) يقول: هذا السيف إذا ضربت به رأس أحد برى رأسه؛ ووصل إلى عظم الكاهل؛ فجعل ذلك الصوت كالغناء.
قال العكبري: ومثله قول النمر بن تولب:
تظل تحفر عنه إن ضربت به بعد الذراعين والساقين والهادي
ومثله قول أبي نوس:
إذا قام غنته على الساق حلية لها خطوة وسط الفناء قصير

(٤) ديوانه (٤: ٧).

(٥) الدمن: جمع دمنة؛ وهي آثار القوم بعد رحيلهم. والعرصات: جمع عرصة وهي نواحي الدار.

(٦) التبيان (٤: ١٥٨). (٧) التبيان (٤: ١٥٨).

(٨) ديوانه (٤: ١٥٨).

(٩) يقول: تناولوا الرماح، وهي جماد لا تنطق، فأسمعوا الناس صريرها في الأبطال، فصارت كأنها فرقة طير تصيح.

كُثَيِّر[١]:

رَمَتْني بسَهْمٍ رِيشُهُ الهُدْب لم يُصِبْ ظواهرَ جِلْدِي وهو في القلب جَارِحي[٢]

أبو الطيب[٣]:

رَمَتْنِي بأَسْهُمٍ رِيشُهَا الهُدْ بُ تَشُقُّ القُلُوبَ قَبْلَ الجُلُودِ

❁ ❁ ❁

الفرزدق[٤]:

وَأَبَحْتَ أمَّكَ يا جريرُ كأَنَّهَا للناس باركة طريق مُعْمَلُ[٥]

أبو الطيب[٦]:

يَحْمِي ابْنُ كَيْغَلَغ الطَّرِيقَ وعِرْسُه ما بين رِجْلَيْهَا الطريقُ الأَعْظَمُ[٧]

❁ ❁ ❁

الفرزدق[٨]:

وقَدْ تَلْتَقِي الأَسْمَاءُ في الناسِ والكُنَى كثيراً ولَكِنْ فُرِّقُوا في الخلائق

أبو الطيب[٩]:

فَلَا تَعْجَبَا إنَّ السيوفَ كثِيرةٌ ولكنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اليومَ وَاحِدُ

❁ ❁ ❁

البحتري[١٠]:

وبلوت منكَ خَلائِقاً محمودةً لو كن في فَلَكٍ لَكُنَّ نُجُوماً

---

(١) التبيان (١ : ٣١٥).

(٢) قال العكبري: ومثله قول جميل:

وما صائب من نابل قذفت به يد وممر العقدتين وثيق

بأوشك قتلاً منك يوم رميتني نوافذ لم يعلم لهن خروق

(٣) ديوانه (١ : ٣١٤).

(٤) نقائض جرير والفرزدق (١ : ١٩٢).

(٥) معمل: مستعمل يداس.

(٦) ديوانه (٤ : ١٢٦).

(٧) كان ابن كيغلغ طلب من أبي الطيب أن يمدحه، فاعتل عليه بأنه قد حلف ألا يمدح إلى مدة فأخذ عليه الطريق حتى تنقضي المدة، فهرب منه ومضى ثم هجاه؛ بقصيدة منها هذا البيت ومطلعها:

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

(٨) التبيان (١ : ٢٧٢).

(٩) ديوانه (١ : ٢٧١).

(١٠) ديوانه (٢ : ٢٤٤)، وروايته هناك:

وشكرت منك مواهباً مشهورة لو سرن في فلك لكن نجوما

أبو الطيب[١]:

أقلّبُ منك طَرْفِي في سماءٍ وإنْ طلعَتْ كواكبُها خِصالَا[٢]

۞ ۞ ۞

ابن الرومي[٣]:

أخْشَى عليك اتّقاد الفِكْرِ لا حَذَرا

أبو الطيّب[٤]:

أشفِقُ عند اتّقادِ فِكْرتِه عليه منها أخافُ يشتعِل[٥]

۞ ۞ ۞

ابن الرومي:

ومِنْ فَرَحاتِ النفسِ ما فيه حَتْفُها

أبو الطيب[٦]:

فلا تُنْكِرنّ لها صَرْعَةً فمن فَرِحِ النفس ما يَقْتُلُ

۞ ۞ ۞

بعضهم[٧]:

فَلَو أنّا شَهِدْنَا كُمْ نُصِرْنَا بذِي لَجَبٍ أَزَبَّ من العَوَالِي

أبو الطيب[٨]:

صَدَمْتَهُمْ بخَميسٍ أنْتَ غُرَّتُه وسَمْهَرِيَّتُهُ في وَجْهِهِ غَمَمُ[٩]

۞ ۞ ۞

أبو تمام[١٠]:

ورُحْبَ صَدْرٍ لو أنّ الأرضَ واسِعةٌ كوُسْعِهِ لم يَضِقْ عن أهلِه بَلَدُ

---

(١) ديوانه (٢: ٢٣٢).

(٢) يقول: أنت في علو قدرك وحسن خصالك سماء؛ وإن كانت كواكبها خصالاً.

(٣) التبيان (٣: ٢١٣). (٤) التبيان (٣: ٢١٣).

(٥) حذف أن ورفع الفعل، والتقدير: أن يشتعل.

(٦) ديوانه (٣: ٦٩). (٧) التبيان (٤: ٢٤).

(٨) ديوانه (٤: ٢٤).

(٩) الخميس: الجيش. والغرة: الوجه. والسمهرية: الرماح. والغمم: كثرة الشعر. جعل الرماح في هذا الجيش كالغمم في وجه الإنسان.

(١٠) ديوانه ص٥٧.

أبو الطيّب[١]:

تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا ولو رَحُبَتْ كَصَدْرِهِ لم تَبِنْ فيها عَسَاكِرُهْ

❁ ❁ ❁

مُسْلم[٢]:

والعِيسُ عَاطِفَةُ الرّؤوسِ كأنما يَطْلُبْنَ سِرَّ مُحَدِّثٍ في الأحْلُس

أبو الطيب[٣]:

ويُغِيرُني جذبُ الزِّمَامِ لِقَلْبِها فَمَها إليك كطالب تَقْبِيلا

❁ ❁ ❁

البحتري[٤]:

ومَنْ لو تَرَى في مُلْكِهِ غُذْتَ نائلاً لأوَّلِ عافٍ من مُرَجِّيهِ مُقْتِرِ

أبو الطيب[٥]:

خِفْتُ إن صرتُ في يمينكَ أنْ تأْ خُذَني في هِباتِكَ الأقْوَامُ

❁ ❁ ❁

البحتريّ[٦]:

تَلْقاهُ يَقْطُرُ سيفُه وسِنَانُهُ وبَنَانُ راحتِه نَدًى ونَجِيعا

أبو الطيب[٧]:

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِه وبَنَانُه يتباريان دَماً وعُرْفاً سَاكِبَا

ومنه[٨]:

إذا الهندُ سَوَّتْ بين سيفَيْ كَرِيهَةٍ فسيفُك في كَفٍّ تُزِيلُ التساويَا

❁ ❁ ❁

ابن الرومي[٩]:

يا أرْمَدَ العَيْنِ قُمْ قُبَالَتَهُ فَدَاوِ باللَّحْظِ نحْوَهُ رَمَدَكْ

أبو الطيب[١٠]:

مَدَحْتُ أبَاهُ قَبْلَه فَشَفَى يَدِي من العُدْمِ مَنْ تُشْفَى به الأعْيُنُ الرُّمْدُ

---

(١) ديوانه (٢: ١٢٠).
(٢) التبيان (٣: ٢٣٤).
(٣) ديوانه (٣: ٢٣٤).
(٤) ديوانه (٢: ٦).
(٥) ديوانه (٤: ٩٩).
(٦) ديوانه (٢: ٨٤).
(٧) ديوانه (١: ١٢٥).
(٨) ديوانه (٤: ٢٩٣).
(٩) التبيان (٢: ٨).
(١٠) ديوانه (٢: ٨).

البحتري[١]:

اللَّهُ أَكْبَرُ كُفُّوا إنّ خصمَكُمُ أبو سعيد وضربُ الأرؤس الجدل

أبو الطيب[٢]:

وَرَدَّ بعْضُ القَنَا بَعْضاً مُقَارَعَةً كأَنَّهُ من نفوس القوم في جَدَلِ

۞ ۞ ۞

ابن الرومي[٣]:

أَعِنْدِيَ تنقضّ الصواعق مِنْكُمَا وعند ذَوِي الكُفْرِ الحيا والثّرَى الجعدُ

أبو الطيب[٤]:

ليتَ الغمامَ الذي عِنْدِي صواعقُه يُزيلهنّ إلى مَنْ عِنْدَه الدِّيَمُ

۞ ۞ ۞

البحتري[٥]:

مَلِكٌ بِقَارعَةِ العِراق قِبابُه يَقْرِي البُدُورَ بها ونحنُ ضيوفُه

أبو الطيب[٦]:

ومَلِلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فأضافَنِي مَنْ ينحر البِدَرَ العِشَار لمن قَرَى

۞ ۞ ۞

البحتري[٧]:

تَشَكَّكْتُ فيهِ منْ سُرورٍ وخِلْتُهُ خيالاً أتى في آخر الليل يَسْري

۞ ۞ ۞

أبو الطيب[٨]:

مَا تَعْرِفُ العَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا كُلٌ خَيَالٍ وِصَالُه نَافِدْ

كل واحد منهما جعله خيالاً، وإن كان البحتري ذهب فيه إلى حيرة السرور، وأراد أبو الطيب سرعة الزوال. وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى على وجه آخر فقال[٩]:

نَصيبُك في حياتِكَ من حَبيبٍ نصيبُك في منامك من خَيَالِ

---

(١) ديوانه (٢: ٢١٤).
(٢) ديوانه (٣: ٨٨).
(٣) التبيان (٣: ٣٧١).
(٤) ديوانه (٣: ٣٧١).
(٥) ديوانه (٢: ١١٤).
(٦) ديوانه (٢: ١٧٠).
(٧) ديوانه (٢: ٢)، وروايته هناك:
تشككت فيه من سرور وخلته خيالاً أتى في آخر الليل يسري
(٨) ديوانه (٢: ١٧١).
(٩) ديوانه (٣: ٩).

يزيد بن محمد المهلّبي[١]:

أَشْرَكْتُمُونا جميعاً في سُرُورِكُمُ فَلَهُونا إذْ حَزِنْتُمْ غَيْرُ إنْصَاف

أبو الطيب ـ وقد زاد وأحسن[٢]:

وَمَنْ سَرَّ أهْلَ الأرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسًى بَكَى بِعُيُونٍ سَرَّهَا وقُلُوبِ

۞ ۞ ۞

ابن الرومي[٣]:

هي الأعْيُنُ النُّجلُ التي كنتَ تَشْتَكي مواقعَها في القَلْب والرأسُ أَسْوَدُ

فما لكَ تَأْسَى الآنَ لمَّا رأيتَها وقد جَعَلَتْ تَرْمِي سِوَاكَ وتَعْمِدُ

فاحتذى عليه أبو الطيب وقلب معناه فقال[٤]:

مُنَى كُنَّ لي أنَّ البياضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ القُرُون شَبَابُ

فكيفَ أَذمّ اليومَ ما كنتُ أَشْتَهِي وأدْعُو بما أَشْكُوهُ حينَ أُجَابُ

۞ ۞ ۞

إسحاق بن خَلَف[٥]:

إذا مَا حُدِينَ بِذِكْرِ الأميرِ سَبَقْنَ لِحَاظَ المخبّ العَجِل[٦]

أبو الطيب[٧]:

شَدَوْا بابْنِ إسْحَاقَ الحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيَها كِيرَانُهَا والنَّمَارِقُ[٨]

۞ ۞ ۞

ابن هرْمة: [يذم بخيلاً][٩]:

نَكَّسَ لَمَّا أَتَيْتُ سَائِلَهُ واعْتَلَّ تَنْكِيسَ نَاظِمِ الخرز[١٠]

---

(١) التبيان (١: ٤٩).

(٢) ديوانه (١: ٤٩).

(٣) التبيان (١: ١٨٩).

(٤) ديوانه (١: ١٨٨).

(٥) التبيان (٢: ٣٤٥).

(٦) رواه العكبري:

إذا ما حدين بمدح الأمير سبقن لحاظ الحثيث العجل

(٧) ديوانه (٢: ٣٤٥).

(٨) شدوا بمدح إسحاق؛ أي غنوا. والذفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذنين. والنمارق: الوسائد. يقول: لما غنوا بمدح ابن إسحاق نشطت الإبل للسير فرفعت رؤوسها حتى ضربت بذفرياتها كيرانها.

(٩) التبيان (٣: ٣٢٩).

(١٠) شبه هيئته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق.

أعرابي[١]:

وهُنَّ حَيْرَى كَمُضِلّاتِ الخَدَم

أبو الطيب[٢]:

وُقوفَ شحيحٍ ضاع في التُّرْبِ خَاتِمُه[٣]

❁ ❁ ❁

وقد أتينا على ما حَضرَنَا من هذا الكتاب، ونُبْنَا عنك في جمعه واستحضاره ولَقْطه، وتصفّح الدواوين، ولقاءِ العلماء فيه؛ وبَيَّضْنَا أوراقاً لما لعلّه شَذَّ عنا من غريبه؛ وما عسانا نظفَرُ على مرورِ الأوْقات به، وما نأبى أن يكونَ عندك، أو عند أحدٍ من أصحابك فيه زيادات لم نعثر بها، أو لطائف لم نفطِن إليها، إن كنتَ على ثقةٍ من عِلْمِكَ، وبصيرة بما عندك، وعَرَفْتَ من طُرُق السَّرَق، ووجوه النقل ما يسوغ فيه حُكْمُك، وتُعَدَّلُ فيه شهادتك، فلا بأس أن تُلْحِق به ما أصبته، وأن تضيف إليه ما وجدته، بعد أن تَتَجَنَّبَ الحَيْفَ، وتتنكب الجَوْر، وتعلم أن وراءك من النُّقَّاد من يَعْتَبِرُ عليك نَقْدَك، ومن لا يستسلم للعَصَبيَّةِ اسْتِسْلامَك.

وأنا أعدل إلى ذكر ما رأيتُك تُنْكِرُ من معانيه وألفاظه، وتَعِيبُ من مذاهبه وأغراضه، وتُحيلُ في ذلك الإنكار على حجة أو شُبْهة، وتعتمِدُ فيما تعينه على بينة أو تهمة، إذا كان ما قدّمتَ حكايته عنك، وما عددتَه من مطاعِنك، وأثبتَّه من الأبيات التي اسْتَسْقَطتها، ومِلْتَ على هذا الرجل لأجلها من باب ما يُمْتحن بالطبع لا بالْفِكْرِ، ومن القِسْم الذي لاحظ فيه للمحاجّة، ولا طريق له إلى المحاكمة، وإنما أقصى ما عند عائبه، وأكثر ما يمكن مُعارضه أن يقول: فيه جَهامة سلبته القَبول، وكَزَازةٌ نفَّرتْ عنه النفوس، وهو خالٍ من بهاءِ الرَّوْنَق، وحَلاوةِ المنظر، وعُذوبةِ المَسْمَع، ودماثةِ النشر، ورشاقة المعرض، قد حمل التَّعسُّف على ديباجته، واحتكم التعمل في طُلاوته، وخالف التَّكلُّف بين أطرافه، وظهرت فجاجةُ التصنع في أعطافِه، واستهلك التعقيدُ معناه، وقَيَّدَ التعويضُ مُرادَه.

---

(١) التبيان (٣: ٣٢٨).

(٢) ديوانه (٣: ٣٢٨).

(٣) صدره:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها

مواقع الكلام

وهذا أمر تُسْتخبر به النفوس المُهَذَّبة، وتَسْتَشْهِد عليه الأذهان المثقفة؛ وإنما الكلام أصواتٌ محلُّها من الأسماع محلُّ النواظر من الأبصار. وأنْتَ قد ترى الصُّورة تستكمِلُ شرائط الحُسْن، وتستوفِي أوصاف الكمال، وتذهب في الأنْفُس كلَّ مَذْهب، وتقف من التَّمام بكلِ طريق، ثم تجد أخرى دونها في انتظام المحاسن، والْتئامِ الخِلْقة، وتَنَاصُفِ الأجزاء، وتقابل الأقسام؛ وهي أحظى بالحلاوة، وأدنى إلى القبول، وأعْلَقُ بالنَّفس، وأسْرع ممازجة للقلب؛ ثم لا تعلم ـ وإن قاسيتَ واعتبرت، ونظرت وفكرت ـ لهذه المزية سبباً، ولما خُصَّتْ به مُقْتَضِياً.

ولو قيل لك: كيف صارتْ هذه الصورةُ، وهي مقصورةٌ عن الأولى في الإحكام والصَّنْعة، وفي التَّرتيبِ والصِّيغة، وفيما يجمع أوصافَ الكمال، وينتظمُ أسبابَ الاختيار أحْلَى وأرْشق وأحظى وأوقع؟ لأقمت السائل مقام المتعنِّت المتجانِف، ورددته ردَّ المُسْتبهم الجاهل! ولكان أقصى ما في وسعك، وغايةُ ما عِندك أن تقول: مَوقِعُه في القلب ألْطف، وهو بالطَّبع ألْيق؛ ولم تَعْدَم مع هذه الحال مُعارضاً يقول لك: فما عبتَ من هذه الأُخرى؟ وأي وَجْهٍ عَدَل بك عنها؟ ألَمْ يجتمع لها كيت وكيت!! وتَتكاملُ فيها ذيه وذيه!! وهل للطاعن إليها طريق! وهل فيها لغامز مغمز يحاجُّك بظاهرِ تُحِسُّه النَّواظر؛ وأنتَ تحيله عى باطن تُحصِّله الضمائر!

كذلك الكلام: منثوره ومنظومُه، ومُجْمَلُه ومُفَصَّلهُ؛ تجد منه المُحْكَم الوثيق والجَزْل القَويّ، والمُصَنَّع[١] المُحْكم، والمنمَّق الموشَّح؛ قد هُذِّب كلَّ التَّهذيب، وثُقِّفَ غايةَ التَّثْقيف، وجَهِد فيه الفِكْر، وأُتْعب لأجله الخاطر، حتى احْتَمى ببراءته عن المعائِب، واحْتَجَر بصِحَّتِه عن المطاعن، ثم تجد لفؤادِك عنه نَبْوة؛ وترى بينه وبين ضميرك فَجْوَةً؛ فإن خَلُص إليهما فبأن يُسهِّل بعضُ الوسائل أذنه، ويمهِّد عندهما حاله؛ فأما بنَفْسه وجوهرِه، وبمكانِه وموقعهِ، فلا. هذا قولي فيما صفا وخَلُص، وهُذِّب ونُقِّح؛ فلم يوجد في معناه خَلَل، ولا في لفظه دَخَل؛ فأما المختل المَعِيب، والفاسد المضطرب، فله وجهان: أحدُهما ظاهر يُشْترك في معرفته؛ ويقل التفاضُل في

(١) التصنع: تكلف الحسن.

علمه؛ وهو ما كان اختلاله وفسادُه من باب اللَّحن والخطأ من ناحية الإعراب واللغة. وأظهر من هذا ما عَرَض له ذلك من قِبَلِ الوزن والذَّوْق، فإن العامي قد يميِّز بذوقه الأعاريض والأضرُب، ويَفْصِل بطبعه بين الأجْناس والأبْحُر، ويظهر له الانكسار البَيِّن، والزِّحاف السائغ. والآخر غامض يُوصَلُ إلى بعضه بالرِّواية، ويُوقَفُ على بعض بالدِّراية؛ ويحتاج في كثير منه إلى دِقَّة الفِطْنة، وصفاءِ القريحة، ولُطْفِ الفِكْر، وبُعْدِ الغَوْص. ومِلَاكُ ذلك كلِّه، وتَمامُه الجامِعُ له والزِّمامُ عليه صِحَّة الطَّبْع، وإدْمَانُ الرياضة؛ فإنهما أمران ما اجتَمعَا في شخص فَقَصَّرا في إيصال صاحبهما عن غايته، ورضِيا له بدُونِ نهايته.

وأقلُّ الناس حَظًّا في هذه الصناعة مَن اقْتَصَر في اخْتِيارِه ونَفْيِهِ، وفي اسْتِجَادته واسْتِسْقاطهِ على سَلَامة الوزن، وإقامة الإعراب، وأداء اللغة. ثم كان هَمُّه وبُغْيَتُه أنْ يجد لفظاً مُرَوَّقاً، وكلاماً مُزَوَّقاً؛ قد حُشِي تجْنيساً وترصيعاً، وشُحن مطابَقةً وبديعاً، أو معنى غامضاً قد تَعَمَّقَ فيه مُسْتَخْرِجُه، وتَغَلْغَلَ إليه مُسْتَنْبطه، ثم لا يَعْبَأ باختلاف الترتيب، واضطراب النَّظْم، وسوءِ التأليف، وهَلْهَلَةِ النَّسْج، ولا يقابِلُ بَيْنَ الألفاظ ومَعانيها، ولا يَسْبُرُ ما بينهما من نسب، ولا يَمْتَحِنُ ما يجتمعان فيه من سبب، ولا يرى اللَّفْظَ إلَّا ما أدَّى إليه المعنى، ولا الكلام إلا ما صوَّر له الغرض، ولا الحُسْنَ إلا ما أفاده البديع، ولا الرَّوْنق إلا ما كساه التَّصْنيع، وقد حملني حُبُّ الإفصاح عن هذا المعْنى على تكرير القَوْلِ فيه، وإعادةِ الذِّكْر له؛ ولو احتمل مقدارَ هذه الرسالة استقصاؤه، واتسع حَجْمُها للاستيفاء له لاسْتَرْسَلْتُ فيه، ولأَشْرَفْتُ بك على مُعْظَمه.

وإذا كان هذا محلِّي من التَّحْقِيقِ بهذه الطريقة، ومقامي في نُصْرة هذا الرأي فأنا أوّلُ موافق لك على ما ادَّعيته، وراضٍ منك بالمقدار الذي أوْرَدته؛ غير أنَّ العصبية ربما كَدَّرَتْ صفو الطبع، وفَلَّتْ حَدَّ الذهن، ولَبَّستِ العِلْم بالشك، وحَسَّنَت لِلمُنْصِف الميل؛ ومتى اسْتَحْكَمَتْ ورَسخت صَوَّرَتْ لك الشيء بغير صورته، وحَالَتْ بينك وبين تأمله، وتخطَّتْ بك الإحسانَ الظاهِرَ إلى العَيْبِ الغامض. وما مَلَكَتِ العصبيَّةُ قَلْباً فتركت فيهِ للتثبت موضعاً؛ أو أبْقَتْ منه للإنصاف نصيباً!

دفاع المؤلف عن أبي الطيب

وقد تفقدت ما أنْكَرهُ أصحابُكَ من هذا الديوان، بعد الأبيات التي حالُها من امتناع المحاجّة فيها، وتَعَذُّر المخاصمة عليها مَا وَصَفْت فوجدته أصنافاً، منها ألفاظ نُسِبَتْ إلى اللَّحْن في الإعراب، وادُّعِي فيها الخروجُ عن اللغة، ومعان وُصِفَتْ بالفساد والإحالة، وبالاختلال والتناقص، واسْتِهْلَاكِ المعنى؛ وأخرَى أنْكِرَ منها التَّقْصِيرُ عن الغرض، والوقوعُ دون القصد. وأعْيَبُ ما فيها ما عَيْبُه من باب التعقيد والعَويص[١] واستهلاك المعنى وغُمُوض المراد؛ ومن جِهَةِ بُعْدِ الاستعارة، والإفراط في الصنعة، وقد حَكَيْتُ في كل باب منها ما عَلِقْتُه من كلام أصحابك، وما قابلهم به خصومُك، ورأيت السَّلَامة في أن أقتصر من هذه (الوساطة) على حُسْنِ التبليغ، وحُسْنِ التأدية، وتَقْرِيبِ العبارة، وجَمْعِ المُتَفَرِّق، ثم أقِفُ منكما حَجْزَةً، وأخْرُجُ عنكما صفراً؛ قد أدَّيْتُ عن كلِّ فريق ما تَحملتهُ، وسَلِمْتُ من الميل فيما تكلّفته.

وكما لا أحكم على خصمك بالخطأ في كلِّ ما يذكره، فكذلك لا أُبْعِدُك من الصواب في أكثر ما تصفه. وجملة القول في هذه الأبْياتِ وأشباهها أنه لو وُفِّي فيها التهذيب حقَّه؛ ولم يُبْخَس التَّثْقيفُ شَرْطَه لانقطعت عنها ألْسُن الْعَيْبِ؛ وانْسَدَّتْ دونها طُرُق الطعن، ولَدَخَلَتْ في جملة أخواتها، ولجرتْ مَجْرى أغيارها؛ ولاستغنت عن تَكلُّف البَحْث والتَّنْقير؛ واستغنى خصمك عن تمحّل الحجج والمعاذير. لكنّا لم نجد شاعِراً أشْمَلَ للإحسان والإصابة والتنقيح والإجادة شعرَه أجمع، بل قَلَّما تجد ذلك في القصيدة الواحدة، والخطبة الفردة؛ ولا بد لكل صانع من فَتْرَةٍ، والخاطر لا تستمر به الأوقات على حال؛ ولا يَدُوم في الأحوال على نَهْج. وقد قدمنا لك في صَدْر هذه الرسالة من شعر أبي نُوَاس وأبي تمام وغيرِهما ما مَهَّدْنا به الطريق إلى هذا القول، وأقمناه عَلَماً يُرْجَعُ إليه في هذا الحكم، وأعلمناك أنَّهُ ليس بنيتنا الشَّهادة لأبي الطيب بالعصمة، ولا مرادُنا أن نُبرِّئه من مقارفة زلّة، وأن غايتنا فيما قصدناه أن نُلْحِقَه بأهل طبقته، ولا نُقصِّرَ به عن رتبته، وأن نَجْعَلَه رجلاً من فحول الشعراء، ونمنعَك عَنْ إحباط حسناته بسيئاته، ولا نسوِّغُ لك التحاملَ على تَقَدُّمه في الأكثر بتقصيره في

---

(١) العويص من الشعر: ما يصعب استخراج معناه.

الأقل، والغضّ من عامّ تَبْريزه، بخاص تَغْذيره. ومتى وجدتك تحتمل للفرزدق قوله:

وما مِثْلُه في النَّاسِ إلّا مُمَلَّكاً أبُو أمِّهِ حَيٌّ أبُوهُ يُقَارِبُه

وقوله:

مَا بالمَدِينَة دَارٌ غيرُ واحدةٍ دار الخليفة إلا دار مَرْوانا

وقوله:

فإنَّ التي ضَرَّتْك لو ذقت طَعْمَها عليك من الأعباء يوم التخاصم

وأشباهها. وإن لم تَحْتَمِله لم تتعمذه بالعيب، ولم تتناول قَلائده بالغَضّ، ولا تَسْلك بأبي الطّيب هذا المَسْلَك، وتَحْمِله على هذا المَنهَج علمتُ أنَّكَ مُتَعَصِّب مائل، ومتحامل جائر.

ولقد حدثني بعض أهل الأدب أنه حضر عند أبي الحسن بن لَنْكَك البَصْري ـ وكان على فَضْله في العلم، وتَقَدُّمه في الأدب ـ شديدَ التَّحامل على أبي الطيب، وهو يذكر شَيئاً من شِعْرِه حتى انتهى إلى قوله[1]:

بقائي شاء ليسَ هُمُ ارتحالا

فجعل يُعجِّب من هذا المصراع مَنْ حضره ويقول: هل رَأيْتُمْ أشد تعقيداً وأظهر تكلفاً، وأسوأ ترتيباً من هذا الكلام! قال: فقلت له: هب الأمر على ما ادّعيته، وأنّا سَلَّمنا لك ما زعمته، أين أنت من قوله في إثْرِ هذا البيت[2]:

كأنَّ العِيسَ كانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا ثُرْنَ سالَا

قال: فاسْتَشاط غيظاً، ثم قال: هذا المِصْرَاعُ يسقط دواوين عدة شعراء!

فإنْ كانَ هذا الحكم سائغاً، وكان ما قاله مقبولاً، فإن أحَدَ أبْيَاتِ الفرزدق يُسْقِطُ شعر بني تميم جُمْلة؛ فقد ترى ما بَيْنَهَا من الفَضْل في النقص، وتتبين تفاوتها في سوء الترتيب واختلال النظم. ولو كان التعقيدُ وغموضُ المعنى يُسْقطان شاعراً لوجب أن لا يُرَى لأبي تمام بيتٌ واحد؛ فإنا لا نعلم له قصيدةً تسلم من بَيْتٍ أو بيتين قد وَفَر من التعقيد حَظُّهما؛ وأفسد به لفظهما، ولذلك كَثُرَ الاخْتِلَافُ في معانيه، وصار استخراجها باباً منفرداً؛ يَنْتَسِب إليه طائفة من أهل الأدب، وصارت تُتطارح في المجالس مطارحة أبيات المعاني، وألغاز المُعَمّى.

وليس في الأرض بيت من أبْياتِ المعاني لقديم أو محدث إلا ومعناه غامض

---

(١) ديوانه (٣: ٢٢١) وبقيته:

وحسن الصبر زموا لا الجمالا

(٢) ديوانه (٣: ٢٢٢).

مستتر؛ ولولا ذلك لم تكن إلّا كغيرها من الشعر، ولم تُفْرَدْ فيها الكتبُ المصنّفة، وتُشْغل باستخراجها الأفكارُ الفارغة.

ولسنا نريدُ القِسْمَ الذي خفاءُ مَعانيه واستتارُها من جِهةِ غَرَابة اللَّفْظ وتوحش الكلام، ومن قبل بُعْدِ العَهْدِ بالعادة وتغيّر الرَّسْم، كاخْتلاف الناس في قول تَميم بن مُقْبل[١]:

يـا دارَ سَـلْـمَـى خَـلَاءً لا أُكـلِّـفُـهـا إلا الـمـرانَـةَ حـتـى تَـعْـرِفَ الـدِّيـنَـا

فإن الذي خالف بين أقاويلهم فيها هو أنهم لم يعرفوا المرانة، فقال قائل: هي ناقته، وقال آخر: هي موضع دار صاحبته، وقال آخر إنما أراد الدوام والمُرونة[٢].

وكقول امرئ القيس[٣]:

نَـطْـعَـنُـهـم سُـلْـكَـى ومَـخْـلُـوجَـةً كَـرَّكَ لَأمَـيْـنِ[٤] عـلـى نَـابِـلِ

لمَّا لم يعرفوا: هل الكافُ من كَرَّكَ فتكون اللأمان مُفْردين، أو الكَرّ مفرداً، ويكون اللأم موصولاً اختلفوا.

وإنما أريد مثل قول الأعشى:

إذا كـان هـادي الـفـتـى فـي الـبـلا د صـدرَ الـقـنـاةِ أطـاع الأمـيـرا

فإنَّ هذا البيتَ ـ كما تراه ـ سليمُ النظم من التعقيد، بعيدُ اللَّفظ عن الاستكراه، لا تشكل كل كلمة بانفرادها على أدْنَى العامَّة، فإذَا أرَدْتَ الوقوفَ على مراد الشاعر فمن المحال عِنْدِي، والممتنِع في رأيي أن تصل إليه إلا من شاهد الأعشى بقوله، فاستدل بشاهد الحال، وفحوى الخطاب، فأما أهل زماننا فلا أجيز أن يعرفوه إلا سماعاً إذا اقتصر بهم من الإنشاد على هذا البيت المفرد؛ فإن تقدموه أو تأخروا عنه بأبيات لم أبعد أن يُسْتَدَلّ ببعض الكلام على بعض، وإلا فمن يسمع بهذا البيت فيعلم أنه يريد: أن الفتى إذا كبر فاحتاج إلى لزوم العصا أطاع لمن يأمره وينهاه، واستسلم لقائده، وذهبتْ شِرَّته!

وكقول المَعْلُوط:

بـل رب مِـخْـرار تـجـاوزنـه ببسطة الـهـامـة والـمِـشْـفَـرَيْـن

---

(١) اللسان: مادة ـ مرن.

(٢) قال في اللسان: «وقيل هي هضبة من هضبات بني عجلان»؛ يريد؛ لا أكلفها أن تبرح ذلك المكان، وتذهب إلى موضع آخر. وقال الأصمعي: المرانة: اسم ناقة كانت هادية بالطريق. وقال: الدين: العهد والأمر الذي كانت تعهده.

(٣) اللسان: مادة ـ لأم.

(٤) ويروى: «لفتك لأمين نابل».

مـأهـولـةُ الأرض إذا أصـبـحـت مـجـدبـة الـحـيْـزُوم والـمِـرْفَـقَـيـن

البيت الأول منكشف المعنى، وأما الثاني فلا يُعْلَمُ إلا وَحْياً أو سَمَاعاً، ولو بلغ طالبه في علم العرب كلَّ مَبْلَغ، وحمل على فكره فوق الطاقة، وإنما معناه أنَّ هذه الناقة إذا أصبحت وانقادت فإن رؤوس الإبل عند رجليها، لأنها أقوى على السير منها، وصدرها خال لم تلحق بها ناقة لقصورهن عنها.

وكذلك قول الآخر:

فـجُـنِّـبْـت الـعَـوار أبـا زنـيـب وجـاد عـلـى مـحـلّـتـك الـسـحـاب

من يسمع هذا البيت يظنه دعاء له واستسقاء لأرضه، وإنما مراد الشاعر الدعاء عليه أنْ يُهْلِكَ اللَّهُ إبله فلا يملك منها ما يُعار عليه، وأن تجودَ السحاب على أرضه وهو مملق، فيشتد أسفُه على ما ذهب من ماله إذا رأى الأرض مخصبة، وسائمة الحي راعية.

وقول الآخر:

وإنـي لـظـلَّامٌ لأشْـعَـثَ بـائـسٍ عَـرَانَـا ومـقـدور بَـرَى مـالَـهُ الـدَّهْـر
وجـارٍ قـريـب الـدار أوْ ذِي جِـنَـايـةٍ بـعـيـد مَـحَـلٌ الـدار لـيـس لـه وَفْـر

هل يشك من أنشدهما أن الشَّاعِرِ وصفَ نَفْسه بأقبح الصِّفة، وأضاف إليها أشْنَع الظُّلم؛ وإنما يريدُ أني أظلِم الناقة فأنْحَرُ فَصِيلَها لأجل هذا الأشعث والجار، ولو قال: وإني لنحار لاتَّضَح المعنى، ولم يختل البيت. وأمثالُ هذه الأبيات موجودة شائعة، واستقصاؤُها مُفارِقٌ للرَّسْم، وخارج عن الشَّرْط، والكتب المُصَنَّفة فيها مَعْرُوفة، والرُّجُوع إليها مُمْكِن.

وأنتَ لا تجد في شعر أبي الطّيب بيتاً يزيدُ مَعْناهُ على هذا الغموض، أو تتعقَّد ألفاظُه تَعَقُّدَ أبيات الفرزدق. فأما ديوان أبي تمام فهو مشحون بهذين القسْمين، ومَنْ أنْصَفَ حجزه حضور البيِّنة عن المنازعة.

غُلوّ القُدامى

فأما الإفراطُ فمذهب عام في المُحْدَثين، وموجود كثير في الأوائل، والناس فيه مختلفون، فمستحسن قابل، ومستقبِح رادّ، وله رسوم متى وقف الشاعرُ عندَها، ولم يتجاوز الوصفُ حدّها جمع بين القَصْد والاسْتِيفَاء، وسلم من النقْص والاعتداء، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية، وأدته الحال إلى الإحالة، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط، وشُعْبَةٌ من الإغراق، والباب واحد، ولكن له دَرَج ومراتب.

فإذا سمع المحدَث قول الأول:

إلا إنــمــا غــادَرْتِ يــا أمَّ مــالــكٍ ... صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذْهب

وقول آخر من المتقدمين[1]:

ولـو أنّ مـا أبْـقَـيْـتِ مِـنِّـي مُـعَـلَّـقٌ ... بـعـودِ ثـمـامٍ[2] مـا تـأوَّد عُـودُهـا

جَسَر على أن يقول:

أُسَـرّ إذا نَـحِـلْـتُ وذاب جِـسْـمِـي ... لـعـل الـريـح تَـسْـفِـي بـي إلَـيْـهِ

واستحسن غيره أن يقول[3]:

ذَابَ فَـلَـوْ زُجَّ بِـجُـسْـمَـانِـهِ ... فـي نـاظـر الـوَسْـنـان لـم يَـنْـتَـبِـهْ

وسهّل لأبي الطيب الطريق فقال[4]:

ولـوْ قَـلَـمٌ أُلْـقِـيـتُ فـي شـقِّ رَأْسِـهِ ... من السُّقْمِ ما غيرتُ من خَطِّ كاتِب

وقال[5]:

كَفَى بِجِسْمِي نُحولاً أَنَّني رَجُلٌ ... لَوْلَا مُخَاطَبَتي إياك لَمْ تَرَني[6]

---

(١) اللسان. مادة ـ ثم، والعمدة (٢: ٤٩)، ونسبه للأعشى.

(٢) الثمام: نبت ضعيف شبيه بالخوص؛ وربما سد به خصاص البيوت.

(٣) التبيان (١: ١٤٩).

(٤) ديوانه (١: ١٤٩).

(٥) ديوانه (٤: ١٨٦).

(٦) قال العكبري: هو مأخوذ من قول الأخطل:

ضـفـادع فـي ظـلـمـاء لـيـل تـجـاوبـت ... فـدل عـلـيـهـا صـوتـهـا حـيـة الـبـحـر

قال: ولبعضهم، ولقد أحسن:

فـاسـتـبـق مـا أبـقـيـت لـي فـلـعـلـنـي ... يـومـاً أقـيـك بـه مـن الأعـداء

مـن مـهـجـة ذابـت أسـى فـلـو أنـهـا ... فـي الـعـيـن لـم يـمـنـع مـن الإغـفـاء

وإذا قال عنترة(١):

وأنا المنيَّةُ في المواطن كُلِّها ... والطَّعْن منّي سابقُ الآجال

وقال النّابغة [الجعْدي](٢):

بَلَغْنَا السَّماءَ مجدُنا وجُدودُنا ... وإنّا لنرجُو فَوْقَ ذلك مَظْهرا

وقال الأعشى:

لو أسندتْ ميتاً إلى نَحْرِها ... عاش ولم يُنْقَلْ إلى قابر

وقال عُرْوة بن زيد:

بجيشٍ تُطِلّ البلق في حَجَراتِه ... تَرَى الأُكْمَ مِنْهُ سُجَّداً لِلْحَوَافرِ

وقال النّابغة(٣):

تَقُدّ السَّلُوقيَّ المضاعفَ نَسْجُه ... وتُوقِدُ بالصُّفَّاح نار الحُبَاحِبِ(٤)

وقال النّمِر بن تَوْلب(٥):

يظل يحفز عنه إن ضربتَ به ... بُعْدَ الذراعين والسَّاقَيْن والهادِي(٦)

وقال مُهلهل(٧):

ولولا الريح أَسْمَعَ من بِحِجْرٍ ... صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكُور(٨)

وقال امرؤ القيس(٩):

إذَا رَكِبُوا الخَيْل واستَلأَموا ... تحرّقتِ الأرْضُ واليومُ قُرّ

وقال الأعور الشَّنّي:

ولو حَلَّ بالدَّهناء حرث بن جابر ... لأضبَحَ بَحْراً بالمَفَازَةِ جاريا

وقال الهُذَلِيّ:

يردّ شعاع الشَّمْس عار رماحنا ... ويصرف حد الشمس حتى تكركرا

---

(١) ديوانه ص١٠٩، وروايته هناك:

وأنا المنية حين تشتجر القنا ... والطعن مني سابق الآجال

(٢) مهذب الأغاني (٢: ٧٥). (٣) اللسان، مادة ـ حبب.

(٤) السلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق؛ وهي قرية باليمن. والصفاح: الحجر العريض، ونار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة.

(٥) العمدة (٢: ٤٩).

(٦) الهادي: العنق.

(٧) الأمالي (٢: ١٣٣).

(٨) حجر: قصبة اليمامة، وإقامتهم كانت بالجزيرة. والصليل: الصوت. والذكور: السيوف التي عملت من حديد غير أنيث. قال أبو العباس الأحول: أول كذب سمع في الشعر هذا.

(٩) ديوانه ص ٥.

وقال قَيس بن الخَطيم:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... تَرى قَائماً من دُونها ما وراءَها

وقال هُذْبة:

بإجّانة فيحاءَ لو خَرَّ بازلٌ ... من البُخْت فِيها ظَلَّ للجَنْبِ يَسْبَحُ

وقال ابن ميّادة:

ولو أن قيساً قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمَتْ ... على الشمس لم تَطْلَعْ عليها حجابها

وقال الطِّرِمَّاح:

ولو أن برغوثاً على ظهر قَمْلَةٍ ... يكر على صَفَّيْ تميم لَوَلَّتِ

وقال العيني في جوابه:

ولو أن عُصْفوراً يَمُدُّ جناحه ... على طيّئ في دارها لاستَقَلَّتِ

وقال طُريح:

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ... ج عليه كالهضب يَعْتَلِجُ

لارتَدَّ أوْ سَاخَ أوْ كان له ... في سائر الأرض عنك مُنْعَرَجُ

وقال العوامّ بن عبد عمرو:

ولو أنها عُصفورة لحسبتُها ... مُسَوَّمَةً تَدْعُو عُبيداً وأزْنَما

وقال تميم بن مقبل:

ولو كحلت حواجب خيل قَيْس ... بكلب بعد تغلب ما قُذينا

وأمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه وجد مَن بَعْدَهُم سبيلاً مسلوكاً وطريقاً مُوَطَّأً، فقصدوا، وجاروا، واقتصدوا وأسرفوا وطلب المتأخر الزيادة، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول، ولم يقف عند حد المتقدم، فاجْتَذَبَهُ الإفراط إلى النقص، وعَدَل به الإسراف نحو الذم.

عود إلى الدفاع عن أبي الطيب

ولما سمع أبو الطيب قولَ قَيْس بن الخطيم في الطعنة نافسه فقال[١]:

إذا ما ضَرَبْتَ القِرْنَ ثم أَجزْتَني فَكِلْ ذَهَباً لِي مَرَّةً منه بالْكَلْم[٢]

فلم يحفِلْ بسوء النظم، وهَلْهَلَةِ النّسْج لمّا حصل له الغرض في إنْهَارِ[٣] الطعنة، وتوسيع الجرح.

ولمّا سمع قول العوّام بن عبد عمرو[٤]:

ولو أنها عُصفورةٌ لحسبتها مُسَوَّمَةً تدعو عَبِيداً وأزْنَما

وَوَجَد المُحْدَثين قد تبعوه، فذهبوا به مذاهبَ طلب الزيادة فقال[٥]:

وضاقت الأرض حتى كان هاربُهم إذا رأى غير شيء ظَنَّهُ رَجُلاً[٦]

فلم يكترث بالإجالة، ولم يستقبح أنْ جَعل غيرَ شيء مرئيًّا لما استوفى عند نفسه الغاية، ولم يبق وراءها مَرْمًى لشاعر، وشجّعه على ذلك أيضاً أنه سمع قول عَمْرو بن لجأ

وقعنب يا بْن لا شيء هتفت به

وقول أبي تمام:

أَفِيّ تنظِمُ قَوْلَ الزُّورِ والفَنَدِ وأنت أنْزَرُ من لا شيءَ في العَدَدِ

فقال: قد أجاز هذا أن يكون لا شيء واحداً، وهذا أنْ يكون معدوداً فكيف يحظر عليَّ أن أجْعَلَه مرئياً[٧]!

---

(١) ديوانه (٤: ٥٧).

(٢) القرن: كفء الرجل في شجاعته. والجائزة: ما يعطاها الشاعر. والكلم: الجرح. يقول: إذا أجزتني فكل لي ذهباً في جرح القرن إذا نازلته وجرحته. يريد: إنك واسع الضربة؛ فأعطني مقدار ما تسع الضربة من الذهب.

(٣) إنهار الجرح: توسيعه.

(٤) عيون الأخبار (١: ١٦٦).

(٥) ديوانه (٣: ١٦٩).

(٦) قال الخوارزمي: رأى في هذا البيت ليست من رؤية العين؛ وإنما هي من رؤية القلب؛ يريد به التوهم، وغير الشيء يجوز أن يتوهم.

(٧) قال ابن القطاع: قد أوخذ في هذا البيت؛ فقيل: كيف يرى غير شيء، وغير شيء معدوم، والمعدوم لا يرى؟ وليس الأمر كما قالوا؛ بل أراد غير شيء يعبأ به.

ولما رأى مُهَلْهِلاً قد أسمع أهْلَ حِجْر صَلِيل البَيْض، وهو بالذنائب وبينهما عَرْض نجد[١] أقدم على أن قال[٢]:

سَلَّهُ الرَّكْبُ بَعْدَ وَهْنٍ بِنَجْدٍ ... فَتَصَدَّى لِلغَيْث أَهْلُ الحجاز[٣]

وإذا رآهم قد احْتملوا لطريح أن يَجْعلَ الوليد بن يزيد يَرُدّ السَّيْل[٤] بقوله من جهة، ويصرفه عن طَريقه سامهم أن يَحْتَملوا في ابن حَمْدان قوله[٥]:

أَلْقَتْ إليكَ دماءُ الرومِ طاعَتها ... فلوْ دَعَوْت بلا ضَرْب أجاب دَمُ

ومتى سامح الرواة وحملة الشعر الفرزدق في قوله:

لعمرُكَ ما الأرْزَاقُ حين احتفالُها ... بأكْثرَ خَيْراً من خِوان العُذَافر[٦]

ولو ضافه الدَّجال يلتمِسُ القِرَى ... وحلَّ على خَبَّازِهِ بالعساكر

بِعدَّة يأْجَوج ومأجوج كلهم ... لأَشْبَعهم يوماً غذاء العُذَافِر[٧]

وسامحوا سُحَيماً عبد بني الحَسْحَاس في قوله[٨]:

وما زال بُرْدِي طَيِّباً من رِدائها ... إلى الحَوْل حتى أَنْهَجَ[٩] البردُ بالِيا

وجميلاً في قوله:

ولو أن جِلْداً غَيْرَ جِلْدِك مَسَّنِي ... وباشرنِي دونَ الثِّيابِ شَرِيتُ

ولو أن واقي الموت يدعو جنازتي ... بمنطقها في الناطِقين حَيِيتُ

---

(١) وذلك قوله:

ولولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

(٢) ديوانه (٢: ١٧٧).

(٣) يقول: لما ركضت الخيل بعد وهن خرج من الغمد فرأى أهل الحجاز بريقه، فظنوه برقاً، فارتقبوا المطر.

قال العكبري: هو منقول من قول الوائلي:

ما سله أهل الحجاز لحاجة ... إلا يبشر بالسحاب الشاما

وأخذه علي بن الجهم في قوله في قبة المتوكل:

وقبة ملك كأن النجو ... م تصغي إليها بأسرارها

إذا أوقدت نارها بالعراق ... أضاء الحجاز سنا نارها

(٤) وذلك قوله:

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ... ج عليه كالهضب يعتلج

لارتد أو ساخ أو كان له ... في سائر الأرض عنك منعرج

(٥) ديوانه (٤: ٢٦).

(٦) العذافر: اسم رجل.

(٧) العذافر هنا: الجمل.

(٨) اللسان: مادة ـ نهج.

(٩) أنهج البرد: أخذ في البلى.

لزمهم أن يسامحوا أبا نُوَاس في قوله يصف قِدْراً:

يعضّ بحَيْزُوم الجرادة صَدْرُها ... وينضج ما فيها بِعُودِ خِلَال
تَغْلِي بذكر النار من غير قُرْبها ... وينزلها عفواً بغير جعال

والعَكَوّكَ في قوله يصف رِجْله ومشيها:

إذا اتسعت لم يلحق الذَّرُّ شأوَها ... وخامرها دون الذراع ابتِهارُها

وأبا الطيب في قوله[1]:

لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي العِظَامَ وغَضْبَةٌ ... بها فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عن صاحبِ الجُرْمِ
وَرِقَّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بنَظْرَةٍ ... على وَجْنَتَيْهِ ما امَّحى أَثَرُ الخَتْمِ
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الجِنِّ والإنْسِ سَيْفُهُ ... فما الظَّنُّ بعد الجِنّ بالعُرْبِ والعُجْمِ
وأَرْهَبَ حتَّى لو تأمَّل دِرْعَه ... جَرَتْ جَزَعاً من غير نار ولا فحم

فإن قالوا: أَلَسْنا نسامح المتقدمين بالخطأ؟ ولا نحتَمِلُ لهم هذا الإغراق الفاحش؟ قلنا: أَوَلَسْتُمْ قد سلّمتم لهم الإحسان في غير ذلك، ولَمْ تسقطوهم من عداد الشعراء لأجله فأَجْرُوا هذا الرجل مجراهم، وألحقوه في الحكم بهم. وإذا احتملوا لامرئ القيس قولَه[2]:

من القَاصرَاتِ الطَّرْف لو دَبَّ مُحْوِلٌ ... من الذَّرِّ فَوْقَ الإتْب منها لأثّرا[3]

ولحميد قوله[4]:

مُنَعَّمة لو يُصْبِح الذَّرُّ سَارِياً ... على جِلْدِها صَبَّت[5] مَدارجُه دما

فاحتملوا للمُحدث قوله:

يَجْرحُه اللَّحظُ بِتَكْرَارِهِ ... ويشتكي الإيماءُ بالكَفّ

ولأبي الطيب قوله[6]:

تَأَلَّمُ دَرْزَهُ والدَّرْزُ لَيْنٌ ... كَمَا تَتَأَلَّمُ العَضْبَ الصَّنِيعا[7]

---

(١) ديوانه (٤ : ٥٥). (٢) ديوانه ص١٠٣.

(٣) القاصرات: النساء: اللاتي قصرن أعينهن عن الرجال؛ أي حبسنها إلا على أزواجهن. والمحول: الصغير من الذر. والإتب: القميص غير مخيط الجانبين؛ يريد أن يصفها بالنعمة.

(٤) شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسي ص١٤٠، وروايته هناك:

منعمة بيضاء لو دب محول ... على جلدها بضت مدارجه دما

(٥) في الديوان ١٧ : بضت.

(٦) ديوانه (٢ : ٢٥١).

(٧) الدرز: موضع الخياطة المكفوفة من الثوب. والتألم: التوجع. والعضب. السيف. والصنيع: المحكم الصقال.

وإذا لم ينزل عندكم حُميد بن ثَوْر عن مكانه، ولم يؤخره عن مقامه إفراطه في قوله يصف امرأة ركبت هودجها[١]:

فما دخلتْ في الخِدْرِ حتى تَنَقَّضَتْ تآسيرُ أعلى قِدّهِ وتحطَّما[٢]
وما ركبتْ حتى تطاول يومُها وكانت لها الأيدي إلى الحدب[٣] سُلّما
فجرْجَرَ لمّا كان في الخِدْر نصفُها ونصف على أيَاته ما تجزَّ ما
وما كاد لما أن علَتْه يُقلّها بنهضتِه حتى اكْلأَزّ وأعْصَما[٤]
وحتى تداعتْ بالنقِيض حبالُه وهمّت بوانِي زَوْرِه أن تحطما[٥]
وأثّر في صُمّ الصَّفا ثَفِنَاتُه ورام بلما أمْرَهُ[٦] ثم صَمَّما

قال الأصمعي ـ وقد قرئت عليه هذه الأبيات: لو كانت هذه المرأة المازندر ما زاد؛ فكيف ملتم على أبي الطيب لإفراطه في قوله[٧]:

ذِرَاعَاهَا عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّنْدَ الضَّجِيعَا

إذا ساغ للمتقدم أن يقول:

فَلمَّا جئتُه أعْلى مَحَلِّي وأجْلَسَنِي على السَّبْعِ الشِّدَادِ

فأما ما جرى مجرى قول أبي نُوَاس[٨]:

وأخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنَّهُ لتخافُكَ النُّطَفُ الَّتي لم تُخْلَق

فهو من المحال الفاسد، وله باب غير هذا، وكل هذا عند أهل العلم مَعيب مَرْدود، ومنفي مرذول، وإن كان أهلُ الإغراب وأصحابُ البديع من المحْدَثين قد لَهِجوا به واسْتَحْسَنوه، وتنافسوا فيه؛ وبارَى بعضُهم بعضاً به.

ولسْنَا نذهب بما نذكره في هذا الباب مذهب الاحتجاج والتحسين، ولا نقصد به قصد العُذْر والتسويغ؛ وإنما نقول إنه عيب مشترك، وذنب مُقْتَسَم، فإن احتمل فللكل، وإن رُدَّ فعلى الجميع، وإنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد

---

(١) ديوانه ١٩.
(٢) تنقضت: انحلت، وتآسير السرج: السيور التي يؤسر بها.
(٣) في الأصل: إلى الخدر.
(٤) اكلأز وأعصم: تجمع واستمسك.
(٥) بواني زوره: أضلاع صدره. والنقيض: صوت المحامل.
(٦) في الأصل: بسلمى. ورام بلما: أي أراد ألا يقوم؛ من قولهم: كدت أفعل ولما، ويروى ورمت سليمى أمره ثم صمما.
(٧) ديوانه (٢: ٢٥٢).
(٨) ديوانه ص٦٢.

من عرض الشعراء، وموقعه منه موقع رجل من المحدثين .

فأما الاستعارة فهي أحد أعمِدة الكلام، وعليها المعَوَّل في التوسّع والتصرف، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر، وقد قدمنا عند ذكرنا البديع نُبذاً منها مثلنا بها المُسْتَحْسَن والمستقبح، وفصلنا بين المقتصِد والمُفْرِط .

الإفراط في الاستعارة

وقد كانت الشعراء تجري على نَهْج منها قريب من الاقتصاد، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال إلى الرّخصة، فأخرجه إلى التعدي، وتبعه أكثر المحدَثين بعده، فوقفوا عند مراتبهم من الإحسان والإساءة، والتقصير والإصابة. وأكثرُ هذا المصنف من الباب الذي قدمت لك القول فيه، وأقمت لك الشواهد عليه، وأعلمتك أنه يُميَّز بقبول النفس ونفورها، وينتقد بسكون القلب ونُبُوّه. وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه، واهتدتْ إلى الكشف عن صوابه أو غلطه، وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتاً أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة، وخرج عن حد الاستعمال والعادة؛ فكان مما عدد منها قوله(١):

مَسَرَّةٌ فِي قُلُوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُها ... وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ البَيْض والْيَلَبِ(٢)

وقوله(٣):

تجمعتْ في فُؤادِهِ هِمَمٌ ... ملء فؤاد الزمان إحداها

فقال: جعل للطيب والبَيْض واليَلَب قلُوباً وللزمان فؤاداً. وهذه استعارة لم تجر على شَبه قريب ولا بعيد؛ وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة. فقلت له هذا ابن أحمر يقول:

ولهت عليه كل مُعصفة ... هَوْجاء ليس لِلُبِّها زَبْر(٤)

فما الفصل بين من جعل للريح لُبًّا، ومن جعل للطيب والبيض قَلْباً! وهذا أبو رميلة يقول:

هم ساعِدُ الدّهر الذي يتقي به ... وما خير كف لا تنوء بساعدِ

وهذا الكميت يقول:

ولما رأيت الدَّهْرَ يَقْلِبُ ظهره ... على بطنه فعل الممعَّك(٥) بالرَّمْل

وشاتم الدهر العبقي يقول:

ولما رأيتُ الدهر وَعْراً سبيلُه ... وأبدى لنا ظهراً أجبَّ مسمّعا

---

(١) ديوانه (١ : ٩٠).

(٢) اليلب: الدروع تتخذ من الجلود.

(٣) ديوانه (٤ : ٢٧٧).

(٤) الزبر: الرأي أو القوة.

(٥) التمعك: التمرغ.

ومعرفة حصاء غير مفاضة ... عليه ولوناً ذا عثانين أجْدَعا
وجبهة قرد كالشِّراك ضئيلة ... وصعّر خديه وأنفاً مُجَدَّعا

فهؤلاء قد جعلوا الدَّهرَ شخصاً مُتَكامِلَ الأعضاء، تامَّ الجوارح؛ فكيف أنكرت على أبي الطيب أَنْ جعلَ له فؤاداً! فلم يُحِرْ[1] جواباً غير أنْ قال: أنا اسْتَبَرْت[2] ووجدت بين استعارة ابن أَحْمر للريح لُبًّا، واستعارة أبي الطيب للطيب قَلْباً بَوْناً بعيداً، وأصبت بين استعمال ساعد للدهر في بيت ابن رميلة، واستعمالِ فؤادِ للزمان في بيتِ أبي الطيب فصلاً جَلِيًّا، وربما قصر اللسان عن مُجاراة الخاطر، ولم يبلغ الكلامُ مبلغ الهاجس.

حدَّثني جماعةٌ من أهل العلم عن أبي طاهر الحازمي وغيره من شيوخ المصريين عن يونس بن عبد الأعلى قال: سألت الشافعي رضي الله عنه عن مسألةٍ فقال: إني لأَجِد بيانَها في قلبي، ولكن ليس يَنْطلقُ به لساني.

وما أقربَ ما قالَه من الصواب وأخلقه بالسداد! وقد أَجِد هذا الفصل الذي تخيَّل له بعضَ البيان؛ وذلك أنَّ الريحَ لما خرجت بعُصُوفها من الاستقامة، وزالت عن الترتيب شُبِّهت بالأهوج الذي لا مُسْكَة في عَقْله، ولا زَبْر لِلُبِّه؛ ولما كان مدار الأهوج على التباس العَقْل حَسُن من هذا الوجه أن يجعل للريح عقلاً، فأمَّا الدهرُ فإنما يرادُ بذكره أهلُه؛ فإذا جَعَل للدهر ساعداً وعَضُداً ومَنْكِباً فقد أُقيم أهلُه مقام هذه الجوارح من الإنسان؛ وليس للطيب والبَيْضِ واليَلَب ما يُشْبه القلبَ، ولا ما يجري مع هذه الاستعارة في طريق.

وقوله: مــلء فــؤاد الــزمــان إحــداهــا[3]

إن عدل به إلى أهله وأزيل عن مقتضى لفظه اختلّ المعنى وانقطع عن قَوْلِهِ بعده[4]:

فَــإنْ أَتَــى حَــظُّــهــا[5] بِــأَزْمِــنَــةٍ ... أَوْسَــعَ مِــنْ ذَا الــزَّمَــانِ أَبْــدَاهَــا

فهذا فصلٌ واضح وفرقٌ ظاهر. وأما أبيات شاتم الدهر[6] فإنما صدرت مَصْدَرَ

---

(١) يقال كلمته فما أحار جواباً؛ أي ما رد جواباً.
(٢) سبر الشيء: خبره، والسبر: استخراج كنه الأمر كالاستبار.
(٣) بقية البيت؛ وصدره:

تــجــمــعــت فــي فــؤاده هــمــم

(٤) ديوانه (٤: ٢٧٨).
(٥) حظها: أي الدنيا إن كان لها حظ.
(٦) السابقة التي أولها:

ولــمــا رأيــت الــدهــر وعــرا سبــيــلــه

الهَزْل، وجَرَتْ على عادةٍ في الاستعمال مُتَدَاوَلةٍ؛ وذلك أنهم لما ابتذلوا اسمَ الدهر واعتمدوا على صَرْفِه في الشكاية والشُّكر، وأحالوا عليه باللَّوْم والعَتْب، وأَلِفُوا ذلك واعتادوه حتى صار أغلبَ على كلامهم، وأكثرَ في شعرهم وخِطَابهم من ذِكْرِ أَهْلِهِ وأبنائه، ومَنْ تَقَعُ هذه المحامد والملاوم عنه، ويَحْدُثُ أسبابُها عن جِهَته صار كالشخص المحمود المذموم، والإنسانِ المحسنِ المسيءِ، فوُصِف بأوصافه، وحلي بحلاه، وجعل له أعضاء تعدّ وتُنْعت، وتستكرم وتستهجَن، ومثل هذه الألفاظ قول امرئ القيس[1]؛ يريد الليل:

فقلتُ له لما تَمَطَّى بِصُلْبِه   وأَرْدَفَ أَعْجَازاً ونَاءَ بكَلْكَلِ[2]

فجعل له صُلْباً وعَجُزاً وكَلْكَلاً لما كان ذا أولٍ وآخِرٍ وأوسط، مما يوصف بثقل الحركة إذا استطيل وبخفَّة السير إذا استقصر؛ وكلُّ هذه الألفاظ مقبولة غيرُ مستكرهة، وقريبةُ المشاكلة ظاهرةُ المشابهة، وإنما يُحْمَل ما جاء من ألفاظ المحدَثين وكلام المولَّدين زَائِلاً عن هذا الموضع وغيرَ مستمرّ على هذا السَّنَن على وجوه تقرِّبهم من الإصابة، وتقيمُ لهم بعضَ العُذْر، وتلك الوجوهُ تختلفُ بحسب اختلاف مواضعه، وتتباين على قَدْرِ تبايُن المعاني المتضمنة له، فإذا قال أبو الطيب:

مَسرَّةٌ في قلوبِ الطِّيبِ مَفْرِقُها

فإنما يريد أن مباشرةَ مَفْرِقِها شرف، ومجاورتَه زَيْنٌ ومَفْخرة، وأن التحاسدَ يَقعَ فيه، والحسرةَ تقع عليه، فلو كان الطِّيبُ ذا قَلْب كما لو كانت البَيْض ذوات قلوب لأَسِفت؛ وإذا جَعل للزمان فؤاداً أملأته هذه الهمة فإنما أورده على مقابلة اللفظ باللفظ، فلما افتتح البيتَ بقوله:

تجمَّعَتْ في فؤادِهِ هِمَمٌ

ثم أراد أن يقول إن إحداها تشغل الزمان وأهله ولا يتسع لأكثرَ منها ترخَّص بأن جعل له فؤاداً وأعانَهُ على ذلك أنَّ الهمةَ لا تحل إلا الفؤاد، وسهَّله في استعارة الأوصاف. وإذا قال أبو تمام[3]:

يا دهرُ قَوِّمْ من أَخْدَعَيْك

فإنما يريدُ: اعدل ولا تَجُر، وأَنْصِف ولا تَحِف[4]. لكنه لما رآهم قد استجازوا

(١) ديوانه ص٣٣.
(٢) لما تمطى بصلبه: لما تمدد بوسطه. والكلكل: الصدر. وناء بكلكل: تهيأ لينهض.
(٣) ديوانه ص٢١٠، والبيت بتمامه:
يا دهر قوم من أخدعيك فقد   أضججت هذا الأنام من خرقك
(٤) لا تحف: لا تجر ولا تظلم.

أن ينسبُوا إليه الجَوْر والميل، وأن يَقذفوه بالعَسْفِ والظلم، والخُرْق والعنف، وقالوا: قد أعرض عنا، وأقبل على فلان، وقد جَفانا وواصل غيرنا، وكان الميلُ والإعْراض إنما وقع بانحراف الأَخْدَع[1] وازوِرَار المَنْكِب، استحسن أن يجعلَ له أخدعاً، وأن يَأْمُر بتقويمه. وهذه أمور متى حُمِلت على التحقيق، وطلب فيها محض التقويم أُخْرِجت عن طريقة الشعر، ومتى اتّبع فيها الرخص، وأُجْرِيت على المسامحة، أدّت إلى فساد اللّغة، واختلاط الكلام. وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قرب وعُرِف. والاقتصار على ما ظهر ووضح.

(١) الأخدعان: عرقان في العنق.

من مآخذ العلماء
على أبي الطيب ودفاع المؤلف عنه

قد قلت في هذه الأبواب بقدر ما احتملت الرسالة قولاً مجملاً يسهِّل لك السبيل، ويوقفك على جهة الاحتجاج. ولم أجد لإثبات كلِّ لفظة، واستعراض كل بيت موقعاً من التدبر مرضياً إذا كان أكثرها مذكوراً في الأبيات المتقدمة، وكان ما لم يذكر منها دالاً على نفسه، ومتميزاً عن غيره، لا سيما وقد كشفت لك هذه الجملة عن وَجْه التمييز، ودَلَّتك على مَطْلَب العيب، كما مهَّدت لك طريق العذر، فأمّا ما وقع الطعن عليه من جهة الإعراب، واللُّكْنَة في ناحية الزَّلَلِ في اللغة، وما ألحق بذلك من النَّقْص الظاهر والإحالة البيِّنة، والتقصير الفاحش، فلا بدَّ من تعديده، والحكم على كل واحد بعينه؛ لاختلاف مأخَذِ حججه، وتشعُّب مذاهب القول في قبوله وردّه؛ وإنما أَذْكُر ما انتهى إليَّ منه سماعاً وبلاغاً، وما وقفتُ عليه كشفاً واستقراء؛ غير أني لا أتجاوزُ ما يقعُ الاعتراض عليه من أهل العلم، وما يَجْري التنازعُ فيه بين أهل التحصيل والفهم؛ فإني لو شرعتُ في تبيين كل ما يشكل منه على الشَّادِي[1] والمتوسط، وعلى الطبقة الأولى من أهل الأدب لاحتجتُ إلى تفسير الديوان بأسْره، فإن اقتصرتُ فَعَلى مُعْظَمه وأكثره فإن المعتَرضين عليه أحدُ رجلين: إما نحويٌّ لُغَوي لا بَصَرَ له بصناعةِ الشعر؛ فهو يتعرَّض من انتقاد المعاني لما يدلُّ على نَقْصه، ويَكْشِف عن استحكام جَهْله؛ كما بلغني عن بعضهم أنه أنكر قوله[2]:

تخطُّ فيها العَوَالي ليس تَنْفُذُها كأنَّ كلَّ سِنَانٍ فوقها قَلَمُ[3]

فزعم أنه أخطأ في وَصْفِ دِرْعِ عدُوِّه بالحصانة، وأسنةِ أصحابه بالكَلَال. ومَنْ كان هذا قدرُ معرفته، ونهاية علمه فمناظرتُه في تصحيح المعاني وإقامةِ الأغراض عَنَاءٌ لا يُجْدي، وتعبٌ لا يَنْفَع؛ كأنه لم يسمع ما شَحَنَت به العربُ أشعارَها من وصف رَكْضِ المنهزم، وإسراع الهارب، وتقصير الطَّالب، وقولهم: إنَّ الذي نجَّى فلاناً كرمُ

---

(١) الشادي: المبتدئ.
(٢) ديوانه (٤: ٢٥).
(٣) العوالي: الرماح. يعني إن الرماح تؤثر فيها ولا تنفذها؛ حتى كأنها قلم في كاغد.

فرسه، والذي ثبطني عنه سرعةُ طِرْفه[١]، ولم يعلم أنَّ مذاهبَ العرب المحمودة عندهم، الممدوحَ بها شجعانهم التفضلُ عندَ اللقاء، وترك التحصن في الحرب، وأنهم يرون الاستظهار بالجنَن[٢] ضرباً من الجبن، وكثرة الاحتفال والتأهب دليلاً على الوهن، ولم يسمع قول الأعْشَى:

وإذا تكونُ كتيبة ملمومة ... خرساء يخشى الدارعون نِزَالَها

كنت المقدَّمَ غير لابس جُنَّة ... بالسيف تضرب معلماً أبطالها

ولما أنشد كثيِّرٌ عبدَ الملك بن مروان[٣]:

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينةٌ ... أَجَادَ المُسَدِّي سَرْدَها وأَذَالَهَا[٤]

قال له عبدُ الملك: وصفتني بالْجُبْنِ! هلّا قلت كما قال الأعْشَى، وذَكَر البيتين المتقدمين. فقال: وَصَفْتُكَ بالحَزْم ووصفَه بالخُرْق. وأنشد الأصمعي قول مُزَرِّد ابن ضِرار[٥]:

ومَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبَّعِيَّةٌ ... وَآهَا القَتِيرُ تَجْتَويهَا المَعَابِلُ[٦]

دِلَاصٌ كظَهْر النُونِ[٧] لا يَسْتطيعُها ... سِنَانٌ ولا تلك الحِظَاءُ الدَّواخِلُ[٨]

مُوَشَّحَةٌ بيضاءُ دانٍ حَبِيكُهَا[٩] ... لها حَلَقٌ بعد الأنامِل فَاضِلُ[١٠]

قال الأصمعي: لَئِنْ كان أجاد في وَصْف الدِّرْع لقد عاب لابسها؛ لأن فرسان العرب المذكورين لا يحفلون بسبُوغ الدروع وحصانتها؛ وأنشد:

الدِّرْعُ لا أبغي لها ثروة ... كل امرئ مستودع ماله

ويروى غيره: «لا أبغي لها نثرة» هكذا الأصْمعِيّ ينشده ويقول في معناه: كل من قدر عليه شيء أصابه. وأنشد أيضاً بيتي الأعشى اللذين ذكرناهما. فهذا مذهبُ العرب:

---

(١) الطرف: الكريم من الخيل.

(٢) الجنن: جمع جنة: والجنة: ما وراك من السلاح.

(٣) اللسان ـ مادة ذال.

(٤) الدلاص: الدروع البراقة الملساء اللينة. وأذال فلان ثوبه: إذا أطال ثوبه.

(٥) المفضليات (١: ٩٦). ومزود لقبه، واسمه يزيد بن ضرار، وهو أخو الشماخ بن ضرار.

(٦) المسفوحة: الدرع المصبوبة، وكأنه يريد الواسعة. الفضفاضة: الواسعة. تبعية: منسوبة إلى ملوك اليمن. القتير: المسامير. وآها: شددها. المعابل: سهام طوال عراض النصال. تجتويها: تكرهها؛ يريد أنها تنبو عنها.

(٧) النون: السمكة.

(٨) الحظاء: السهام الصغار؛ لا نصال لها؛ جمع حظوة.

(٩) موشحة: فيها طرائق صفر، أي نحاس. الحبيك: الطرائق من النسج.

(١٠) فاضل: زائد، يريد أنها سابغة.

وقد قال الكَلْحَبة العُرَني[١] ـ لما فاته حَزيمة بن طارق التَّغلبي:

فـأَدْرَكَ إبـقـاءَ الـعَـرَادَةِ ظَـلْـعُـهـا   وقـد تَـرَكَـتْـنـي مـن حَـزيـمـة إصْـبَـعَـا[٢]

فاعتذر إذ فاته حَزيمة بظَلْع فرسه، وإنما يريد تقصيرها لا امتلاءها الماء؛ ألا تراه يقول[٣]:

ونَـادَى مُـنَـادِي الـقـوم[٤] أنْ قـد أُتـيـتُـم   وقـد شَـرِبَـتْ مـاءَ الـمَـزَادَةِ[٥] أَجْـمَـعَـا

وقال سَلَمَة بن الخُرْشُب يذكر هَرَب عامر بن الطفيل وأنه نجا بسرعةِ فرسَه[٦]:

نَجَوْتَ[٧] بنَصْلِ السيفِ لا غِمْدَ فوقَه   وسَـرْج عـلـى ظَـهْـرِ الـرحـالـة قـاتـر[٨]

فـأَثْـنِ عـلـيـهـا بـالَّـذِي هـي أَهْـلُـه   ولا تَـكْـفُـرَنْـهَـا، لا فـلاحَ لِـكـافـر[٩]

فلو أنَّها تَجْرِي على الأرض أدْرِكتْ   ولـكـنـهـا تَـهْـفُـو بـتـمـثـالِ طـائِـر

وقال أوس بن حجر يذكر هَرَب طفيل بن مالك يوم السوبان:

تـقـبـل مـن خـيـفـانـة جـرشـعـيـة   سـلـيـلـة مـعـروق الأبـاجـل جـرشـع

ولـو أدركـتـه الـخـيـل شـال بـرجـلـه   كما شال يوم الخال كعب بن أصمع

في شعر كثير يكاد يفوتُ الجمع، ولا يأتي عليه العدَّ؛ كل يحيل الأعداءَ بالسَّبْق والنجاء، وينسُب خيلَه إلى التقصير ولا يرى ذلك عيباً، ولا يعده نقصاً، ولم ينقم نَاقِم، ولم يَعِبه به عائب.

وقد قالت العرب في معنى أبي الطيب بعينه. قال شريح بن قرواش العبسي:

عـشـيـةَ نـازلـت الـفـوارس عـنـده   وزلّ سـنـانـي عـن شـريـح بـن مـسـهـر

وأقـسـمُ لـولا درعـه لـتـركـتـه   عـلـيـه عـواف مـن ضـبـاع وأَنْـسـر

وقال وَرْقَاء بن زهير في هذا المعنى لما ضرب خالد بن جعفر وهو بارك على زهير بن جَذِيمة[١٠]:

فَـشـلَّـت يَـمـيـنـي يَـوْمَ أَضْـرِبُ خَـالِـداً   ويَـمْـنَـعُـه مِـنِّـي الـحَـدِيـدُ الـمُـظَـاهَـرُ

---

(١) المفضليات (١: ٣٠)، واسمه هبيرة بن عبد مناف، والكلحبة لقب له.

(٢) المبقية من الخيل: التي تبقى بعض جريها تدخره. الظلع: العرج في المشي. ويريد بقوله: «وقد جعلتني من حزيمة إصبعاً»: أن حزيمة فاته وهو قيد إصبع منها.

(٣) المفضليات (١: ٣٠). (٤) في المفضليات: ونادى منادي الحي.

(٥) المزادة: إناء كبير من جلد يتزود فيه بالماء.

(٦) المفضليات (١: ٣٥). (٧) يخاطب عامر بن الطفيل.

(٨) الرحالة: فرسه. والسرج القاتر: الجيد الوقوع على ظهر الدابة ليس بصغير ولا كبير.

(٩) أثن عليها؛ إذ نجتك. والكافر: الساتر للنعمة والإحسان.

(١٠) أيام العرب ٢٤٠، لسان العرب ـ مادة ظهر.

فهو إنما دعا على يمينه بالشلل تأسّفاً، ولم يذمَّ سيفه ولم يذكر نُبُوّه، ولا نعاه عليه ناعٍ من أعدائه، كما نُعِي على الفرزدق نُبُوُّ سيفه عن عنق العلْج الخراساني، ولو كانت فيه وَصْمَة أو لحق سيف وَرْقاء منه مَعَابة لما جعله الفرزدق عُذْراً يحسِّنُ به فِعْلَه، وحُجَّةً يُنَاضِلُ بها خَصْمَه فيقول:

فسيف بني عبس وقد ضَرَبُوا به نَبَا بِيَدَيْ وَرْقَاء عن رَأْسِ خالدِ

ولو كان مراده بهذا تقريع بني عَبْس لا الاحتجاج لنفسه لما قال:

كذا سيوفُ الهِنْد تَنْبُو ظباتها ويَقْطَعْنَ أحياناً مَنَاطَ القَلَائِد

وقال طريف بن تميم لما طعن شيطان بن عمرو الشيباني:

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرة بما آب شيطان بن عمرو بن مرثد

ولم أدر ما أَثْوَابُه غير أنني غبأت[1] له بالرمح مُسْتَمْكِناً يدي

فهذا يذكرُ أنه قد طعن مستمكناً مُتَثَبِّتاً؛ وأنه قد استفرغ ما عنده، وبلغَ جُهده، ولم يعلم ما أثوابُه وكيف كانت بِزَّتُه؟ وهل مَنَعَتْ سِنَان الرمح من الخُلوص إلى المَقْتَل، والوصولِ إلى المَقْصد، ومن زعم أنه أراد بقوله: لم أدْر من أثوابه؛ أي لم أسلبه، فلم يصنع شيئاً؛ لأنه لا يتمكن من سَلبه إلا وهو صَرِيع طَرِيح، ولو كان ذلك لم يمكنه الإياب ولم يشكُ، وقد قتله بِما آب به.

وللعرب في وصف السلاح والخيل مذهبان؛ فإذا وصف شاعرُهم خيلَ قومِه، وأدَاةَ رَهْطه، وسلاحَ عشيرته، وما ادَّخره هو من عَتَاد، واقْتَنَاه من رباط[2]، فإنما يريد أننا أهلُ حروب ومغارات، ولنا النجدة والمَنَعة، وأنا فينا العزُّ والقهر، ولنا الغلبةُ والفضل، وإذا وصف بذلك عدوَّه ومحارِبَه فإنما يطلب الغضَّ منه والنعي عليه، وليس يفعل ذلك إلا وقد حادَ ذلك العدوُّ عنه في مُلْتَقَى، أو حاجزه في مُعْتَرك، أو دعاه إلى البِراز فلم يُجبه، أو أجابه فلم يثبت له؛ فهو إذا وصف سلاحه فإنما يقول له: إنك هربت وأنت مُؤْد[3] شاك السلاح، تامّ الآلة، حديد السيف، ماضي السنان؛ فهو أَثْلَم لِعِرْضِك، وأدلُّ على عجزك، وأبلغُ في ذَمِّك. وإذا وصف فرسه فإنما يعتذرُ من بقائه بَعْد لقائه، ومن خلاصه بعد تورطه. ويريد أن الفرس نجَّته وأطلقته؛ وإنما منّتْ عليه وأنقذته، فهو طليقُها، وأسير مَنِّها ورَقِيقها، كما قال:

ولا تَكْفُرَنْهَا، لا فَلَاحَ لِكَافِرِ

---

(١) غبأت: قصدت.

(٢) الرباط من الخيل: الخمس فما فوقها، والرباط: ملازمة ثغر العدو، وربما سميت الخيل رباطاً.

(٣) رجل مؤد: ذو أداة، وهو شاك في السلاح.

فهذا هذا.

أو معنوي[١] مدقِّق لا عِلْمَ له بالإعْرَاب، ولا اتِّسَاعَ له في اللغة؛ فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقِم الأمرَ البيِّن، كفعل بعضهم في قوله[٢]:

لأنْتَ أسودُ[٣] في عَيْني من الظُّلَمِ

إنَّه أنكر أسْود من الظُّلم، ولم يعلم أنه قد يحتملُ هذا الكلام وُجوهاً يصح عليها، وأن الرجل لم يرد «أفعل» التي للمبالغة. كإنكار آخر قوله:

فالغيث أبخل مَنْ سعى

فزعم أن مَنْ لا تكون إلا لما يعقل، و«أفعل» لا يجري إلا على البعض من تلك الجملة، تقول: زيد أفضل من الناس؛ فلا بد أن يكون زيدٌ من الناس، ولو قلت: أفضل الحمير لم يصحّ. وكذلك لو قلت: أفضل ما يقضم الشَّعير ويَرْعَى الكلأ لم يَجُزْ. قال: فَمَنْ سَعَى لا يقع إلا على عاقل، والغيث ليس من هذه الجملة. وهذا الاعتراض يدلُّ على تقصير شديد في العلم بكلام العرب؛ لأن العرب إذا وصفت الشيء بصفة غيره استعارت له ألفاظه، وأجرته في العبارة مجراه، وإن كان لو انفرد انفرد عنه بصفته، وتميَّزَ دونه بعبارته؛ فمن ذلك قول اللّه تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] لمَّا وصفهما بالسجود جمعهما بالياء والنون، ولا يُجمع بهما إلا جنس مَنْ يعقل، أو ما خَرَج عن بابه لعللٍ مذكورة في مواضعها، لكنه لما أجرى على الكواكب صفة مَنْ يعقل ألحقها في العبارة بهم. وكذلك قوله حاكياً عن السموات والأررض: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] لما حكى عنهما النطق والقول والطاعة والائتمار أجرى الكلام على ذلك فقال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢] وعلى هذا قولُه عزّ وجلّ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] وهو كثيرٌ. وفي الشعر؛ فإذا جعل الغيث بخيلاً أو جواداً، ووجدَ العرب قد أجازت وتكلمت به جاز له إلحاقه بالبخلاء والأجواد في استعمال العبارة، فكأنه قال: الغيث أبخل السُّعَاة، ولو قال ذلك لم ينكره منكر، وإن كان هذا السعي ابتناء المعالي لا السعي على الأقدام، وقد أنشدني بعض من أثِقُ به لبعض العرب:

متى نوَّهْتَ في الهيجاء باسمي أتاكَ السيفُ أوَّلَ مَنْ يُجيب

---

(١) الثاني الذي يقابل قوله قبل: فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحوي أو لغوي.

(٢) ديوانه (٤: ٣٥). وصدر البيت:

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له

(٣) لا يقال: أسود من كذا؛ لأن الألوان لا يبنى منها أفعل التفضيل، على أن الكوفيين قد حكي عنهم: ما أسود شعره وما أبيضه! ولصاحب التبيان هنا كلام يوجه به كلام المتنبي ويصححه.

لَمَّا جعل السيفَ مُجيباً له ألحقه بمن تصحُّ منه الإجابةُ من العقلاء. وكإنكارهم قوله(١):

أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطِيِّ وَرَازِمُهْ(٢)

فزعموا أن كلامَ العرب: ثاب جسم فلان: رجع لقوته بعد المرض؛ وهذا أبو زيد يروي عن العرب: أثاب الرَّجُلُ إذا ثابَ إليه جسمُه، وقد حكاه عنه أبو عبيد في الغريب المصنف، وحكى غيره ثابَ وأثابَ بمعنى واحد.

ولو عرَّجْنا على كل مُعترِض وأصغينا لكل قائل لامتدَّ بنا القولُ ولأَعْجَزَنا كثرةُ الخَصْمِ عن امتحان الشهادات، وشغلنا باتِّصال الدعوى عن التوسط، وإنما يقصد بالكشفِ ما يشتبه، ويتوسط في الأمر الذي يشكل ويلتبس. ونصون كتابنا عن سخيف الاعتراض، كما نصونُه عن ضعيف الانفصال.

---

(١) ديوانه (٣: ٣٣١) وصدره:

إذا ظفرت منك العيون بنظرة

(٢) الرازمة من النوق، والرازم من الإبل: الذي نام من الإعياء وأقعده الهزال عن الشيء.

ما عاب العلماء على أبي الطيب

فمما أنكرَه عليه أهلُ العلم واستضعفوه قوله[١]:

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ أَغِذَاءُ ذَا الرَّشَإِ الأَغَنِّ الشِّيحُ[٢]

فقال أهل الإعراب: حذفُ النون من تكن إذا استقبلتها اللام خطأ؛ لأنها تتحرَّك إلى الكسر، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت، فقال لهم المحتجّ عن أبي الطيب: لعمري إن وَجْهَ الكلام ما ذكرتُم، لكنَّ ضرورة الشعر تُجيز حذف النون مع الألف واللام، وقد حكاه أبو زيد عن العرب في كتابه المعروف بكتاب النوادر، وأنشد فيه لحسيل بن عُرْفُطَة[٣]:

لَمْ يَكُ الْحَقُّ سِوَى أن هاجَه[٤] رَسْمُ دَارٍ قد تَعَفَّى[٥] بالسُّرَر

غَيَّر الجِدَّة عن عِرْفَانِها خُرُق الريح وطُوفانُ المطر

وأبو زيد ثِقَة والرواية عن العرب حجَّة، وقد جاء مثله[٦]:

فلَسْتُ بِآتِيه وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِني إنْ كانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْل

كأنه حذف ثم جاء بالساكن من بعد فتركه على الحَذْف. وأنكر أصحابُ المعاني قطعَ المصراع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى، فقال المحتجُّ عنه إنما يسوغُ الإنكار لو قطع قبل الإتمام، وابتدأ بالثاني وقد غادر من الأوَل بقية، فأمّا أنْ يستوفي مراده، ثم ينتقل إلى غيره فليس بعيب، وإنما المِصْرَاعان كالبيتين، وهو قد استوفى بقوله:

جَلَلاً كما بي فَلْيَكُ التَّبْرِيحُ

---

(١) ديوانه (١ : ٢٤٣).

(٢) التبريح: الشدة. والجلل: الأمر العظيم. والرشأ: ولد الظبية. والأغن. الذي في صوته غنة، وهي صوت من الخيشوم.

(٣) التبيان (١ : ٢٤٣).

(٤) في الأصلين:

لم يك الحق على إنهاجه

(٥) في التبيان: «قد تعفت».

(٦) التبيان (١ : ٢٤٣).

هذا المعنى، ثم ابتدأ بالمصراع الثاني مستَفْهِماً فما في هذا من العيب! وقال بعضُهم: قد يفعلُ الشاعر مثل هذا في النسيب خاصّة ليدلَّ به على تمكُّن الشوق منه، وغَلَبَةِ الحُبِّ عليه، وليَرَى أن آثارَ الاختلاط ظاهرة في كلامه، وأنه مشغول عن تقويم خِطَابه، قالوا: ولذلك قال:

أَغِـذَاءُ ذَا الـرَّشَـإِ الْأَغَـنِّ الـشِّـيحُ

وجعلوا من هذا الباب قول زُهَير[1]:

قِفْ بالدِّيار الَّتي لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ ... بَلَى وغَيَّرَها الأَرْوَاحُ[2] والدِّيَمُ

فنقض بالمصراع الثاني الأوّل ولم يحفل بتكذيب نفسه، وأنكر هؤلاء قول من ذهب إلى أن معنى البيت أن القدم لم يَعْفُها، وإنما غيَّرها الأرواح والدِّيَم. ومن النقض الظاهر قول بشار:

لم يَطُلْ لَيلي ولكن لم أَنَمْ ... ونفى عني الْكَرى طَيفٌ أَلَم

فقال: لم أنم، ثم زعم أنَّ الطيف ألَمَّ به، وهو لا يُلمُّ إلَّا بنائم. وقال غيره إن بين المصراعين اتصالاً لطيفاً، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه، وشدَّة أسفه بيَّن أن الذي أورثه التبريح والأسف وهَدَى إليه الشوق والقلق هو الأغَنّ الذي شكَّكه غلَبة شِبْه الغِزْلان عليه في غذائه، وهذا الاعتذارُ قريب.

وعابوا له[3]:

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهي بِمَا وَكَأَنَّهُ ... فلا أَحَدٌ فَوْقِي ولا أَحَدٌ مِثْلي

فقالوا: إنما يشبه من الأسماء بمِثْلٍ وشِبْه ونحوهما، ومن الأدوات بالكاف، ثم تدخل على أنَّ فيقال: كأنَّه الأسد، وقد تُقَرِّب العربُ التشبيه بأن تجعل أحدَ الشيئين هو الآخر، فتقول زيد الأسد عادياً، والسيفُ مسلولاً، فأمّا مَا فلها مواقعُ معروفة وليس للتشبيه في أبوابها مَدْخل. وهذا مما سُئِل أبو الطيب عنه فذكر أنَّ ما تأتي لتحقيقِ التشبيه؛ تقول: عبد اللّه الأسد وما عبد اللّه إلّا الأسد وإلا كالأسد، تنفي أن يشبَّه بغيره، قال:

وما هِنْدُ إلّا مُهْرَةٌ عربية ... سَلِيلةُ أفراس تجلَّلها بَغْل

وقد تجيءُ مع الكاف قال لبيد:

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضَوئِه ... يَحُورُ رَماداً بعد إذْ هو سَاطِعُ

---

(١) ديوانه ص١٤٥، والتبيان (١: ٢٢٤).

(٢) الأرواح: جمع ريح. والديم: جمع ديمة، مطر يدوم مع سكون يوماً أو يومين.

(٣) ديوانه (٣: ١٦١).

فكأَن قائلاً قال: ما هو إلا كذا، وآخرُ قال: كأنه كذا، فقال: أمط عنك تشبيهي بما وكأنه. وأقول: إن التشبيه بما محال وإنما يقع التشبيه في هذه المواضع التي ذكرها بحَرْفه، فإذا قال: ما المرء إلا كالشهاب فإنما المفيد للتشبيه الكاف ودخلت ما للنفي فنفَتْ أن يكون المرء إلا كالشهاب، فهي لم تتعد موضعها من النفي، لكنها نَفَت الاشتباه سوى المستثنى منها، وإذا قال: ما هند إلا مهرة فإن ما دخلت على المبتدأ والخبر، وكأن الأصل هند مهرة، وهو في تحقيق المعنى عائد إلى تقريب الشَّبَه، وإن كان اللفظ مُبَايناً، ثم نفى أن يكون كذلك فأدخل حرفي النفي والاستثناء، فليس بمُنْكَر أن يُنْسَب التشبيهُ إلى ما إذا كان له هذا الأثر[١]، وباب الشعر أوسع من أن يضيق عن مثله.

وأنكروا قوله[٢]:

إذا كان بعضُ الناس سيفاً لدَوْلةٍ ... ففي الناس بوقاتٌ لها وطُبُول

فقالوا: إنَّ جمعَ بوق على بوقات خَطأ، وإنما يجمع باب فُعْل على أفعال في أدنى العدد له: قَفْل وأقفال. وعُود وأَعْواد، وقد يخرج عنه إلى أفعل؛ مثل بُرْد وأبرد، فأما في أكثر العدد فالباب فُعُول؛ نحو جند وجنود، وبُرْد وبرود، فإنْ كان من المضاعف ففِعَال، نحو خُفّ وخفاف، وحُب[٣] وحِباب، وقد جاء على فِعَلة نحو تُرْس وتِرَسَة، وجُحْر وجِحَرة، وعلى فِعْلان، نحو كُوز وكِيْزَان، وعلى فِعَالة، نحو مُهْر ومِهَارة، وإنما يجمع على فعلات[٤] ما كان على فُعْلة؛ نحو ركبة وركبات، فيكون فيها ثلاثة أوجه: فتح الكاف وضمها وتسكينها، فأما فُعْل وفعلات فممَّا لا يُعْرَف في شيء من الكلام في صحيح ولا معتلّ. وسئل أبو الطيب عن ذلك فقال: هذا الاسمُ مولّد لم يُسْمَع واحده إلا هكذا ولا جمعه بغير التاء، وإنما هو مثل حَمّام وحَمّامات وساباط وساباطات؛ وسائر ما جَمَعُوه من المذكر بالتاء. وقال المحتجّ عنه: إن أصل الجمع التأنيث، ولذلك جاء ما جاء منه بالتاء، وإن كان في الأصل مذكّراً. قال: فمن جمع اسماً لم يَجِدْ عن العرب جَمْعَه فأجراه على الأصل لم يَسُغ الردُّ عليه، ولم يَجُز أن ينسب إلى الخطأ لأجْلِه، وهذا اسمٌ أعجمي تكلَّمت به العربُ، ولم يحفظ عنهم جمعه، فلما احتاج المولّدون إليه أجْرَوه على أصلِ الجموع، وتبعوا فيه عادة العرب في الأسماء المنقولة عن الأسماء الأعجمية، نحو سُرَادق وسُرَادِقات،

(١) قال في التبيان: الصحيح من معنى هذا البيت أن ما نكرة بمعنى شيء موضوعة للعموم، كأنه قال: أمط عنك تشبيهي بشيء من الأشياء.
(٢) ديوانه (٣: ١٠٨).
(٣) الحب: الجرة، ويجمع على أحباب أيضاً.
(٤) في الأصلين فعلان ـ بالنون.

وسَابَاط وسَابَاطات، وخَان وخَانَات، وهارون وهارونات، وإوان[1] وإوانات، فعدلوا بجميع هذه الأبنية عن أُصُول قياسها، وألحقها بأصل الجمع وغلبوا فيها التأنيث، ولولا ذلك لما جاز في خَان وهو مثل مَالٍ أنْ يُجْمَعَ على خانات، كما لا يقال: مال ومالات، ولا في إوان وهو مثل جِرَاب، وقد تَرَخَّصُوا في الأسماء العربية بمثل ذلك تغليباً للتأنيث في هذا الباب، فأخرجوها عن أبوابها، وخالفوا فيها أخواتها؛ قالوا: بُوَان وبُوَانات[2]، وخَيَال وخيالات، وجمل سِجِلّ وجمل سِجِلَّات، ولميلهم لهذا الاختيار قالوا في جمع ذي القعدة: ذوات القعدة، وفي جمع ابن آوى بنات آوى، وكذلك بنات عرس، وقالوا مثل ذلك في الشهور، فجمعوا رمضان وشوال رمضانات وشوَّالات؛ كلُّ هذا تقديماً للتأنيث في باب الجمع، ومَيْلاً به عن التذكير، ولكلِّ اسم من هذه الأسماء قياسٌ مطَّرِد وبابٌ متَّسِق، عدلوا به عنه وهو معرض. وتركوه وهو سَهْلٌ ممكن. فلهذا وأشباهِه اختار أبو الطيب بوقات على أبْوَاق، والوزن يتم بهما، والضرورة لا تدفع أحدهما.

قال الخَصْم: هذه اللفظةُ وإن كانت قليلةً عن العرب فقد تكلّمت بها، وعرفت قديماً في لغتها: وأنشدوا:

رحـى طَـحَّـانَـةٍ صَـاحَ بُـوقُـهـا[3]

وقد روي في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ لما استشار أصحابه في أَمْرٍ ينصبه عَلماً للصلاة؛ يجمع الناس عليها؛ قال بعضهم: ناقوسٌ كناقوس النصارى، وقال آخرون: بُوق كبُوقِ اليهود، ولَسْنا نبعد أن تكونَ الكلمةُ عربيةً صحيحة، وأن تكونَ اللغتان اتفقتا فيها، فإنا نجدُ لها اشتقاقاً وأصلاً في العربية مشهوراً، وهو قولهم: أصابتنا بُوقة من المطر؛ أيْ دَفْعَة. قال رؤبة[4]:

مـن بَـاكِـرِ الـوَسْـمِـيّ نَـضَّـاحِ الـبُـوَقْ

ويقولون للشيء إذا انفجر دَفْعة: انْبَاق، وهذا البوق المصوِّت يندفع فيه الصوت فكأنَّه ينفجرُ منه، ويَنْفَلِت انفلاتَ البُوقَة من المطر، فإن كانت عربية فبابُ جَمْعِها معروف، وإن كانت أعجميةً فالعربُ إذا عرَّبت أعجمياً ألحقتهُ بكلامها، وأجْرَتْه على أبنيتها؛ ألا تراهم قالوا: مُهْرَق[5] ومَهَارِق، وبَلَاس[6] وبُلُس، وبُسْتَان وبَساتين،

---

(١) هو الإيوان. (٢) البوان: عمود للخباء.

(٣) البوق: شبه منقاف ملتوي الخرق ينفخ فيه الطحان فيعلو صوته فيعلم المراد به.

(٤) اللسان ـ مادة بوق.

(٥) المهرق: الصحيفة البيضاء، وقيل: المهرق: ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل، ثم يكتب فيه؛ وهي فارسية معربة.

(٦) البلاس: المسح. قال أبو عبيدة: ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس المسح.

ويَلْمَق[١] ويَلَامق، ورَزْدَق وَرَزَادِق[٢]، وأمثال ذلك كثير موجود؛ وإنما يعدلون ببعضها عن بابه إلى التاء كما يعدلون بالعربي في نحو قولهم: بُوَان وبُوَانات[٣]: وإنما هذه الأحرف التي عَدَدْتُمُوها ألفاظٌ خرجت عن القياس، وشذَّت عن العبرة، وإنما يتبع فيها السماع، ويوقَف عند الرِّواية، لا يتعدَّى إلى غيرها، ولا يتجاوز تلك الحروف بأَعْينها. ولا تكاد تجد باباً من العربية يخلو من نوادر وشواذّ؛ ولو جعلت أصولاً وأُجْرِيت على حكم القياس لبطلت الأصول واختلط الكلام، ولجاز أنْ يقال في جمل أجمل كما قالوا: جَبَل وأَجْبل، وجاز كلْب وأَكْلَاب كما قالوا: فَرْخ وأفراخ.

قال المحتج: ليس هذا من الباب الذي ذكرته، وليس بجارٍ مجرى الشاذّ والنادِر، بل قياسٌ مستمر في جميع ما لا يوجد له مِثَال القلَّة من المذكَّر، وقد جاء أيضاً فيما له مثال القِلّة وإن لم يكن مستمرًّا، وأنشد قول أَوْس بن حَجَر:

تكنَّفَنا الأَعْدَاءُ من كلِّ جانبٍ ... لينتزعوا علقاتنا ثم تربعوا

فجمع علقاً على علقات وأنشد لغيره:

يرى عيساً يسودهن ماء ... من النَّجَدَاتِ يحلبها الذميل

يريد جمع النَّجَد، وهو العَرَق؛ في أبيات كثيرة تشهد لما قاله.

۞ ۞ ۞

قد قال الفريقان ما حكيناه؛ وقد كان لأبي الطيب في الصَّحِيح مندوحة، وفي المُجْتَمع عليه متَّسَع.

وعابوا قوله[٤]:

وإنِّي لَمِنْ قَوْم كأَنَّ نُفُوسَنا ... بها أَنَفٌ[٥] أن تَسْكُنَ اللَّحمَ وَالْعَظْمَا

فقالوا؛ قَطَع الكَلام الأوّل قبل استيفاء الكلام وإتمام الخبر، وإنما كان ويجب أن يقولَ: كأنَّ نفوسهم ليرجعَ الضمير إلى القوم، فيتمّ به الكلامُ. وهذا من شنيع ما وُجِد في شعره، وقد اعتذر له بأمور سنذكرها على ما فيها بمشيئة اللّه تعالى.

زعم بعضُ المحتجين عنه أنَّ العرب تحمل الكلام على المعنى فتصرفُ الضميرَ عن وَجْهِه، وتتركُ ردَّه مع الحاجة إليه؛ لأن المراد بالضمير الثاني هو الأوَّل في الحقيقة، وإن اختلفت العلامتان. قالوا: وقد جاء ذلك عن العرب في الأسماء الناقصة

(١) اليلمق: القباء المحشو، وهو فارسي.
(٢) الرزدق: السطر من النخيل، والصف من الناس، وهو معرب من الفارسية.
(٣) البوان: بكسر الباء وضمها: عمود للخباء.
(٤) ديوانه (٤: ١٠٩).
(٥) الأنف: الاستنكاف من الشيء.

التي تتمُّ صِلاَتُها وهي أحوجُ إلى الضمير الراجع إليها؛ لأنها كالحَرْف المفرد لا يتمُّ إلا بالحروف التي تَنْضَافُ إليه؛ فَصِلَتُه بما فيه من الضمير كبقية حروف الاسم، فهو أمسُّ حاجةً، وأشدُّ افتقاراً إلى رَدِّ الضمير إليه، وتكميل ذلك النَّقص به، فمَّما جاء في ذلك قول المهلهل:

وأنا الذي قتلتُ بَكْراً بالقَنا ... وتركتُ تَغْلِبَ غير ذاتِ سِنَام

وإنما وَجْهُ الكلامِ: وأنا الذي قَتَل؛ ويكونُ في قَتَل ضميرٌ تقديرُه وأنا الذي قتل هو.

وقول أبي النَّجْم:

يا أيُّها الذي قد سُؤْتَنِي ... وفضحتني وطردتَ أمَّ عِيالِيا

ولو ردّ الضميرَ على حقيقةِ الكلام لقال: الذي قد ساءني.

وكلُّ هذا حُمل على المعنى، قالوا: وقد جاء في القرآن العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. وليس في الخبر ما يرجعُ إلى الأوّل، ولو ردَّ الضميرُ إلى الأول لقيل: إنَّا لا نضيعُ أجرَهم؛ لكنه لما كان من أحْسَن عملاً هم المُضْمرون بهم، الذي في أجرهم جاز أنْ ينوبَ أحدُهما عن الآخر، لأنَّ مَنْ أحسنَ عملاً هوَ مَنْ آمن.

ومثلُ هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] لما كان معنى المصلحين معنى الذين يمسكون بالكتاب جاز أن يُقَامَ مقامَه فيعود الذكر إليه في المعنى، فكأنَّه قال: إنا لا نُضيع أجرَهم. وعلى هذا أجاز النحويون: المؤمنُ أكرمُ من اتَّقى اللّه، لأنَّ معنى مَن اتَّقى اللّه معنى المؤمن؛ قالوا: فكذلك هذان الضميران في اتفاق المعنيين.

قالوا: وقد جاء في شعر العرب ما يُشْبِه هذا مما أُقيم فيه أحد الكنايتين مقام الأخرى اعتماداً على المعنى؛ مثل قول لبيد[1]:

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سَمْكَهُ[2] ... فَسَما إليهِ كَهْلُها وغُلاَمُها

يريد كَهْلُنا وغُلامنا. قالوا: وشبيهٌ بهذا قولُ اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] عدل عن ضمير المخاطب إلى ضميرِ الغائبِ اعتماداً على ظُهور المعنى. قالوا: ويجوزُ أن يكونَ اكتفى بقوله: وإني لمن قَوْمٍ كرام وأَشْرَافِ.

فخذف الصفة استغناء بما تقدم، وما تعقب من الكلام، ثم ابتدأ خبراً ثانياً،

---

(١) شرح المعلقات للتبريزي ص١٦٨.

(٢) السمك: الارتفاع.

وصرفَ الخطابَ عن الأول، وهذا سائغٌ لا يُرَدُّ. ألَا تراه لو قال: وإني لمن قوم كرام، ثم أَمْسَك لكان قد استكمل الفائدة، واستوفى الغَرض، ولم يُخطَر عليه العدولُ إلى غيره، ولم يُطالَب بردِّ الضمير إلى ما تقدّمه. ومن طلب أبوابَ الحَذْفِ والاختصار، والانتقال من كلام إلى كلام، والانصراف عن الخطابِ قبل استتمامه اجتزأ بظُهور الغاية واسْتِبَانة المراد. وتَتَبَّعَ ذلك في مَعادنِه. والكتب المصنفة فيه تُصوِّر صحةَ ما قلناه؛ فأما استقصاءُ ذلك وذِكْرُ جميعه فمما يُعْظِم حجم الكتاب، ويُطيل حواشي الكلام، ولا يحصلُ منه على كبير فائدة.

وأَنْشَدُوا لعبد اللّه بن قيس الرُّقيّات:

فتاتان أمَّا منهما فشبيهة هلالاً وأُخْرَى منهما تُشْبِه الشمسا
فتاتان بالنجم السعيد وُلِدْتُما ولم تلقيا يوماً هَواناً ولا نَحْسَا

فلم يقل فتاتان وُلِدَتا، وهو حقُّ الكلام؛ لكنه عدل إليهما مخاطباً، ولم يَحْفِل بتغيير الكنايات والضمائر. قولُه: فتاتان كالمنقطع من الكلام قبل استقلاله بفائدة، والكلام الثاني كالمبتور قبل تمامه إلّا أن يُحْمَل على ما حملنا عليه بيتَ أبي الطيب، ونحو بيت ابن الرقيات قول أبي الطيب[(١)]:

قومٌ تَفَرَّسَتِ[(٢)] المنايا فيكم قَرَأَتْ لَكُمْ في الحرب صَبْرَ كِرَامِ[(٣)]

كأنه قال: أنتم قوم هذه حالكم، وقوله[(٤)]:

كَرِيمٌ متى استُوهِبْتَ ما أَنتَ راكِبٌ وقد لَقِحَتْ حَرْبٌ فإنَّكَ باذِلُ[(٥)]

وأقول: إنَّ هذه القضية إذا استمرت على ظاهرها، واقتصر على القَدْرِ المذكور منها، اختلطت الكنايات وتداخلت الضمائر، ولم يَنْفَصِل غائب عن حاضر، ولم يتميّز مخاطب. وله مواضع تختصُّ بالجواز، وأخرى تَبْعُد عنه، وبينهما فصولٌ تَدِقّ وتَغْمُض، ولذِكْرِها موضعٌ هو أَمْلَك بهما، وأبياتُ أبي الطيب عندي غير مُسْتَكْرَهة في قسم الجواز، وقد بلغ هذا المحتجُّ منه مبلغاً، غيرَ أنّ أبا الطيب عندي غيرُ معذور بتَرْكِه الأمرَ القويَّ الصحيح إلى المُشْكِل الضعيف الواهي لغير ضرورةٍ داعية، ولا حاجةٍ ماسَّة؛ إذْ موقعُ اللفظتين من الوَزْنِ واحد؛ ولو قال: نفوسهم لأزال الشُّبْهَة، ودفع القَالة، وأَسْقَط عنه الشَّغْب، وعناء التعب.

---

(١) ديوانه (٤: ١٤). (٢) تفرست: تأملت.

(٣) وكان الوجه أن يقول: فيهم قرأت لهم، ولكنه حمله على المعنى، لأنه إذا خاطبهم بالكاف كان أمدح.

(٤) ديوانه (٣: ١١٦).

(٥) في الأصل: نازل. لقحت الحرب: اشتدت.

وقوله[1]:

مَضَى بَعْدَ مَا الْتَفَّ الرِّمَاحَانِ[2] سَاعَةً كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الهُدْبَا[3]

فأنكروا تثنية الرماح، وهو جمع رمح فحاجَّهم أبو الطيب ببيت أبي النَّجْم[4]:

تــنــقــلــتُ مــن أول الــتــنــقــل بَــيْــنَ رِمَــاحَــيْ مَــالِــكٍ ونَــهْــشَــل

والتثنية عند النحويين جائزة في مِثل هذا إذا اختلفت الضروب والأجناس، وأكثر ما على أبي الطيب أن يتبع أبا النَّجم وأضرابه من شعراء العرب، فهم القدوة وبهم الائتمام، وفيهم الأُسْوة.

وقوله[5]:

فَــأَرْحَــامُ شِــعْــرٍ يَــتَّــصِــلْــنَ لَــدُنَّــهُ وَأَرْحَــامُ مَــالٍ مَــا تَــنِــي[6] تَــتَــقَــطَّــعُ

فأنكروا تشديدَ النون من لدنّ، وإنما هو لَدُنْ ولَدْن؛ فأما تشديد النون فغير معروف في لغة العرب، وقد كان أبو الطيب خُوطِب في ذلك فجعل مكان لدنّه ببابه، ثم احتجَّ بما أذكره جملة. قال: قد يجوزُ للشاعر من الكلام ما لا يجوزُ لغيره لا للاضطرار إليه، ولكن للاتِّسَاعِ فيه، واتفاق أهله عليه، فيحذفون ويزيدون، وروى أبياتاً منها:

إذا غاب غدواً عنك بَلْعمّ لم تكن جليداً ولم تعطِفْ عليك العواطف

إنما هو ابن العم؛ ومنها قول قَطرِيّ:

غَداة طغت عَلْمَاءِ بكر بن وائل وعُجْنا صدورَ الخيل نحو تميم

وقول لبيد[7]:

دَرَسَ الــمَــنَــا بِــمُــتَــالِــعٍ فــأبَــان

يريد المنازل.

وقول الآخر:

ثــم تــنــادوا بــعــد ذاك الــضَّــوْضَــا مــنــهــم بــهــاتِ وهــلًا ويَــا بَــا

نــادى مــنــادٍ مــنــهــم ألا تَــا قــالــوا جــمــيــعــاً كــلــهــم ألا تــا

---

(١) ديوانه (١: ٦٤).

(٢) يريد رماح الفريقين.

(٣) الهدب: أشفار العين.

(٤) التبيان (١: ٦٤).

(٥) ديوانه (٢: ٢٤٠).

(٦) في الديوان: «لا تني».

(٧) بقية البيت:

بالحبس بين البيد والسوبان

ومتالع: جبل بناحية البحرين.

آخر[١]:

قـد وَعَـدَتْـنـي أمُّ عَـمْـرٍو وأَنْ تَـا تدهن[٢] رَأسي وتُفَلِّيني وا
وتَـمْـسَـحُ الْـقَـنْـفَـاءَ[٣] حـتـى تَـنْـتَـا[٤]

ومما زاد فيه قول شبيب بن ثعلبة:

ولَـسْـبَـةُ الْـحُـرْقُـوصِ بـالـقَـفَـنّ[٥] ودُمَّـل فـي الإسـت مـسـتـقـرّن
أحِـبُّ مـنـك مـوضـع الـوُشْـحُـنّ فـذاك مـن ذاك إلـى الـسـنـن
قـطـنـة مـن أجـود الـقـطـن

فزاد هذه النونات.

وقول الآخر:

تـعـرضـت لـم تـأل عـن قـتـلٍ لـي تـعـرض الـمـهـرة فـي الـطـولّ

فزاد لاما. وقال الآخر:

يـا لـيـتـهـا قـد خَـرَجَـتْ مـن فـمـه

وقول الآخر:

ولـيـسَ الـمـال فـاعـلـمْـه بـمـال وإن أعـيـاك إلّا الـلـديـنـي

والتشديد في لدنّ أحسن من هذا كله؛ لأن النون ساكنة مع هاء، والنون تبين عند حروف الحلق لتباعدها منها؛ فزاد في تبينها فاجتلب التشديد، وهذه زيادة نون. وقد قال بعض العرب[٦]:

مُـنْ لَـدُ شَـوْلاً فـإلَـى إتْـلَائِـهـا

فحذف النون من لَدُن. وقال آخر:

مـنـا إن ذرّ قـرن الـشـمـس حـتـى أغـاثَ شـريـدَهـم غـلـسُ الـظَّـلامِ

فزاد ألفاً في منْ وقال آخر[٧]:

إنْ شـكـلـي وإنَّ شَـكْـلَـكِ شـتـى فالْزمي الخُص واحفظي[٨] تَبْيَضِضّي

---

(١) أنشده الأخفش كما في اللسان ـ مادة قنف، نتأ.
(٢) في اللسان: «تمسح».
(٣) في الأصلين: القيفاء: والقنفاء: الحشفة.
(٤) في الأصلين: حتى سا، وهذه رواية اللسان ـ قال: أراد نتأ، فإما أن يكون خفف تخفيفاً قياسياً، وإما أن يكون أبدل إبدالاً صحيحاً، وكل ذلك ليوافق قوله: تا.
(٥) لسبة الحرقوص: عضتها، والحرقوص: دويبة كالبرغوث لها حمة كالزنبور.
(٦) اللسان ـ مادة شول.
(٧) اللسان ـ مادة بيض.
(٨) في اللسان: «فاخفضي».

أراد: تَبْيَضّي، فزاد ضاداً أخرى، والعرب تقول: أنْظور بمعنى أنْظُر؛ وأنشدوا:

وإنني حيث ما يثني الهوى بصري ... مِنْ حَيْثُ مَا سَلَكُوا أَدْنُو فأنْظُورُ

قال: وللفصحاء المدلّين في أشعارهم ما لم يُسْمَع من غيرهم؛ كقول امرئ القَيْس: «دِيمَةٌ هَطْلاء»[١]. وذي الرُّمة: «أُدْمَانَة»[٢] يعني أَدْماء. وفي شعر ابن أحمر وأمية: «الهَيْمَان»[٣]، و«البلقوس»، و«القَسَاوِسَة»؛ في جمع قَسّ. ومثل هذا أكثر من أنْ يُحْصى.

فقال الخصم: قد خلط هذا الرجل في احتجاجه، وجمع بين أمور مختلفة، ودلّنا على بُعْدِه عن تحصيل المعاني، وذهابه عن مقاييس النحو، وأجْرى كلامَه إلى غاية توجبُ قلبَ اللغة، ونَقْضَ مباني العربية؛ لأنه جعل الشعراء بزعمه أمراءَ الكلام، وأباح لهم التصرّف على غير ضرورة؛ وهذه القضية إن سبقت على اطّراد قياسِها زال نظام الإعراب، وجاز للشاعر أن يقول ما شاء، وأن يتناول ما أراد عن قرب، فيثقلُ كل مخفّف، ويخففُ كل مثقّل، ويحذف ويزيد، ويغيّر الجموع، ويتحكّم في التصريف، ويتعدّى ذلك إلى حركات الإعراب، ويتجاوزه إلى ترتيب الحروف؛ فإذا كان هذا ممتنعاً محظوراً، ومتعذّراً محجوراً، فلا بُدَّ من حد يقف عنده الشاعر، وينتهي إليه الفرق بين النظم والنثر، فيزول هذا الأساس الذي مهَّده، والأصل الذي قَرّره، ويرجع إلى ما قالت العلماء فيه، وما أجيزَ للمضطر من التسهيل، وفُضِّلَ به النظمُ من التسامح، وهي أبواب معروفة، ووجوه محصور أكثرُها، ومُعْظَمُ ما يوجد فيها رد الكلمة إلى أصلها، وإلى ما أوجب القياس الأعم لها؛ مثل صرف ما لا ينصرف؛ لأن تَرْكَ الصرف لعلة، فأزيلت وألحق الاسم بأصل الأسماء. ومثل قصر ما يُمدّ، لأن المَدّة زيادة عارضة فحذفت. ومثل إظهار التضعيف كقوله:

إنـي أَجُـود لأَقْـوَامٍ وإنْ ضَنِنُـوا

---

(١) من بيت لامرئ القيس:

ديمة هطلاء فيها وطف ... طبق الأرض تحرى وتدر

قال النحويون: قولهم هطلاء جاء على غير قياس؛ لأنه لا يقال سحاب أهطل، ولا مطر أعطل. اللسان ـ مادة هطل.

(٢) من بيت له:

أقول للركب لما أعرضت أصلاً ... أدمانة لم تربيها الأجاليد

والأدمانة: الأدماء.

وقد جاءت هذه الكلمة في شعر آخر له:

والجيد من أدمانة عتود

قال في اللسان: وقد عيب عليه، فقيل: إنما يقال هي أدماء، والأدمان كأحمر وحمران، وأنت لا تقول: حمرانة ولا صفرانة، وكان أبو علي يقول: بني من هذا الأصل فعلانة كخمصانة. اللسان ـ مادة أدم.

(٣) الهيمنان: الصوت الخفي.

لأنه الأصل، ونحو هذا وشبهه.

وقد يجيء عن العرب شواذ لا تجعل أصولاً، ولا يَلْزَمُ لها قياس؛ لأنَّ ذلك لو ساغ واستمر لانقلبت اللغة، وانتقضت الحقائق، وَهُمْ إلى الحذف فيه أميل، وبالتخفيف أوْلع، وعلى ذلك قالوا: دَرس المنا؛ يريد المنازل. وقالوا: قواطن مكة من وُرْق الحما يريد الحَمام. وهذا باب يتسع فيه القول، وتتشعّب فيه الوجوه، وقد صنفت فيه كتب معروفة. ولأهْلِ الكوفة فيه رُخَص لا تكاد توجد لغيرهم من النحويين؛ كإجازتهم مد المقصور، وترك صرف الاسم المنصرف، ونحو ذلك؛ غير أنهم لا يبلغون به مرتبة الإهمال، ولا يُعرّضونه لتحكم الشعراء، ويجعلون هذا الباب من الضرورة، ويقتصرون به على الحاجة.

فأما ذكر أبي الطيب في هذا الكلام بَلْعمّ وعَلْماء، ونحو ذلك فبمعزل عن هذا الشأن؛ لأنه سائغ في غير الشعر، وجائز في كل الكلام، وأكثر ما تقول العرب: عَلْمَاءِ بني فلان، وله باب ولا حاجة بنا إلى ذكره، بعد أنْ عرفناك أنه غير متصل بما تنازعه من ضرورات الشعر، وكذلك الأبيات التي عددها في الحذف، فقد قدمنا لك مَيْل العرب إلى الاختصار، وإيثارَها الإيجاز، وغلبة الحذف على كلامها، وكثرته في خطابها.

وقد حكى الأصمعي أن أخَوَيْن من العرب مكثا متهاجرين زماناً، وهما يَحُلّان ويرتحلان معاً فإذا أراد أحدُهما الرحيل، قال: ألَا تَا، فيجيبه الآخر آلَا فا، وعلى هذا الطريق جروا في استعمال الترخيم، وترك الخبر في كثير من الابتداءات في مواضع من الشروط، وهذا لا يوجب التعدي إلى ما ترخص به أبو الطيب، وسوّغه لنفسه واحتج به لشعره. فأما قوله: تبيضضي، فجار على ما خبّرناك باحتمال الشعر له من إظهار التضعيف، فأما التشديد الزائد فيه، وفي مستقرنّ والطولّ ونحو ذلك، فلأنها حروف الرويّ وخواتم القوافي، ومُنْقَطع الكلام، فاحتملت ما لا يحتمله غيرها. ولو ساغ أن يُنصب ذلك عَلَما، ويجعل عبرة، ويَسْتمرّ على شريطة القياس لوجب أن لا ينكر على الشاعر إذا قال: رأيت حسناً؛ فشدد النون، أو ضربت محمداً فثقل الدال؛ كما جاز لك في الطولّ ومستقرنّ، ويجري ذلك في سائر الأسماء وجميع الحروف والأفعال، وهذا أمر لا ينتهي إليه عاقل. وقد جاء عن العرب التشديد في أواخر الأسماء إذا وقفوا عليها، وهذا ما يؤكد ما قلناه في تمييز القوافي عن غيرها؛ مِنْ حيث كانت العرب تقفُ عليها، وإن كانت مطلقة.

فأمّا الألفاظُ التي زعم أنّ الشعراء تفرّدوا بها فإنها موجودة عن أئمة اللغة، وعمن ينتهي السَّنَدُ إليهم، ويُعْتَمدُ في اللسان عليهم؛ وإنما تتكلم بما تكلّموا به، وواحد كالجميع، والنَّفَر كالقبيلة، والقبيلة كالأمة، فإذا سمعنا من العربي الفصيح

الذي يعتد حجة كلمةً اتبّعناه فيها. ثُمَّ إن لم تبلغْنا عن غيره، ولم نسمع بها إلا في كلامه لم نزعم أنه اخترعها، ولم نحكم أنه أبو عُذْرِها.

وعلى هذا أكثر اللغة؛ لا سيما الألفاظ النادرة، والحروف الفردة. وكم نقل الناس عن أبي مهدية، وأبي الدقيش، وأبي الجراح، وأبي الصقر، والقناني، وأم الهيثم؛ وفلان وفلانة من لفظةٍ لم تسمع قَبْلَهُم، ولم تؤخذ إلا عنهم، ثم ليس لنا أن نجعلهم منفردين بتلك الكلمات، ومُخْتصين بتلك الحروف. وهذا سبيل ما وجد في شعر هؤلاء من الشواذ الغريبة، والألفاظ النادرة. وقد أيّد بعض من يحتج لأبي الطيب ما قدمناه من كلامه بأن قال: قد بَيَّن الرجل العلة في حُسْن هذه الزيادة، وذكر أنّ النون كما كانت خفيفة وكانت ساكنة، ومن حقها أن تَتَبَيَّن عند حروفِ الحَلْقِ حسن تشديدُها لتظهر ظهوراً شافياً، فهذه علة قريبة قد يحتمل للشاعر تغيير الكلام لأجلها. ويؤكد ذلك أنَّ النون أقربُ الحروف إلى حروف العلة: الياء والواو، وأكثرها شبهاً بهما؛ ومناسبة لهما؛ لأنها تُدْغَمُ فيهما، وتزاد حيث يزادان؛ فتنصب علماً للصرف، كما يجعلان علامة للإعراب، وتبدل الألف منها في قولك: اضْرِبْن؛ إذا أرَدْتَ النونَ الخفيفة؛ كما تبدل منها في مواضع البدل، وتحُلُّ محلّ الواو في قولك: نَهْرَانيّ وصنعاني؛ وإنما هو نهراويّ وصنعاوي، وتحذف إذا كانت خفيفة كما يحذفان لالتقاء الساكنين فلما جرى معهما هذا المَجْرَى، وحل من مناسبتهما هذا المحل، احتمل ما يحتملانه من حذف وزيادة، وحروفُ العلة أكثر الحروف احتمالاً، وأوسعها مُتَصَرَّفاً؛ ولذلك يحمل عليها في الحذف، ويتجوز فيها بالزيادة، وعلى هذا استجازوا زيادةَ الياء في صياريف؛ وإنما هو صيارِف؛ إشباعاً للمدة للزوم الكسرة في هذا الموضع. قال الشاعر:

تَنْفِي يَدَاهَا الحَصَى فِي كلِّ هَاجِرَةٍ ... نَفْيَ الدَّرَاهِمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ

وقد قال الفرزدق ـ فزاد ياء لغير علة إلا لإقامة الوزن:

تَبْكِي عليه الشمس والقمر الذي ... به يَبْهج السَّارون ليلَ التمايم

أراد التمّام فزاد الياء. وقال الهذلي:

به الرّوم أو تَنوخ أو الآ ... طام من صوّران أو زيد

فشدد الواو من صوران، وإنما هو صوران، ولإجرائهم النون هذا المجرى قالوا:

قطنّة من أجود القطن

فشدد النّون من قُطُنّة وليس هو في موضع قافية، ولا هو حرف روي. وقد احتمل للشعراء لأجل الشعر ما هو أبلغ من تغيير الألفاظ وإزالة الكلام عن موضعه. قال الفرزدق:

ومـا فـارقـتُـهـا شِبَعـاً ولـكـنْ ... رأيـتُ الـدهـرَ يـأخـذ مـا يُـعـار

أراد يُعير، فغير البناء كما تراه. وقال زُهَيْر[١]:

مـاءٌ بـشـرقـيّ سَـلْـمَـى فَـيْـدُ أَوْ رَكَـكُ

وإنما اسم الماء ركّ، وليس هذا موضع إظهار التضعيف عند أكثر النحويين. وقال دُرَيْد:

فإن تُعْقِب الأيام والدهر تَعْلَمُوا … بني قارب أنّا غضاب بمعبد

يريد بعبد اللّه؛ فغير اسمه كما ترى. وقال حسان بن ثابت:

من مغْشَرٍ لا يَغْدِرون بذمّةِ الْـ … ـحارث بن حبيِّب بن سحام

إنّما هو حبيب. والكلام في هذا الباب يكثر من الفريقين.

وقوله[٢]:

ليس إلّاك يا علي همام … سيفه دون عِرْضِه مَسْلُولُ

وقوله[٣]:

لم تر من نادمتْ إلّاكا

فأنكروا اتصال الضمير بإلا، وحق الضمير أن ينفصل عنها، وبذلك جاء القرآن. قال اللّه تعالى: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] وهو الظاهر في قياس النحو، والمشهور عن العرب. وقد روى الفرّاء بيتاً عن العرب احتج به أبو الطيب واحتذى عليه:

فما نُبالي إذا ما كُنْتِ جارتَنَا … ألَّا يجاورَنا إلَّاكِ دَيَّارُ

وأنا أرَى أن لا يطالب الشاعر بأكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة وناهيك بالفرّاء! وقوله[٤]:

أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ في أُحَادِ

وقد مضى في صدر هذه الرسالة المواضع التي أنكرت في هذا البيت: وقد كان أبو الطيب سئل عنه فأجاب عن قولهم: إن سُداساً غير محكي عن العرب، وأن أهل

---

(١) ديوانه ص ٤٢، وصدره:

ثم استمروا وقالوا إن مشربكم

(٢) ديوانه (٣: ١٥٦).

(٣) ديوانه (٢: ٣٨٣) وبقية البيت:

لا لسوى ودك لي ذاكا

(٤) ديوانه (١: ٣٥٣)، وبقية البيت:

لييلتنا المنوطة بالتناد

اللغة يزعمون أنهم لم يزيدوا على رُباع، وإنما هي ألفاظ معدولة يوقف بها على السماع بأن قال: إنه قد جاء عن العرب خُماس وسُداس إلى عُشار؛ حكاه أبو عمرو الشَّيْبَاني وابن السِّكِّيت، وذكره أبو حاتم في كتاب الإبل، وزعم أبو عبيدة في المجاز أنه لا يعلمهم قالوا فوق رُباع؛ وهؤلاء ثقات لم يَحْكُموا إلا ما علموا، وقد جاء ذلك في الشعر. قال الكميت[1]:

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْـ ـتَ فَوْقَ الرِّجَالِ[2] خِصَالاً عُشَارا

آخر:

ضربتُ خُماس ضربة عَبْشَمي أدار سُداس أن لا يستقيما

وقد نسبت العرب إلى كل ذلك فقالوا: خُماسِيّ وسُدَاسِيّ وعُشاري. قال أبو النجم:

فوق الخماسيّ قليلاً تُفَضّله

فأما قولهم: إن هذه الألفاظ إنما عدلت في المعنى، فأجريت مُجرى واحد واحد، اثنين اثنين، فقد قال المحتج له: إن أصل عدْلها وإن كان على ذلك فقد تكلم بها في معنى الأعداد المفردة، وعلى ذلك وقع النسب إليها في الخُماسي والعُشاري، والنسب لا يصح إلا على هذا المعنى. وقد استدلوا بقوله: ضربت خماس... البيت. وهذا غير المعنى الذي ذهبوا إليه، وإنما هو اسم معدول عن خمسة، ولا مدخل للتكرير فيه. وقالوا في إنكارهم تخصيص سُداس من بين الأعداد: إن الأعداد إذا استولت في المعنى لم يحظر على ذكر أحدهما، ولو قال خُماس أو رُباع لكان الأمر واحداً، ولو بلغ العُشار لم يَزده غيرَ فَضْل الاستطالة، وليس على الشاعر إذا بالغ في وصفٍ أن ينتهي إلى الغاية، ولا يترك في الإفراط مذهباً؛ على أنه قد يجوز أن يكونَ قصد استيفاء الأسبوع فقال: أهي ليلة أم ستّ؛ مضافة إليها، ولم يرد به الحساب، فيُحمل على ما يوجبه حكم الضَّرْب، فيكون الواحد في الستة ستة، وإنما قال أواحدة هي أم ست في واحدة، فإذا جعلت الست في الواحدة على جهة الظَّرْف والوعاء صارت سبعاً، فهذا وجه قريب.

قال الخصم: قد صغر اللَّيْلة ثم استطالها فقال: لُيَيْلَتنا المَنُوطة بالتناد.

قال أبو الطيب: هذا تصغير التعظيم، والعرب تفعله كثيراً. قال لبيد[3]:

وكلُّ أُناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنهَا الأنامِلُ

---

(١) التبيان (١: ٣٤٨).

(٢) قال الصاغاني: والرجال (باللام) تصحيف، والرواية: «فوق الرجاء»، أي فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه.

(٣) التبيان (١: ٣٥٤).

أراد لطف مَدْخَلها فصغّرها. وقال الأنصاري[١]: أنا عُذَيْقها المُرَجَّب، وجُذَيلُها المُحَكَّك؛ فصغر وهو يُريد التعظيم.

وقال آخر:

يـا سَـلْـمُ أسـقـاك الـبُـرَيـقُ الـوامِـضُ والـدُّيَـم الـغَـاديـة الـفـضـافِـض

أما تصغير اللفظ على تكْثيرِ المعنى فغير منكر؛ وهو كثير في كلام العرب؛ لكن في احتجاج أبي الطيب خلل؛ من قبل أن دُوَيْهية في هذا الموضع تصغير في المعنى واللفظ، وكذلك جذيلها المحكك لأن هذا الجذل لا يكون إلا لطيف الجرم؛ وإنما هو جذم من النخلة تحتكُ به الإبل، وكما زاد تحكُّك الإبل به زاد لطفاً وصِغَراً وضؤولة. وإنما وجه القول في هذا أن من التصغير ما يكون جارياً على طريق الاستهانة والتحقير، ومنه ما يراد به الصِّغر واللطافة؛ فأنت إذا قلت: جاءني رُجَيل لم تُبَالِ بصِغَرِ جسمه، وتفاوت خَلْقه، وقِصَر قامته، إذا أردتَ تحقيرَ شأنه والإهوان به، ومتى أردت الإخبار عن ضؤولته، ودَمامة خَلْقه لم تعرّج على حاله، ولم تفكر في محله. وقد تقول ذلك للملك على هذا الوجه، وتقول للرجل العادي على الوجه الأول، وقد تفعل ذلك وأنت تريد ذَمَّه؛ وإن كان قويّ الخُلُق، عظيم الشأن. وذكرُ لَبيد الدُّوَيْهِية على لفظ التصغير من باب اللطافة دون النِّكاية؛ وقول أبي الطيب «لُيَيلتنا» خارج مخرج الذم والهجو، ثم قد أزال الالتباس وأفصح عن المراد بقوله: «المنوطة بالتناد»، إذ قد بين أنه لم يرد قِصَر مدتها. ولا قرب انقضائها. فأما قول أبي الطيب: إني لم أرد بالتَّناد القيامة، وإنما أردت مصدر تنادَى القومُ، وعنيت أنها منوطة بما أهم منه فهو أعْلم بقصده، وأعْرف بنيته؛ غير أن نَسْقَ الكلام يشهد عليه. ومَنْ تأمله عرف أنه بأن يراد به القيامة أشبه، ولا عيب فيه لو أراده؛ إنما هو ضرب من الإفراط قد استعمله الشعراء. قال بشار[٢]:

أَضـلَّ الـنـهـارُ الـمـسـتـنـيـرُ طـريـقَـه أم الـدهـر لـيـلٌ كـلـه لـيـس يَـبْـرَحُ

ومثله كثير موجود.

وقوله[٣]:

ولـم تَـرُدَّ حـيـاةً بَـعْـدَ تَـوْلِـيَـةٍ ولَـمْ تُـغِـثْ دَاعِـيـاً بِـالْـوَيْـلِ والْـحَـرَبِ

---

(١) هو الحباب بن المنذر. والعذيق: تصغير عذق (بفتح العين) وهي النخلة. والترجيب: إرفاد النخلة من جانب ليمنعها من السقوط؛ فيكون المراد من قوله: «أنا عذيقها المرجب» أن لي عشيرة تعضدني وتمنعني وترفدني. والجذل: عود ينصب للإبل الجربى تحتك به فتشتفى؛ أي قد جربتني الأمور؛ ولي رأي وعلم يشتفى بهما؛ كما تشتفى هذه الإبل الجربى بهذا الجذل.

(٢) ديوانه ص٤١.

(٣) ديوانه (١ : ٨٨).

قالوا: العرب لا تقول دَعَا بالويل والحرب، وإنما يقال: دعا ويلَه؛ كما يقال دعا فلاناً. قال اللّه تعالى: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٤]. فإنما يقال: دعا بكذا إذا طلب أنْ يؤتى بذلك الشيء؛ كقول الفرزدق[١]:

دعوتُ بقُضْبَانِ الأراكِ التي جَنَى لها الرّكْبُ من نُعمان أيّام عَرَّفوا

وتَدَاعوا بشعارهم، ودعا لكذا، أي من أجله، فقال أبو الطيب: فقال دعا للقتال وللخير وللشر ولما به، أي إليه. ومن أجله قال طَرفَة[٢]:

وإن أُدْعَ لِلْجُلّى أكُنْ من حُمَاتِهَا وإن يأتك الأعداءُ بالجهْدِ أجْهَدِ

ويقال: دعا باللّهَف وبالويل والحرَب بيا، وأيا؛ لأنه لفظ الداعي. وقال ذو الرُّمة[٣]:

تَداعيْن باسم الشِّيبِ من مُتَثَلِّمٍ جوانبُه من بَصْرَةٍ وسِلَام[٤]

وقال الراعي[٥]:

إذا ما دعت شيبا بِجَنبِ عُنَيْزَة مشافرُها في ماء مُزْنٍ وبَاقِلِ

وقال:

دَعا الدَّاعِي بحيّ على الفلاح

وقال عنترة[٦]:

دَعانِي دَعْوَةً والخيلُ تَرْدِي[٧] فما أدري أبِاسْمي أم كَنَاني

وإنما يقال: دَعَا بكذا إذا أمر أنْ يُؤْتَى به، لأنه ذكر اسم. والذي قَالَه أبو الطيب مَحْكِيّ عن العرب، معروف عند أهل العلم، فإذا أراد ذكر المدعوّ قال: دعوته، وإذا أراد ما يلفِظ به قال: دعا بكذا وكذا، وعلى هذا بيتُ عنترة، وقول الآخر:

دعا الدَّاعي بحيّ على الفلاح

وقوله[٨]:

بَياضُ وَجْهٍ يُريكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيكَ الدُّرَّ مَخْشَلَبَا[٩]

قالوا: «مَخْشلبا» ليس من كلام العرب. فقال أبو الطيب: هي كلمة عربية فصيحة، وقد ذكرها العجّاج. ولست أعرفها في شعر العجاج ولا أحفظها محكية عن

---

(١) ديوانه (٢: ٢٤٥).
(٢) ديوانه ص٣٢.
(٣) ديوانه ٦٠٩، واللسان: شيب.
(٤) في الأصل: نصرة.
(٥) من ديوان ذي الرمة.
(٦) ديوانه ص١٥٤.
(٧) تردى: تعدو. وفي الديوان: «تجري».
(٨) ديوانه (١: ١١٣).
(٩) المخشلب: من حجارة البحر، وليس دراً.

العرب؛ غير أني أرى استعمالَها وأمثالها غير محفوظ لأني أجد العرب تستعمل كثيراً من ألفاظ العَجَم إذا احتاجت إليه لإقامة الوزن، وإتمام القافية، وقد تَتَجاوزُ ذلك إلى استعماله مع الاستغناء عنه؛ كما سموا الحَمَلَ بَرَقاً[١] مع كثْرة أسماء الغنم عندهم، وكما قال التغلبي[٢]:

وكنا إذا القيسيّ نَبَّ عَتُوده ... ضَرَبْناه دون الأُنْثَيَيْن على الكَرْدِ[٣]

أراد الكَرْدَن، وهو العُنق، فأقام به القافية. وقال الآخر[٤]:

قد علمت فارس حِمْيَر[٥] والأعـ ... ـرابُ بالدَّشْت[٦] أيُّهم نَزَلا

أراد الدَّشت وهو فارسي، وأسماؤه عند العرب كثيرة، فلم يمنعهم ذلك من الارتفاق به. وكذا قال الآخر:

تضمنها وهم ركوب كأنه ... إذا ضم جنبيها المخارِق رَزْدَقُ

يريد رَسْتَهُ، وهو الصف من النخل وغيره، إلا أنهم زعموا أنه أراد النخل هنا. وقد استعمل العجّاج في قوافي جيميته ألفاظاً منه. قال:

كما رأيت في المَلاء البَرْدَجا

يريد الرقيق؛ وهو بالفارسية بَرْده. وقال:

كالحَبَشِيِّ التفَّ أو تسبَّجا[٧]

يريد لبس قميصاً، وإنما هو بالفارسية شَبِي[٨] فعربه بسَبيجة[٩] ثمَّ صرَّف منه فِعْلاً، في أبيات غيرها.

فليس بمحظور على الشاعر الاقتداء بهم في أمثال ذلك إذا احتاج إليه؛ فأما المحدثون فقد اتَّسعوا فيه حتى جاوزوا الحدَّ لما احتاجوا إلى الإفهام، وكانت تلك

---

(١) البرق؛ قال في اللسان: هو تعريب بره بالفارسية.

(٢) لسان العرب ـ مادة كرد. قال ابن بري: البيت للفرزدق. وذكر في اللسان رواية أخرى:

وكنا إذا الجبار صعر خده ... ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٣) العتود: ما اشتد وقوي من ذكور أولاد الغنم. ويقال: نب عتود فلان إذا تكثر. وأراد بالأنثيين هنا الأذنين.

(٤) لسان العرب ـ مادة دشت. ونسبه للأعشى.

(٥) في الأصلين: «وجرير»، وما أثبتناه عن اللسان.

(٦) الدشت: الصحراء.

(٧) في الأصلين؛ كالحبشي التفت أو تشبجا. والتصحيح عن المعرب للجواليقي: ١٨٢.

(٨) في الأصلين شي؛ والتصحيح عن المعرب.

(٩) في المعرب: هو قميص من صوف.

الألفاظُ أغلَبَ على أهلِ زمانهم، وأقربَ من أفْهامِ مَنْ يقصدون إفهامَه.

وقد أفرط أبو نُواس حتى استعمل زنمرده، وبازبنده، وباريكنده، وغير ذلك، فإن كانت اللفظةُ مسموعةً عن العرب على ما حكاه أبو الطيب، فقد زالت الكلْفة، وإن لم تكن محفوظة فما رويناه من أمثالها عن العرب والمحدثين يعتذر عنه، ويقوم بحجته.

وقوله(١):

لـيـس الـتَـعـلّـل بـالآمـال مـن أَربِـي ... ولا القُنوع بِضَنْكِ العيشِ من شِيَمِي

قالوا: القُنوع خطأ وإنما هي القَناعة، فأما القُنوع فالمَسْألة، يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قَناعة؛ إذا رَضِيَ، وقَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً؛ إذا سَأل(٢) والفاعل فيهما قَانِع.

قال المحتج: الرواية المسموعة هي:

ولا الـقَـنـاعـة بـالإقـلال مـن شِـيَـمـي

وقد سمعت رواة الشاميين يذكرون أنه أنشدهم قديماً القُنوع ثم غيّر الإنشاد، ورجع إلى القناعة، ثم إن القنُوع بمعنى القناعة مَحْكِيّة عن العرب، وإن لم تكن مشهورة، وقد ذكرها أهلُ اللغة، وحَكَوا عن أوس بن الحارث الطائي أنه أوصى ابنَه، فقال في بعض وصيته: خير الغنى القُنوع، وشر الفَقْر الخُضوع. ولا يَحْتمل معنى القُنوع هنا في هذا الكلام إلا الرضا والقناعة. وقوله(٣):

واحـرَّ قَـلْـبـاه مِـمَّـنْ قَـلْـبُـه شَـبِـم

فألحق الهاء في قلباه. قالوا: وإنما تَلْحَقُ في الوقف لخفاء الألف فتبين بها، فإذا وُصلت حذفت.

قال المحتج: هذا هو الأكثر عند العرب، والاختيار عند النحويين، غير أنه ليس على الشاعر عيْب في اتباع اللفظة النادرة إذا رَواها الثقات، ومتى وُجِدَت الرواية على ثِقَة لم يُحْظَرْ على الشاعر قَبُولها، والعمل بها لأجل اختلاف النحويين، وقد أجاز الفرّاء وغيره إلحاقَ هذه الهاء في الوصل، وروى فيه:

يـــا ربِّ يـــا ربَّـــاه إيـــاك أســـل ... عـفـواً أيـا ربَّـاه مـن قـبْـل الأجَـل

---

(١) ديوانه (٤ : ٣٩)، وروايته هناك:

لـيـس الـتـعـلـل بـالآمـال مـن أربـي ... ولا الـقـنـاعـة بـالإقـلال مـن شـيـمـي

(٢) ومنه قول الشماخ:

لـمـال الـمـرء يـصـلـحـه فـيـغـنـي ... مـفـاقـره أعـف مـن الـقـنـوع

(٣) ديوانه (٣: ٣٦٢)، وبقيته:

ومـن بـجـسـمـي وحـالـي عـنـده سـقـم

وأنشدوا:

يـا مـرحـبـاه بـحـمـار نـاجـيـة

وأنشدوا للمجنون:

فـقـلـت أيـا ربّـاه أوّل سـؤلـتـي لـنفسيَ ليلى ثم أنت حسيبها

وقد قال أبو زيد في بيت امرئ القيس[١]:

وقـد رَابـنـي قَـوْلُـهـا يـا هَـنـاهُ وَيْـحـك أَلْـحَـقـت شـراً بـشـر

أن هذه الهاء هاء الوقف، وخالفه جُلّ النحويين؛ ففي هذه الأبيات عذر واضح للمتنبي. وأضْعف من إلحاق هذه الهاء إسقاطُ الياء في قلباه؛ وإنما الوجه واحر قَلْبِيَاه، وكذلك: وانقطاع ظهرياه، لأن الياء إنما تسقط حيث يحذف التنوين من المنادى، فلما كنت تقول: يا زيد فتحذف التنوين قلت وا‌غلاماه، فأسقطت الياء، ولو قلت واغلام غلامياه أثبت الياء؛ لأنك تقول في النداء يا غلامَ زيدٍ فتنون المضاف إلى المنادى، ولك في المفرد إثبات الياء تقول: واغلامياه، وإذا جاء موضع تثبت فيه النون فليس غير إثبات الياء؛ هذا الذي عليه جِلّة النحويين وحُذّاقهم، وقد أجاز بعضهم إسقاط الياء في هذا الموضع، وهو في الشعر أقوى منه في الكلام.

وقوله[٢]:

حَـمَـلْـتُ إِلَـيْـهِ مِـنْ ثَـنَـائـي حَـدِيـقَـةً سَقَاهَا الْحِجَى سَقْيَ الرِيَاضِ السَّحَائِبِ

قالوا: فَصل بين المضاف والمضاف إليه [بالمفعول]؛ وإنما يفصل بينهما بالظروف والحروف وما أشبههما؛ لقول الشاعر[٣]:

لـمـا رأت سَـاتِـيـدَ مَـا اسْـتَـعْـبَـرَتْ[٤] لِـلَّـه دَرّ الـيـومَ مَـنْ لامَـهـا

ساتيدما: جبل؛ يقال: ما طلعت عليه الشمس إلا أريق فيه دم، معناه للّه دَرّ من لامها اليوم. وقول الآخر[٥]:

كَـتَـحْـبـيـر الـكـتـاب بـكـفّ يـومـاً يـهـوديّ يـقـارب أو يـزيـل

وقول الآخر:

كـأن أصـواتَ مـن إيـغَـالـهـن بـنـا أواخر الـمَـيْـس[٦] أصوات الفراريج

---

(١) ديوانه ص٩. (٢) ديوانه (١ : ١٥٨).

(٣) معجم البلدان (٥ : ٦)؛ ونسبه لعمرو بن قميئة، وأنشد قبله:

قـد سـألـتـنـي بـنـت عـمـرو عـن الـ ـأرض الـتـي تـنـكـر أعـلامـهـا

(٤) قال في معجم البلدان: سبب بكائها أنها لما فارقت بلاد قومها ووقعت إلى بلاد الروم ندمت على ذلك، وإنما أراد عمرو بن قميئة بذلك نفسه.

(٥) التبيان (١ : ١٥٨). (٦) الميس: الرحل.

يريد. كأن أصواتَ أواخر المَيْس، فأما في هذا فلا يجوز الفصل بينهما؛ لأنهما كالاسم الواحد.

قال المحتج: قد أجاز الفرّاء هذا وأنشد فيه:

ترى النُّور فيها مدخل الظل رأسَه وسائره باد إلى الشمس أجمع

والرواية المشهورة رأسَه ـ بالنصب ـ وأنشد أبو عبيدة:

تفرق آلاف الحجيج على مِنى وصدعهم مشي النوى عنك أربع

أراد: وصدعهم النوى عنك مشي أربع ليال. وأنشد أيضاً:

وَحَلق الماذيّ[1] والقلانِس فداسهم دَوْس الحصاء الدائس

وقال آخر[2]:

يَفْرُكُ حَبّ السُّنبل الكُنَافِج[3] بالقاع فَرْكَ القطن المحالج

ومما يقارب هذه الأبيات، مما يحتاج في بعضها إلى تبيين وكشف، ويتجه في بعضها الطعنُ عليه، ويضعف في بعضها الاحتجاج عنه قوله[4]:

هَذي بَرَزْتِ لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا[5]

قالوا: حذفَ علامة النداء من هذي؛ وحَذْفُها خطأٌ؛ لأن هذي تصلحُ أن تكون نعتاً لأي، وكل معرفة تصلح جاز أن تكون نعتاً لأي، فحذفُ علامة النداء منه غير جائز.

قال المحتج: هذا لعمري أصل القياس في النحو؛ غير أن ضرورة الشعر تجيز ترك القياس في النحو، وقد أجازوا ذلك في النكرات، وهو أبعد في الجواز من هذه المعارف؛ قال الشاعر:

صاحِ هلْ أبْصَرْت بالخَبْـ ـتَيْنِ من أَسْمَاءَ ناراً

وقال العجّاج:

جاري لا تستنكري عذيري

فإذا جاز هذا في النكرات فهو في المعارف أجوز؛ مع أنّ النحويين قد ذكروا ذلك وأدخلوه في أبواب ضرورة الشعر.

---

(١) الماذي: السلاح كله من الحديد. (٢) لسان العرب ـ مادة كنفج.

(٣) الكنافج: المكتنز من السنابل.

(٤) ديوانه (٢: ١٩٣)، وبقيته:

ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

(٥) الرسيس: مسل الحمى وأولها: والنسيس: بقية النفس. يقول: لما برزت هيجت ما كان في القلب من حبك، وانصرفت وما شفيت نفوسنا التي أبقيت بقاياها بوصل منك.

وقوله[١]:

بَيْضَاءُ يَمْنَعُهَا التكلّم دَلُّها تِيهاً وَيَمْنَعُهَا الحَيَاءُ تَميسَا[٢]

فنصب تميس مع حذف أن، وهو عند النحويين ضعيف، لا يجيزون النصب على إضمار أن، إلا أن يكون منها عوض، وقد أجازه الكوفيون. وأنشدوا قول طرفة[٣]:

أَلَا أَيُّهذا اللّائِمِي أَحْضُرَ الوَغَى

بإضمار أن، والبصريون يروونه على الرفع.

وقوله[٤]:

عَوَابِسَ حَلَّ يَابِسُ الماءِ حُزْمَها فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كالمنَاطِقِ[٥]

قالوا: الماء لا يوصف باليَبَس، وإنما يقال جَمد الماء وجَمَس السّمن، ويبس العود والنبت، ونحو ذلك.

قال المحتج: قد جاء عن العَرب وصفُ الماء باليَبس. قال بشر[٦] [يصف خيلاً]:

تراها من يَبيس الماء شُهْباً مُخالِطُ درّةٍ فيها غِرَار[٧]

قالوا: وقد استعار الجموس في الماء ذو الرّمة فقال[٨]:

ونَقْرِي سَدِيفَ[٩] اللّحم والماء جامس

قال الخصم: أما يبيس الماء فإن العلماء روَوْا عن العرب أنها تُسمى العرق يَبيس الماء، فليس هو من هذا الباب بسبيل، وأما بيتُ ذي الرّمة فقد ردّه الأصمعي، وعاب ذا الرُّمة به.

قال المحتج: أما تسميةُ العَرَق يبيسَ الماء فلسْنَا ندفعه؛ غير أنَّ هذا البيت يشهد بخلافِ ما قلتم؛ لأنه جعلها شُهُباً، والعرق لا يغير ألوانها، وإنّما أراد ما جَمَد من

---

(١) ديوانه (٢: ١٩٥).

(٢) يقول: هي ذات حياء، فحياؤها يمنعها من التثني، ودلالها يمنعها من الكلام.

(٣) شرح المعلقات للتبريزي ص٨٠، وبقيته:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

(٤) ديوانه (٢: ٢٢٣).

(٥) الحزم: جمع حزام: ويابس الماء: العرق. والمناطق: جمع منطقة وهو ما يشد به الوسط.

(٦) لسان العرب ـ مادة يبس.

(٧) قال في اللسان: الغرار: انقطاع الدرة؛ يقول: تعطي أحياناً وتمنع أحياناً؛ وإنما قال: شهباً، لأن العرق يجف عليها فتبيض.

(٨) لسان العرب ـ مادة جمس.

(٩) في اللسان: عبيط اللحم.

الماء عليها، وبيت ذي الرّمة صحيح عنه، وهو حجة تلزم الأصمعي وغيرَه. وهل ينكر الأصمعي ذلك إلا برواية عن العرب؟ ومتى ثبتت الرواية عن موثوق بفصاحته فقد وجب التسليم له.

وقوله[١]:

تَفَكُّرُه عِلْمٌ ومَنْطِقُهُ حُكْمٌ   وبَاطِنُه دِينٌ وظَاهِرُه ظَرْفُ

قالوا: خرج عن الوزن لأنه لم يجئ عن العرب مفاعلن في عروض الطويل غير مصرّع.

قال المحتج: إنما جاء البحر على مفاعيلن، وليس يُحْظَر على الشاعر إجراؤه على الأصل، وقد جاء عن العرب مفاعيلن في المصرّع، وما خرج عن الوزن لم يحتمله المصرّع ولا غيره. قال امرؤ القيس[٢]:

ألا انعَمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي   وهلْ يَنْعمنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي

فجاء بالعروض على مفاعيلن لمَّا صرع. قالوا: وقد جاء في شعر المحدَثين ما أجروا فيه غير المصرّع مُجرى المصرّع، فقال شاعرهم:

فالوجه مثل الصبح مُبْيَضّ   والشعرُ مثل الليل مسودُّ

وأبو الطيب أعذر من هذا، لأنه جرى على أصل البحر في الدائرة. وقد جرى أبو تمام إلى ما هو أقبح من الأمرين، فصرّع المِصراع في قوله:

يقول فَيُسمِعُ، ويمشي فيسرعُ   ويضرب في ذات الإلٰه فيوجِع

وعلى مثل هذا الطريق يعاب أبو الطيب بقوله[٣]:

إنّما بَدْرُ بْنُ عَمّارٍ سَحَابٌ   هَطِلٌ فيه ثَوَابٌ وعِقَابُ

فإنه أخرج الرَّمَل على فاعلاتن في العروض، فأجْرى على ذلك جميع القصيدة في الأبيات الغير مُصَرَّعة، وإنما جاء الشعر منه على فاعِلن؛ لكن أصله في الدائرة فاعلاتن، وإن كان غير محفوظ عن العرب.

وقوله[٤]:

ولَعَلّي مُؤَمِّلٌ بَعضَ ما أَبْـ   ـلُغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيد

قالوا: تمنى أن يؤمّل بعض ما يبلغ، وهذا لا يليق بالكلام، وإنما وجهه أن يقول: ولعلي بالغ بعض ما أؤمّل.

---

(١) ديوانه (٢: ٢٨٧).
(٢) ديوانه ص٤٩.
(٣) ديوانه (١: ١٣٣).
(٤) ديوانه (١: ٣٢٠).

قال المحتج: قد يجوز أن يكون أراد: لعلي أبلغ آمالي، وأزيد عليها بلطف اللّه تعالى حتى يكون ما أؤمله بعضَ ما أصل إليه، وهذا غير مُستنكر.

وقوله[١]:

وعَذَلْتُ أَهْلَ العِشْقِ حَتَّى ذُقْتُه فعَجِبْتُ كَيف يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ

قالوا: صعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب ألا يموت مَن لا يعشق فيَعجب منه، وإنما يقتضي أن كلّ مَنْ يَعْشق يموتُ؛ وكأنه أراد: كيف لا يعرف مَن يعشق! فذهب عن مُراده.

قال بعض من يحتج عن أبي الطيب: إنه خرج مَخرج القلْب، وهو كثير في شعر العرب، ومنه قول الأعشى[٢]:

وكل كميت كأنَّ السَّليـ ط في حيثُ وارى الأديمُ الشِّعارا

يريد: حيث وارى الشّعارُ الأديمَ، فقلب الكلام. وكقول الأخطل[٣]:

مِثْلُ القنافِذِ هدَّاجُون قد بَلَغَتْ نَجرَانَ إن بلغت سوءاتهم هَجَرُ[٤]

يريد بلغت سوءاتهم هَجَر. وقال الشماخ[٥]:

منه ولدت ولم يُؤْشَبْ به حسبي ليًّا كما عُصِبَ العلْبَاء بالعُودِ

أراد كما عصبَ العود بالعلباء. وقال آخر:

أسلمته في دمشق كما أسلمت وحشية وَهَقا[٦]

أراد كما أسلم وَهَقٌ وحشية. وقال آخر:

كان الزّناء فريضة الرجم

أراد كأنّ الرجم فريضةَ الزناء، ومثل هذا كثير.

وقال غيره: إن الكلام جار على طريقته، غير محتاج الحمل على القلْب، وإنما المراد كيف تكون المنية غيرَ العِشْق؛ أي أن الأمر المتقرِّر في النفوس أنه على مراتب

---

(١) ديوانه (٢: ٣٣٣).

(٢) ديوانه ٥٣.

(٣) ديوانه ص١١٠، وروايته هناك:

على العيارات هداجون قد بلغت نجران أوحدثت سوءاتهم هجر

(٤) القنافذ: جمع قنفذ؛ وهو حيوان معروف، يضرب به المثل في سرى الليل. وهداجون: من الهدج (بالإسكان) وهو السير السريع. يقول: إن رهط جرير كالقنافذ بمشيهم في الليل للسرقة والفجور.

(٥) ديوانه ٢٤.

(٦) الوهق: حبل في طرفيه أنشوطة، تصاد به الدابة.

الشدة هو الموت، وإني لما ذقت العِشْق فعرفت شِدّته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتّفق على شدته غير العشق، وكيف يجوز ألا تعم علته فتستولي على الناس، حتى تكون مناياهم منه، وهلاك جميعهم منه.

وقوله(١):

شَديدُ البُعْدِ من شُربِ الشَّمولِ   تُرُنْجُ الهندِ أو طَلْعُ النخيلِ

قالوا: المعروف من العرب الأترُج والتُّرُنْج مما يغلط به العامة، فقال أبو الطيب: يقال أترجة وأترج وترنج، حكاها أبو زيد، وذكرهما ابن السّكيت في أدب الكاتب.

وقوله(٢):

فِدًى مَن على الغبراءِ أَوَّلهم أنا   لهذا الأَبيِّ المائد الجائد القَرْمِ

قالوا: لم يُحْك عن العرب: الجائد، وإنما المحكى عنهم رجل جواد، وفرس جواد، ومطر جواد.

قال المحتج: هذا الباب يستغنى فيه بالقياس عن السماع لاطّراده، واتّساق أمره على الاعتدال، فكل فعل في الكلام يقتضي التصريف إلى فاعل ومفعول، وكل فعل فله مُفعِل ومُفْعَل، ولسنا نحتاج في مثل هذا إلى التوقّف واتباع المسموع، وهذا أشْبه بمذاهب القياس، والأصل الذي عليه أهل اللغة.

وقوله(٣):

خَلَائقُ لو حَوَاها الزَّنْجُ لانْقَلَبُوا   ظُمْيَ الشِّفَاهِ جِعَادَ الشَّعْرِ غُرَّانَا(٤)

قالوا: الزِّنْجيّ لا يوجدَ إلا جَعْدَ الشعر، وإنما تُفْرِط الجعودةُ فيهم حتى تخرج عن حدِّ الاعتدال، فكيف يَنْقَلِبون من الجُعُودةِ إلى الجعودة! قال المحتجّ: إن للأوصاف حدوداً إذا فارقتها إلى نَقْصٍ أو زيادة زالت الصفاتُ إلى ما يخالفُ حقيقَة اللُّغة، أو عادةَ الاستعمال، ولِلْوَصْف بالجَعْد نهايةٌ، فإذا زاد فإنما هو المُقْلَعِطّ والمُقْلَعِدّ(٥)، وإن كان على هيئة شَعْر الزنج فهو المُفَلْفَل، ونحو ذلك من الأوصاف؛ ولذلك صاروا يمدحون بجُعُودة الشعر ويَذُمّون بشعور الزّنج، فلا شكَّ أن ما حمدوه غير ما ذَموه، وإنما مُراد الشاعر بقوله انقلبوا جِعَاد الشعر أنهم صاروا إلى حدِّ الاعتدال الذي يُحْمَد ويُسْتَحْسن ويوصَف به ويختار.

---

(١) ديوانه (٣: ٩٠). (٢) ديوانه (٤: ٥٥).

(٣) ديوانه (٤: ٢٨٨).

(٤) خلائق: جمع خليقة، وهي الخلق. والزنج: جنس من السودان. وظمي الشفاه: رقاق الشفاه مع سمرة. وغران: جمع أغر، وهو الأبيض.

(٥) اقلعط الثوب: جعد، واقلعد مثله.

وقوله[١]:

بَلِيتُ بِلَى الأطْلَالِ إنْ لم أَقِفْ بها وقوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خَاتَمُهْ[٢]

قالوا: أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره؛ وكم عسى هذا الشحيح بالغاً ما بلغ من الشُّحّ، وواقعاً حيثُ وقعَ من البُخْل أن يقف على طلب خاتمه، والخاتَم أيضاً ليس مما يَخْفَى في التُّرْبِ إذا طُلِب، ولا يَعْسُر وجوده إذا فتش. وقد ذهب المحتجُّون عنه في الاعتذار له مذاهبَ لا أَرْضَى أكثرها، وأَقْرَبُ ما يقال في الإنصافِ ما أقوله إن شاء اللّه تعالى:

أقولُ إنَّ التشبيهَ والتمثيلَ قد يقع تارةً بالصورةِ والصفة، وأخرى بالحال والطريقة؛ فإذا قال الشاعر ـ وهو يريدُ إطالة وقوفه: إني أقف وقوفَ شحيحٍ ضاعَ خَاتَمه، لم يُرِد التسويةَ بين الوقوفين في القَدْرِ والزمانِ والصورةِ، وإنما يريدُ لأقفَنَّ وقوفاً زائداً على القَدْرِ المعتاد خارجاً عن حدِّ الاعتدالِ، كما أنَّ وقوفَ الشحيح يزيدُ على ما يُعْرَف في أمثاله، وعلى ما جرت به العادةُ في أضرابه، وإنما هو كقول الشاعر:

رُبَّ ليلٍ أمَدَّ مِنْ نَفَسِ العَا شِقِ طُولاً قَطَعْتُه بانْتِحَابِ

ونحن نعلمُ أنَّ العاشق بالغاً مَا بَلَغَ لا يمتد نفسَهُ امتدَادَ أقصر أجْزاءِ الليل، وأنَّ الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن أَنْفَاسٍ لا تُحْصَى؛ كائنةً ما كانت في امتدادها وطولها، وإنما مرادُ الشاعر أنَّ الليلَ زائدٌ في الطول على مقادير الليالي كزيادةِ نَفَسِ العاشق على الأنفاس؛ فهذا وَجْهٌ لا أرى به بأساً في تصحيح المعنى، وإن كنتُ لا أرى أن يُؤْخَذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية ما لم يأخذْ نَفْسَه بها، ويتكلَّف التعملَ لها، فيؤخذ حينئذ بحكمه، ويُطَالب بما جنى على نفسه.

وقوله[٣]:

كأنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بالمَقْتَلِ عَلَّمَ بُقْرَاط فِصَادَ الأكْحَلِ[٤]

قالوا: لم يكن بقراط فصَّاداً ولا كان الفَصْد غالباً عليه في زمانه، وإنما كَثُرَ

---

(١) ديوانه (٣: ٣٢٨).

(٢) الأطلال: جمع طلل؛ وهو ما شخص من آثار الديار.

(٣) ديوانه (٣: ٢٠٨).

(٤) رواية الديوان:

كأنها من سعة في هوجل كأنه من علمه بالمقتل

علم بقراط فصاد الأكحل فحال ما للقفز للتجدل

وبقراط حكيم قديم، وبه يضرب المثل في الطب والحكمة، والأكحل: عرق في الذراع.

بعده. قال المحتجّ: أما هذه الدعوى فلا يُعْلَم كَيْفَ وَجْهها؟ وهل أنتم صادقون فيها؟ وقد كان الفَصْدُ قديماً، ولكنهم كانوا يحتذبون العِرْقَ بآلةٍ شبيهة بالقِنَّارَة[1] ثم يَبْضَعُونه، فهذا أحوجُ إلى الحِذْقِ واللُّطف، ولسنا نأبى أن يكون بُقْراط لا يفصد، وليس مَقْصِد الشاعر إلا علمه بالفَصْد، وقد عُلِم موقعُ المعرفة بالتشريح من هذا العلم، وكيف يفتقر إلى الوقوف على تشعّب العروق، واتّصال ما اتصل منها، وانفصال ما انفصل، وليس بمثل بُقْرَاط ـ على عِلْمِه ومعرفته بالطّب، واجتماع الألْسُن على تقديمه جَهْل ذلك، وقد يعلمُ الشيء مَنْ لا يعالجه بيده، ولا يتولّاه بنفسه، وليس تَرْكُه مباشرةَ ذلك بدالٍّ على جَهْلِه به. ولو كان بُقْرَاط أجهلَ الناس بذلك لم يَلْحق أبا الطيب من هذا القول نقيصةٌ على طريقته؛ لأنهم لا يُؤْخَذون بمعرفة الأطباء ومواقعهم من الصناعة، ومهارتهم في العلم والعمل، ولما رأى الأطباء لا يَخْلُون من معرفة العروق ومَوَاقِع الفَصْد، ورأى بقراط هو المُقَدَّم في الطب ضرب به المثل في ذلك، وهو ليس بأكبر من غلط العربي في اسم داود عليه السلام إلى اسم ابنه سليمان عليه السلام، ثم غَلَطه في اسمه حتى يجعلَه مرة سَلَّاماً، ومرة يسميه سُليماً.

وقال الآخر منهم:

مثل النَّصَارَى قتلوا المَسِيحَا[2]

لما سمع القصة ولم يدر كيف حقيقةُ القول فيها أجراها على ما خطر بباله.

وقوله[3]:

الفاعِلُ الفِعْلَ لم يُفْعَلْ لِشِدَّتِه والقائِلُ القَوْلَ لم يُتْرَكْ[4] ولم يُقَلِ

قالوا: كيف يكونُ القولُ غيرَ متروك ولا مَقُول؟ وهل هذه إلا مناقَضَةٌ ظاهرةٌ!

قال المحتج: إنَّ من عادة الناس إذا اسْتَقْصَرُوا فعلَ الفاعل قالوا: فعلتَ وما فعلتَ؛ أي لم تفعله على وَجْهِ التمام، ولم تَبْلُغ به شريطةَ الكمال؛ فقد تكلَّفْتَ الفعلَ، وكأنّك لم تفعل. فكذا هذا القولُ لم يُتْرَك ولم يُقَلْ؛ لأنه قد تعرَّض له فلم يُوَفِّه حقَّه، ولم يَبْلُغ المرادَ فيه؛ فكأنه لم يُقَلْ. وقد يجوزُ أن يكونَ المرادُ به أنَّه لم يُترَك، لأنه لم

---

(١) القنارة: الخشبة يعلق عليها القصاب.

(٢) الرواية في اللسان:

إذ المسيح يقتل المسيحا

قال: يعني عيسى ابن مريم يقتل الدجال. فكلمة المسيح الثانية المراد بها الدجال.

(٣) ديوانه (٣: ٣٧).

(٤) أي لم يترك القائلون طلبه، ولما لم يصلوا إليه كان كأنه لم يقل. والمعنى أنه يفعل الفعل الذي قصر عنه الفاعلون؛ ويقول القول الذي قصر عنه القائلون.

يَخْطر بالبال فيُتْرَك، وإنما ابتدعتَه أنتَ وسبقتَ إليه؛ والشيء إذا لم يَخْطُر بالبال، ولم تتعلَّقْ به الهِمَّةُ لم يُسَمَّ متروكاً في المُتَعارَف من الكلام؛ وليس يجبُ أن يكون الحكمُ بالمناقضة مقصوراً على ظاهر اللفظ، وإنما المعوَّلُ على المعاني والمقاصد؛ ولو ادّعى ذلك في قول القائل كان أَسْوَغ:

فــي كــفــه مــعــطــيــة مــنــوع

وقوله:

حــتــى نــجــا مــن خــوفــه ومــا نــجــا

فقيل: كيف تكون معطية منوعاً وكيف ينجو ولا ينجو لكان دالاً على جَهْل المدَّعِي وقصورِ علمه عن الأغراض.

وقوله[١]:

يَفْضَحُ الشَّمْسَ كُلَّمَا زَرَّتِ الشَّمْـ ـسُ بِـشَـمْـسٍ مُـنِـيـرَةٍ سَـوْدَاءِ

قالوا: الشمسُ لا تكونُ سوداء، والإنارة تضادّ السوادَ، فقد تصرَّف في المناقضة كيف شاء.

قال المحتجّ: إنه لم يجعلُه شمساً في لَوْنِه فيستحيلُ عليه السوادُ. وللشعراء في التشبيه أغراضٌ، فإذا شبَّهوا بالشمس في موضع الوصفِ بالحُسْنِ أرادُوا به البهاء والرَّوْنَق والضياء، ونُصُوعَ اللونِ والتمام، وإذا ذكروه في الوصف بالنَّباهة والشُّهْرَة أرادُوا به عمومَ مَطْلعها وانتشار شُعَاعها، واشتراكَ الخاصّ والعام في معرفتها وتعظيمها وإذا قرنوه بالجَلال والرِّفْعَة أرادُوا به أنوارَها وارتفاع محلها. وإذا ذكروه في باب النفع والإرْفَاق قصدُوا به تأثيرَها في النّشوء والنماء، والتحليل والتصفية. ولكل واحدٍ من هذه الوجوه بابٌ مُفْرَد، وطريقٌ متميِّز؛ فقد يكون المشبَّه بالشمس في العلوّ والنَّبَاهة، والنَّفْع والجَلالة أَسْوَد، وقد يكونُ منيرَ الفعال كَمِدَ اللَّوْنِ، واضحَ الأخلاق كاسِفَ المَنْظَر؛ فهذا غرضُ الرجل؛ غير أنّ في اللفظ بشاعةً لا تُدْفَع، وبُعْداً عن القبول ظاهر.

وقوله[٢]:

لَا يَـأْتَـلِـي فِـي تَـرْكِ أَنْ لَا يَـأْتَـلِـي

قالوا: أفسد المعنى، لأن ما يأْتَلِي لا يُقَصِّر؛ فكأنه قال: لا يُقَصِّر في تَرْك أنْ لا

(١) ديوانه (١ : ٣٤).

(٢) ديوانه (٣ : ٢٠٧) وصدره:

فــي هــبــوة كــلاهــمــا لــم يــذهــل

والهبوة: الغبرة. وما ألوت في كذا، وما ائتليت، وما أليت: أي قصرت.

يُقصِّر فوصفه بالتقصير. وبيان ذلك أنّه لم يَأْتَلِ؛ فقد جدَّ في تَرْكِ الجِدّ، وهو نهايةُ التقصير.

قال المحتج: لا أرى «لا» إلّا زائدة؛ فتقديرُ الكلام: لا يأتلي في تَرْكِ أنْ يأتلي؛ فكأنه لا يُقَصِّر في تَرْكِ التَّقْصير، وهذا هُوَ الجِدّ؛ وزيادة «لا» غيرُ مُسْتَنْكَر، وقد جاء في القرآنِ والشعر، قال اللّه تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩] فمعناه ليعلم. وقال أبو النَّجم:

وما ألوم البيض ألا تسخرا

فزاد «لا»، فأمّا زيادةُ ما فكثيرٌ مشهور. وقال العجّاج في زيادة لا:

فـي بِئْرِ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ[1]

أي في بئر حُورٍ.

وقوله[2]:

كأنّكَ أَبصَرْت الذي بي وخِفْتَه إِذَا عِشْتَ فاخْتَرْتَ الحِمامَ على الثُّكْلِ[3]

قالوا: هذا الكلامُ الذي لا طريقَ للفهم إليه لتَخَالُفِ أطْرافِهِ وتنافُرِ معانيه وألفاظه؛ يقول: كأنك أبصرتَ ما بي من الحُزْنِ عليك، وخِفْتَه إذا عشتَ، فاخترتَ أن تموتَ على أن تثكل، ولو عاش ما أبصرَ شيئاً مما لَحِقَه ولا خافَه، لأنّ الذي جرَّ ذلك الحزنَ والضَّنَى هو موتُه، فكيف يكونُ - لو عاش - مُبْصِراً له وخائفاً! وما معنى هذا الثُّكْل هاهنا؟ أهو ثُكْل هذا الميّت له أم ثكله للميّت؟ فإن كان ثكله للميِّت فهو الحِمامِ الذي قد حصل، وإن كان ثكل الميّت له فكأنّه قال:

قد اخترتَ موتَك على موتي، ووجدتَ الحِمام أهون من ثكلك لي! فكيف يقولُ ذلك وهو لو عاشَ لم يكن لثكله له سبَب! ولو كان له ما يؤدّيه إلى هذا الضَّنَى الذي ذكره في حياة هذا الميت لكان مَثْكولا وهو حيّ، مُصِيباً منه الضّنى ما أصاب المتنبّي! قالوا: وما نعرف بيتاً يُقَارِب هذا الخطأ إلا بيتَ أبي تمام[4]:

لَوْ لَمْ يَمُتْ أَطْرَاف بين الرِّمَاح إذاً لماتَ إذ لم يمُتْ من شِدَّةِ الحَزَنِ

(١) اللسان - مادة حور، و«لا»:

فـي بـئـر لا جـور يـرى ومـا شـفـر

وتمامه:

بـإفـكـه حـتـى رأى الـصـبـح جـشـر

(٢) ديوانه (٣: ٤٣).

(٣) الحمام: الموت، والثكل: فقد الحبيب العزيز.

(٤) ديوانه ص٣٨٨.

قال المحتج: إنكم ذهبتُم عن غَرَضِ الرجل، وظننتُم أنه أرادَ: أنك خفت نُزُولَ هذا الضَّنى بي لأجلِك، وأنت حيّ، ولم يُرِدْ ما خطَر لكم؛ وإنما مَذْهَبُه فيه أنك خِفْتَ أن يصيبني هذا العارضُ من الضَّنى وأنتَ حيّ، فيبلغ منك الغمّ به مبلغ الثّكل، فاخترتَ الحِمام عليه.

فقال الخَصْمُ: هبِ الأمرَ على ما قلتُم، ما وَجْهُ هذه المخافة؟ وكيف يصيبه ذلك الحزنُ وهو يثكل حبيباً ولم يفقد عَزِيزاً؟ وما وَجْهُ شفقةِ ابنِ سيفِ الدولة على المتنبي حتى يفدي حزنَه بنفسه، ويختار الحِمام على ثُكْلِه، على أنه له في ذلك عادات، منها قوله يرثي والدةَ هذا الممدوح[١]:

بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوتِ؟ فإنَّ قَلْبي   وإنْ جَانَبْتُ أَرْضَكِ غيرُ سَالِي[٢]

وقوله يرثي أخته[٣]:

وهلْ سَمِعْتِ سَلَاماً لِي أَلَمَّ بها   فَقَدْ أَطْلَعْتَ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كَثَبِ

وما باله يسلم على الحرم، ويتشوّق إلى الأمهات! ومَنْ سبقه إلى هذا! وأنما يَفْعَل ذلك مَنْ يَرْثي بعض أهلِه، وأمَّا استعماله إياه في هذا الموضع فدالٌّ على ضعف البصر بمواقع الكلام. ومما تحقّق ذلك فيه قوله[٤]:

وغَرَّ الدُّمُسْتُقَ قَوْلُ الوُشَا   ةِ إنَّ عَلِيّاً ثَقِيلٌ وَصِبْ[٥]

فجعل الأمراء يُوشَى بهم، وإنما الوشاية السعاية ونحوها، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوِّه، ويجري العدوّ مجرى بعض أصحابه؛ لا سيما إذا كان الممدوح مثل ابن حَمْدان والعدوُّ الدُّمُسْتُق، وليس بسائغ في اللغة أن يُقال: وشى فلان بالسلطان إلى رعيته، ولو قيلَ ذلك في أميرين لكانَ قصَّر بالموشى به لا محالَة؛ وإنما المعروف الصحيح أن يُوشَى بالأصْغَر إلى الأكبر، فإن توسع في ذلك فبالنظير.

قال المحتجّ: أصل الوشاية استخراج الحديث بالمسألة والتلطّف، كما يستوشى الرجلُ جَرْيَ الفرس بتحريكه وغَمْزِه بعقبيه؛ فقد يجوزُ أن يجري هذه الكلمة على أصلها، ويجعل هؤلاء وشاة لما أَتَوْه بهذا الخبر: والكلامُ هو الأول عندي والعذرُ فيه

---

(١) ديوانه (٣: ١٥).

(٢) يقسم عليها بحياتها، ويقول: هل سلوت عن النوال وحبه؛ فإن قلبي ـ وإن بعدت عن أرضك ـ غير سال.

(٣) ديوانه (١: ٩٢). (٤) ديوانه (١: ١٠١).

(٥) الوصب: المرض، وفي الديوان: قول العداة بدل: قول الوشاة، وفسر البيت في التبيان بما يأتي: إنما جاءهم العدو، لأن الأعداء أرجفوا بأنك عليل، وأنك لا تطيق المجيء إليهم لثقل المرض.

يضعف، وإنما أرادَ بالوُشَاة الذين بعثُوه على قَصْدِ الثغور، فإنما وشَوْا بأهلها لما دَلّوه على ضَعْفِهم واشتغال ناصرهم.

ومن هذا الضَّرْبِ قوله[1]:

ما يُنْقِصُ المَوْتُ نَفْساً مِنْ نُفُوسِهِمُ ‏ إلّا وفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُودُ

قالوا: والعودُ لا يشتمّ، ولو اشتمّ لم يحظ من ريحه بطائل، وإنما يظهر عَرْفه إذا حللت النار أجزاءه ولطفتها، فانبثّت في الهواء ودخلت في الخياشيم.

قال القاضي: وليس في المعنى عندي ما ذكره، ولا ذهب الرجلُ حيث ظنّوا، وإنما أراد أنه لا يباشرها إذا قبضها، ولكن يَقْبضها وفي يده عُودٌ يتناولها بطرفه، كما يريدُ الإنسان أَخْذَ الشيء يستقذره، فيصونُ عنه يدَه، ويتناوله بحاجز، ولم يُرِدْ عُود الطيب. وإنما أراد عُوداً من العيدان أيها كانت.

وأمثالُ هذه الاعتراضات كثيرةٌ واستقصاء جميعها بابٌ من التطويل، وإنما يَصْلُح استيفاءُ ذلك إذا قصدنا شَرْح المعاني المستغلقة من شعره، فإنَّ القولَ في ذلك يتَّصِل بالكَشْفِ عن هذه الأمور، ويتناول الغامضَ الخفيّ، والمتوسط المحتمل، والظاهرَ الذي فيه بعضُ اللبس؛ فينفي ما يجب أن ينفي؛ ويعتذر لما يحتمل العذر، ويذكر مثل قوله[2]:

إذا ضَوْؤُهَا لاقَى من الطيْرِ فُرْجَةً ‏ تَدَوَّرَ فَوْقَ البَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِم

ويُبَين كيف صار ما يقعُ من الشمس على البَيْض إذا وَجَدَتْ من الطير فُرْجَةً مستديراً ولم يكن مستطيلاً، وإن كانت المشاهدةَ صحّحَتْ قول الشاعر، وإنما بقي علينا تعرُّف العلة. ومثل قوله[3]:

لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوْ ‏ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَّاءُ[4]

كيف يكون من الوَرَى، والوَرَى منه: ونحوُ هذه المعاني وما يشاكلها. وقد قدَّمنا عند ذكرنا الاستعارات ووجوه الإغراق والإفراط ما يبين لك القولَ في مثل قوله[5]:

وضاقت الأرضُ حتى كادَ هارِبُهم ‏ إذا رأى غَيْرَ شيءٍ ظَنَّهُ رَجُلاً

---

(١) ديوانه (٢: ٤٢).

(٢) ديوانه (٤: ١١٤).

(٣) ديوانه (١: ٣١).

(٤) اللذ: بمعنى الذي؛ ويريد: لو لم تكن من هذا الورى الذي كأنه معك، لأنك جماله وشرفه، وأنت أفضل أهله لكانت حواء في حكم العقيم التي لم تلد، ولكنها صارت ذات ولد بك ولولا أنت لكان ولدها كلا ولد.

(٥) ديوانه (٣: ١٦٨).

وقوله[١]:

فَلَوْ سِرْنَا وفِي تَشْرِينَ خَمْسٌ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوا السِّمَاكَا

وإنما يطلع السماك في تلك الليلة.

وفي مثل قوله[٢]:

فصارَ سُقْمِي به في جِسْمِ كِتْمانِي[٣]

فجعل للكِتْمانِ جِسْماً. وما لحق بهذين البابين من استعارة بعيدة، وإفراط فاحش.

فأما كتابُنا هذا فقد وفَّيناه حقه، وبلغنا به نهايتَه، وآتينا على ما وصلت الطاقةُ إليه، وما أسعفَنا الإمكانُ به؛ فإذا زادنا النظرُ والفكرُ والمطالعةُ والبحثُ بعضَ ما يليق به أضفناه إليه؛ وإن أفادنا غيرُنا منه ما قَصَّرَ علمنا عنه استفدناه وأعظمنا النعمةَ فيه، وعرفنا لصاحبه فضلَ التقديم، ولرجعنا له بحق التعليم. وباللَّه نستعين على كل خير، وإياه نسأل التوفيق، ونستوهب العِصْمة والتسديد، وهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل.

---

(١) ديوانه (٢: ٣٩٥).

(٢) ديوانه (٤: ١٩٢).

(٣) صدره:

كأنه زاد حتى فاض من جسدي

فهرس المحتويات

